

عُمان .. في زمن كورونا

قراءة في الجائحة وآثارها على مرافق الحياة

عُمان.. في زمن كورونا (مقالات)

تحرير: خميس العدوي، شميصة النعمانية

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022



الجمعية العمانية للكتاب والأدباء
THE OMANI SOCIETY FOR WRITERS & LITERATI



الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

الآن ناشرون وموزعون

سلطنة عمان، مسقط

الأردن، عمّان

omani-writers@hotmail.com

alaan.publish@gmail.com

هاتف: +96824346754 / +96824346753

هاتف: 797162720، 65620722 (+962)

المدير العام: د. باسم الزعبي

الغلاف: عمل فني لنانة المعمرية (سلطنة عمان)

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2021/4167)

ISBN: 978- 99969- 868- 9- 5

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6788)

عُمان .. في زمن كورونا

قراءة في الجائحة وآثارها على مرافق الحياة

تحرير:

خميس العدوي وشميسة النعمانية



مقدمة التحرير

الأوبئة تأريخ واجتماع، مرض وصحة، خوف وأمل، أفول وتحول، بل هي محطة كبرى في انقلاب الاجتماع البشري، ليس في التعامل الاجتماعي مع الحياة فحسب، وإنما في كل مكوناتها، بدايةً بمعالجة المشكلة ذاتها، وانتهاءً بفهم طبيعة الحياة. هذا مسار عام في الأوبئة، ووباء كورونا (كوفيد19) يحكمه هذا القانون، بيد أنه ينيف عنه بمعطيات كبرى، لم تكن موجودة في جوائح سبقتها، منها: أنه أول وباء يشكل جائحة كونية مرصودة، فكل الجوائح المعروفة من قبل، لم يسجل أنها عمّت البشرية قاطبة، على أقل تقدير أنها لم ترصد علمياً. وأنه وباء سريع الانتشار؛ بدرجة أن يسمع أحدنا عبر الإعلام خبراً عن ظهور نسخة متطورة منه، حتى يفاجأ في اليوم التالي بوصوله إلى بلده. وأن انتشار عدواه، وتأثيراته من إصابات وموت، والاضطرابات الاجتماعية التي تحصل بسببه، والانهيارات الاقتصادية، والاكتشافات التحصينية ضده، تنقل لحظة بلحظة. والأهم من هذا أنّ حصول هذا الوباء جاء في العصر الرقمي؛ مما يعني أن أية تحولات في الاجتماع البشري بسببه يصاحبها غالباً إعادة تأهيل وبناء للاجتماع البشري بما يتناسب مع الآفاق التي تنشدها التقنية الذكية، مما يدفع بالحياة إلى التبدل من غير رجعة للوراء.

إن هذه التحولات الكبرى لا بدّ من رصدها وتحليلها، وهو أمر حاصل، فمما أوجده هذا العصر أن أزماته غير قابله للتأجيل، وإلا لتحولت إلى دمار، ولذلك يسارع الدارسون والباحثون؛ كل أحد منهم في مجاله إلى دراسة هذا

المرض؛ سواء بحالته الفيروسية والوبائية، أو بمستوياته الفردية والجماعية، والنفسية والاجتماعية، أو بحقوله السياسية والاقتصادية والبيئية، ونحوها. من هذا المنطلق جاءت فكرة رصد تأثير جائحة كورونا (كوفيد19) من قِبَل الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، وهي تنزع في هذا المنزع من بُعد ثقافي، لتقريب ما يحصل في السلطنة بفعل تأثير الجائحة إلى ذهن القارئ، فرغم أن القارئ عموماً على اطلاع لحظي بما يجري في العالم عامة، وليس في عمان فحسب، إلا أن استجماع الصورة من كل زواياها عمل قد لا يراه الجميع لحظة حصول الأحداث، فيأتي هذا العمل ليضع المشهد واضحاً أمام القارئ؛ بكاميرا المثقف؛ من خلال عدسات متنوعة الالتقاط. وبالإضافة إلى الرصد الآني الذي يسجل لحظة توثيق الحدث في السلطنة، فالفكرة هدفت كذلك إلى استشراف التحولات المستقبلية التي يتركها الوباء على المجتمع العماني، وفي الوقت ذاته؛ محاولة الكشف عن مدى قدرة الفرد والمجتمع والدولة في السلطنة على استيعاب هذه التحولات.

بعد تقديمنا فكرة مشروع كتاب «عُمان.. في زمن كورونا (كوفيد19)» إلى إدارة الجمعية؛ ثم إسدائه إلينا لإنجازه، بوضع محاوره واختيار كتابه، ثم تحريره ومراجعته وضبطه، حددنا المحاور التي تشتمل على جوانب الحياة في عُمان، تلك الجوانب الحيوية التي يمكن أن تشغل القارئ، ويرغب أن يطلع فيها على تأثير جائحة فيروس كوفيد19، وقد تجاوب الباحثون مشكورين للكتابة حولها، إلا تلك التي اعتذر عنها البعض في وقت لاحق، لظروف أصابت الكاتب، ولم تتمكن أن توجد بديلاً عنه لضيق الوقت. وبالحق، كنا مدركين لظروف الكتابة حول هذه الجائحة، فرغم أننا حددنا

للكتاب وقتاً لإنجاز بحوثهم، لكن بعضهم تأخر في تسليمها، وذلك لظروف الوباء ذاته، أو لظروفهم الخاصة، مما جعل المدة المحددة غير عملية، فنضطر إلى مدها، وهذا أوقع معيارية الكتابة في إشكال، وهو أن البحوث جاءت بأزمنة مختلفة، في ظل تطور مستمر وسريع في الجائحة وآثارها، بيد أن هذا لم يعد من فائدة، فهو يحد ذاته رصد لأثر من آثار الوباء على الكتابة والبحث.

بعد تسلّم البحوث شرعنا في تحريرها؛ لتصبح كتاباً واحداً مؤتلفاً، فالتحرير - كما هو معلوم - جزء من إنشاء الكتاب، والمحرر يشترك في إخراج مادته. وقد وجدنا المواد المقدمة؛ متفاوتة في المنهج والتوثيق والأسلوب، وهذا أمر معتاد في الأعمال الجماعية، خاصة تلك التي تمتح مادتها من أنهار معرفية مختلفة. فتلافينا الأخطاء الكتابية واللغوية، وأزلنا اللوازم التي اعتادها كل كاتب، ولا تدخل في صميم النص، كما وحّدنا العناوين وأدوات الترقيم والهوامش والشكل العام لهيكل الكتاب وقائمة المراجع، مع التعليق على ما يلزم التعليق عليه في الهامش. وقد جاءت المحاور حاملة مصطلحات متعددة للفيروس؛ منها: كورونا، كورونا المستجد، كوفيد19، كورونا (كوفيد19)، الفيروس المستجد، فاخترنا أن نستعمل مصطلح «كورونا (كوفيد19)»، وذلك لأن الإقتصار على «كورونا» لا يعطي خصوصية الفيروس من المجموعة الكلية لهذا النوع من المرض التاجي، كما أن الإقتصار على «كوفيد19» يقطع الصلة بالمجموعة، لا سيما أن العالم كله يستعمل هذا المصطلح. وهذا بالنسبة لما كتبه الباحثون بأنفسهم، لأن المادة التحريرية تطال أعلامهم فقط، أما ما اقتبسوه من مصطلح فلا يمسّه التحرير، فلم نعدل فيه، بل لم نعدل أي نص مقتبس.

لا نطيل على القارئ بالتقديم؛ فالكتاب بين يديه، وكل ما نرجوه أن يجد فيه ما يفيد عن تأثير هذه الجائحة على الوضع في عمان؛ من جوانبه المختلفة، وأن يكون الكتاب مادة وثائقية لجائحة نرجو الله بالألا يطول أمدها، وألا تشهد البشرية من بعدها جائحة أخرى، وأن يكون الإنسان أفضل رشدًا في التعامل مع أزماته، وأكثر قدرة على معالجتها، فالعالم مشرعة أبوابه على حضارة ستتمكن من تذليل ما نراه اليوم عقبة كأداء، ليصبح مطبًا سهلًا، يتجاوزه الإنسان باطمئنان.

ختامًا، نتقدم بالشكر إلى الدكاترة والأساتذة الكرام كافة؛ الذين سكبوا مداد علمهم ليوثقوا اللحظة مفصلية في تأريخ الإنسانية قاطبة، وليمدوا القارئ بتجربتهم في معالجة أزمة كورونا (كوفيد19)؛ من خلال تخصصهم العلمي ورؤيتهم المعرفية، ونشكر كذلك كل من أسهم في نجاح هذا المشروع، كما نشكر الزملاء في مجلس إدارة الجمعية، وفي مقدمتهم المكرّم المهندس الأستاذ سعيد بن محمد الصقلاوي رئيس الجمعية. والشكر موصول للأستاذين العزيزين الخطاب بن أحمد المزروعى وعبدالعزيز بن مبارك الرحبي.

والله ولي التوفيق

خميس بن راشد العدوي

شميسة بنت عبدالله النعمانية

المحور الصحي

الوضع الصحي أثناء جائحة كورونا (كوفيد19)⁽¹⁾

د. يوسف بن علي المُلّا البلوشي

طبيب ومبتكر وكاتب طبي

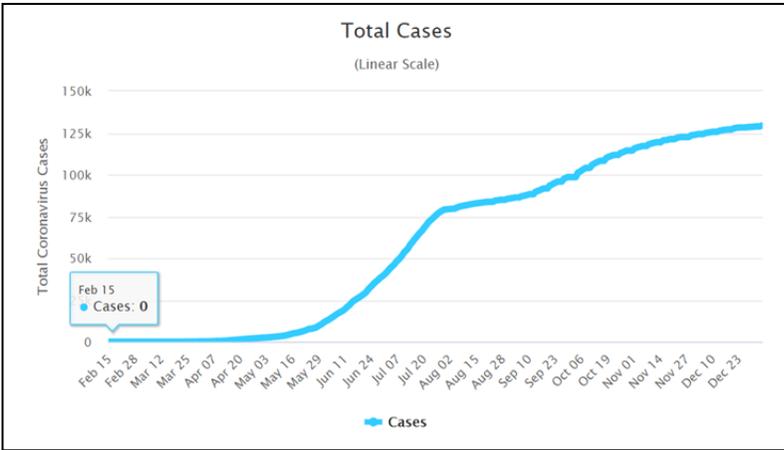
- تطور الوضع الوبائي في سلطنة عمان وكيفية التعامل معه وتقييم المؤسسات الصحية في معالجتها

- الواقع وتجلياته

مرض جائحة كورونا (كوفيد19) الناتج عمّا يعرف اليوم بمتلازمة الجهاز التنفسي الحادة (فيروس كورونا-2)، أثر على العالم بأسره، فتسبّب في عدد لا يمكن السيطرة عليه من الوفيات والقلق والتوتر ومشاكل الصحة النفسية، منذ عام 2019. وقد بدأت الجائحة بووهان بالصين في نوفمبر 2019م، ووصل إلى سلطنة عمان في فبراير 2020م، بعد وصول مواطنين عادا من إيران وتأكدت إصابتهما. وعلى الرغم من اتخاذ إجراءات فورية حقيقية؛ فقد ارتفع عدد المصابين إلى 6 حالات إيجابية في غضون أيام قليلة، كلهم عائدون من إيران.

(1) المحور يدرس الوضع الصحي منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020، وصولاً إلى ديسمبر 2020.

آنذاك، وبشكل بعث على القلق، لوحظ استمرار ارتفاع عدد الحالات طوال مارس 2020م، مع الأخذ في الاعتبار أن أكثر من 2300 وافد مشتبه بهم عادوا إلى السلطنة في بداية مارس من نفس العام. وقد جرى عزلهم على الفور، من بينهم 49 شخصاً أبلغوا عن تدهور حالتهم الصحية، فعزلوا مؤسسياً من قِبَل المؤسسات الصحية بالسلطنة، وطلب من الباقين أن يعزلوا أنفسهم في منازلهم بعد اتخاذ جميع إجراءات التشغيل القياسية للحجر الصحي المحلي. ثم ارتفع عدد المرضى المشتبه بهم إلى 7646 من الوافدين والمواطنين. ورغم كل هذه الإجراءات؛ إذا ما عدنا إلى منتصف مارس عام 2020م، فإننا نلاحظ ارتفاع عدد المصابين إلى 22 مصاباً، في حين تم الإبلاغ عن تجاوز مائة إصابة بحلول نهاية مارس.



ولقد أثرت الجائحة على محافظة مسقط كثيراً، حيث تم الإبلاغ عن أكبر عدد من الحالات والوفيات وتشخيص إصابتها بفيروس كوفيد19. ومما كان

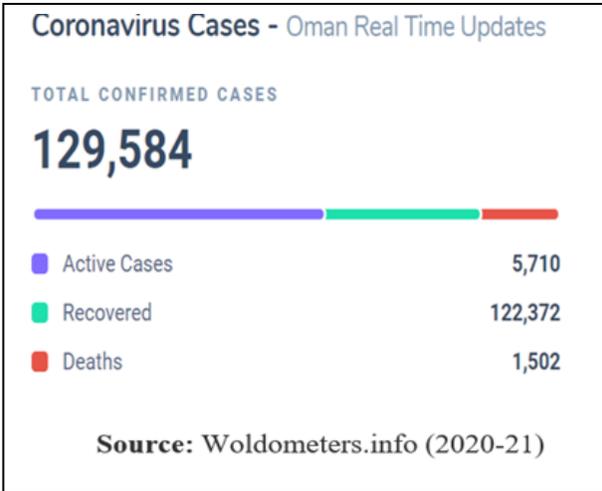
جلياً في بداية الجائحة؛ أن مسقط احتوت على ما يقرب من 76% من جملة حالات الإصابة بفيروس كورونا في السلطنة. إلى جانب ذلك، كشفت الإحصاءات أن 79% من الإصابات المبلغ عنها؛ كانت لوافدين ومسافرين عائدين من دول أخرى. وإلى جانب محافظة مسقط، حددت مطرح والسيب على أنهما منطقتان رئيسيتان أخريان تأثرتا سلباً بالفيروس في المراحل الأولى للجائحة بالسلطنة.

ومما زاد من وطأة الوضع وتأثيره؛ أنه في أوائل أبريل 2020م دخل الفيروس مرحلة انتشاره، مما أدى إلى الوفاة الأولى في السلطنة، تلاها تعجيل مفاجئ ومخيف في عدد الحالات الإيجابية والمصابة التي تجاوزت 200 حالة. بل استمرت الإصابات فتجاوزت 400 حالة في 7 أيام فقط. إذ أفادت وزارة الصحة آنذاك عن انتشار 45% من الحالات الإيجابية المصابة من مطرح، فتم تحديد السبب الرئيسي لها على أنها انتشار محلي للفيروس، وأدى ذلك الجهات المعنية المتابعة للجائحة إلى النظر في عزل الولاية من أجل السيطرة على أي انتشار آخر للفيروس. ناهيك أن ولاية السيب كانت من المناطق الأكثر تضرراً، حيث تجاوز عدد الحالات المصابة 5600 حالة. وقد توقعته وزارة الصحة واللجنة العليا- التي نشأت بأمر صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق حفظه الله لتتولى بحث آلية التعامل مع التطورات الناجمة عن انتشار فيروس كورونا (كوفيد19) - تدهور الوضع الجائحي لكوفيد19 في البلاد، وبالتالي قررت الإغلاق الفوري الذي كان من المقرر مبدئياً أن يكون من 10- 22 أبريل 2020م. ومع ذلك، جرى تمديده مرتين، ثم بدأ استئناف جميع

الأنشطة في 29 مايو 2020م، باستثناء ولاية السيب، حيث مدد الإغلاق حتى 14 يونيو 2020م.

ما أود الإشارة إليه أنه في البداية كانت معظم حالات الإصابة بالفيروس التي تم الإبلاغ عنها إيجابية (تأكدت إصابتها) تعود إلى الوافدين؛ ومع ذلك وقع عدد كبير من العمانيين فريسة لفيروس كورونا (كوفيد19) بحلول يوليو 2020م، أضف إلى ذلك التحديات التي واجهتها الحكومة للسيطرة على الفيروس وانتشاره، وبالتالي تعاطت بحرص شديد واتخذت التدابير المناسبة لمنع انتشار الجائحة.

ومنذ يوليو 2020م، أبلغت البلاد عن خط اتجاه متزايد بشكل لا يمكن السيطرة عليه للحالات الإيجابية والوفيات، ومع ذلك، فإن معدل التعافي آنذاك كان جيداً. في 3 يناير 2021م، أكدت وزارة الصحة على وجود 129584 حالة إيجابية (تأكدت إصابتها)، من بينها 1502 وفاة، و122372 شفاء.



ومن ناحية أخرى، استجابت السلطات الحكومية للوضع على وجه السرعة، مباشرة بعد الإبلاغ عن حالتين إيجابيتين بالسلطنة في فبراير 2020م، فجرى وضع المرأتين في الحجر الصحي لمدة 14 يوماً، لضمان تعافيهما التام. وفي خطوة تالية مهمة، تم تشكيل اللجنة العليا بأمر سام من لدن جلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم، كلفت أعضاء اللجنة بضمان التقييم السريع، والتعامل والاستجابة لجميع البروتوكولات الاستباقية الاحترازية والتفاعلية المتعلقة بالجائحة، بل تعدها إلى إلغاء جميع الأحداث والفعاليات المجدولة سابقاً، وأصدرت اللجنة قراراً بتعليق جميع الأنشطة التعليمية، وإغلاق المدارس والكليات والجامعات والمؤسسات التدريسية، وعدم السماح لأي مواطن أو طالب من دول مجلس التعاون الخليجي بعبور الحدود براً وجواً وبحراً، وإغلاق الحدائق العامة والأماكن الترفيهية والمتاحف ومواقع السياح والمساجد، وعدم إقامة أي تجمعات اجتماعية كالزفاف أو صلاة العيد في البلاد، وتقليل عدد الحضور في المحكمة، ومنع بيع الشيشة في جميع المقاهي.

وبالنظر إلى السفر، فقد كان هو الجانب الرئيسي للوقوف عليه بكونه أحد أبواب انتشار الفيروس، وعليه، فقد أخذ بعين الاعتبار من قبل اللجنة العليا المكلفة بمتابعة الجائحة ووزارة الصحة، فألزمت جميع المسافرين الذين كانوا عائدين إلى السلطنة من دول أخرى باختبارهم وفحصهم، وحجرهم صحياً كإجراء استباقي واحترازي. والأهم أنه تم نصح المواطنين بتجنب السفر غير الضروري؛ خاصة إلى البلدان التي سجلت فيها حالات إيجابية

(إصابات) للجائحة. ولم يتم إصدار أي تأشيرات جديدة للسياح، ولأي زائر من الدول الأخرى، بحسبما قررت اللجنة العليا المتابعة للجائحة.

وكان من البدهي ونحن نراقب تفشي الجائحة سريعاً في العالم؛ أن تغلق جميع الموانئ العمانية، ويلغى رسو السفن البحرية بكل أنواعها بالسلطنة، حتى تلقي إشعار آخر من قبل اللجنة العليا. وأعلنت الحكومة لغير العمانيين من كان في زيارة أو عمل أو دراسة بالبقاء في السلطنة وعدم الرجوع إلى بلدانهم، مشيرة إلى عدم وجود أي نوع من الإجراءات القانونية أو الغرامة تخذ لمن تجاوز مدة الإقامة أو انتهت صلاحية تأشيرته في البلد. بالإضافة إلى ذلك، تمكنت الجهات المعنية بالحكومة من نقل 255 مواطناً عمانياً جواً، بمن في ذلك السياح ورجال الأعمال والطلاب من المملكة الأردنية، الذين جرى عزلهم لاحقاً كإجراء وقائي. بينما محلياً، لاحظنا في عدة محافظات؛ منها العاصمة مسقط، إقامة حواجز ونقاط تفتيش على الطرق لمنع التنقل درءاً لانتشار الفيروس وزيادة الحالات في مناطق السلطنة، فيما أعفي هذا المنع عن سيارات الإسعاف والعربات الأمنية والشاحنات التجارية والإنشائية، وشاحنات الطعام والمشتقات البترولية والنقل العسكري.

كان واضحاً آنذاك؛ وخلال فترة الإغلاق والإجراءات الاحترازية المكثفة، أنه طلب من الموظفين، بمن فيهم العاملون في القطاعين العام والخاص، إبراز بطاقاتهم عند الدخول إلى منطقة معينة أو مغادرتها، خاصة في محافظة مسقط.

من ناحية أخرى، وبإجراء استباقي، نصحت وزارة الصحة، وبالتنسيق مع اللجنة العليا، المستشفيات التابعة لها على مستوى السلطنة؛ كالمستشفى

السلطاني ومستشفى النهضة، أو التي تتبع مؤسسات أخرى ليست تحت مظلة وزارة الصحة، للتعامل مع الحالات الطارئة فقط، وبالتالي توقفت جميع الأنشطة الطبية الروتينية، أو أُجّلت إلى حين ظهور تقديرات تظهر انخفاضًا واضحًا في معدل انتشار «كوفيد19»، وفي الحالات المصابة، التي تحتاج إلى عناية بالمستشفى. لافتًا هنا كيف أن تلك المؤسسات الصحية تمكنت من إعداد فرص التواصل الافتراضي بإتاحتها للأطباء والاستشاريين الصحيين في بعض التخصصات الطبية، لتسهيل بقاء المرضى على اتصال مع أطبائهم «عن بُعد» خاصة لتقييم حالتهم والتحديثات المتعلقة بخطة العلاج وأي تغييرات في الأدوية.

الجدير ذكره هنا، أنه من أجل ضمان توفير المرافق الطبية خلال جائحة كورونا (كوفيد19)؛ أُنشئت عدة مستشفيات ميدانية، منها المستشفى الميداني لمرضى كوفيد19 بمبنى مطار مسقط الدولي القديم، وكان الهدف منه تخفيف الضغط على مستشفيات محافظة مسقط والمحافظات المجاورة. حيث إن الطاقم الطبي بالمستشفى لديه خبرة كافية لتقديم المساعدة في التعامل مع المشتبه بهم من حالات الإصابة بفيروس كوفيد19، حسب التعليمات والبروتوكولات الصادرة من المديرية العامة للخدمات الطبية.

ومن الأمور الرائعة -على الرغم من هذه الجائحة- وجود مركز الاتصال الحكومي، الذي ضمن الإعداد والتواصل بين مراكز عزل المرضى المشتبه بهم؛ غير المتيقن من إصابتهم بالفيروس، وتم الإبلاغ عنهم نتيجة الفحص الإيجابي (إصابتهم) بفيروس كوفيد19. علاوة على ذلك، نشرت وزارة

الصحة الإجراءات القياسية، باعتبارها إرشادات تحث الناس على اتباع جميع بروتوكولات النظافة والصحة لتجنب انتشار الفيروس، بما في ذلك غسل اليدين واستعمال المطهرات واتباع التباعد الاجتماعي أو الجسدي وتجنب التجمعات.

وقبل كل شيء، أنشأت وزارة الصحة فريقاً لضمان توفير المعلومات والتوعية بالفيروس الجديد كوفيد19 بين الجمهور، مع دعوتهم إلى عدم تصديق الشائعات. وبدلاً من ذلك، توجيههم للحصول على المعلومات من المصادر الحكومية الرسمية والمعترف بها. وكان منطقياً أن تحرص الحكومة من خلال اللجنة العليا المتابعة للجائحة على المساءلة القانونية للذين ينشرون أخباراً كاذبة وشائعات حول تفشي المرض والجائحة، حيث اتهم عدد من الأشخاص وتمت إدانتهم بمخالفة الإجراءات الاحترازية، أو القواعد المشتركة، وإيجاد بيئة مخيفة في المجتمع.

ومن خلال الإجراءات الاحترازية التي أقرتها اللجنة العليا؛ سُمح للصيديات بممارسة أنشطة صرف الأدوية من خلال نافذة الخدمة فقط، لضمان الحد الأدنى من التواصل مع الناس. بل إن الأمر تعدى ذلك، ورأينا الملحمة الوطنية في الوفاء والوقوف جنباً إلى جنب في هذه الظروف الإستثنائية من الجائحة مع المؤسسات المعنية بالسلطنة، فعملت القوات الجوية السلطانية على توريد جميع المواد الطبية التي جُلب من مدينة شنجن الصينية وفقاً للمتطلبات والمعايير الخاصة بمعدات الحماية والأدوية)، إضافة إلى معدات الاختبار المعملية على النحو المحدد من قِبَل منظمة الصحة العالمية.

ليس هذا فحسب، بل إن الجيش السلطاني وضع خطط طوارئ متكاملة للغاية، ومرنة، بإنشاء مستشفيات ميدانية لكوفيد19، إلى جنب تعيين مساعدين ميدانيين لتسهيل التعقيم والتطهير لجميع الأماكن العامة والمباني السكنية والمكاتب والأماكن الترفيهية، والمساجد، والمتاحف، والطرق والمركبات.

إلى جانب جميع الإجراءات المذكورة لمكافحة ومعالجة الوضع المتفاقم للجائحة، حرص جلالته السلطان هيثم بن طارق حفظه الله، إضافة إلى الوزارات والمؤسسات الحكومية المعنية بما فيها الشرطة السلطانية والمتطوعون، على التعاون واتخاذ إجراءات للحد من الأثر المدمر لتفشي الجائحة في البلاد. ف تبرع السلطان بمبلغ 10 ملايين ريال مبادرة تشجيعية ورعاية لشعبه. ثم توالى التبرعات، حيث تبرع بمبلغ مليون ريال للخدمات الصحية للمرضى بوزارة الصحة من قِبَل عدد من البنوك العمانية؛ على سبيل المثال.

وفي وقت ما خلال الجائحة، لعبت اللجنة الوطنية للشباب (حاليًا تحت مظلة وزارة الثقافة والرياضة والشباب) دورًا مهمًا مع الجهات المعنية، في الترويج للرسائل المتعلقة بالمعلومات الجديدة والمحدثة من حين لآخر عن كوفيد19 بين الناس، بالإضافة إلى التعاون والاستعداد ببدء تدابير الإيواء والعزل بدعوة المتطوعين من أبناء الوطن. وهكذا كان، فتم آنذاك توفير 40 فندقًا تتكون من أكثر من 2800 غرفة لتوفير المأوى للمرضى، وأماكن الحجر الصحي للمشتبه بهم بتوجيهات اللجنة العليا المتابعة وتعاون وزارتي الصحة والسياحة.

وقد كان جليًا أن وزارة الصحة هي المؤسسة المنظمة، بل والموجهة

لإدارة جميع مؤسسات الرعاية الصحية في السلطنة، والتي ضمنت اعتماد جميع التدابير الاستباقية التي كانت ضرورية لتطوير بيئة مثالية لمحاربة الانتشار غير المتحكم به للجائحة، مع تقليل شدة تأثير فيروس كورونا (كوفيد19). حيث قامت وزارة الصحة بتوحيد جهود جميع مؤسسات الرعاية الصحية والتعليمية التابعة لها، والطاقم الطبي المدرب والأطباء، والمثقفين الصحيين والمدربين، واختصاصيي التغذية، من أجل إنشاء خط الدفاع الأساسي، الذي يستلزم الجوانب العلاجية والترويجية والوقائية والتأهيلية، وتقويته.

ومما يثير الإعجاب أنه لم تقتصر استجابة المؤسسات الصحية المتزايدة، ومستوى التأهب للجودة بوزارة الصحة على تحديد المرضى المصابين والعناية بهم فحسب، بل شمل أيضًا نظام استجابة الطوارئ المتكامل للغاية، والقدرة الموسعة لمؤسسات الرعاية الصحية على فحص وإدارة المشتبه بهم، ناهيك عن إيجاد نظام مبسّط يضمن إيصال جميع الإمدادات الطبية والمعدات والأدوية، وما إلى ذلك من التوافر المادي والافتراضي الفوري للموظفين الطبيين، وكذلك التدخلات الاستباقية المنقذة للحياة. ولقد لاحظ المجتمع كيف أن المؤسسات الصحية كانت نشطة للغاية في تنفيذ جميع إجراءات التشغيل، كما اقترحت من قبل اللجنة العليا ووزارة الصحة منذ بداية الجائحة في البلاد.

بطبيعة الحال، بعد حدوث أول وفاة لمريض كوفيد19، التي تم تسجيلها في أبريل 2020م، وزيادة عدد المرضى بشكل مستمر في السلطنة، نصحت وزارة

الصحة واللجنة العليا للمستشفيات ومؤسسات الرعاية الطبية بتأجيل جميع العمليات الجراحية، والاكْتفاء بالحالات الطارئة، وكذلك وضع خطة علاج لمرضى كوفيد19. فاستجابت المستشفيات والمؤسسات الطبية على الفور للإرشادات الحكومية، ونتج عن ذلك تأجيل جميع المواعيد والعمليات الجراحية والأنشطة غير الطارئة حتى تلقي إشعار آخر من وزارة الصحة.

لقد كان تقديم العلاجات الطبية إجراءً رئيسياً آخر اتخذته الحكومة بالتعاون مع وزارة الصحة. وبالفعل بدأت وزارة الصحة في اتخاذ مبادرات وقائية واستباقية منذ البداية، فأعلن وزير الصحة في مقابلة عن توفير فحوصات وعلاج مجاني داعم للمصابين بكوفيد19، بصرف النظر عن جنسيتهم، فتلقى الوافدون نفس المعاملة. وقد جاء ذلك ترجمة لتوجيهات صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق حفظه الله للحكومة واللجنة العليا المتابعة للجائحة.

وبالرجوع إلى الثلث الأول من عام 2020م، وفي خضم مواجهة الجائحة تمكنت السلطات الحكومية من بدء الاختبارات الجماعية بحلول منتصف أبريل، التي كشفت عن انتقال الفيروس إلى 457 شخصاً إضافياً في يوم واحد فقط. كما كشفت عن 206 حالات جديدة تم الإبلاغ عنها في ولاية مطرح، ونتيجة لذلك، وصل العدد المسجل على المستوى الوطني من المصابين بكوفيد19 إلى أكثر من 500 في شهرين فقط من ظهور الجائحة في السلطنة، وبالنظر إلى الجهود المبذولة للسيطرة على الوضع والتسهيلات العامة تم التعجيل بالاختبارات.

لقد كانت وزارة الصحة نموذجاً للقيادة والحكمة، وذلك من خلال إنشاء

فريق عمل طوارئ الصحة العامة، الذي تم تقسيمه إلى مجموعات تغطي جميع محافظات السلطنة. ومن أجل ضمان الإدارة الفعالة؛ شكل العديد من مراكز العمليات المناطقية في جميع المحافظات، تحت قيادة المدير العام للخدمات الصحية، تتألف من 12 عضواً في الفريق، تم تكليفهم بمعالجة جميع الأنشطة والجوانب الوظيفية لفريق العمل. بالإضافة إلى ذلك، تم تكليف فرق العمل هذه لضمان تطوير وتنفيذ خطط العمل اليومية؛ وقد اشتمل عدد منها على: الوقاية من العدوى ومكافحتها، ونظام المعلومات الصحية، والتوعية الصحية ووسائل التواصل الاجتماعي، وفرق تهتم بمراقبة الأمراض والاستجابة لها. واستجابة لتطور الحالة الوبائية؛ كان من المهم إجراء العديد من التغييرات في واجبات ومسؤوليات الموظفين والعاملين الطبيين الميدانيين بناءً على تقارير تقييم المخاطر.

وعلاوة على ذلك، كان من الرائع متابعة تدريب المتطوعين من المجتمع من قِبَل مراكز العمليات المحلية أو المناطقية لوزارة الصحة. وبالتالي ارتبطوا بوسائل التواصل الاجتماعي، وفرق التوعية لنشر المعلومات حول الإجراءات الوقائية لتجنب العدوى، وبروتوكولات الرعاية الصحية في حالة الإصابة بالفيروس.

بالإضافة إلى تطوير مركز العمليات المحلي؛ فإن إنشاء مركز رعاية صحية نموذجي لكوفيد19، هو مثال آخر على الجهود الناجحة والمنسقة للمؤسسات الصحية في السلطنة، التي سهلت توفر الاختبار والعزل لمدة 24 ساعة. ولعل الأهم هو حضور جميع الطاقم الطبي المعد للتعامل مع حالات

فيروس كوفيد19، والأطباء والممرضات وموظفي الدعم؛ العديد من الدورات التدريبية، من أجل استيعاب وممارسة بروتوكولات الرعاية الصحية، التي تضمّنت أخذ المسحات والفحص للفيروس، والإبلاغ والتواصل في هذا الشأن. إلى جانب التعامل مع المرضى الذين يعانون من الأعراض، أو الذين لم تتطور لديهم الأعراض بطريقة آمنة. ناهيك أنه تم تعيين مقدمي الرعاية الصحية للرد على الاستفسارات العامة، وتقديم أي دعم طبي مطلوب.

وحقيقة، لانسى دور الكادر التمريضي، الذي كان مسؤولاً بشكل أساسي عن إدارة جميع مراكز العزل، جنباً إلى جنب مع زملائهم الأطباء، مع التأكد من توفر جميع مرافق الرعاية الصحية للمرضى، وكذلك المشتبه بهم، وهذا مثال آخر يبرر السلوك الفعال والمسؤول لمؤسسات الرعاية الصحية والعاملين الصحيين في السلطنة.

وكان لزاماً أيضاً النظر إلى المساهمين الآخرين في جهود وزارة الصحة للجائحة، مما عكس فعالية المؤسسات الصحية بشكل ملفت، فبرز دور إدارة التثقيف الصحي وبرامج التوعية، حيث حرصت الإدارة على تصميم ونشر مجموعة مفصلة من الإجراءات الاحترازية قبل أن تضرب الجائحة السلطنة، وكانت بمثابة استراتيجية استباقية لنشر المعرفة والوعي بالفيروس بين الجمهور. كما تواصلت الإدارة مباشرة مع أقسام التثقيف الصحي، في جميع مديريات ومستشفيات وزارة الصحة، وقدمت محاضرات و مواد توعية لخطة التثقيف، بالإضافة إلى توزيع لافتات إرشادية وملصقات على جميع المراكز الصحية والعيادات العامة، لتعزيز الوعي المجتمعي، ومتابعة الأنشطة القائمة

في هذا المجال، بشكل مستمر، ويتسق مع تأثيرات الجائحة. ناهيك أن فريق من الإدارة يقوم بزيارة المحافظات للاطلاع على احتياجاتها من أنشطة التوعية.

من ناحية أخرى، أدى التطوير المسبق لجميع الاستراتيجيات وموارد المعلومات، إلى تقليل التحديات التي تواجه إدارة التثقيف الصحي، في إصدار المعلومات وتبسيط توزيعها على شرائح المجتمع المختلفة والمحافظات الرئيسية، والأطباء المتخصصين ومواطني ومقيمي السلطنة. فراعته الإدارة تحديث الدلائل الإرشادية وقاعدة بيانات المعلومات بشكل متكرر، بما يتفق مع المبادئ التوجيهية المحدثة، التي تم نشرها من قبل منظمة الصحة العالمية. حرصت الدائرة كذلك على توفير الرسائل ومصادر المعلومات الصحيحة والدقيقة في ذات الوقت، لجميع ممثلي وسائل الإعلام والإدارات الحكومية والخاصة المعنية، بما في ذلك وسائل الإعلام المطبوعة، والإعلام الإلكتروني، وجهات التواصل الاجتماعي. لافتاً النظر إلى المسؤولية الحقيقية التي تبنتها إدارة التثقيف بوزارة الصحة، حيث أخذت في الاعتبار المقيمين على أرض السلطنة، وكذلك الأشخاص ذوي الإعاقة السمعية. فتكفل ذلك بالتعاون مع الجمعية العمانية لذوي الإعاقة السمعية، كما تم بث رسائل مميزة ومختلفة بشكل متكرر، وبلغات متعددة؛ منها: العربية والهندية والصينية والأردية والإنجليزية والفارسية. وبما يدعو للثقة والتقدير تمت مراجعة جميع المواد المداعة مسبقاً والموافقة عليها من قبل اللجنة العلمية والمتخصصين في الرعاية الصحية، قبل بثها عبر وسائل الإعلام المختلفة لضمان توفير المعلومة

الصحيحة والمصرح بها بين الجمهور.

ولكوني متابعًا لتطورات الجائحة، تابعت انتشار الجائحة بالسلطنة وتوسعها الكارثي في العالم، وما تلاه من تأثير مدمر على الصحة الجسدية والنفسية للمرضى والأطباء. لقد دخلت الجائحة السلطنة متأخرة بعض الشيء، فوجدنا كيف أن الأطباء والمهنيين الطبيين كانوا على استعداد نفسي لمواجهةها، ومع ذلك، وبسبب نقص المعلومات حول الأعراض، وعدم وجود معرفة كاملة حول العلاجات وجوانب الرعاية الذاتية كان التأثير سلبيًا على المجتمع والمؤسسات الصحية.

لقد تأثر الجميع في المجال الطبي، بمن في ذلك كبار المتخصصين والمتدربين المبتدئين من الأطباء وطلاب الطب. فعلى سبيل المثال، لقد رأيت العديد من الأطباء وطلاب الطب، والمتدربين في التخصصات الطبية يتطوعون للمساعدة، ويقومون بنوبات عمل ليلاً ونهاراً دون أي استراحة. وبالمثل، كان الأطباء المبتدئون والمتمرسون يعملون في الخطوط الأمامية، ويقدمون العلاج اللازم لمرضى كوفيد19، معرضين حياتهم لخطر هذا المرض. وكان موظفو إدارة المؤسسات الصحية يقدمون كل المساعدة للأطباء والمهنيين الطبيين من خلال الاحتفاظ بقوائم آمنة، وترتيب اجتماعات افتراضية لكبار الأطباء وصغارهم. حيث كان عليهم اتخاذ قرارات بشأن سلامة الناس، وتحديد البروتوكولات الصحية للطاقتم الطبي، الذين كانوا يعملون في عيادات المرضى المتابعة لحالات الحمى، أو من لديهم أعراض فيروس كوفيد19، إضافة إلى

وضع معايير للحفاظ على النظافة في المؤسسات الصحية. في الواقع، لم تكن المهمة سهلة، فلقد أجل بعض الحالات الطبية غير الطارئة، بسبب التركيز الشديد للأغلبية من الكادر الطبي في معظم المؤسسات على مرضى كوفيد19 نتيجة زيادة الإصابات. ومع ذلك، وفي وقت لاحق تمت معالجة هذا الوضع من خلال اتباع التعليمات التي قدمتها وزارة الصحة، مع الأخذ في الاعتبار تقسيم جميع الأطباء والكوادر الطبية والمساعدة منها، إلى فرق مختلفة مع سلطات مختصة وأدوار ومسؤوليات معينة. بحيث حذفت عطلات نهاية الأسبوع من التقويم، وبالتالي تم تحديدها على أنها أيام عمل بالنسبة لمعظم الأطباء والكوادر الطبية، مما أدى إلى زيادة شدة الضغط البدني، ناهيك أنه ترك تأثيراً نفسياً وسلبيًا على الطاقم الطبي مع الوقت. ولا ريب أن هذه الممارسة المتمثلة في تصنيف الأطباء في فرق مختلفة، لم تقسم الضغط والعبء فحسب، بل عملت أيضًا كاستراتيجية استباقية للحد من انتشار العدوى بين الأطباء والعاملين الصحيين والمرضى الآخرين في المستشفيات والمؤسسات الصحية. ولعلي هنا أعني أن عبء العمل قد تضاعف؛ ومع ذلك، فإن السلوك الإيجابي للأطباء جعلهم متحفزين للعمل نهارًا وليلاً دون أي فترات راحة. وبالرغم من كل هذا الإرهاق والروتين الممل؛ إلا أن الروح المعنوية لجميع الكادر الطبي كانت مرتفعة، حيث كان كل طبيب مهتمًا بإنقاذ حياة المرضى مع إظهار موقف أكثر إنسانية تجاههم، ومراعاة مشاعرهم ومخاوفهم.

ومن ناحية أخرى، فلقد تعاونت وزارة الصحة كثيرًا مع الأطباء وموظفي

المستشفيات، لتسهيل جميع التغييرات المطلوبة في نظام الرعاية الصحية لمواجهة الجائحة، مع تقديم الدعم ووضع قواعد ولوائح جديدة، تضمنت سلامة الطاقم الطبي، إضافة إلى المرضى والمجتمع ككل. لقد رأيت كل شخص يلعب دورًا بناءً يُظهر قدرته الكبيرة على التكيف وإنسانيته ومرونته في العمل. لم يتبع الأطباء قواعد التباعد الآمن والالتزامات الأخرى الصحية فحسب، بل شاركوا أيضًا في الدفاع عن فوائد هذه الممارسات لمرضاهم وزوارهم كواجب أخلاقي يثبت أن الوقاية من فيروس كورونا (كوفيد19)، والعمل من أجل مرضاهم، ليس مجرد وظيفة، بل هو التزام وعمل إنساني.

- المستقبل وآفاقه

إن الجائحة بعد زوالها ستفتح العديد من الآفاق المتعلقة بالتنمية الصحية التي ستمكن السلطنة من تعزيز الصحة العامة، والاستجابة الطيبة لأي حالة مماثلة من الأزمات الكبيرة والجماعية. ولعل الجانب الأول الذي يحتاج إلى الاهتمام هو التخطيط وإيجاد نهج شامل ومتعدد القطاعات من خلال آلية شراكة متكاملة بين قطاع الرعاية الصحية العام والخاص. وهنا تمكنت محافظات السلطنة بطريقة ما، من تنفيذ خطة متماسكة باستخدام القطاعين العام والخاص. ومع ذلك، فإن جانبًا مهمًا من المشاركة المجتمعية لم يحتل مكانًا مهمًا يستلزم إدراج نهج «المجتمع بأسره» كإجراء استراتيجي متعدد القطاعات تابع للمجتمع الحكومي والخاص، وكذلك المجتمع المدني؛ لتعزيز قدرة ونطاق وموارد النهج متعدد القطاعات من أجل مكافحة حالات الوباء أو الجائحة الجماعية.

وعلى الرغم من اعتراف الحكومة ووزارة الصحة؛ وتقديرهما لمساهمة المتطوعين والعاملين الميدانيين وجميع المهنيين الصحيين ذوي الصلة، إلا أنه في حالة انتشار الجائحة لفترة طويلة، فإن الحاجة تستدعي توسيع دور القطاعات الأخرى، خاصة قدرات مقدمي الرعاية الصحية من القطاع الخاص ورفع كفاءتها، لا سيما المجالات التي تحتاج أن تؤخذ بعين الاعتبار، كتوفير مرافق دور رعاية المسنين، والدعم الاجتماعي للمقيمين «غير المواطنين» وسائر الفئات الضعيفة أو المعرضة لتأثيرات الجائحة المتعددة.

وهناك مجال آخر يمكن أن يؤخذ في الاعتبار، بافتراض أسبقية الاهتمام بتفشي الجائحة، وهو رفع كفاءة العاملين الصحيين للتعاطي مع أي وباء أو جائحة في السلطنة، إلى جانب تحسين الاستيعاب الوبائي وتأثيراته.

وواقعياً، بالنظر إلى انتشار أزمة مجتمعية كهذه على هذا المستوى الحرج والوقت الطويل، فإن توافر أفضل الأدلة العلمية الموثوقة للغاية بمثابة شرط مسبق لإنقاذ حياة الناس، وهذا بشكل ما يسلط الضوء على الحاجة إلى زيادة العاملين في المجال الصحي وتوجيههم نحو أنشطة البحث والتطوير، لاكتساب فهم أوسع عن الوبائيات وأمراضها المرتبطة، مع السعي إلى إضفاء الطابع المؤسسي والأكاديمي على هذه البحوث، لا سيما أنه جانب مهم، وجدير بالاهتمام في بيئة الرعاية الصحية.

• آفاق التطور الصحي المتوقعة بعد انحسار الجائحة

- الواقع وتجلياته

يعتبر كوفيد19 السبب الرئيسي في تهديد حياة الناس في جميع أنحاء العالم خلال السنة المنصرمة من عام 2020م إلى يومنا هذا. ومما لا شك فيه أن انتشار هذه الجائحة لفترة طويلة بشكل غير متوقع؛ لم يغير الأنماط الاقتصادية فحسب، بل أحدث أيضًا تغييرات جذرية إلى حد كبير في الحياة الاجتماعية، مما أدى إلى قلب الحياة ومهماتها الروتينية رأسًا على عقب.

منذ عام 2020م حتى الآن، في فترات متفاوتة، جرى إغلاق السلطنة، بل إن العالم بأسره اضطرَّ لذلك. فمنذ ظهور الموجة الأولى للجائحة بالسلطنة، وما تبعها من تفاقم للوضع، ثم تطورت الموجة الثانية؛ التي تمثلت بعودة ارتفاع الإصابات بالفيروس، بعدما تراجعت كثيرًا جدًّا بالسلطنة، إلا أن السلطنة أرادت أن تكون مستعدة لعام 2021م، لما قد يحتمله من حدوث طفرات جديدة في الفيروس، والكارثة قد تكون إذا ما صاحب ذلك بطء شديد في توزيع اللقاح⁽¹⁾، أو رفض المجتمعات للقاحات، مما يثير الخوف من فرص تطور إصابات جديدة وبأعداد كبيرة من حالات كوفيد19، فتتوالى الموجات الثالثة، وربما رابعة، وهكذا، معلنة جزمًا أن توفير اللقاح المناسب لكوفيد19 هو السبيل الوحيد حتى الآن للمناعة المجتمعية، فنستمر سريعًا في توزيعها على

(1) وهذا فعلاً ما حدث في السلطنة، حيث شهد يونيو 2021م ارتفاعًا كبيرًا في الإصابات، ووفيات يومية بأعداد غير مسبوقه، ومنع لحركة التنقل ليلاً، وكان تأخر وصول اللقاح أحد أسباب ذلك. [المحرران]

الأفراد ونحفظ مجتمعنا. وهذا ما كان حقاً، إذ بدأت السلطنة بالحملة الوطنية للتحصين بلقاح «فايزر بيونتيك» الأمريكي - الألماني المضاد لفيروس كورونا (كوفيد19) في 27 ديسمبر 2020م، بعد وصول أول دفعة من اللقاح إلى السلطنة، مع أمل نجاحه من أجل سلامة مجتمعنا، ولضمان عودة نمط الحياة الطبيعي الذي كان قبل تطوّر الجائحة. وبكل تأكيد هناك أيضاً أوجه من عدم اليقين، ليس لي أن أحاول التنبؤ بها، أهمها وأخطرها مثلاً نشوء الطفرة الفيروسية، التي ربما ستجعل اللقاحات أقل فعالية.

ومع ذلك، فإن إنتاج اللقاح واختباره، ثم توزيعه للاستعمال في دول العالم؛ ليس مهمة سريعة، أو في ليلة وضحاها، وإنما هو عمل وجهد يستغرق وقتاً طويلاً ومعقداً، وصعباً بالنسبة للأشخاص، لا سيما أنه لا يزال علماء الطب غير ملمين بردود الفعل، أو الآثار الجانبية المستقبلية للقاح وللجائحة نفسها. فهيلاري جودوين؛ التي كانت تعمل في جامعة واشنطن، رئيسة قسم الصحة العامة (2020)، تقول: «هناك شيء واحد مهم يجب تذكره.. لن يكون هذا أحد الأشياء التي تبدل الضوء، عندما [يكون] فجأة لدينا لقاح ويتم تطعيم الجميع، سيستغرق الأمر بعض الوقت». وتضيف: «نحن محظوظون لأن لدينا عدداً من اللقاحات المرشحة قيد التطوير، لكننا حقاً قمنا بتسريع العملية بشكل كبير، لذا.. فإن فرصة أن يكون أي واحد منها فعالاً للغاية ليست كبيرة».

وبشكل ملاحظ، جلبت الفترة الطويلة للجائحة عدة مظاهر؛ منها: لم

يكن ارتداء قناع أو كمادات الوجه أبداً جزءاً من الروتين اليومي للناس في السلطنة، فأصبح ممارسة إلزامية على مدار العام الماضي، ليس لجمهور الناس فقط، ولكن تم الاعتراف به كبروتوكول أساسي يجب اتّباعه أثناء العمل في أيّ مؤسسة صحية. لذلك، وبالنظر إلى امتداد الجائحة فترة أطول، تم التأكيد على أن ارتداء أقنعة أو كمادات الوجه سيصبح روتيناً طبيعياً للناس في السلطنة.

ليس هذا فحسب، بل إن الإغلاق المطوّل والاقتصاد الأشل جزئياً والحياة الاجتماعية المتأثرة؛ قد تحدّت الباحثين وعلماء الطب حول العالم، ولدينا أيضاً بالسلطنة، لتكثيف الجهود لإنتاج اللقاح في أسرع وقت ممكن، والاستمرار بالبحث العلمي والدراسات المرتبطة به. ولعله يجب أن ندرك هنا أن فهم مدى تأثير اللقاح المُطوّر وفعاليتيه، متبوعاً بتأثيره على الصحة من الناحيتين الجسدية والنفسية، سيستغرق وقتاً أطول بكثير حتى يفهمه الأطباء؛ ومما لا شك فيه، فإن العمل المضني والمتسارع لعلماء الطب والباحثين وجهودهم لابتكار اللقاح (مثلما تابعنا منذ وقت قريب جداً)، وإنتاجه بكميات كبيرة، بل والمضي سريعاً في توزيعه، هو الأمل المرجو للسلطنة، مثلها مثل دول العالم الأخرى. لذلك -إن صح لي القول هنا- فإن تطوير الاستعمال وقيوده من حيث نقص المعرفة حول فعالية اللقاح، هو مظهر آخر يُعزى إلى الفترة الطويلة لجائحة كوفيد19.

- المستقبل وآفاقه

الاحتمال التالي الذي ينبثق من تحليل الوضع الحالي في قطاع الرعاية الصحية في السلطنة، إضافة إلى تقييم كيفية التعامل مع جائحة كورونا (كوفيد19)، وفعالية دور المؤسسات الطبية التابعة لوزارة الصحة والهيئات التنظيمية الرئيسية ذات الصلة بالصحة والاستجابة الحكومية، وعند النظر في الآفاق المستقبلية؛ فإن الجانب الأول الذي من المهم تسليط الضوء عليه كأحد أهم الجوانب هو استعمال التدخلات المبتكرة المدعومة بالتكنولوجيا، لتسهيل تحليل مثل هذا الكم الكبير من تدفقات البيانات، وهو حقيقة شيء بدهي بالنظر إلى أن العصر الحالي هو عصر تطور الثورة الصناعية التي غيرت جميع الصناعات، من خلال تكامل التكنولوجيا الرقمية، التي تضمنت الحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات وعلوم البيانات وأدوات التعلم الآلي والتقنيات والتدخلات.

ومن هنا، لاحظنا كيف أن العديد من البلدان أبلغت عن إدخال أحدث الأدوات والتقنيات التكنولوجية في أنظمتها، وبالتالي أظهرت استجابة سريعة الخطى تتعلق بتحليل بيانات فيروس كورونا (كوفيد19)، التي ساهمت كثيرًا في قاعدة البيانات الموجهة نحو البحث العلمي، فساعدت العلماء على فهم آلية تطور الجائحة، كما هي الأعراض والأسباب والتدابير الوقائية على التوالي. فعلى سبيل المثال، أبلغت تاوان عن الاستعمال الناجح لتطبيق الهاتف المحمول لمشاركة الموقع، مما ساعدها على تتبع موقع الأشخاص الذين كانوا في الحجر الصحي.

وبالنسبة للسلطنة، فإن إدخال التكنولوجيا في القطاع الطبي، وصناعة البحث والتطوير، كانا بطيئين قبل الجائحة، مما فتح المزيد من الفرص للبلاد لتحسين النظام كاستراتيجية استباقية للتعامل مع الأوبئة المماثلة في المستقبل. وهذا لاحظناه بالفعل من جهود التطوير المتسارعة، خاصة أثناء الجائحة. ولعل الإطار المستقبلي يبيّن حاجة وزارة الصحة إلى تسريع استعمال أحدث الأدوات والتقنيات التكنولوجية، وتكاملها، وتشمل الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية وتحليلات البيانات الضخمة والتعلم الآلي والأدوات الرقمية الأخرى ذات الصلة، لتشهد مستوى معزّزاً من النتائج الصحية والطبية للمجتمع وأفراده.

أما الجانب الرئيسي التالي؛ الذي يُحتاج إلى النظر فيه من قِبَل مؤسسات الرعاية الصحية بالسلطنة، هو ضمان وجود هيكل فعّال ومنهجي للمستشفيات الميدانية، مع إيجاد بيئة سوية للجلسات السريرية، والطبية التعليمية الافتراضية، وذلك من أجل نشر الوعي بين عامة الناس حول العمليات والإجراءات برمتها، بحيث إنه عند تطور أي وباء أو جائحة، لا يشعر أفراد المجتمع بالغرابة، بل إنهم جزء من المنظومة فيتعاونون ويتفاعلون، ويحمي كل فرد نفسه ومجتمعه، فعلى سبيل المثال، تحتاج وزارة الصحة ومؤسساتها الصحية أو التنظيمية، وسائر مؤسسات الرعاية الصحية في السلطنة، إلى تدريب الطاقم الطبي والممرضات والموظفين الإداريين المرتبطين به، على فهم آلية المستشفيات الميدانية والجلسات الافتراضية للمرضى مع الأطباء، وتتبع النظام للحالات، إضافة إلى طرق الإبلاغ

والمشاركة الافتراضية لخطط العلاج، إلى جانب الاحتفاظ بنسخة احتياطية من سجل المريض الطبي. وهكذا ستساعد هذه التحسينات الاستباقية في مجال الرعاية الصحية في السلطنة على مكافحة أي وباء في المستقبل، أو تحديات مماثلة لفيروس كوفيد19 بطريقة أكثر منهجية وفعالية.

وبالنهاية، فإن الجانب الرئيسي الأخير الذي يمكن تصنيفه على أنه مجال اهتمام كبير بالنسبة للرعاية الصحية بالسلطنة، هو ضمان وجود نظام شفاف للإبلاغ وإعداد التقارير، وعلى وجه الخصوص لمواءمة وإدارة مثل هذه المعلومات الهامة. في حين أن أي خطأ بسيط قد يعرقل كامل آلية الرعاية الصحية ونظام الاستجابة لمكافحة الوباء أو الجائحة على نطاق واسع، مع زيادة فرص انتشار «الوباء المعلوماتي»، الذي قد يكون محاولات متعمدة لنشر معلومات خاطئة تُقوّض استجابة الصحة العامة. وفي حالة السلطنة، كان من الواضح تمامًا أن وزارة الصحة أظهرت موقفًا مسؤولًا للغاية وسريعًا لضمان تصميم وتنفيذ بنية متكاملة تدمج جميع مصادر البيانات المتاحة. ومع ذلك، فإن رقمنة هذه المصادر ستعمل على تحسين آلية الرعاية الصحية، مع تسليط الضوء على السلطنة لتصبح قصة نجاح لقطاعات الرعاية الصحية مقارنة بالبلدان الأخرى؛ في مجال تطوير منصات قوية ومستدامة للرعاية الصحية والتعليمية، تساعد الجمهور والحكومة في حالة ظهور أي وباء أو جائحة في المستقبل.

محور الصحة النفسية

الصحة النفسية خلال جائحة كورونا (كوفيد19) (1)

د. يحيى بن خالد الكلباني

طبيب نفسي

• مقدمة

الصحة النفسية جزء لا يتجزأ من صحة الإنسان عموماً، ولا يمكن فصلها عن الصحة الجسدية، وتعتبر الصحة النفسية مطلباً أساسياً لتحقيق حياة آمنة للفرد وتنمية المجتمع وازدهاره، فهي مهمة للفرد في فهم ذاته والقدرة على التوافق مع نفسه، وشعوره بالسعادة مع النفس والآخرين والقدرة على مواجهة مطالب الحياة والعيش في سلامة وأمان، كما أنها مهمة للمجتمع؛ لأنها تهتم بدراسة وعلاج المشكلات الاجتماعية التي تؤثر على نمو الفرد.

ويستعمل مصطلح الصحة النفسية عادة للإشارة إلى الاتزان النفسي والعاطفي، والاجتماعي للإنسان، سواء كان يعاني من بعض المشاكل الصحية أو لا. وتؤثر الصحة النفسية على أفكار الإنسان، وعلى مشاعره ونظراته تجاه الأشياء كما تؤثر على اتخاذ القرارات، وكيفية التعامل مع الضغوط والإجهاد

(1) المحور يدرس الصحة النفسية منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى مارس 2021م.

في حال مواجهتها. كما أن الصحة النفسية تتأثر بالكثير من العوامل مثل: الوضع الاجتماعي والاقتصادي، والصحة البدنية، ومستوى الإنتاجية، وقدرة الإنسان على الوصول للضروريات الأساسية في الحياة. وبالتالي، إن ما يمر به العالم من مشكلات وكوارث مختلفة سواء أكانت طبيعية أم وبائية أم فيروسية أم حروباً أم أزمات، يجعل الأفراد والمجتمعات تعاني نفسياً وصحياً، وبتات تلبية الاحتياجات النفسية للمجتمع أثناء الكوارث الوبائية والأزمات المختلفة من الحاجات الأساسية في مجال المساعدة الإنسانية المجتمعية، خاصة أن الأبحاث والدراسات النفسية قد أكدت ضرورة الدعم النفسي في حالة انتشار الأوبئة، والكوارث الطبيعية وغيرها. وتشير التوجيهات التي وضعتها اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات (Inter-Agency Standing Committee) ويشار إليها اختصاراً (IASC) المسؤولة عن الصحة العقلية والنفسية والدعم النفسي الاجتماعي، إلى أن المبادئ الأساسية لدعم الصحة النفسية وتعزيزها أثناء حالات الطوارئ تتمثل في عدة ركائز، هي: عدم إلحاق الأذى، وتعزيز حقوق الإنسان والمساواة، بالإضافة إلى استعمال النهج التشاركية، والبناء اعتماداً على الموارد والقدرات الحالية، وكذلك اعتماد عمليات تدخل متعددة المراحل، وأخيراً العمل مع أنظمة الدعم المتكاملة. (IASC, 2020).

ويواجه العالم منذ نهاية عام 2019م أزمة صحية عالمية نتيجة انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، الذي بدأ ظهوره في مدينة ووهان بالصين في ديسمبر 2019م، ثم انتشر في جميع دول العالم، الأمر الذي جعل منظمة الصحة العالمية (WHO) تعلن في 11 مارس 2020م بأنه أزمة صحية عالمية، باعتباره وباءً مهدداً للصحة في جميع دول العالم. إذ يؤثر كوفيد19 على الترابط

والاتصال الاجتماعي بين الناس، وثقتهم فيما بينهم، وفي أعمالهم ودخلهم، وثقتهم في المؤسسات، بالإضافة إلى فرض كمية عبء هائلة من حيث الهم والقلق. (WHO, 2020) (CDC, 2020).

• الآثار النفسية للجائحة

تتخطى الآثار السلبية المترتبة على اندلاع جائحة كورونا (كوفيد19) الخسائر البشرية المباشرة من الأعداد المتزايدة من الوفيات والإصابات بالفيروس، لتمتد فشمل العديد من الآثار الاقتصادية الوخيمة التي تنذر بدخول الاقتصاد العالمي في مرحلة كساد لا يمكن التنبؤ بتداعياتها كافة في هذه اللحظة، بالإضافة إلى تأثر القطاع الصناعي والقطاع السياحي والترفيهي، وذلك نتيجة الإجراءات غير المسبوقة التي اتخذتها الدول في محاولة للحد من انتشار الفيروس، كإغلاق الحدود والمطارات وكذلك فرض حظر التجول في بعض المدن.

بيد أن الأنظار خلال بداية الجائحة توجهت إلى الحالة الصحية الجسدية كونها الأهم، وتغافل الكثيرون عن الحالة النفسية للناس ودورها في تعزيز المناعة النفسية والجسدية على حد سواء، على الرغم من تذكير العلماء بالارتباط الوثيق بين الصحة النفسية والجسدية ومدى تأثيرهما على الجهاز المناعي، بل إن التوتر والقلق يؤديان إلى الإصابة بالكثير من الأمراض (تدمري وآخرون، 2020). كما أن هناك اتفاقاً على أن وباء كورونا (كوفيد19) لا يؤثر على الصحة الجسمية فحسب، بل له تأثير على الصحة النفسية للفرد على حد سواء (Philip & Andrea, p1,2020).

وبذلك، فإن الظروف العصبية التي رافقت ظهور كوفيد19؛ فاقمت من الضغوط النفسية والشعور بالقلق والتوتر والهلع والوسواس القهري والتوهم المرضي، كذلك الخوف مما هو مقبل. مما جعل المجتمع تحت ضغط كبير وحالة نفسية مضطربة وخوف شديد؛ نتيجة الانتشار السريع له، ونتيجة الحجر المنزلي وحالات الطوارئ التي تعد من بين الإجراءات التي قامت بها كل دول العالم المصابة بالوباء كإجراء وقائي للمحافظة على حياة الناس. فهذا الوباء يهدد حقًا من حقوق الإنسان الأساسية ألا وهي الحق في الحياة والصحة (Alessandra, p1, 2020).

تشير دراسة أمريكية إلى تضاعف أعراض اضطرابات الاكتئاب والقلق كثيرًا في الولايات المتحدة، خلال الفترة من أبريل إلى يونيو من عام 2020م، مقارنة بالفترة نفسها من عام 2019م. وهدفت الدراسة لتقييم الصحة العقلية وتعاطي المخدرات والتفكير الانتحاري أثناء الجائحة، حيث أجريت استطلاعات رأي بين البالغين الذين تجاوزت أعمارهم الثامنة عشرة في جميع أنحاء الولايات المتحدة، خلال الفترة من 24 إلى 30 يونيو 2020م. حيث نتج عن الدراسة أن 40.9% من المشاركين أشاروا إلى وجود اضطرابات نفسية، بما في ذلك أعراض اضطراب القلق أو اضطراب الاكتئاب 30.9%، وأعراض كرب ما بعد الصدمة 26.3%، كانت النسبة المئوية للذين أفادوا بأنهم فكروا بجديّة في الانتحار في الثلاثين يومًا قبل إكمال الاستطلاع 10.7%، حيث كانت النسبة الأعلى بين الذين أعمارهم ما بين 18 و24 عامًا 25.5%. (Czeisler, 2020).

• الأثر النفسي للحجر الصحي المترتب من الجائحة

إن الحجر الصحي؛ سواء للحالات المشخصة بمرض كوفيد19 أو الحالات المخالطة للمصابين به؛ كان إلزامياً بكونه إجراءً وقائياً للحد من انتشار الفيروس، وما لهذا الإجراء من تبعات، منها: الانعزال عن الناس، وتغيير الروتين اليومي، وزيادة في ترقب تطورات المرض الجسمية ومضاعفات المرض، فقد أجمع الأخصائيون في الصحة النفسية على أن هذا الحجر ليس أمراً سهلاً يستهان به، بل هو إجراء استثنائي يقيد الحريات، ويتسبب بمشاكل نفسية للعديد من الناس، خاصة الذين يفشلون في التعاطي إيجابياً مع هذا الظرف، ولا توجد لديهم مرونة كافية للتعامل مع الضغوط النفسية. ويشكل القلق والتوتر والانفعال أبرز التأثيرات النفسية التي تنتشر في مثل هذه الحالات.

ويؤكد مركز الدراسات البريطاني «معهد كينجز كوليديج» في دراسة نشرت بالمجلة الصحية «دو لنسي»؛ على أن الحجر الصحي عموماً هو تجربة غير مُرضية بالنسبة لمن يخضعون لها؛ فالعزل عن الأهل والأحباب وفقدان الحرية والارتياح من تطورات المرض والملل؛ كلها عوامل يمكن أن تتسبب في حالات نفسية مأساوية. (غبشي، 2020).

لذلك، فإن طريقة تدبير وقت الحجر الصحي في المنازل؛ لها أهميتها لتجنب الوقوع في مشاكل نفسية أو أسرية، وذلك عن طريق إيجاد أنشطة يمكن أن تشغل جزءاً مهماً من الوقت خلال العزل الصحي، وبالتالي يجب أن يكون لدى الإنسان خطة ورؤية مستقبلية لاستغلال وقت فراغه خلال فترة الحجر الصحي تجنبه الوقوع في أخطار نفسية واجتماعية.

• السلطنة والجائحة

لم تكن سلطنة عمان بعيدة عن كل هذه المتغيرات التي حدثت في العالم، نتيجة تفشي فيروس كورونا (كوفيد19)، حيث تم تسجيل أول حالتين للإصابة به في البلاد في 24 فبراير 2020م، في حين سجلت أول وفاة به في الأول من أبريل، وأول حالة شفاء لمريض يبلغ من العمر 28 عامًا كان في العناية المركزة، سجلت في 31 مارس. (وزارة الصحة، 2020).

وفي بداية الجائحة بالسلطنة كانت الإصابات والوفيات من الوافدين والمقيمين، إلا أنه بحلول يوليو 2020م، ومع دخول الوباء شهره الرابع أصبحت غالبية الحالات والوفيات من المواطنين، وهذا ما جعل اللجنة العليا بالسلطنة المكلفة ببحث آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار الفيروس، تفرض المزيد من القرارات الاحترازية والقيود للحد من انتشاره، كغلق بعض الأنشطة التجارية ودور العبادة والأماكن الترفيهية كالحدايق والمتنزهات والصالات الرياضية والأماكن السياحية، بالإضافة إلى تعليق التعليم في المدارس والجامعات، وتقليل أعداد الموظفين في مقرات العمل المختلفة، والالتزام بمزاولة أعمالهم من منازلهم، ومنع أداء الأنشطة الدينية الاجتماعية كالصلاة في المساجد، وإقامة حفلات الأفراح وتجمعات العزاء وزيارة الأقارب والتجمعات العائلية في الأعياد والمناسبات، وغيرها.

وبالرغم من أن هذه القرارات ساهمت في الحد من انتشار الفيروس في السلطنة، إلا أنها خلفت وراءها آثارًا اجتماعية واقتصادية ونفسية حالها حال باقي الدول الأخرى، كما أنها حدّت من حركة الشعب العماني ومن ممارسته لحياته الطبيعية كما اعتاد سابقًا.

إن تلك الظروف العصبية التي رافقت ظهور فيروس كورونا (كوفيد19)، فاقمت من الضغوط النفسية والشعور بالقلق والتوتر والهلع والوسواس القهري والتوهم المرضي، كما أن الشعور بالخطر والحجر الصحي والإغلاقات، وفرض قيود اجتماعية تقضي بالتباعد الجسدي حتى عن أقرب المقربين، وتغير شكل العلاقات وتفاصيل الحياة كافة؛ تجربة لم تكن سهلة على المجتمع العماني الذي تعود على المشاركة المجتمعية، بالإضافة إلى الصعوبات المادية التي تعرض لها بعض الموظفين نتيجة تسريحهم من العمل، فوجدوا أنفسهم فجأة بدون عمل، وأسرههم بحاجة إلى إعالة، وهي التي ترتب عليها الكثير من المشاكل النفسية.

إن الحياة بمختلف جوانبها الاجتماعية في السلطنة تأثرت نتيجة الجائحة، مخلفة وراءها آثارًا اجتماعية واقتصادية، فالقرارات الاحترازية من قبل اللجنة العليا المكلفة ببحث آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار فيروس كوفيد19، وهي اللجنة المعنية بالتصدي للجائحة، ساهمت في الحد من انتشار الفيروس، إلا أن هذه القرارات كانت لها آثار اجتماعية واقتصادية كبقية دول العالم. من هذه القرارات منع مزاولة بعض الأنشطة التجارية، حيث ساهم ذلك في أضرار لحقت بأصحاب المشاريع وأصحاب القروض، والمسرحيين من العمل والوافدين، ممن وجدوا أنفسهم فجأة بدون عمل، وأسرههم بحاجة إلى إعالة. هذا إلى جانب إغلاق دور العبادة والأماكن الترفيهية كالحدايق والمنتزهات والصالات الرياضية والأماكن السياحية، وكان من ضمن القرارات الاحترازية أيضًا تعليق التعليم في الجامعات والمدارس، وتقليل أعداد الموظفين في مقرات العمل المختلفة، والالتزام بمزاولة أعمالهم من

منازلهم، ومنع أداء الأنشطة الدينية والاجتماعية، وغيرها. كل ذلك حدّ من حركة الشعب، وحدّ من ممارسته لحياته الطبيعية والاجتماعية كما اعتاد سابقاً. كما أن تلك الظروف العصيبة التي رافقت ظهور فيروس كوفيد19، فاقمت من الضغوط النفسية والشعور بالقلق والتوتر والهلع والوسواس القهري والتوهم المرضي، كما أن الشعور بالخطر والحجر الصحي والإغلاق، وفرض قيود اجتماعية تقضي بالتباعد الجسدي حتى عن أقرب المقربين، وتغيّر طبيعة العلاقات وممارسة الحياة كافة؛ تجربة لم تكن سهلة على المجتمع العماني الذي تعودّ على المشاركة المجتمعية. هذا، ولا ننسى الصعوبات المادية التي تعرض لها بعض الموظفين نتيجة تسريحهم من العمل، والتي ترتب عليها الكثير من المشاكل النفسية.

• التأثير النفسي للجائحة على المجتمع العماني

إن التأثير النفسي الذي تركته الجائحة لم يقتصر على فئة محددة من فئات المجتمع دون أخرى، وإنما شمل جميع فئات العمرية للمجتمع بدرجات متفاوتة، وذلك كما يلي:

- التأثير النفسي على الأطفال:

إن إجراءات الحجر الصحي مثل: إغلاق المدارس والقيود على الحركة، وتعطل الروتين اليومي للأطفال والدعم الاجتماعي الذي يحصلون عليه، جعل الأطفال أكثر عرضة للعنف والضغط النفسي - الاجتماعي (تحالف حماية الطفل في العمل الإنساني، 2019). كما أنه ولّد ضغوطاً على الوالدين، وعلى مقدمي الرعاية الذين اضطروا إلى العثور على خيارات جديدة لرعاية

الأطفال أو أن يتوقفوا عن العمل. وقد أفاد الأكاديميون أن العديد من الأطفال الذين انفصلوا عن أولياء أمورهم خلال الجائحة، ووجدوا أنفسهم في ضغوط نفسية جرّاء ذلك، هم أكثر عرضة للإصابة باضطرابات التوتر الحادة واضطرابات التكيف والتأقلم والحزن، وقد وصلت نسبة الأطفال الذين يستوفون المعايير السريرية لاضطراب الكرب ما بعد الصدمة النفسية حوالي 30٪. (Liu, 2020) (Lee, 2020).

العزلة الاجتماعية التي فرضتها الجائحة على الشعب العماني، زادت من احتمال تعرض الطفل إلى الإساءة والإهمال. فإغلاق المدارس فترات طويلة منذ بداية الجائحة في السلطنة، وفرض التعليم «عن بُعد» حلاً بديلاً، أصبحت الأسرة ملزمة بتوفير الأجهزة والإنترنت، والإشراف على أطفالهم أثناء دخولهم للحصص المتزامنة، والقيام بدور المعلم في البيت. الأمر الذي قد ينتج عنه ضغوط مادية ونفسية لولي الأمر، تنعكس سلباً على الطفل.

ويجب إدراك أنّ الأطفال يتفاعلون بشكل مختلف مع الحزن والضغوط النفسية ويخوضون مراحلها بشكل أسرع من البالغين، كما أن بمقدورهم استيعاب مفهوم الموت منذ عمر 5 سنوات. ويُعتبر تخصيص وقت للتحدّث مع الأطفال ومشاركتهم الحقائق بطريقة بسيطة يمكنهم فهمها أمرًا بالغ الأهمية في هذه الجائحة، إلى جانب طمأنة الطفل ومنحه شعور الأمان، والتوضيح له بأن الشعور بالانزعاج ممّا يحدث هو أمر طبيعي، ومنحه المزيد من الحب والاهتمام لمساعدته على تجاوز مخاوفه. ومن الضروري التّواصل بانتظام مع الطّفل إذا كان مُلزمًا بالعزل الصحي، وذلك باستعمال منصّات

التّواصل الاجتماعيّ والمكالمات الهاتفية. كما يساعد الحفاظ على روتين منتظم في التخفيف من عزلة الطفل، وإذا كانت المدارس مغلقة، يمكن وضع جدول زمنيّ لأنشطة التعلّم والأنشطة الترفيهية.

- التأثير على البالغين:

إن مخاوف الناس البالغين في جائحة كورونا (كوفيد19) لم تقتصر على الإصابة والموت من الفيروس فحسب، بل شملت التسريح من العمل، وخوفهم من مرحلة العزل، بالإضافة إلى الخوف من الاستبعاد الاجتماعي، وكذلك خوف البعض من نقل العدوى للأشخاص المهمين في حياتهم. وكل ذلك ولّد لديهم قلقاً واضطراباً نفسياً.

- التأثير على كبار السن وذوي المشاكل الصحية المزمنة:

أكد العلماء أن كبار السن مهددون بخطر التقاطهم للعدوى بفيروس كوفيد19 أكثر من سواهم، نتيجة الأمراض المزمنة التي يعانون منها، حيث أثبتت الدراسات بأن 80% من المسنين على الأقل يعانون من الأمراض المزمنة (كالسكري والضغط) و68% منهم قد يعانون من أكثر من مرض، مما يؤدي إلى زيادة عملية الالتهاب الذاتي في الجسم، وبالتالي نقص المناعة وزيادة احتمال الإصابة بفيروس كوفيد19، ومع نقص المناعة يزداد التوتر لدى المسن، وبالتالي تزيد نسبة الإصابة بالاضطراب النفسي (وزارة الصحة، 2020). كما أعلنت نشرات الأخبار والتوعية بأن هذا الفيروس يفتك بحياة كبار السن، فزاد من مخاوف كبار السن، وأحدث اضطراباً في نفسياتهم.

ويمكن أن تكون الأعراض النفسية لدى كبار السن ولذذين يعانون من

حالات صحيّة مزمنة أسوأ؛ مقارنةً بالأصحاء، خاصةً إذا كانوا مُلزمين بالعزل الذي يُمثّل، بحد ذاته، عاملاً خطراً مستقلاً للإصابة بالاكْتئاب لدى كبار السن. وقد يعاني كبار السن أيضاً من الخرف، وبالتالي يمكن أن يصبّحوا أكثر ارتباكاً وإحباطاً، خصوصاً عند سماع الأخبار، لذا ينبغي لعائلاتهم تقديم الدّعم العمليّ والعاطفيّ لهم. ويُعتبر تقديم معلومات بسيطة صادقة وغير محبّطة للمسنّين أمراً بالغ الأهميّة. ويجب تكرار المعلومات لهم، خاصةً إذا كان المُسنّ يُعاني من مرض الزّهايمر، أو أيّ مرض آخر مُسبّب للخرف.

- الآثار على العاملين الصحيّين:

قد يعاني العاملون في الخطوط الأمامية كالأطباء والممرضين، من ضغط العمل الذي يتج عنه ضغوط نفسية، ومنها: الوصمة الناجمة عن التعامل مع المرضى المصابين بعدوى فيروس كوفيد19، وكذلك الضغوط الناجمة عن استعمال تدابير وقائية حيوية صارمة (مثل: الإجهاد البدني نتيجة استعمال معدات الوقاية، والحاجة إلى الوعي واليقظة المستمرين، والإجراءات الصارمة الواجب اتباعها، والخوف الشديد من اكتساب العدوى أو نقلها للأهل والأصدقاء). ومع ارتفاع نسبة الحاجات الملحة في بيئة العمل، وانخفاض المقدرة على توظيف سبل الدعم الاجتماعي الناجم عن شروط التباعد الجسدي، وكذلك الوصمة التي ألحقت بهم، وعجزهم عن توفير الرعاية لأنفسهم، وعدم توفر المعرفة الكافية بشأن التعرض لفترات طويلة وبصورة متزايدة للمصابين بعدوى الفيروس، ومن شأن كل ما سبق ذكره؛ أن يضع العاملين في الخطوط الأمامية تحت تأثير ضغوطٍ إضافية.

وقد أجريت دراسة هدفت إلى البحث عن العوامل المرتبطة بالتأثيرات النفسية والمقارنة بين العاملين الصحيين في الخطوط الأمامية لعلاج مرضى كوفيد19، مقارنة بالصحيين غير العاملين في الخطوط الأولى في السلطنة، وأشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن العاملين في مجال الرعاية الصحية في الخطوط الأمامية تأثروا بشكل غير متناسب مقارنة مع العاملين في مجال الرعاية الصحية في الخطوط غير الأمامية؛ حيث كانوا أكثر عرضة لمشكلات النوم، وكانت لديهم أعراض قلق وتوتر أشد؛ بالمقارنة مع العاملين الصحيين في الخطوط غير الأمامية. (Muna, 2020).

كما قام فريق من الباحثين بدراسة الصحة النفسية للعاملين في مجال الرعاية الصحية في السلطنة خلال الجائحة. وقد سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن انتشار مشاكل الصحة النفسية في عينة من الأطباء والممرضين العاملين في العديد من المرافق الصحية في السلطنة. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة ارتفاع معدل انتشار التوتر والقلق وضعف الرفاه النفسي، لا سيما بين الإناث والشباب العاملين في مجال الرعاية الصحية، وأولئك الذين تفاعلوا مع المرضى المعروفين أو المشتبه بهم من مرضى COVID-19 (Badahdah, 2020).

وفي دراسة أخرى مشابهة لدراسة الآثار النفسية لكوفيد19 لأطباء وممرضات الخطوط الأمامية، وهم الذين يقومون بتشخيص ورعاية مرضى كوفيد19. قام الباحثون بجمع بيانات عن 150 من العاملين في مجال الرعاية الصحية في الخطوط الأمامية، الذين كانوا على اتصال وثيق مع مرضى

كوفيد19، في العديد من المرافق الصحية بالسلطنة. أكمل المشاركون استطلاعاً عبر الإنترنت شمل مقياس الإجهاد المتصور، ومقياس اضطراب القلق العام، ومؤشر الصحة العالمية رقم 5. ووجدت الدراسة أن هؤلاء العاملين كانوا يعانون من مستويات عالية نسبياً من التوتر والقلق، فضلاً عن مستويات دون المستوى الأمثل من الرفاهية. كما كان التوتر والقلق المتصوران من العوامل الهامة التي تنبئ برفاهية العاملين في مجال الرعاية الصحية. (Al Mahyijari, 2020).

• الإجراءات التي يتبعها المضطرب نفسياً من أثر الجائحة

يجب استشارة طبيب الرعاية الأولية أو خدمات الصحة النفسية إذا استمرت الشكوى من الأعراض المرتبطة بالصحة النفسية على مدى عدة أشهر بعد تفشي المرض، وكانت الأعراض ترتقي للمستوى الذي تُؤثر فيه على الأنشطة اليومية أو تُسبب ضائقة شديدة. وقد تشمل الآثار طويلة المدى استمرار أعراض الاكتئاب والقلق، أو المعاناة من أعراض اضطراب ما بعد الصدمة؛ مثل: استرجاع الأحداث، والكوابيس الليلية، وفرط الاستثارة، والعزلة بعد التعرض للأحداث المفجعة.

وقد تتضمن أعراض القلق: صعوبة في النوم، وشعوراً دائماً بالتوتر، وفقداناً للتركيز والشهية، واستياءً عاماً، وضيق التنفس، ورعاشاً، وحساسية تجاه المعلومات، أو تفقداً مستمراً لوسائل التواصل الاجتماعي، وفرط التفكير. أما أعراض الاكتئاب فتتضمن: فقدان الاهتمام، والشعور بالحزن والغضب،

والبكاء المتكرر، والانسحاب، وتقلبات النوم والشهية، واضطراب الذاكرة، وفقدان التركيز، والاستسلام، وانعدام الثقة، والتفكير في الموت، وإهمال الذات.

يمكن لفيروس كورونا (كوفيد19) أن يشكل عاملاً محفزاً للاكتئاب والقلق، نتيجة العزلة، أو الحجر الصحي، أو الحرمان، أو التوعك الجسدي؛ على سبيل المثال. وهناك بعض العوامل التي قد تزيد من خطورة الإصابة بالاكتئاب، وتتضمن المعاناة مع الاكتئاب في الماضي والعزلة الاجتماعية والألم والتوعك الجسدي وضغوط الحياة المستمرة الأخرى. ويمكن توفير العلاج والمساعدة اللازمين لمواجهة أيّ تداعيات لاحقة، بما في ذلك وصف الأدوية وتقديم العلاج النفسي.

• مبادرات المستشفيات الحكومية للحد من الضغوط النفسية

يعدّ الاهتمام بالصحة النفسية في مثل هذه الفترات العصيبة أمراً غاية في الأهمية، إذ يجب اتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على الصحة النفسية للمجتمعات المتأثرة بالفيروس. ويمكن للمخاوف حول انتقال المرض من شخص إلى آخر؛ أن تؤثر على التماسك الاجتماعي وسهولة الحصول على الدعم الاجتماعي المطلوب، وتترك أثراً سلبياً على الصحة النفسية. ولسوء الحظ، كان الإعلام عاملاً إضافياً ساهم في نشر الذعر بين عامة الناس. إلا أنه يمكن الاستعانة بالعديد من التدابير

الإيجابية التي تساعد على العناية بالصحة النفسية للمجتمع والأفراد. وقدّم مجال الصحة النفسية على مختلف الأصعدة في المستشفيات الحكومية بالسلطنة العديد من المبادرات للحدّ من الضغوط النفسية التي يمكن أن يعاني منها المجتمع. ومنها القيام بورش تدريبية ومحاضرات للعاملين الصحيين للتعريف بالصحة النفسية وكيفية التغلب على القلق والتوتر الناتج عن الأوضاع المصاحبة للجائحة. كما كانت هنالك مبادرات من بعض المستشفيات مثل مستشفى المسرة لتقديم الرعاية النفسية عبر الاتصال الهاتفي (Telemedicine) بما في ذلك متابعة الحالات والقيام بوضع خطط علاجية للمرضى. كما كانت هنالك مبادرات في بعض المستشفيات الحكومية لتقديم الدعم النفسي عن طريق الخط الساخن أو التواصل عن طريق برامج التواصل الاجتماعي سواء للعاملين الصحيين أو المصابين بمرض كوفيد19. كما فتحت قنوات مباشرة مع فريق الدعم النفسي في المستشفيات المكوّن من أطباء وأخصائيين نفسيين، لتقديم المساعدات النفسية للعاملين الراغبين في الحصول على التدخلات النفسية السريرية اللازمة، لمنع الإصابة بالصدمات النفسية طويلة المدى.

• إجراءات للوقاية من الضغوط النفسية في الجائحة

إن اتباع بعض الإجراءات الاحترازية يمكن أن تساعد الإنسان على الوقاية النفسية في ظل الجائحة، أهمها:

- متابعة المعلومات من مصادرها الموثوقة، والمتمثلة في المعلومات

الصادرة عن الحكومة والمنظمات الرسمية لفهم حالة الوباء، وطرق الوقاية منه، وتجنب الاهتمام الزائد بأخبار الوباء، وعدم تصديق الشائعات.

- المحافظة على العادات الصحية في الأكل، وممارسة التمارين الرياضية، والحصول على نوم كاف.
- التخلص من المشاعر السلبية، واستعمال نظام الدعم الاجتماعي وطلب المساعدة من العائلة والأصدقاء؛ إذا كان من الصعب عليه التحكم بالمشاعر السلبية. (سعيد وآخرون، 2020).

• كيف يغيّر الوباء سياسات الصحة النفسية؟

عند رجوعنا قليلاً للزمن الذي كنا نعيشه قبل الجائحة، نجد أننا لم نكن نتصور أحداثاً كجائحة كوفيد19 قد تكون واقعاً، سواءً على المستوى الفردي أو الاجتماعي؛ فهناك القليل من التحضير لمثل هذه الأزمات. كما أن كوفيد19 والتأثيرات المباشرة وغير المباشرة التي خلفها على الصعيدين المحلي والعالمي، يُشكل تجربة صادمة بالنسبة للكثيرين. فعلى سبيل المثال، نجد أن نسق الحياة قد تغيّر سريعاً وجذرياً، ليس لأولئك الذين أصيبوا بالفيروس، أو يعرفون شخصاً مصاباً به فحسب، وإنما لكل إنسان في العالم. ومن المتوقع أن تستمر التعبات النفسية والاجتماعية مدة طويلة.

ولا شك بأن استعداد أنظمة الرعاية الصحية لأي جائحة في المستقبل سيكون على رأس أولويات معظم الدول، بما في ذلك السلطنة، حتى تتمكن

الدول من الاستجابة بشكل أفضل وأسرع من السابق لأي جائحة قادمة. كما سيتم وضع أنظمة لتنبيه المواطنين وإبقائهم على علم بتدابير حماية الصحة العامة، مثل: التباعد الاجتماعي، وغسل اليدين بانتظام، وغيرها من الإجراءات الأساسية المتعلقة بالنظافة. بالإضافة إلى ابتكار آلات وأدوات ومستلزمات صحية أكثر حداثة وتطورًا وأمنًا لمنع انتقال الأوبئة المعدية بين الناس، والتفكير في طرق لتوفير أفضل حماية للمعرضين بشكل أكبر في المجتمع لتوابع هذه الجائحات، بمن فيهم كبار السن والمصابون بالأمراض المزمنة وأمراض نقص المناعة، وتسهيل وصولهم للخدمات التي يحتاجون إليها.

إن تأثير هذا الوباء له أبعاد مختلفة، ومن السابق لأوانه أن نجزم كيف سيغيّر الوباء مشهد الصحة النفسية، باستثناء القول بأنه سيكون هناك اهتمام أكبر بتوفير دعم فعال للصحة النفسية على نطاق واسع. في هذه المرحلة ما زلنا نتعلم كيفية استجابة مختلف البلدان بما في ذلك السلطنة لآثار الوباء، وستوفر هذه المعلومات نماذج لدعم الصحة النفسية بشكل فعال أثناء الأوبئة وبعدها، ومراعاة السياسات المستقبلية المتعلقة بتوفير الصحة النفسية. وستهتم الحكومات بإجراء المزيد من الأبحاث في علم الأوبئة، لا سيما المتعلقة بالصحة النفسية، وذلك لارتباطها الوثيق بالصحة الجسدية، كما أن هذه الأبحاث ستوفر معلومات أساسية حول كيفية احتواء انتشار الأوبئة، وستجري الاستفادة من نتائج هذه الأبحاث للسيطرة على أي جائحة ممكن أن تحدث في المستقبل.

إن الاضطرابات النفسية التي أصيب بها البعض خلال الجائحة؛ ستؤخذ

بعين الاعتبار من قبل الجهات المسؤولة، من خلال نشر ثقافة آلية الوقاية من الاضطرابات النفسية خلال التعرض لأي جائحة بالمستقبل، وستعتبر من الثقافات الأساسية التي من المتوقع أن تنشأ عليها الأجيال القادمة للمحافظة على صحتها النفسية.

وعلى النحو المثالي، من المتوقع توفير خطة عالمية أكثر تماسكاً للمضي قدماً، لأنه في الوضع الحالي لا يزال هناك الكثير مما يجب فهمه حول الآثار اللاحقة للفيروسات على الصحة النفسية. وهناك حاجة إلى جمع بيانات جديدة في هذا المجال لمعرفة المزيد حول أفضل الممارسات المستقبلية. مع ذلك، فإن علاج ما بعد الصدمة يبدو الأنسب في الظروف الحالية. من الواضح أنه يجب رفع قدرة رعاية الصحة النفسية بعد كوفيد19، وفي حالة تفشي أمراض أخرى في المستقبل، بما في ذلك زيادة التوظيف والتدريب على الاستجابة الميدانية للصدمات.

المصادر

أولاً-باللغة العربية:

1. غبشي؛ بوعلام، 2020م. فيروس كورونا: ما هي الآثار النفسية للحجر الصحي وكيف يمكن تجنبها؟

<https://www.france24.com/ar/20200402>

2. اللجنة الوطنية الصينية للصحة، مكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني، 2020م، الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد، ترجمة: سعيد؛ إيمان، وعبد؛ رنا، محمد، وطارق؛ بسمة، ط1، بيت الحكمة للاستشارات الثقافية، مصر.

3. وزارة الصحة، 2020. في زمن الجائحة الاضطرابات النفسية لدى كبار السن. في زمن الجائحة الاضطرابات النفسية لدى كبار السن - الاسيت بيليش (moh. gov. om).

ثانياً-باللغة الإنجليزية:

1. Al Mahyijari, N., Badahdah, A., & Khamis, F. (2020). The psychological impacts of COVID-19: a study of frontline physicians and nurses in the Arab world. Irish journal of psychological medicine, 1-6.
2. Alshekaili, M., Hassan, W., Al Said, N., Al Sulaimani, F., Jayapal, S. K., Al-Mawali, A., & Al-Adawi, S. (2020). Factors associated with mental health outcomes across healthcare settings in Oman during COVID-19: frontline versus non-frontline healthcare workers. BMJ open, 10 (10), e042030.

3. Badahdah, A., Khamis, F., Al Mahyjjari, N., Al Balushi, M., Al Hatmi, H., Al Salmi, I., & Al Noomani, J. (2020). The mental health of health care workers in Oman during the COVID-19 pandemic. *International Journal of Social Psychiatry*, 0020764020939596.
4. Czeisler, M. E., Lane, R. I., Petrosky, E., Wiley, J. F., Christensen, A., Njai, R., Weaver, M. D., Robbins, R., Facer-Childs, E. R., Barger, L. K., Czeisler, C. A., Howard, M. E., & Rajaratnam, S. M. W. (2020). Mental Health, Substance Use, and Suicidal Ideation During the COVID-19 Pandemic - United States, June 24-30, 2020. *Morbidity and Mortality Weekly Report*, 69(32), 1049-1057. <https://doi.org/10.15585/mmwr.mm6932a1>
5. Fiorillo, Andrea & Gorwood, Philip, (2020), The consequences of the COVID-19 pandemic on mental health and implications for clinical practice, *European Psychiatry*.
6. IASC Reference Group on MHPSS in Emergency Settings (Circulated on: 17 March 2020).
7. Lee, J. (2020). Mental health effects of school closures during COVID-19. *The Lancet Child & Adolescent Health*, 4(6), 421 .
8. Liu, J. J., Bao, Y., Huang, X., Shi, J., & Lu, L. (2020). Mental health considerations for children quarantined because of COVID-19. *The Lancet Child & Adolescent Health*, 4(5), 347-349 .
9. MOH Registers First Two Novel Coronavirus (COVID-2019) in Oman »Ministry of Health. 24 February 2020.
10. Novel Coronavirus 2019, Wuhan, China | CDC www.cdc.gov. 23 January 2020.
11. Spadaro, Alessandra, (2020), COVID-19: TESTING THE LIMITS OF HUMAN RIGHTS, *European Journal of Risk Regulation* .
12. WHO Statement Regarding Cluster of Pneumonia Cases in Wuhan, China. www.who.int 9 January 2020.

المحور القانوني

دور القانون في مواجهة جائحة كورونا (كوفيد19)

الواقع وتجلياته، المستقبل وآفاقه⁽¹⁾

أ. سارة بنت سليم العامرية

باحثة وقانونية

• المقدمة

إن الحياة الطبيعية للأفراد والمجتمعات تنسجم وتترابط بوجود قانون يحكمها وينظمها، وهو أسمى معالم التعايش في العالم، فلا وجود لعالم من عوالم الكون لا يحكمه قانون يسيّره ويتفاعل معه، بدءاً بأصغرها، ووصولاً إلى أكبر العوالم ضخامة واتساعاً، وهكذا بالنسبة لعالم البشر؛ له من القوانين التي تكفل العيش بترابط وانسجام بين أشخاصه في مسار واضح ومستقيم، فإذا ما اعوجَّ هذا المسار؛ كان لزاماً أن تتضافر جهود الجميع من أفراد ومؤسسات لإصلاح هذا الاعوجاج الحاصل.

وفيروس كورونا (كوفيد19) أتى على حين غرة ليقض مضاجع البشر، ويفتح أبصارهم على خطورته البالغة وماهيته العظيمة، ويغزو هذا العالم المكتنز بالقوانين، والمحكوم بالسلطات لتنظيمه وتسييره، فاختلفت قواعد

(1) المحور يدرس المادة القانونية منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020، وصولاً إلى أغسطس 2020.

التكيّف الطبيعية وانحرفت مسارات الناس، فكان لزامًا على الدول أن تتطافر لإيجاد قوانين محيطة، تحافظ على الترابط والتعايش الداخلي بين الأشخاص، وتحفه بعنايتها البالغة.

وهذا ما قامت به سلطنة عمان عطفًا على الحاصل في أرجائها، وهو إصدار القوانين والقرارات المتعلقة بتنظيم الحركة المجهزة للوقاية من الإصابة بعدوى هذا الفيروس، وكذا الحال بالنسبة للحكومات والجهات الإدارية بالدولة والمؤسسات الخاصة فيها.

إن مكث هذه الجائحة وتأثيرها الكبير على سلطات الدولة وأفرادها؛ سيكون له الأثر البالغ على مستقبلها، سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية، وهذا التغيير ستشهده القوانين أيضًا تزامنًا مع الأحداث والقضايا التي سيتعرض لها الأفراد والمؤسسات خلال الجائحة، فلا يكفي بحال من الأحوال أن تكون الدول مجهزة في وقت الجائحة فحسب، بل يجب أن يمتد هذا النظام حتى بعد زوال الجائحة للأثر الكبير الذي ستخلفه وراءها من قضايا ومشكلات ستنشأ بسبب مكوئها الطويل.

نتناول في هذا المحور قسمين هما:

الأول: الإجراءات القانونية التي باشرتها السلطنة لمكافحة فيروس كورونا (كوفيد19) عن طريق تعديل بعض مواد القانون وإصدار عدة قرارات إدارية تتعلق بالجائحة.

الثاني: يتناول مدى جاهزية القوانين العمانية مستقبلاً لمواكبة التحديات الناتجة عن انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، خاصة ما يتعلق بالعقود السارية وكيفية تنظيمها، مع عرض تطبيق عليها في عقدي الإيجار والعمل.

• أولاً: أشكال حضور القانون العماني لمواجهة الجائحة

إدخال تعديلات قانون مكافحة الأمراض المعدية:

كان للتشريعات العمانية دور أساسي في تنظيم الوقاية من عدوى فيروس كوفيد19، وذلك عن طريق إدخال مجموعة من التعديلات في «قانون مكافحة الأمراض المعدية»، باعتبار أن هذا القانون هو القانون الملامس للحالة التي تمر بها البلاد، وهي جائحة كورونا (كوفيد19)، فالغاية من تعديل القوانين والتشريعات الموضوعة مسبقاً هي ملائمة الواقع الملموس مع القانون، بحيث يتلاءم كل منهما مع الآخر، لإيجاد مجتمع متعايش مع هذه الجائحة، وهذا أحد العوامل التي جعلت من السلطنة إحدى الدول التي ساهمت إلى حد ما في التقليل من الإصابة بالفيروس.

و«قانون مكافحة الأمراض المعدية» الصادر بالمرسوم السلطاني رقم 92 /73 هو أحد القوانين التي تنظم عملية انتقال الأمراض المعدية وكيفية السيطرة عليها وكبح انتشارها، وذلك بالنص على ماهية هذه الأمراض التي تصيب الجنس البشري وتعد أمراضاً معدية في ذات الوقت، وذلك بوضع ملحق شامل بهذه الأمراض، كما ينظم كيفية التعامل معها والحد من انتشارها في المجتمع العماني، علاوة على وضع مجموعة من العقوبات التي تتمثل في السجن والإبعاد والغرامة في حال مخالفة أحد أحكام هذا القانون، وهذا ما ركز عليه التعديل الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (32 / 2020) الناص على تعديل بعض أحكام «قانون مكافحة الأمراض المعدية العماني» الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (92 /73).

فقد نظم المرسوم الجديد مسألة العقوبات المنصوص عليها في المادتين

(19 و20)، وذلك فيما يتعلق بعقوبة كل من لم يقيم بالإبلاغ عن مرض معد طبقاً لأحكام المواد (2، 3، 5) من ذات القانون، وكان التغيير يتعلق بزيادة عقوبة السجن لتصبح هذه العقوبة لا تقل عن 3 أشهر ولا تزيد عن سنة واحدة، وعقوبة الغرامة التي لا تقل عن ألف ريال ولا تزيد على عشرة آلاف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

وجاء هذا التعديل لتنبية المجتمع العماني على خطورة وجدية الوضع الراهن على الفرد والمجتمع والبلاد أجمع، حيث إن رفع مقدار العقوبات في هذا القانون تحث الشخص على ضرورة الالتزام بهذه المواد حتى لا يقع في المخالفة، وتطبيق قواعد القانون تطبيقاً دقيقاً حتى لا يعرض نفسه وغيره للخطر، وليس الغرض من هذا التعديل إرهاب ذمة المواطن المالية والجسدية، وإنما هو ردع وحث على المضي في تطبيق النصوص القانونية التي تكفل الحماية من الوقوع في المخاطر المتوقعة.

ونصت التعديلات أيضاً على أنه إذا حكم على الأجنبي بعقوبة مقيدة للحرية وجب الحكم عليه بإبعاده من البلاد، كما قضت التعديلات أيضاً بمعاينة كل من يخالف حكماً من أحكام هذا القانون أو القرارات الوزارية المنفذة له بالسجن مدة لا تقل عن شهر واحد، ولا تزيد على سنة واحدة، وبغرامة لا تقل عن خمسمائة ريال، ولا تزيد عن خمسة آلاف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين، وإذا حكم على الأجنبي بعقوبة مقيدة للحرية وجب الحكم عليه كذلك بالإبعاد من البلاد.

وأضاف القانون في مادته الخامسة أنه يحق للشخص المصاب بأحد الأمراض المعدية أن يتلقى الرعاية الصحية والعلاج في دور العلاج الحكومية

وفق القواعد والإجراءات التي يحددها وزير الصحة، وتكون جميع البيانات والمعلومات ذات الصلة بالشخص المصاب بأحد الأمراض المعدية سرية، ولا يجوز الإفصاح عنها إلا في الأحوال المقررة قانوناً، أو بموافقة خطية منه. وهذه المادة حثت صراحة على ضرورة اتباع القرارات الوزارية التي تصدر في هذا الشأن، إذ إن هناك العديد من القرارات الوزارية الصادرة لتجنب الإصابة بعدوى فيروس كورونا (كوفيد19) والوقاية منه، وهذه القرارات جديرة بالاتباع بحسبما جاء بصريح المادة القانونية أعلاه، وأية مخالفة لما جاء بهذه القرارات الوزارية تحمّل صاحبها المسؤولية الكاملة وتعرضه للعقوبة المقررة قانوناً.

وأضافت التعديلات المنصوص عليها في المرسوم السلطاني أنه يجب على طبيب الصحة المختص تقديم المشورة اللازمة للشخص المصاب بأحد الأمراض المعدية، وتوعيته بطبيعة مرضه، وطرق انتقاله، وتعريفه بالوسائل والإرشادات التي يجب عليه اتباعها للحد من انتقال العدوى للغير.

ويجب على الشخص المصاب أو المشتبه في إصابته بأحد الأمراض المعدية التوجه فوراً إلى أقرب مؤسسة صحية لإجراء الفحص الطبي، وتلقي العلاج والمشورة، والتوعية بمخاطر المرض، وطرق انتقاله، كما يجب على الشخص المصاب بأحد الأمراض المعدية أن يزود المؤسسة الصحية التي تتولى علاجه بجميع المعلومات، والبيانات الخاصة بالأشخاص المخالطين له خلال الفترة السابقة على مرضه، التي تحددها وزارة الصحة.

ويتحتم على القادم إلى السلطنة، ويعلم أنه مصاب أو يشتبه في إصابته بأحد

الأمراض المعدية، أن يبلغ سلطات المنافذ الحدودية بذلك فور وصوله إليها، وعليه تزويد هذه السلطات بكل الوثائق والمستندات التي تتعلق بحالته الصحية، إن وجدت. ويجوز لوزارة الصحة إخضاع القادم إلى السلطنة من المناطق التي ينتشر فيها أحد الأمراض المعدية، للفحص الطبي للتأكد من خلوه من المرض، ولوزارة الصحة اتخاذ الإجراءات والتدابير المناسبة بما في ذلك عزله، وحجز أمتعته، ومتعلقاته الشخصية في الأماكن التي تحددها، بالتنسيق مع الجهات المختصة.

وأكدت التعديلات الصادرة بالمرسوم السلطاني المذكور أعلاه على أن يلتزم الشخص المصاب أو المشتبه في إصابته بأحد الأمراض المعدية بالتعليمات، والإرشادات الصادرة له من المؤسسة الصحية التي تتولى علاجه، ويحظر على الشخص المصاب بأحد هذه الأمراض فور علمه بإصابته القيام بأي سلوك يؤدي إلى نقل العدوى للغير، ويحظر على أي شخص تعطيل أو الامتناع عن تنفيذ الإجراءات والتدابير المقررة لمنع انتشار العدوى، أو نقلها للغير⁽¹⁾.

- دور الادعاء العام والمحاكم في مواجهة الجائحة

إن تنظيم تطورات جائحة كوفيد19 وأخبارها الخارجية والداخلية تتطلب وضع أساس متين تستند عليه الدولة في استسقاء الأخبار الصحيحة، التي تجعل الشخص في الدولة ملماً بتطورات هذه الأزمة كافة، لذا كانت السلطنة

(1) قانون مكافحة الأمراض المعدية الصادر بالمرسوم السلطاني رقم 92/73، وتعديلاته بالمرسوم السلطاني رقم 32/2020.

أولى الدول التي بدأت بترسيخ مبدأ المصدر الوحيد الذي تنقل منه الأخبار علناً للأشخاص في الدولة، وذلك لنشر الوعي بأهمية متابعة هذه التطورات، وتم هذا الأمر عن طريق إصدار قرار قضائي من الادعاء العام رقم (11م/2020) بتشكيل لجنة مكلفة بالتحقيق في قضايا الصحة العامة، وذلك بتاريخ 25/3/2020م، أي لحظة تفشي هذا الوباء العالمي وعبوره حدود دول العالم.

كما نسق الادعاء العام مع الجهات ذات العلاقة لوضع قرارات اللجنة العليا موضع التنفيذ، ونفذ حملة إعلامية تهدف إلى تكثيف التوعية القانونية بأحكام القانون وقرارات اللجنة العليا، وضرورة الالتزام التام بالإجراءات والتدابير المقررة في سبيل مكافحة انتشار وباء كورونا (كوفيد19)، وقد تمكن هذا الفريق بالفعل من رصد عدد من المخالفات التي كانت تتمثل في الشائعات التي نشرت عبر حسابات مختلفة في برامج التواصل الاجتماعي، وتم ضبط المخالفين والتحقيق معهم وحسبهم، ثم إحالة القضايا للمحكمة المختصة، والادعاء العام أكد وما زال يؤكد بأنه سيستمر في متابعة المخالفين للإجراءات والتدابير المقررة طوال فترة الجائحة الحالية، واتخاذ الإجراءات بحقهم دون أي تهاون، كما وجه رسالة شكر للمواطنين والمقيمين الملتزمين بالإجراءات المقررة من اللجنة العليا والجهات ذات العلاقة كافة على حرصها في الالتزام بالإجراءات التي تقررها اللجنة العليا.

كما كان للمؤسسات القانونية في الدولة الدور الكبير في نشر الإرشادات العامة الواجب اتباعها، وتطبيق هذه الإرشادات في منشأتها الخاصة بها،

فإدارات الادعاء العام باشرت العمل بإصدار مجموعة من الأذونات التي تميز للمنشآت الصحية إجراء الفحص الطبي للمريض المشتبه إصابته بفيروس كورونا (كوفيد19)، وإبلاغها ما إذا رفض المريض القيام بهذا الفحص.

كما نشر الادعاء العام عدة أحكام صدرت في حق بعض الأشخاص الذين أساءوا استعمال وسائل التواصل الاجتماعي بهدف التحريض، حيث قضت المحكمة الابتدائية بصور في الحكم الأول بسجن شخص سنة (يُنفذ منها شهر)، وغرامة ألف ريال، ومصادرة الهاتف، بعد أن قام بتحريض المختصين عبر مقطع صوتي على عدم تنفيذ قرارات الجهات المعنية باتخاذ التدابير الوقائية لمكافحة جائحة كوفيد19.

أما الحكم الثاني فجاء بحق عدة أشخاص نشروا تغريدات ومقاطع صوتية تُحرّض وتُثير الرأي العام على قرارات الجهات المختصة بمكافحة الفيروس، فقضت المحكمة بسجن كل منهم سنة (يُنفذ منها شهر)، وغرامة ألف ريال، ومصادرة هواتفهم.

وجاء الحكم الثالث قاضياً بسجن شخص سنة (يُنفذ منها شهر)، وغرامة ألف ريال، ومصادرة هاتفه، بعد أن قام بنشر مقاطع مرئية يزعم فيها -زوراً- قدرته على علاج المصابين بفيروس كورونا (كوفيد19).

كما أصدرت المحكمة الابتدائية بصور حكماً بالغرامة ثلاثمائة ريال على مُتهم؛ لإثارته الدُعر بين زملائه في العمل؛ إذ توجه لجهة عمله مُرتدياً كمائة وقفازات، وزعم -كذباً- أنه خالط شخصاً مُصاباً وأن الجهات الصحية طلبت منه الالتزام بالحجر المنزلي، وجاء أحد الأحكام القضائية ضد شايبين، عطس

أحدهما في عملات نقدية، ثم سلّمها لعامل المطعم، مع ترديدهما تهكمًا (كورونا، كورونا)، فيما قام الآخر بتصوير ذلك ونشره، حيث أدى هذا العمل المستهتر منهما إلى حكم قضائي بالسجن شهرًا (يُنفذ الأول نصفها، ويوقف تنفيذها عن الحدث)، والغرامة ألف ريال، ومصادرة الهاتف.

أضف إلى ذلك ضبط عدد من مروجي الشائعات وناشري المحتوى المصنف ومقاطع الفيديو، ما يشكل مساسًا بالنظام العام، وشملت هذه الملاحظة الجزائية كل من قام بإعادة نشر هذه الرسائل المخالفة، ودائمًا كان الادعاء العام يهيب بالمواطنين والمقيمين عدم نشر أخبار أو معلومات تتصل بالوباء، إلا تلك الصادرة من وسائل ومصادر رسمية، لما لهذه الرسائل المخالفة من أثر بالغ في نفوس الأفراد والشعور بالهلع والخوف المستمرين.

وذكرت شرطة عمان السلطانية أن أهم البلاغات التي ترد إليها تتعلق بالتجمعات في الأماكن العامة، وممارسة الأنشطة التجارية الموقوفة مؤقتًا، وعدم الالتزام بالتدابير الصحية في الأماكن العامة، ونهت كذلك بأنها مستمرة في رصد هذه البلاغات وإحالتها إلى الادعاء العام للتحقيق مع المخالفين⁽¹⁾.

وكذا الحال بالنسبة للمحاكم في السلطنة، فقد جاءت قرارات المجلس الأعلى للقضاء منبهة على أن يقتصر الحضور أمام المحاكم العمانية على المتقاضين والمعنيين بالقضايا فقط، وذلك حرصًا على تخفيف أعداد الوافدين إليها، كما نهت فيما بعد على توقيف المدد القانونية والعمل على تخفيف الأعمال واستقبال القضايا المسجلة، ثم باشرت بإصدار عدد من

(1) العاصمي؛ سعيد بن سليمان، المؤتمر الصحفي الثامن، 21/ 5/ 2020م.

القرارات التي تنظم آلية النظر في القضايا والحضور أمام المحاكم، أهمها تقليل عدد القضايا المنظورة يوميًا في جدول الجلسات وتقديم المعاملات إلكترونيًا عن طريق تطوير شبكات التواصل مع المراجعين، أبرزها منصة «قضاء» الإلكترونية⁽¹⁾.

• ثانيًا: النظرة المستقبلية للقانون العماني للتغلب على آثار الجائحة

- فيروس كوفيد19 حادث استثنائي عام على العقود السارية

إن العقد المبرم بين طرفيه له قوة ملزمة بموجب «قانون المعاملات المدنية والتجارية العماني»، وهو شريعة المتعاقدين، ولهذا لا يجوز لأحد أطرافه أن يستقل بنقضه أو تعديل أحكامه، إلا في حدود ما يسمح به الاتفاق أو يقضي به القانون، وهذه قاعدة جوهرية في القانون، ومنها تستقر المعاملات وتسير الأمور لتحقيق ما تم الاتفاق عليه بالتراضي، وفي هذا يجب تنفيذ العقد طبقًا لما يتضمنه من أحكام، وبطريقة تتفق مع ما يقتضيه حسن النية وعرف التعامل، لكن هناك بعض الاستثناءات التي وردت بنص القانون، والتي تختل فيها القوة الملزمة للعقد عند إبرامه كعقود الإذعان، وعند تنفيذ العقد كالعقود المتأثرة بالظروف الاستثنائية، وبالتالي أوجب القانون في هذه الأحوال تدخل سلطة

(1) زهران؛ طه، معضلة كورونا أمام المحاكم، الرؤية، جريدة، 14 / 4 / 2020م.

القاضي لإعادة توازن العقد بعد الاختلال الذي أصابه⁽¹⁾.
وجائحة كورونا (كوفيد19) التي أَلقت بظلالها على الالتزامات التعاقدية، سواء بين الأشخاص أو الشركات، تعد أحد الظروف الاستثنائية التي طرأت على هذه الالتزامات، وأثرت عليها مباشرة، فعندما يحدث أمر طارئ غير متوقع يجعل من تنفيذ أحد الأطراف للالتزامات أمرًا صعبًا، يجب على التشريعات أن تتدخل وتضع الآليات القانونية لرد الالتزامات إلى حالتها المتعادلة وتحقيق التوازن الاقتصادي للعقد.

إن ما حدث ويحدث الآن بسبب وباء كوفيد19 يسبب ظروفًا استثنائية عامة خارج ظروف العقد، لأن هذا المرض الخطير إذا لم يتم كبح جماحه فهو وباء عام يهدد الجميع، ذلك لأنه لم يكن في الوسع توقع الوباء أثناء إبرام العقود السارية، وما نشهده الآن من إجراءات تحفظية احترازية للسيطرة والقضاء على الفيروس، سيؤدي لآثار مباشرة في تنفيذ الالتزامات بموجب العقد والقانون، وفي العديد من الحالات قد تصبح مقابلة الالتزامات مرهقة من عدة نواحٍ، وبناءً عليه فإن الوضع المرهق في تنفيذ الالتزامات يقود غالبًا للخسارة إذا لم تتدخل التشريعات والمحاكم لتحقيق الموازنة بين مصلحة الطرفين برد الالتزام المرهق للحد المعقول.

وعقب تفشي وباء كوفيد19 وإعلان منظمة الصحة العالمية أنه جائحة عالمية عابرة للحدود؛ أخذت الدول تباغًا تفرض حالة الطوارئ، وأدى ذلك

(1) بنداري؛ محمد إبراهيم، مصادر الالتزام في مصر وعمان.. دراسة مقارنة، ط1،

إلى تعطل الحياة في مختلف دول العالم، وترتب عليه عدم القدرة على الوفاء بالالتزامات التعاقدية، ذلك أن جائحة كوفيد19 وفق المنظور القانوني تعتبر أمراً خارجاً على إرادة المتعاقدين، بحيث لا يمكن توقعه ولا دفعه.

وإن أهم الحلول القانونية التي تساعد على استمرار العلاقة التعاقدية في ظل ظرف هذه الجائحة هو التخفيف أو الإعفاء من المسؤولية العقدية، ذلك لأن الجائحة هي حادث خارجي لم يكن بالإمكان توقعه، ولا يمكن دفعه، وليس ناتجاً عن خطأ أو إهمال من جانب المتعاقدين، إلى جانب قوة الجائحة في انهيار القوة الملزمة للعقد.

وجدير بالذكر أن هذه الظروف الاستثنائية؛ إما أن تكون قوة قاهرة أو ظرفاً طارئاً، ويعرف القانون القوة القاهرة بأنها صورة من صور السبب الأجنبي الذي ينفي علاقة السببية بين المتعاقدين، أي أنها تمثل كل حادث خارجي عن العقد لا يمكن توقعه، ولا يمكن دفعه مطلقاً، في حين تعرف الظروف الطارئة بأنها أي حدث يقع أو يمرُّ على دولة ما، ويتعذر معه مواجهته باتخاذ القرارات الإدارية التقليدية، ويقضي معه اتخاذ قرارات أو إجراءات سريعة لتفادي أو مواجهة الأضرار التي قد تقع من جراء وقوع الحدث الطارئ⁽¹⁾.

- الجائحة وتأثيرها على العقود السارية في السلطنة

كما أسلفنا في الحديث عن الإجراءات التي قامت بها السلطنة بكونها إحدى الدول المتأثرة بجائحة كورونا (كوفيد19)، وكان أهم هذه الإجراءات

(1) السعادة؛ وسام، الالتزامات التعاقدية خلال «الجائحة» تخضع لنظريتي «القوة القاهرة» و«الظروف الطارئة»، مجلة لوسيل، 26 / 4 / 2020م.

هو إصدار مجموعة من القرارات الإدارية التي تمنع مزاوله بعض الأعمال وتعلق الأخرى، حرصاً على كبح انتشار الفيروس، لذا قامت الدولة بإصدار قراراتها فيما يتعلق بغلق بعض المحلات التجارية والأنشطة التجارية الممارسة في السلطنة، وبطبيعة الحال فإن هذه الأنشطة مرتبطة بمجموعة من العقود السارية وقت إصدار هذه القرارات، فما مصير هذه العقود؟ وكيف يمكن لأطرافها تحمل مسؤولية وقف النشاط التجاري؟

إن «قانون المعاملات المدنية والتجارية العماني» نص على مجموعة من المواد القانونية، فيها أن هناك ظروفاً خارجة عن العقد تطرأ بصورة مفاجئة عليه، وهذه الظروف إما أن تؤدي إلى استحالة تنفيذ العقد، أو وقفه بصورة مؤقتة، وتوزيع الإرهاق الحاصل فيه على أطرافه، وهذه الظروف عالجتها نظريتا الظروف الطارئة ونظرية القوة القاهرة، وهما يعتمد تحققهما على نوعية العقد المبرم، فإذا كان العقد المبرم مرتبطاً بمدة معينة فهنا تُطبّق عليه نظرية القوة القاهرة، التي تجعل تنفيذ هذا العقد مستحيلاً نظراً للقوة القاهرة التي طرأت على البلاد. أما نظرية الظروف الطارئة فهي التي تجعل تنفيذ العقد متوقفاً على الإرهاق الحاصل فيه، والذي يمكن رده إلى الحد المعقول، بحيث يتحمل كلا الطرفين مسؤولية هذا الإرهاق بغية استمراره، ويكون ذلك عن طريق اللجوء إلى القضاء⁽¹⁾.

ومن هذه العقود المتأثرة بنظرية القوة القاهرة العقود التي نشأت من أجل حجز صالات الأفراح والقاعات المتعددة الأغراض، فبالنظر إلى طبيعة هذه

(1) أبو شمالة؛ عبير، شرط القوة القاهرة هل ينطبق على فيروس كورونا، مجلة دار الخليج، 2020م/ 3/ 30.

العقود التي تنم عن طبيعة زمنية بحتة؛ فإن العقد يستحيل تنفيذه بمجرد غلق هذه الصالات وبعد صدور القرارات المتعلقة بها، وقد شاهدنا تدخل الهيئة العامة لحماية المستهلك برد مبالغ تلك الحجوزات، وبناءً عليه فإن قرار الهيئة قد أسس على اعتبار القرارات بوقف الفعاليات والمناسبات في صالات الأفراح بمثابة القوة القاهرة التي تستوجب انقضاء العقد، حيث إن القرار الإداري يعد بمثابة قوة القاهرة مع استحالة التنفيذ في عقود المناسبات التي تتضمن عقوداً، زمنية يكون الزمن فيها عنصراً جوهرياً تدور حوله تلك الالتزامات، وكذا الحال بالنسبة لعقود التوريد، فبسبب تعرض المورد لقوة القاهرة مثل: إغلاق الحدود أو منع الاستيراد أو التصدير؛ ما يجعل تنفيذ التزامه للمشتري بتوريد البضاعة المطلوبة مستحيلاً، فينقضي التزام المورد وينسخ عقد التوريد تلقائياً، وبالتالي ينقضي أيضاً التزام المشتري بدفع الثمن، ولو كان قد سدده فعلاً للمورد فيلتزم الأخير برد الثمن.

أما العقود المتأثرة بنظرية الظروف الطارئة العامة مثل عقود الإيجار؛ فهي عقود تتأثر بصورة جزئية في ظل وجود قرارات غلق النشاط التجاري في المحلات التجارية المستأجرة، فيكون من شأنها أن تصبح عقوداً مرهقة للطرفين أو أحدهما، فيجب في هذه الحال رد هذا الإرهاق إلى الحد المعقول حتى يسهل استمرار هذا العقد، وهذا يتأتى بأن يتوقف المستأجر مؤقتاً عن دفع الأجرة لحين زوال الجائحة، أو يخفض مقدار ما يدفعه المستأجر من أجرة بنسبة معينة، وتدور فكرة هذه النظرية في أن العقد إذا كان من العقود المستمرة التنفيذ أو الفورية التنفيذ، ولكن التنفيذ كان مؤجلاً، وطرأت ظروف استثنائية لم يكن في الوسع توقعها وقت التعاقد مثل القرارات الاحترازية الصادرة

لمواجهة فيروس كورونا (كوفيد19)، وأدت إلى اختلال التوازن الاقتصادي الذي كان موجوداً وقت التعاقد اختلالاً خطيراً، وجعلت تنفيذ التزامه يهدده بخسارة فادحة، فلا يجبر على تنفيذ التزامه كما ورد في العقد، بل ينقص هذا الالتزام إلى الحد الذي تقتضيه العدالة، وبناءً عليه فإن تطبيق نظرية الظروف الطارئة في حالة أن تجعل هذه الظروف أو الحوادث الاستثنائية تنفيذ الالتزام مرهقاً لا مستحيلاً، فمتى ما أصبح تنفيذ الالتزام مستحيلاً فنحن بصدد الحديث عن القوة القاهرة، ولكن بما أن تعليق العمل وغيرها من القرارات التي صدرت من اللجنة العليا كانت قرارات محددة بمدة معينة فإنه لا توجد استحالة في التنفيذ فيها، وبناءً عليه، طبقاً لنظرية الظروف الطارئة فإن تبعة الظرف الطارئ توزع على الطرفين، مثل أن يتفق رب العمل مع العامل على خروج العمال في إجازات تحسب من الإجازة الاعتيادية للعامل خلال فترة التوقف، وإذا لم يتفق الأطراف فإن المشرع أجاز للمحكمة رفع الإرهاق عن المدين، وذلك بإنقاص الالتزام إلى الحد المعقول.

ومن أبرز الوسائل التي يقوم بها القاضي لرد الالتزام المرهق إلى الحد المعقول هو وقف تنفيذ العقد بصورة مؤقتة، مع مراعاة أن مدة الوقف لا تسبب إرهاقاً شديداً للطرف الآخر من أطراف العقد⁽¹⁾. على سبيل المثال، أصدرت اللجنة العليا للبحث في تطورات جائحة كوفيد19 قرارات إدارية بشأن وقف سداد الأقساط البنكية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة، التي

(1) بنداري؛ محمد إبراهيم، مصادر الالتزام في مصر وعمان... دراسة مقارنة، ط1، ص260.

تضررت بسبب الوقف، مع مراعاة أن هذا الوقف لا يؤثر بشكل أو بآخر على مركز البنك كدائن في عقد القرض.

وجدير بالذكر كذلك أن القوة القاهرة جاءت في «قانون المعاملات المدنية» الصادر بالمرسوم السلطاني 29/ 2013 بنص المادة (172)، التي تنص على أنه: (في العقود الملزمة للجانبين إذا طرأت قوة القاهرة تجعل تنفيذ الالتزام مستحيلًا انقضى معه الالتزام المقابل له، وانفسخ العقد من تلقاء نفسه، إذا كانت الاستحالة جزئية انقضى ما يقابل الجزء الذي استحال تنفيذه، وينطبق هذا الحكم على الاستحالة الوقتية في العقود المستمرة، وفي هاتين الحالتين يجوز للدائن فسخ العقد بشرط إعدار المدين) (1). كذلك، فقد قضت المحكمة العليا في السلطنة على أنه (يتعين أن تكون استحالة تنفيذ الالتزام بسبب القوة القاهرة استحالة نهائية حتى يفسخ العقد بقوة القانون، أما إذا كانت الاستحالة مؤقتة فإن العقد يقف تنفيذه فقط حتى تزول هذه الاستحالة)، فالأصل وفق المبادئ العامة في العقود؛ أن العقد يفسخ عند طروء قوة القاهرة تؤدي إلى استحالة تنفيذ الالتزام الناشئ عنه، والتي يكون أبرز شروطها عدم إمكان التوقع واستحالة الدفع (2).

بناءً عليه، فإننا نرى أن الظروف المحيطة بالقرارات الإدارية الصادرة في مواجهة الجائحة لا تستوجب الاستحالة النهائية في أغلبها، والتي لا يكون

(1) المادة (172) من قانون المعاملات المدنية والتجارية.

(2) بنداري؛ محمد إبراهيم، مصادر الالتزام في مصر وعمان.. دراسة مقارنة، ط1، ص349-350.

الزمن عنصرًا جوهريًا فيها فتطبق عليها نظرية الظروف الطارئة، أما التي يستحيل معها التنفيذ فتطبق عليها نظرية القوة القاهرة.

و بموجب أحكام القانون، إذا طرأت بعد توقيع العقد، وقبل تمام اكتمال تنفيذه، ظروف استثنائية عامة لم يكن في الوسع توقعها عند إبرام العقد، وترتب على حدوثها أن تنفيذ الالتزام الناشئ عنه صار مرهقًا للمدين، بحيث يهدده بخسارة فادحة، جاز للقاضي بعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن يرد الالتزام المرهق إلى الحد المعقول، بأن يُضيق من مداه أو يزيد في مقابله.

• تطبيقات على تأثير الجائحة على العقود السارية

1. تأثير الجائحة على عقود الإيجار:

إن عقد الإيجار يعد من العقود الملزمة للجانبين، وهي التي يشترط في تنفيذها قيام طرفي العقد بالالتزامات كافة المنصوص عليها في العقد عند إبرامه، فكل من طرفي العقد يعد دائئًا ومدينًا في نفس الوقت، وعقد الإيجار كذلك، حيث إن المستأجر مدين بدفع الأجرة المتفق عليها للمؤجر، وهو دائئ في نفس الوقت بالحصول على العين المؤجرة، حسبما ورد بالاتفاق فيما بينه وبين المؤجر، وكذلك التمكين من الانتفاع بالعين المؤجرة، حسبما ينص عليه الاتفاق بين طرفي عقد الإيجار، وكذا الحال بالنسبة للمؤجر فهو دائئ بمبلغ الأجرة ومدين بتوفير الصيانة اللازمة للعين المؤجرة وتمكين المستأجر من الانتفاع بها، وفق ما ورد بنود الاتفاق المبرم بين المؤجر والمستأجر (عقد الإيجار).

إن هذه الالتزامات واقعة على عاتق طرفي العقد متى ما كان هذا العقد نافذاً بين أطرافه، لكن هناك بعض الحوادث الطارئة التي تطرأ على عقد الإيجار مما يؤدي إلى جعل الالتزام المترتب على عقد الإيجار مستحيلاً غير ممكن التنفيذ، وهذه الاستحالة إما أن تكون كلية أو جزئية، فمثلاً جائحة كورونا (كوفيد19) أتت لتجعل من التزامات طرفي عقد الإيجار مستحيلة التنفيذ بسبب جزئي، وذلك بأنها قيدت المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة في حين وجود متعلقاته وأدواته كافة بالعين المؤجرة، فهو منتفع بها ولكن بشكل جزئي غير كامل لوجود قيود تمنعه من الانتفاع الكلي لا يدل له في حصولها ولا يمكن دفعها، كالقرارات الصادرة لمكافحة انتشار فيروس كوفيد19.

وبالنظر إلى عقود الإيجار السارية وقت هذه الجائحة؛ فإنه لمعالجة وضعها يجب النظر إلى فرضيتين أساسيتين هما: إذا كانت القرارات الصادرة من اللجنة العليا تقضي بإغلاق المحلات التجارية بصورة كاملة ونهائية، وفرضية ما إذا كانت هذه القرارات تقضي بإلغاء النشاط التجاري بصورة مؤقتة فقط.

فالفرضية الأولى تعطي الحق للمستأجر بفسخ العقد، وذلك لأن القوة القاهرة التي اجتاحت تنفيذ العقد بحيث جعلت من تنفيذه أمراً مستحيلاً تبيح للمستأجر فسخ عقد الإيجار، وذلك لأن الاستحالة الحاصلة هي استحالة كلية لسبب أجنبي لا يد للمستأجر فيه، وفقاً لنص المادة (172) من «قانون المعاملات المدنية والتجارية العماني»، في فقرتها الأولى التي

نصت على أن: (في العقود الملزمة للجانبين إذا طرأت قوة القاهرة تجعل تنفيذ الالتزام مستحيلًا انقضى معه الالتزام المقابل له، وانفسخ العقد من تلقاء نفسه) (1).

أما الفرضية الأخرى، فإنها تبيح للمستأجر فسخ العقد كذلك، لوجود الاستحالة الجزئية التي تمنع من تنفيذ العقد بدفع أجره المحل، لعدم وجود دخل أو عائد له يدفع قيمة هذه الأجرة منه، وهذه إحدى صور تأثر العقود بالقوة القاهرة، وهي الاستحالة الجزئية، كذلك يجوز للمستأجر أن يتعاون مع المؤجر لرد الإرهاق الحاصل في تنفيذ العقد إلى الحد المعقول ما، إذا كان طرفي العقد يغيان الاستمرار في تنفيذ هذا العقد رغم الظروف المحيطة، وهذه الآلية هي إحدى صور تأثر العقد بنظرية الظروف الطارئة التي ينتج عنها إرهاب في تنفيذ العقد يجوز لطرفيه أو القضاء رده إلى الحد المعقول، وذلك وفقاً لنص المادة (172) من «قانون المعاملات المدنية والتجارية العماني»، في فقرتها الثانية التي نصت على أنه: (إذا كانت الاستحالة جزئية انقضى ما يقابل الجزء الذي استحال تنفيذه، وينطبق هذا الحكم على الاستحالة الوقتية في العقود المستمرة، وفي هاتين الحالتين يجوز للدائن فسخ العقد بشرط إعدار المدين) (2). كما نصت المادة (550) من «قانون المعاملات المدنية» على أنه:

(1) قانون المعاملات المدنية العماني، المادة (172)، الفقرة الأولى.

(2) المادة (172) من قانون المعاملات المدنية العماني الفقرة الثانية.

1- إذا صدر عن السلطات المختصة ما يمنع الانتفاع الكلي بالشيء المؤجر دون سبب من المستأجر تفسخ الإجارة وتسقط الأجرة من وقت المنع.

2- إذا كان المنع يخل بنفع الشيء المؤجر بصورة تؤثر جزئياً في استيفاء المنفعة المقصودة؛ فللمستأجر فسخ العقد، وتسقط عنه الأجرة من وقت قيامه بإعلام المؤجر⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن عقود الإيجار التي لم يصدر بشأنها قرار إداري للغلق أو الوقف، بل لازالت مستمرة في ظل الجائحة، وكان طرفا العقد فيها يبغيان استمرار هذا العقد، إلا أن ظروف الجائحة لا تسمح لهما باستمراره على الوجه المتفق عليه، كأن يكون المستأجر غير قادر على دفع الأجرة كاملة بسبب الوضع الاقتصادي والمالي في البلاد، فهنا أيضاً ينشأ التزام مرهق على عاتقه يجوز باتفاق الأطراف أو بالجوء إلى القضاء رده إلى الحد المعقول، وهذا وفقاً لنص المادة (159) من «قانون المعاملات المدنية العماني»، الذي ينص على أنه: (إذا طرأت حوادث استثنائية عامة لم يكن في الوسع توقعها وقت التعاقد وترتب على حدوثها؛ فإن تنفيذ الالتزام التعاقدي وإن لم يصبح مستحيلًا صار مرهقًا للمدين، بحيث يهدده بخسارة فادحة، جاز للمحكمة تبعاً للظروف وبعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن ترد الالتزام المرهق إلى الحد المعقول،

(1) المادة (550) من قانون المعاملات المدنية العماني.

ويقع باطلاً كل اتفاق على خلاف ذلك⁽¹⁾.

ويبقى أن نشير إلى أنه بقاعدة عامة لجميع الحالات الواردة أعلاه؛ يتوجب على المتعاقد المتأثر بحالة القوة القاهرة أو الظرف الاستثنائي أن يثبت الضرر الواقع عليه، ذلك أنه وإن كانت حالة القوة القاهرة أو الظرف الاستثنائي لا يحتاجان للإثبات كونهما دخلا في العلم القضائي إلا أن إثبات وقوع الضرر الواقع ومقداره من قبل الطرف المتأثر أمر حتمي وواجب عليه.

2. تأثير الجائحة على عقود العمل:

لم يرد في «قانون العمل العماني» أي نص حول حالة القوة القاهرة مثل جائحة كورونا (كوفيد19)؛ ولذا حسب المبادئ العامة لا بدّ من الرجوع إلى القواعد العامة، وقد أبدت اللجنة العليا المكلفة بالتعامل مع الجائحة عدة توجيهات في قراراتها الصادرة، حيث تمثلت هذه التوجيهات بفئتي العمالة الوطنية منها والوافدة، فقد خلصت اللجنة في توصياتها إلى:

1. عدم جواز إنهاء خدمات العمالة الوطنية أثناء ظروف الجائحة.
2. وجوب استنفاد العمالة الوطنية لرصيد مستحققاتها من الإجازات السنوية المتركمة بأجر كامل، على أن يتم التفاوض والاتفاق بين رب العمل والعامل على نسبة التخفيض من الأجر لمدة ثلاثة أشهر، ابتداءً من مايو 2020.

(1) قانون المعاملات المدنية العماني، المادة (159).

3. أوجبت على رب العمل تخفيض ساعات العمل في مقابل تخفيض الأجر.

4. أوصت بجواز قيام شركات القطاع الخاص بإنهاء خدمات العمالة الوافدة في حال عدم مقدرتها على تحمل أعباء سداد الأجر والحقوق العمالية الأخرى⁽¹⁾.

لكن اللجنة المكلفة التفتت في نفس الوقت عن عدة أمور، وتركها للاتفاق بين العامل وصاحب العمل على ما يروونه مناسباً لتسيير العمل في المنشأة، ومن هذه الأمور:

1. لم تحدد اللجنة الحد الأدنى أو الأقصى لنسب التخفيض، وإنما تركت ذلك رهن التفاوض والاتفاق بين طرفي العلاقة التعاقدية على ما يروونه مناسباً لتسيير العمل.

2. لم تتحدث اللجنة في قراراتها وتوصياتها عمّا بدر من بعض الشركات التي أعطت لموظفيها إجازات دون أجر، وبتقديرنا أنها تركت ذلك للاتفاق بين رب العمل والعامل وفق نصوص «قانون العمل».

3. مسألة الإجازات بدون أجر تتطلب موافقة العامل، سواء أكان من العمالة الوطنية أم الوافدة⁽²⁾.

(1) عبدالقادر ورسمه غالب، جائحة فيروس كورونا وعلاقة العمل، جريدة عمان، 11/4/2020م.

(2) الجندلي؛ عصام، جائحة كورونا وأثرها على القطاع الخاص، جريدة الرؤية، 25/6/2020م.

وبالعموم، حول مدى إمكان قيام أرباب العمل بتقليص عدد العمالة لديهم سواء الوطنية أو الوافدة؛ فإنه وفق ما استقر عليه قضاء المحكمة العليا في السلطنة، يمكن لشركات القطاع الخاص أن تعمل على إعادة هيكلة الشركة عن طريق تقليص عدد عمالها ومستخدميها (الوطنية والوافدة)، إذا تعرضت لظروف مالية صعبة تهدد بالإفلاس أو التصفية، مثل تراكم الخسائر لسنوات مالية متتالية، على أن تكون الأولوية بالبقاء للعمالة الوطنية، بمعنى تفضيل الإبقاء على العامل الوطني في حال تساويه بالدرجة والكفاءة مع العامل الوافد⁽¹⁾.

• الخاتمة

إن جائحة كورونا (كوفيد19) من الأزمات العالمية التي اجتاحت دول العالم أجمع، وهذه الجائحة ستخلف وراءها العديد من الآثار، وستترك أثرًا بالغًا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في الدول ولدى الشعوب، فهي حتمًا مؤثرة على المجال الاقتصادي في العالم، كما أنها مؤثرة على المجال الاجتماعي والتواصل بين البشر، وكذا بالنسبة للمجال التعليمي، إذ إن الجهود ستكثف في البحث والتدقيق والدراسة حول ماهية هذا الفيروس وطبيعته التي تشكل عليها.

وللقانون في كل هذه المجالات دور فعال لتنظيم حركة مسارها تنظيمًا دقيقًا كيلا تتعارض هذه المسارات مع المجالات الأخرى، فكان القانون هو

(1) الطعن رقم 396/2015م، عمالي، عليا، جلسة يوم الاثنين 29/2/2016م.

الزمام الذي تتكئ عليه الدول في تنظيم حركة مواجهة هذه الجائحة، من ثم البدء في إجراءات المكافحة والتخلص منها.

وقد أوردنا في هذا المحور مواجهة القانون العماني لجائحة كوفيد19 والإجراءات القانونية التي قامت بها السلطنة لتتعايش مع الوضع الراهن لهذه الجائحة، والتي تتمثل في تعديل نصوص «قانون مكافحة الأمراض المعدية» رغبة في إمام الشعب بخطورة الجائحة وتأثيرها على الدولة والفرد، كما قامت بإنشاء لجنة مختصة لتتبع حالات الإصابة بالفيروس، وتنظيم القرارات وتطبيقها فيما يتعلق بهذا الشأن. ولا ننسى دور الادعاء العام والمحاكم العمانية كروافد قانونية لتنظيم القوانين والقرارات المتعلقة بالجائحة وتطبيقها على أرض الواقع.

ثم انتقلنا للحديث عن المستقبل وآثار الجائحة على العقود السارية في السلطنة كأهم تأثير ستولده هذه الجائحة، أضف إلى ذلك أن هذه القضايا ستكون أكثر المشكلات التي سيواجهها أصحاب العقود بمن فيهم الأفراد والمؤسسات، وهذا وضعنا نصب أعينهم الحلول القانونية الملائمة للتخلص من آثار هذه الجائحة على العقود السارية، والتي تتمثل في تطبيق نظريتي الظروف الطارئة والقوة القاهرة، كما أوردنا تطبيقات على عقود الإيجار وعقود العمل.

ونسأل الله العلي القدير أن يحقق لنا الغاية التي من أجلها كتب هذا المحور ونشره ليصل إلى الفئة التي يستهدفها، والتي ستعي دور القانون العماني في مواجهة الفيروس.

المحور الاجتماعي

الحياة الاجتماعية وتحولاتها بالمجتمع جائحة كورونا (كوفيد19) نموذجاً⁽¹⁾

أ. وضياء شامس

بالمئة في العلوم الاجتماعية

• توطئة

يسلط هذا المحور الضوء على المجتمع العُماني في ظلّ جائحة كورونا (كوفيد19)، حيث يرصد القرارات الرسمية المرتبطة بسياسة التباعد الاجتماعي وتفاعل المجتمع معها، وأثر هذه القرارات على الحياة الاجتماعية اليومية والتحوّلات المصاحبة لها، ثم ينتقل لينظر ما بعد مجتمع الجائحة وفق سيناريوهات مستقبلية احتمالية لمجتمعات العالم عمومًا، والمجتمع العُماني خصوصًا.

(1) المحور يدرس الوضع الاجتماعي منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى 31 يوليو 2020م.

• أولاً: التباعد الاجتماعي وديمومة الأسرة العُمانية

إن المتتبع لتاريخ الأوبئة في المجتمع العُماني⁽¹⁾ يجدُّ أن بدايتها أتت منقولة من خارج الحدود الجغرافية العُمانية إلى الداخل، لتتفشى الأمراض على شكل أوبئة؛ خاصةً ما نُقِلَ عنها في المراجع والوثائق خلال القرنين الأخيرين⁽³⁾، ولم يكن فيروس كورونا (كوفيد19) بعيداً عن هذا التاريخ، حيث يعدُّ ثالث أنواع الفيروسات الوبائية التي ظهرت في عُمان خلال القرن الحادي والعشرين الميلادي بعد إنفلونزا الخنازير، وكورونا متلازمة الشرق الأوسط، فقد سجلت السلطنة في 24 فبراير 2020م أول حالتين عمانيتين مصابتين بفيروس كوفيد19 قديماً من الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ليشهد هذا اليوم تحولاً مجتمعياً مغايراً لما هو مألوف للحياة اليومية بالمجتمع العُماني⁽⁴⁾.

لقد كان المجتمع مراقباً بتخوف لمحاولات الدول في السيطرة على سرعة

(1) تاريخ الأوبئة في عُمان: مرض الجدري 1792م، مرض الكوليرا (1821، 1865، 1899، 1904، 1911م)، مرض الطاعون ظهر بعد عام 1900م، إنفلونزا الخنازير 2009م، كورونا متلازمة الشرق الأوسط (2013-2014م)، كورونا كوفيد19 عام 2020م.

(2) يوجد محور مستقل في الكتاب عن تأريخ للأوبئة. [المحرران]

(3) العريمي؛ محمد، 4/ 6/ 2020م. منها: الطاعون والكوليرا: أوبئة في عمان خلال القرنين الأخيرين. صحيفة أثير الإلكترونية. الرابط:

<https://www.atheer.om/archives/518020>. تاريخ التصفح: 9/ 7/ 2020م.

(4) مركز الأخبار عمان، 24/ 2/ 2020م، مقابلة مع وزير الصحة بعد تسجيل أول حالتي إصابة بالفيروس في السلطنة، يوتيوب، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=gc5By1pGnrk&t=21s>

تاريخ التصفح: 9/ 7/ 2020م.

انتشار الفيروس؛ خاصةً في الجمهورية الصينية، التي تعدُّ البؤرة الرئيسية للمرض، وازدادت مخاوفه مع الإعلان عن الحالات المصابة الأولى داخل السلطنة، وعلى إثر ذلك ظهر وزير الصحة في وسائل الإعلام مُحاولاً التخفيف من الهلع المجتمعي، ومؤكدًا على ضرورة أخذ الحيطة والالتزام بالإجراءات الوقائية وعدم القلق⁽¹⁾، إلا أن منظمة الصحة العالمية (أعلنت أن الوباء يمثل حالة طارئة صحية تثير قلقًا دوليًا، وبناءً على المعطيات والمستجدات حول المرض والظروف المحيطة بالوضع الوبائي محليًا وعالميًا؛ فإن جميع المؤشرات تؤكد أن خطر انتشاره في سلطنة عُمان يعتبر عاليًا جدًا)⁽²⁾.

في ضوء ما سبق، بدأت السلطنة باتخاذ التدابير والإجراءات الوقائية لاحتواء انتشار الفيروس على المستوى المحلي، فصدرت أوامر سامية بـ(تشكيل اللجنة العليا، لتتولى رصد تطورات الفيروس والجهود المبذولة إقليميًا وعالميًا للتصدي له ومتابعة الإجراءات المتخذة، وكذلك وضع الحلول والمقترحات والتوصيات المناسبة بناءً على نتائج التقييم الصحي العام، بحيث تستعين اللجنة بالأدوات والإمكانيات اللازمة)⁽³⁾. وبناءً عليه

(1) مركز الأخبار عمان، مرجع سابق.

(2) وزارة الصحة، خطة الاستعداد والاستجابة لوباء مرض فيروس كوفيد19 في سلطنة عُمان،

ص5، 2020م، الرابط: <http://www.ghc.sa/ar-sa/Documents/Oman%20Po.pdf>.

تاريخ التصفح: 16/7/2020م.

(3) مركز الأخبار عمان، بيان صادر من ديوان البلاط السلطاني: تشكيل لجنة عليا لبحث آلية

التعامل مع تطورات انتشار كورونا، 2020، 10/3/2020م، يوتيوب، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=qbHlPCChDtw>، تاريخ التصفح: 10/3/2020م.

اتخذت اللجنة العليا في يوم الأحد 15 مارس 2020م إجراءات تطبيق أول قراراتها للتعامل مع جائحة كورونا (كوفيد19)، التي سعت حتى لحظة كتابة هذا المحور إلى تحقيق سياسة التباعد الاجتماعي بين أفراد المجتمع، للتقليل من سرعة انتشار الفيروس.

من هنا، وقبل استعراض القرارات المتخذة من قبل اللجنة العليا، يتوجب علينا النظر إلى مصطلح التباعد الاجتماعي «Social Distancing»، الذي عُرّف في التقرير الصادر عن منظمة الصحة العالمية لمكافحة جائحة الإنفلونزا عام 2007م بأنه: (تطبيق مجموعة من الإجراءات الاحترازية، فعلى مستوى الممارسات الفردية في الحياة اليومية تكون الإجراءات بالتقليل من الاتصال المباشر مع الآخرين، وتجنب المصافحة، وترك مسافة أمان بين الأفراد في الأماكن العامة. أما على المستوى المجتمعي فتتمثل في إغلاق المدارس وحظر التجمعات الكبيرة)⁽¹⁾. وفي عام 2020م عادت منظمة الصحة العالمية إلى استعمال مصطلح التباعد الاجتماعي (كأحد التدابير الوقائية الأساسية من فيروس كورونا، والتي تساعد في إبطاء انتشاره بين الأفراد، من خلال تجنب الاقتراب من الآخرين والاحتفاظ بمسافة آمنة لا تقل عن متر واحد؛ بمقدار 3 أقدام)⁽²⁾.

(1) World Health Organization. (2007). Ethical consideration in developing a public health response to pandemic influenza. P:1-33.

https://www.who.int/csr/resources/publications/WHO_CDS_EPR_GIP_2007_2/en/

(2) منظمة الصحة العالمية، فيروس كورونا المستجد (nCov-2019)، 2020م. الرابط:

<https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public>

تاريخ التصفح: 17 / 7 / 2020م.

وقد واجه المصطلح التباسًا في المعنى، حيث فسره البعض بأنه دعوة إلى قطع العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وهذا يتعارض مع الفطرة الإنسانية فالإنسان مدني بالطبع»، وأوضح ابن خلدون (ت: 1406م) في «مقدمته» أن وجود المجتمع ضروري للفرد، فلا يمكن فصلهما، لحاجة كل واحد منهما إلى الآخر⁽¹⁾. أما إيميل دوركايم Emile Durkheim (ت: 1858م) فيرى أن المجتمع قائم على الشعور الجمعي للأفراد كقوة معنوية تربطهم بالمجتمع وتدمجهم فيه⁽²⁾، وهذا يعني أن المجتمع كنظام يهيمن على صياغة حياة الفرد وسلوكياته⁽³⁾. ونتيجة هذا الالتباس، غيرت منظمة الصحة العالمية المصطلح إلى التباعد الجسدي مع بقاء التواصل الأسري والعائلي والتواصل مع الأصدقاء «عن بُعد»⁽⁴⁾، والتأكيد على ضرورة الحفاظ على أشكال التضامن الاجتماعي، وذلك بتقديم الدعم للفئات المتضررة في المجتمع خلال هذه الجائحة⁽⁵⁾.

(1) ابن خلدون؛ عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد طاهر، القاهرة، دار الفجر للتراث، مصر، 2010م.

(2) حسن؛ سمير إبراهيم، تمهيد في علم الاجتماع، ط. 1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م.

(3) ملكاوي؛ أسماء حسين، كورونا وعلم الاجتماع.. أسئلة جديدة، قطر، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2020م.

(4) يونيسيف، التباعد الجسدي وليس التباعد الاجتماعي، مذكرة أخبار، 2020م، الرابط: <https://www.unicef.org/> تاريخ التصفح: 17 / 7 / 2020م.

(5) الشقير؛ عبدالرحمن، كورونا.. المشكلة الاجتماعية، جريدة الرياض الإلكترونية، 24 / 3 / 2020م، الرابط: <http://www.alriyadh.com/1812137>، تاريخ التصفح: 17 / 7 / 2020م.

كما أن التباعد الاجتماعي كمفهوم ذي طابع إيجابي لا سلبي؛ ليس أداة للتهميش الاجتماعي أو الاستبعاد، بل هو نمط من أنماط الإجراءات الوقائية للمحافظة على منظومة صحة الأفراد في الظروف الراهنة، التي يهدد فيها فيروس كوفيد19 جميع دول العالم⁽¹⁾. ولم يكن مصطلح التباعد الاجتماعي هو المصطلح الوحيد الذي أفرزته الجائحة، بل صاحبه مجموعة من المصطلحات الجديدة على المجتمع، التي أُضيفت إلى قاموس لغة الحياة الاجتماعية اليومية.

لنعد بعد هذا المدخل إلى موضوع اهتمامنا. إن أزمة فيروس كوفيد19 هي العامل الرئيسي الذي دفع العالم نحو التغيير، ويعدُّ المجتمع العُماني جزءاً من هذا «العالم المتغير»⁽²⁾ الذي كان في الخارج وأصبح في الداخل، محدثاً تحولات في أشكال التجمعات⁽³⁾ والتفاعلات والعلاقات وأنماط تفكير الأفراد خلال فترة الجائحة. وتعتبر قرارات اللجنة العليا التي اتخذت لتحقيق سياسة التباعد الاجتماعي هي المحرك الأساسي لإدارة الجائحة محلياً، وبناءً عليه نستعرض بعض هذه التحولات والتغيرات المجتمعية في ضوء القرارات على النحو الآتي:

-
- (1) محمود؛ فاطمة الزهراء سالم، التباعد الاجتماعي وأثاره التربوية في زمن كوفيد19 المستجد (كورونا)، المجلة التربوية، ج75، مصر، جامعة سوهاج، 2020م.
(2) دورتيه؛ جان فرنسوا، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، ط. 2، 2011م، أبو ظبي، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
(3) ووفقاً للقرار رقم: 151/2020م فإن التجمع يُقصد به: تجمع أكثر من أسرة، أو أي تجمع يتكون من 5 أشخاص فأكثر في حيز واحد أو محدد، دون أن تربطهم علاقة سكنية (أي لا يقطنون في ذات المنزل).

- فيما يخص أشكال التجمعات في المناسبات الاجتماعية

أعلنت اللجنة العليا بدء تطبيق قرار وقف أشكال التجمعات الاجتماعية مثل: مناسبات الأعراس والعزاء يوم الثلاثاء: 17 مارس 2020م⁽¹⁾، وتعدُّ هذه التجمعات أحد الأشكال الرئيسية الحاضرة في الحياة اليومية، حيث يشارك أفراد المجتمع العُماني بعضهم البعض المناسبات الاجتماعية باعتبارها صوراً من صور التضامن الآلي، التي تشتق منها فكرة التماسك والتلاحم المجتمعي⁽²⁾، ويولّد هذا التضامن وعياً جمعيّاً قوياً، حيث يتقاسم أفراد المجتمع القيم والمعتقدات ذاتها، ولا يمكن التعامل معها إلا بوضع مجموعة من القرارات والقوانين على أفراد المجتمع لإعادة تشكيلها⁽³⁾.

وبالرجوع إلى الملامح العامة لأشكال التجمعات في الأعراس ما قبل هذا القرار؛ فإن ظاهرة الاحتفال بالزواج يستند على قيمة المشاركة الاجتماعية، حيث يحضر أهل وأصدقاء الزوجين منذ أن يبدأ بالخطبة ودفع المهر

(1) صحيفة عمان الإلكترونية، 15 / 3 / 2020م. قرارات اللجنة العليا المكلفة ببحث آليات التعامل مع تطورات كورونا، الرابط: <https://www.omandaily.com/?p=774680>، تاريخ التصفح: 18 / 7 / 2020م.

(2) حسن؛ سمير إبراهيم، تمهيد في علم الاجتماع، ط. 1، 2011م، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

(3) دورتيه؛ جان فرنسوا، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، ط. 2، 2011م، أبو ظبي، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

والإشهار)⁽¹⁾، ويصاحب مراسيم الزواج الحديث مظاهر البذخ وصرف الأموال الطائلة⁽²⁾، التي تتمثل في إرسال بطاقات دعوة للحضور، وحجز قاعات احتفالية، وتوفير الولايم وغيرها، التي تعمل على تهيئة هذه التجمعات، وحضورها في مكان مغلق، ويجعل الحضور متقاربين جسدياً، مصاحبة لها بعض العادات والتقاليد المجتمعية المعبرة عن الفرح والسعادة، مع وجود (الاختلافات التي تعود إلى الشكل العام للمراسيم الاحتفالية من محافظة إلى محافظة أخرى، ونوعية الارتباطات القبلية والعائلية ومستوى الوعي الاجتماعي والثقافي)⁽³⁾.

أما بالنسبة للملامح العامة لأشكال التجمعات في العزاء، فقد اعتاد العُمانيون عند السماع عن وفاة شخص على النطاق المحيط (الأهل والأقارب والمعارف) الذهاب لأسرة الفقيد، ويكون في العادة تجمع الرجال في المجالس العامة بالمنطقة، وتجمع النساء في بيت المتوفى، وتكون الأماكن مهيئة لاستقبال التعازي والمواساة، وتستمر مراسيم العزاء من ثلاثة إلى خمسة أيام، ليجتمع جميعهم في مكان واحد، مع فصل الرجال عن النساء وفق

(1) الخان؛ سليمان عبدالرحمن، الحياة الاجتماعية في عُمان خلال دولة البوسعيد في الفترة 1744-1862م، رسالة دكتوراه منشورة، ج4، ع20، ص308، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي، مصر، 2019م.

(2) اللواتي؛ سلوى جعفر، الأبعاد الاجتماعية لتأخر سن الزواج في المجتمع العماني: دراسة ميدانية مطبقة على محافظة مسقط، رسالة ماجستير منشورة، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2012م.

(3) الخان؛ سليمان عبدالرحمن، مرجع سابق، ص308، 2019م.

العادات والتقاليد المتعارف عليها⁽¹⁾.

وتعقيماً على ما سبق، تشكل التجمعات في المناسبات الاجتماعية بؤرة مناسبة للانتشار السريع لفيروس كوفيد19، الذي يدفع الناس إلى ترك بيوتهم والخروج من المنزل لحضور التجمعات الكبيرة والمزدحمة، ومخالطة الأشخاص في أماكن مغلقة كأماكن الأعراس والعزاء، كما يتبعها ممارسة سلوك يعزز التقارب الجسدي، كالمصافحة بالأيدي والعناق والتقبيل. أضف إلى ذلك المشاركة في تناول الوجبات والأطعمة، وتبادل استعمال أدوات الطعام كالصحون والملاعق والأكواب، وتعتبر جميع هذه التفاعلات الاجتماعية بيئة خصبة لانتقال عدوى الفيروس غير المرئي.

وعلى الرغم من وجود وعي مجتمعي بأهمية قرار إيقاف التجمعات الاجتماعية كوسيلة فاعلة لمكافحة فيروس كورونا (كوفيد19)⁽²⁾، إلا أنه أنتج مجموعة من الآثار، أبرزها ما يرتبط بالمقبلين على الزواج، الذين دفعوا مبالغ مقدمة لحجوزات أعراسهم مثل: قاعة المناسبات والأفراح، والصالونات التجميلية، ومطاعم لإعداد الوجبات والولائم، وبالرجوع إلى المادة (20) من

(1) خميس؛ علي حسن، التاريخ الحضاري لعُمان منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس الهجري.. دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م.

(2) المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، استطلاع رأي العمانيين حول تأثير فيروس كورونا (كوفيد19)، سلطنة عمان، 2020م، الرابط:

<https://www.ncsi.gov.om/Elibrary/Pages/LibraryContentDetails.aspx?ItemID=لا>

<DprIRDK5bd7kNBKQCQ==XE8p3>، تاريخ التصفح: 19 / 7 / 2020م.

اللائحة التنفيذية لـ «قانون حماية المستهلك»؛ فإنها تنص على إعفاء مقدم الخدمة من مسؤوليته تجاه المستهلك في حالة أنه تراجع عن رغبته في الحصول عليها، ويسمح لمقدم الخدمة خصم مبلغ لا يتجاوز 3% من قيمة الخدمة وتسليم باقي المبلغ للمستهلك⁽¹⁾، ونتيجة هذا النص القانوني الذي ينظم العلاقة بين مقدم الخدمة والمستهلك، دعت الهيئة العامة لحماية المستهلك إلى تعاون مقدم الخدمة بأن يرجع المبالغ بعد خصم النسبة المشار إليها في اللائحة، نظرًا لظروف الجائحة الراهنة. ومن جهة أخرى، طالبت الهيئة من المستهلك الالتزام بقرار اللجنة العليا بوقف المناسبات الاجتماعية⁽²⁾. وفي المقابل أيضًا، نُظر إلى القرار بأنه أتاح فرصة لإقامة الأعراس دون الحاجة إلى التجمعات الاجتماعية الكبيرة، أو صرف أموال طائلة على المستلزمات الشكلية والظاهرية، بحيث تقام في تجمعات صغيرة على نطاق الأسرة والأقرباء، دون الحاجة إلى تحمل تكاليف باهظة الثمن للتحضير والاستعداد لإقامة الاحتفال، وهو أحد التحولات المجتمعية لمظاهر الزواج العماني الحديث قد يتلاءم مع الظروف الاجتماعية الراهنة، إلا أن البعض كانت لديه تحفظات على النمط الجديد في تفكير أفراد المجتمع، الذي شكلته الجائحة

(1) الهيئة العامة لحماية المستهلك، 9/ 3/ 2020م، قرار رقم 77/ 2017 بإصدار اللائحة التنفيذية لقانون حماية المستهلك، الجريدة الرسمية العدد (1185)، سلطنة عمان، الرابط:

<https://data.qanoon.om/ar/md/pacp/2017-0077.pdf>. تاريخ التصفح: 19/ 7/ 2020م.

(2) الهنائي؛ المختار، بعد وقف التجمعات الاجتماعية: هل يحق استرداد مبالغ قاعات المناسبات والأعراس؟ صحيفة أثير الإلكترونية، 16/ 3/ 2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/>، تاريخ

التصفح: 19/ 7/ 2020م.

تجاه إقامة المناسبات الاجتماعية.

ويقودنا جميع ما ذكر آنفاً إلى أن التجمع الأسري هو الشكل الأساسي المتبقي مع تلاشي أشكال التجمعات الكبيرة بالمجتمع العماني⁽¹⁾، تطبيقاً للقرارات الداعمة لسياسات التباعد الاجتماعي خلال الجائحة، فقد ازدادت العلاقات الأسرية تقارباً وارتباطاً نتيجة وجود أفراد الأسرة مع بعضهم البعض طوال فترة الجائحة⁽²⁾، وأعدت الجائحة انتاج أشكال التفاعلات والممارسات وأنماط التفكير الأسري، فقد عززت مهارات التواصل والاتصال داخل محيط الأسرة وخارجها، باستعمال التطبيقات الاجتماعية المرئية الذكية، ومشاركة الآخرين في مناسباتهم الاجتماعية «عن بُعد»، دون الحاجة إلى التواصل المباشر وجهاً لوجه، كأحد البدائل الجديدة للمشاركة المجتمعية⁽³⁾، وساعد التباعد الاجتماعي كمصطلح إلى إيجاد مصطلح مرادف وهو «التقارب الافتراضي» نمطاً جديداً للتفاعل مع الآخرين⁽⁴⁾، محاولاً الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وبقاء الأسرة والأقارب والأصدقاء على تواصل مستمر، مع تحقيق وجود المسافة الآمنة المطلوبة.

وبصرف النظر عن السياق السابق، فإن ذلك لا يعني عدم وجود تجاوزات

(1) ملكاوي؛ أسماء حسين، مرجع سابق.

(2) المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، المرجع السابق.

(3) العمراني؛ نعمة، النصيبي؛ بسمة، ثقافة المجتمع العماني تجاه جائحة كوفيد19، دراسة غير منشورة، جمعية الاجتماعيين العمانية. سلطنة عُمان، 2020م.

(4) محمود؛ فاطمة، الزهراء؛ سالم، مرجع سابق.

مجتمعية من قبل البعض حول قرار إيقاف أشكال التجمعات الاجتماعية داخل المجتمع العُماني، فقد أقام أحدهم عرسًا حضره ما يقارب 150 شخصًا، وتم التعرف عليه من خلال تتبع فريق التقصي الوبائي لأحد الحالات المصابة، أضف إلى ذلك استمرار تنظيم الفعاليات، مما استدعى الأمر إلى تطبيق العقوبات على جميع المخالفين لهذا القرار وفق «قانون مكافحة الأمراض المعدية المعدل»⁽¹⁾، كما كانت هناك مطالبات في وسائل التواصل الاجتماعي بعد عرض الحالات المخالفة بفرض حظر كلي لمدة 14 يومًا متواصلة، لضمان تطبيق التباعد الاجتماعي بين الأفراد، والتقليل من سرعة انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)⁽²⁾.

- فيما يخص أشكال التجمعات في المناسبات الدينية

أطلقت اللجنة العليا حزمة من القرارات المتسلسلة لوقف أشكال التجمعات الدينية في فترة جائحة كوفيد19 بالمجتمع العُماني، حيث بدأ تنفيذ أول قرار بإيقاف صلاة الجمعة، يليها غلق الجوامع والمساجد إلا لرفع الأذان،

(1) صحيفة عمان الإلكترونية، اللجنة العليا تشدد على ضرورة الالتزام بالتباعد الجسدي.. والاثنتين المقبل تصدر قرارات بشأن عيد الفطر، سلطنة عُمان، 14/ 5/ 2020م، الرابط: <https://www.omandaily.om/?p=789969>، تاريخ التصفح: 19/ 7/ 2020م.

(2) وطن الدبور، بعد العرس والاستهتار.. هل ستفرض سلطنة عمان الحظر الكلي قريباً؟ هذا ما قاله وزير الصحة؟ 14/ 5/ 2020م، فيديو منشور، الرابط: <https://www.watan.com/>، تاريخ التصفح: 19/ 7/ 2020م.

مع غلق دور عبادة غير المسلمين بتاريخ 17 و18 / 3 / 2020م⁽¹⁾، كما أعلنت اللجنة العليا مجموعة من القرارات المرتبطة بأداء الشعائر الدينية على أن يطبق في شهر رمضان كقرار عدم إقامة صلاة التراويح في المساجد والجوامع مع التأكيد على استمرار غلقها، وقرار منع إقامة التجمعات الرمضانية مثل إفطار صائم في الجوامع والمساجد وغيرها من الأماكن مثل: الخيام والمجالس العامة والأنشطة الاجتماعية والرياضية والثقافية ومختلف الأنشطة الجماعية⁽³⁾، واستمرت القرارات الخاصة بأشكال التجمعات المرتبطة بالمناسبات الدينية والممارسات المصاحبة لها، فقد قررت اللجنة العليا فيما يرتبط بعيدي الفطر والأضحى حظر أشكال التجمعات لهبطات العيد⁽⁴⁾ بمختلف أنواعها وصلاة العيدين وتجمّعات المعايدة والاحتفالات

(1) صحيفة أثير الإلكترونية، قرارات جديدة من اللجنة العليا، سلطنة عمان، 2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/>، تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(2) صحيفة أثير الإلكترونية، اللجنة العليا تتخذ قرارات من بينها إيقاف صلاة الجمعة، سلطنة عمان، 15 / 3 / 2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/>، تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(3) صحيفة الشبيبة الإلكترونية، استمرار غلق المساجد وعدم إقامة الصلوات فيها بما في ذلك صلاة التراويح، 20 / 4 / 2020م، الرابط: <https://www.shabiba.com/>. تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(4) هبطات العيد: هي ثلاثة الأيام الأخيرة التي تسبق العيد تشهدها أسواق عمان التقليدية، وتسمى في بعض البلدان الحلقات، يعرض فيها التجار والباعة كل لوازم الناس للعيد، كالمواشي والملابس والهدايا، وتكون أيامًا محتشدة بالناس. [المحرران]

الجماعية⁽¹⁾، كما أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية قرارًا بإنشاء الصندوق الوقفي لدعم الخدمات الصحية، الذي يسعى إلى تعزيز قيمة التكافل الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية⁽²⁾، أضاف إلى ذلك أنها أعلنت بياناً بعدم سفر المسجلين لأداء مناسك الحج لهذا العام⁽³⁾، وتأتي جميع القرارات السابقة تعزيزاً لسياسة التباعد الاجتماعي، ولما تشكله هذه التجمعات من فرصة مناسبة لانتشار مرض كوفيد19 بين أوساط المجتمع⁽⁴⁾.

وتسليط الضوء على الملامح العامة للتجمعات الدينية ما قبل قرارات اللجنة العليا، نجد أن هذه التجمعات بأشكالها تعكس كظاهرة في المجتمع العُماني طبيعة الحياة الاجتماعية الدينية اليومية، كما تحدد شكل أغلب العلاقات بين الأفراد ونمط تفكيرهم تجاه الواقع الاجتماعي وقضاياها، فعلاقة المجتمع بالدين علاقة تاريخية عميقة ليست وليدة اللحظة، وتعتبر المساجد والجوامع أحد أوجه المؤسسات الدينية ذات طابع اجتماعي، حيث يؤدي فيها العمانيون شعائرهم، كما تقدم فيها المحاضرات والدروس والحلقات الدينية،

(1) صحيفة الوطن الإلكترونية، اللجنة العليا المكلفة ببحث آلية التعامل مع كوفيد19 تؤكد حظر الهطات وصلاة العيد وتجمعات المعابدة والاحتفالات الجماعية، 15/ 5/ 2020م، الرابط: <http://alwatan.com/>، تاريخ التصفح: 20/ 7/ 2020م.

(2) صحيفة أثير الإلكترونية، إنشاء صندوق وقفي لدعم الخدمات الصحية، 24/ 3/ 2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/>، تاريخ التصفح: 20/ 7/ 2020م.

(3) وكالة الأنباء العُمانية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية تصدر بياناً حول موسم حج 1441هـ، 23/ 6/ 2020م، الرابط: <https://omannews.gov.om/>، تاريخ التصفح: 20/ 7/ 2020م.

(4) صحيفة الوطن الإلكترونية، مرجع سابق.

وتحتفظ المساجد والجوامع ببعض الممارسات التي قد تسهم في (تعزيز اللحمة الأخلاقية وتشد من أواصر الروابط بين أفراد المجتمع)⁽¹⁾، كالتجمع بعد الصلوات لمناقشة مواضيع مجتمعية متنوعة⁽²⁾.

وعلى ضوء ما سبق، شكلت قرارات اللجنة العليا تحديًا للمجتمع حول تحول هذه العلاقة التي كانت عليها ما قبل القرار، وكيفية التعامل معها بعد القرار، في إيقاف الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة التراويح وصلاة العيدين في المساجد والجوامع والمصليات، وما صاحبها من منع التجمعات الدينية، لممارسة بعض العادات المتبعة في شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى، كالتجمعات الرمضانية لإفطار صائم والقرنقشوه⁽³⁾، وهبّطات العيد وتجمعات المعايدة، دفع المجتمع إلى إيجاد مجموعة من البدائل للتكيّف مع أوضاع الجائحة، فانتقلوا من أداء الصلوات في المساجد والجوامع، التي يطلب فيه الإمام من المصلين أن يستووا ويتراصوا، إلى أدائها في المنزل في تجمع أسري صغير مع مراعاة مسافة الأمان بينهم، وفعل الخطاب الديني الافتراضي، من خلال استعمال منصات التواصل الاجتماعي، متضمنة

(1) دورتيه؛ جان فرنسوا، مرجع سابق.

(2) الخان؛ سليمان عبدالرحمن، مرجع سابق.

(3) القرنقشوه: احتفالات تقام ليلة النصف من رمضان، حيث يجتمع أطفال القرية الواحدة بعد صلاة المغرب، فيطوفون بين المنازل وهم يرددون أهازيح شعبية متعارف عليها.

الفتاوي والمواعظ والنصح⁽¹⁾.

كما برز دور المؤسسات المدنية والخاصة في دعم مشاريع إفطار الصائم طوال شهر رمضان، وتحوّل دور بعض الأسرة العُمانية التي كانت تنشط كمتطوعة في هذا الجانب، إلى إرسال مبالغ مالية للجهات الرسمية والمعنية مثل: الجمعيات الأهلية والخيرية ولجنة الزكاة بالولايات⁽²⁾، أضف إلى ذلك انتقال هبطات العيد من الأسواق التقليدية، التي كانت تقام على أرض الواقع، إلى الأسواق الإلكترونية الافتراضية، وبذلك أوجدت الجائحة أول هبطة عيد إلكترونية من خلال «منصة ثروة»⁽³⁾.

كما استبدلت بالتجمعات المباشرة في العيد تجمعات معايدة «عن بُعد» باستثمار التطبيقات الإلكترونية، التي اختزلت أشكال التجمعات فيما يرتبط بالمناسبات الدينية، والسؤال: هل حقًا نجحت التطبيقات الإلكترونية في الحفاظ على صورة ومكانة المناسبات الدينية في ذهنية المجتمع العُماني؟ وهل استطاعت أن تصنع مشاعر روحانية حقيقية وواقعية ذات بعد ديني؟

(1) اليقويبة؛ سمية، مخاوف من تأثر الخطاب الديني بإغلاق المساجد في سلطنة عُمان، الجزيرة نت، 7/ 5/ 2020م، الرابط: <https://www.aljazeera.net/>، تاريخ التصفح: 20/ 7/ 2020م.

(2) البوابة الإعلامية، نزوى الخيري يوزع وجبات وقسائم مؤن غذائية للمستحقين، سلطنة عمان، 2020م، الرابط: <http://omaninfo.om/topics/56/show/337388>، تاريخ التصفح: 20/ 7/ 2020م.

(3) صحيفة الشبيبة الإلكترونية، الآن.. أول هبطة إلكترونية لبيع وشراء المواشي من خلال «منصة ثروة»، سلطنة عمان، 15/ 5/ 2020م، الرابط: <https://www.shabiba.com/>، تاريخ التصفح: 21/ 7/ 2020م.

على الرغم من التحولات المجتمعية سابقة الذكر، إلا إنه رصد العديد من المخالفات، وعلى سبيل المثال لا الحصر: التجمع لأداء الصلاة داخل المساجد⁽¹⁾، وتجمع آخر لإقامة صلاة العيد⁽²⁾، وفي ضوء ضوابط التعامل مع المخالفين لقرارات اللجنة العليا فقد تقرر دفع غرامة 1500 ريال عن كل مخالفة⁽³⁾، وهذا ما يفسر إلى حد كبير أن عودة مظاهر الحياة الدينية في المجتمع العماني ما بعد كورونا (كوفيد19) قد ثبت حضوراً قوياً أكثر مما سبق، فالشعور الجمعي بالانتماء إلى الدين ومنظومة القيم المستندة عليها لا يزال موجوداً ومستمرًا، وهو يتجاوز في كلتا الحالتين وجود المؤسسات الدينية أو غيابها، وتفعيل التطبيقات الإلكترونية من عدمه⁽⁴⁾.

- فيما يخص أشكال التجمعات في الأماكن الترفيهية

لم تكن قرارات اللجنة العليا المعنية بمنع أشكال التجمعات في المناسبات الاجتماعية والدينية المؤثرة وحدها على شكل الحياة الاجتماعية في المجتمع

(1) صحيفة أثير الإلكترونية، تجمعوا لأداء الصلاة في المسجد فخالفتهم الشرطة، 27 / 5 / 2020م، الرابط: <https://www. atheer. om/>، تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(2) صحيفة الرؤية الإلكترونية، تجمعوا لأداء صلاة العيد.. مخالفة 40 وافدًا في غلا، 24 / 5 / 2020م، الرابط: <https://alroya. om/p/262917>، تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(3) شرطة عمان السلطانية، قرار رقم: 151 / 2020، ضوابط التعامل مع المخالفين لقرارات اللجنة العليا المعنية ببحث آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، سلطنة عمان، 21 / 5 / 2020م، الرابط: <https://www. atheer. om/wp-content/uploads/2020/05/151-2020. pdf. pdf>، تاريخ التصفح: 20 / 7 / 2020م.

(4) فيريول؛ جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: أنسام محمد، بيروت، دار البحار.

العُماني، بل رافقت هذه القرارات أشكال التجمعات في الأماكن الترفيهية، التي كان أبرزها إغلاق الحدائق والمنتزهات، وعدم ارتياد دور السينما، ابتداءً من تاريخ 15 مارس 2020م، وبعدها بيومين أطلقت اللجنة العليا قرارات جديدة تدعو إلى إغلاق جميع المواقع السياحية، وإغلاق الأندية الرياضية والثقافية والصالات الرياضية والنوادي الصحية⁽¹⁾. وبالنظر إلى هذه القرارات الرسمية، فإن الأماكن الترفيهية لها دور كبير على الحياة الاجتماعية العامة، ويعدُّ وجودها نشاطاً إنسانياً اجتماعياً يؤثر على طريقة الحياة في المجتمع العُماني، حيث يقسم أفراد المجتمع وقته إلى قسمين: وقت للعمل ووقت للترفيه والراحة⁽²⁾.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن أشكال التجمعات في أماكن الترفيه والمواقع السياحية، التي تستوعب أعداداً كبيرة من الناس، تكون نشطة في المجتمع العماني خلال العطلة الأسبوعية، ونقصد بذلك يومي الجمعة والسبت، أو عطل نهاية العام الدراسي للمؤسسات التعليمية، حيث تخرج الأسر إلى الحدائق والمنتزهات والمواقع السياحية، للترفيه وقضاء وقت ممتع مع أسرهم، وتساعد هذه الأشكال من التجمعات على تقوية الروابط والعلاقات الأسرية، كما تلبي الاحتياجات الاجتماعية والعاطفية للشخص، والتي تحافظ على الأسر من التفكك والضعف باعتبارها نواة المجتمع.

(1) صحيفة أثير الإلكترونية، اللجنة العليا تصدر قرارات جديدة، سلطنة عمان،

27/ 5/ 2020م، الرابط: <https://www. atheer. om/>، تاريخ التصفح: 21/ 5/ 2020م.

(2) باقادر؛ أبو بكر أحمد، سوسيولوجيا السياحة، ج18، ع89، معهد الإنماء العربي، الفكر

العربي، 1997م.

وفي ضوء غلق جميع الأماكن الترفيهية في المجتمع العُماني؛ فقد اتجهت التجمعات الأسرية خلال الجائحة إلى إيجاد بيئة أسرية ترفيهية ومسلية، من خلال استرجاع الألعاب القديمة مع أفراد العائلة، وعمل المسابقات واكتشاف المواهب وتطويرها، وتعلّم مهارات جديدة كزراعة الأشجار والطبخ والعزف على الآلات الموسيقية والخياطة والرسم، والمشاركة في الدورات التدريبية الإلكترونية، وتعلّم لغات مختلفة، وقراءة الكتب والمدونات والقصص والاستماع إلى المدونات الصوتية ومشاهدة الأفلام والمسلسلات وممارسة الرياضة كرياضة المشي واليوغا وغيرها⁽¹⁾. ومن منظور آخر، فإن هذه القرارات خلّفت مجموعة من الآثار السلبية على مستوى الفرد والأسرة، كالانكفاء على الذات، وارتفاع مستوى التوجس من التقارب الجسدي بأشكاله كافة، كما ولد معها الشعور بالخوف والقلق من انتقال العدوى والمرض في مثل هذه الأماكن العامة والمفتوحة، واختفى تدريجياً النمط الثقافي الذي يعزز الثقة والتقارب، في ظل تطبيق سياسة التباعد الاجتماعي بين الأفراد⁽²⁾.

وحتى كتابة هذه السطور فإن شرطة عُمان السلطانية لا زالت تبذل جهداً واضحاً في التعامل مع المخالفين لقرارات اللجنة العليا، حيث تعمل على فض التجمعات في الأماكن الترفيهية والمواقع السياحية كالشواطئ والأودية والرمال، وهناك تجاوب كبير من قِبَل المجتمع لهذه الجهود، التي تسعى إلى الحد من انتشار فيروس كوفيد19.

(1) العمراني؛ نعمة، النصيبي، مرجع سابق.

(2) ملكاوي؛ أسماء حسين، مرجع سابق.

- فيما يخص الحركة والتنقل

شملت قرارات اللجنة العليا مسألة حركة الأشخاص وانتقالهم لضمان صحة المجتمع من انتشار فيروس كوفيد19، وقد تضمنت هذه القرارات مستويين للحركة والتنقل يمكن تصنيفها كالآتي:

أ- قرارات الحركة والتنقل من الخارج إلى الداخل والعكس:

تمثلت قرارات الحركة والتنقل من الخارج إلى الداخل؛ في وقف دخول غير العمانيين إلى أراضي السلطنة من جميع المنافذ البرية والبحرية والجوية، باستثناء مواطني دول مجلس التعاون، على أن يطبق جميع القادمين من خارج السلطنة الحجر الصحي، بمن فيهم العمانيون في 18 مارس 2020م⁽¹⁾. كما أعلنت اللجنة العليا بتاريخ 25 مارس 2020م قراراً ينص على (أن تقوم الجهات ذات العلاقة بترتيب عودة من يرغب من المواطنين عموماً، والطلبة المبتعثين على وجه الخصوص، إلى أرض الوطن، مع ضرورة توفير العزل المؤسسي لهم، واتباع أحدث الوسائل التقنية لتتبع المخالفين من المعزولين والمحجورين صحياً، لضمان عدم انتشار الفيروس، أضف إلى ذلك قرار تعليق جميع رحلات الطيران الداخليّة والدولية من مطارات السلطنة ابتداءً من

(1) صحيفة الوطن الإلكترونية، اعتباراً من الغد.. وقف دخول غير العمانيين، وحجر صحي للقادمين، وإغلاق الحدائق والمتزهات، وإيقاف صلاة الجمعة والتجمعات العائلية، 16 / 3 / 2020م، الرابط: <http://alwatan.com/details/377218>، تاريخ التصفح: 2020 / 7 / 22م.

29 مارس 2020م⁽¹⁾.

أما فيما يخص قرارات الحركة والتنقل من الداخل إلى الخارج فكان أبرزها وقف خروج العُمانيين من السلطنة، وذلك كأحد آليات التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار الفيروس، على أن يبدأ تطبيق هذا القرار في 18 مارس 2020م⁽²⁾.

ب- قرارات الحركة والتنقل داخليًا:

يقصد بها اتخاذ اللجنة العليا مجموعة من القرارات الاحترازية التي تقيد الحركة الداخلية للناس بين المحافظات أو الولايات، وقد أُتخذت صورتان؛ هما: العلق والعزل، ويعود اتخاذ مثل هذه القرارات في حالة اكتشاف بؤرة تنمشي الفيروس، حيث تبدأ وزارة الصحة بمتابعة الوباء ورصده، مع ضرورة غلق المنطقة أو عزلها صحيًا عن المناطق الأخرى⁽³⁾، ويمكن تقديم الولايات

(1) وزارة الصحة، قرارات جديدة للجنة العليا لبحث آلية التعامل مع فيروس كورونا (كوفيد19)، 25 / 3 / 2020م، الرابط: <https://www.moh.gov.om/ar/-/1-1>، تاريخ التصفح: 21 / 7 / 2020م.

(2) وكالة الأنباء العُمانية [OmanNewsAgency]، اللجنة العليا لبحث آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، تقرر عدد من القرارات تطبق من الساعة الثانية عشر ظهر يوم غدٍ الأربعاء الموافق: 18 / 3 / 2020م، 17 / 3 / 2020م، تويتر، رابط التغريدة: <https://twitter.com/OmanNewsAgency/status/1239976244713852928?s=20>

(3) عمان تواجه كورونا [OmanVSCovid19]، المناطق المعزولة صحيًا، تويتر، 1 / 5 / 2020م، رابط التغريدة: <https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1256162115146178560?s=20>، تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

أو المحافظات التي تعرضت للغلق أو العزل كالآتي:

- عزل صحي لولاية مطرح:

أصدرت اللجنة العليا أول قرار للعزل الصحي⁽¹⁾ كإجراء احترازي، للحد من انتشار الفيروس بتاريخ 1 أبريل 2020م، وكان مفاده: (العزل الصحي لولاية مطرح من خلال غلق الحركة المرورية عن الطرق المؤدية للولاية، وتسهيل دخول الشاحنات والسلع التموينية والخدمات الأساسية والطبية مثل: الوقود والصرف الصحي وغيرها)⁽²⁾. وعلى الرغم من استشعار المجتمع بأن القرار كان فجائياً لم تسبقه أية إشارات حول عزل مطرح، وعدم تضمن هذا القرار مبررات عزل الولاية⁽³⁾ إلا أن المجتمع تقبل ذلك، كونه يصب في مصلحته للحد من انتشار الفيروس⁽⁴⁾. وبناءً عليه، بدأت حملة التقصي الوبائي

(1) العزل الصحي: تقييد حركة الشخص تعرض للفيروس، وظهرت عليه أعراض المرض، مدة 14 يوماً، ومنع اتصاله المباشر إلا بأخذ الإجراءات الوقائية.
(2) عمان تواجه كورونا [OmanVSCovid19]، عزل صحي تام لولاية مطرح ابتداءً من اليوم وحتى إشعار آخر، تويتر، 1/4/2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1245233934641909760?s=20>

تاريخ التصفح: 22/7/2020م.

(3) العلوي؛ سالم، [oman anonymous]، أبي أعرف ليش بذات ولاية مطرح تم فرض عليها العزل الصحي، تويتر، 1/4/2020م، رابط التغريدة:

https://twitter.com/oman_anonymous/status/1245237052096106496?s=20

تاريخ التصفح: 22/7/2020م.

(4) العامري؛ علي، [oman1984an]، أتعجب من المتذمرين من القرار، تويتر، 1/4/2020م،

رابط التغريدة: <https://twitter.com/om1984an/status/1245237521023369216?s=20>

تاريخ التصفح: 22/7/2020م.

تحت شعار «بيت بيت»، وذلك بعد أسبوع من عزل الولاية، معلناً حينها وزير الصحة أن مطرح هي أكثر ولايات السلطنة ينتشر فيها الوباء⁽¹⁾، ولتوسيع الإجراءات الاحترازية والوقائية حوّلت سبلة مطرح⁽²⁾ إلى مركز صحي مؤقت، لفحص المواطنين والمقيمين الذين تظهر عليهم أعراض فيروس كورونا (كوفيد19) مجاناً⁽³⁾.

كانت ولاية مطرح قبل صدور قرار العزل إحدى الجهات السياحية المعروفة، التي تستقبل الزوار من داخل السلطنة وخارجها، فهي ولاية تاريخية يعبر عن تاريخها العريق سوق مطرح التقليدي، وقلعة مطرح المطلة على بحر عُمان، والمتاحف والحدائق، والمباني التي تحتفظ بطابعها العمراني القديم. وقد استغرق عزل الولاية ما يقارب 67 يوماً، قادت فيها الحركة والتنقل منها وإليها، وتوقفت جميع أشكال أنشطتها السياحية التي كانت تتمتع بها، وبعد رفع العزل تدريجياً استثنى حي الحميرية وحي مطرح القديم لأسباب طبية⁽⁴⁾،

(1) البوابة الإعلامية، وزير الصحة يكشف أعداد مصابي «كورونا» في مطرح مع تدشين حملة «بيت بيت»، 2020م، الرابط: <http://omaninfo. om/topics/92/show/327719>، تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

(2) السبلة: المجلس العام للرجال. [المحرران]

(3) مكتبة الجزيرة المرئية، إجراءات التقصي الوبائي لكورونا بولاية مطرح العمانية تجري على قدم وساق، يوتيوب، 19 / 4 / 2020م، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=5XTky8rtCkg>، تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

(4) مركز الأخبار العمانية، رفع العزل الصحي عن بعض أحياء ولاية مطرح في ظل إجراءات التعايش مع تطورات كورونا، يوتيوب، 7 / 6 / 2020م، الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=v4pLigvKGMY>، تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

مع عدم تفعيل المواصلات العامة والأنشطة الصناعية في الوادي الكبير واستمرار غلق سوق مطرح، وتؤكد المؤشرات أن المجتمع بولاية مطرح كان جزءاً لا يتجزأ في الحد من انتشار الوباء بشكله السريع، وهذا ما أشار إليه وزير الصحة في المؤتمر الصحفي التاسع للبحث عن آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار الفيروس⁽¹⁾. وفي المقابل، أشاد سكان مطرح بالإجراءات الحكومية الاحترازية، وما ترتب عليها في العزل الصحي من دعم للفئات المجتمعية المتضررة جراء الجائحة⁽²⁾.

- عزل صحي تام لولاية مسقط وغلق المحافظات:

أعلنت اللجنة العليا بعد عشرة أيام من قرار عزل ولاية مطرح قراراً مماثلاً آخر، وهو تطبيق العزل الصحي لولاية مسقط⁽³⁾، وذلك في: 10 أبريل 2020م، بحيث (تغلق الحركة المرورية عن الطرق المؤدية للولاية، مع تسهيل دخول الشاحنات والسلع التموينية والخدمات الأساسية والطبية مثل: الوقود

(1) صحيفة أثير الإلكترونية، الإعلان عن موعد فتح ولاية مطرح، 4 / 6 / 2020م. الرابط:

<https://www.atheer.om/>، تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

(2) وكالة الأنباء العُمانية، أهالي ولاية مطرح يشيدون بالإجراءات الحكومية بشأن الحد من انتشار فيروس كورونا (كوفيد19)، 6 / 4 / 2020م، الرابط:

https://omannews.gov.om/Arabic_NewsDescription/ArtMID/437/ArticleID/11215

تاريخ التصفح: 22 / 7 / 2020م.

(3) ولاية مسقط: تشمل: البستان والحصة والخيران والسيفة وقتب وحرامل ویتی وسداب وينكت وريام وحلة المدبغة وحلة النعم وحلتي الدلائيل والبصرة وحلة الراوية وحلة الشيخ وحلة المدرسة وحلة الزعفرانية وحلة كليوه وحلة ميايين.

والصرف الصحي وغيرها)⁽¹⁾.

كما صاحب هذا القرار (غلق محافظة مسقط، فلا يسمح بدخول أو خروج الأفراد من محافظة مسقط، عدا سيارات الطوارئ والسيارات التمويلية والموظفين من داخل المحافظة، حيث تسعى جميع هذه القرارات إلى منع تفشي فيروس كورونا)⁽²⁾، ونظرًا لظهور مجموعة من المفاهيم الجديدة التي أنتجتها الجائحة للمجتمع؛ واجه البعض إشكالية في التمييز بين مفهومين: العزل الصحي التام لولاية مسقط، وغلق المحافظة، ففي المفهوم الأول قيدت حركة الناس داخل ولاية مسقط، بينما في المفهوم الثاني تأخذ حركتهم طابع شرطي، وهو الحركة في حالة الرغبة لتلبية الاحتياجات الأسرية الضرورية في حدود المحافظة فقط⁽³⁾.

(1) عمان تواجه كورونا [OmanVSCovid19]، عزل صحي تام لولاية مسقط، تويتر، 10/4/2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1248484179072827392?s=20>

تاريخ التصفح: 23/7/2020م.

(2) صحيفة أثير الإلكترونية، توضيح حول قرار إغلاق مسقط، 8/4/2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/> تاريخ التصفح: 23/7/2020م.

(3) بيلسان، @bailssan1997، كيف يعني الحين ولاية مسقط اللي معزولة أو محافظة مسقط كامل، تويتر، 10/4/2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/bailssan1997/status/1248487305469284354?s=20>

تاريخ التصفح: 23/7/2020م.

وقد رُفِع الإغلاق الصحي عن محافظة مسقط في: 27 مايو 2020م⁽¹⁾، وعلى الرغم من جميع القرارات والإجراءات الوقائية المبذولة من قبل الجهات المعنية إلا أن البيانات الإحصائية تشير إلى سرعة انتشار فيروس كوفيد19 على المستوى العام في السلطنة، وبناءً عليه اتخذت قرارات حازمة بالإغلاق التام بين محافظات السلطنة في 25 / 7 / 2020م، ويعني ذلك غلق جميع نقاط العبور بين جميع المحافظات، ويشمل الطرق الرئيسية والفرعية ما بين المحافظات، ولا توجد أي مبررات أو استثناءات للناس بالتنقل بين المحافظات، كما صاحب هذا القرار منع الحركة أو التنقل بالأقدام، أو بأي وسيلة نقل، وإغلاق الأماكن العامة والمحلات التجارية، من الساعة السابعة مساءً حتى الساعة السادسة صباحًا، ويستمر تنفيذ القرار حتى 8 أغسطس 2020م⁽²⁾.

ويرى البعض أن مثل هذه القرارات الحازمة كانت بحاجة إلى إصدارها منذ بداية ظهور الجائحة في السلطنة، كما أن منع الحركة 24 ساعة ولمدة أسبوعين هو الحل الأفضل، في ظل ارتفاع أعداد الإصابة بالفيروس، الذي قد

(1) صحيفة الشبيبة الإلكترونية، اللجنة العليا تصدر قرارات جديدة: 29 مايو رفع الإغلاق الصحي عن محافظة مسقط، 27 / 5 / 2020م، الرابط:

<https://www.shabiba.com/article/246165>، تاريخ التصفح: 23 / 7 / 2020م.

(2) عمان تواجه كورونا [OmanVSCovid19]، الإغلاق التام يعني ألا نوجد أي مبررات أو استثناءات للتنقل بين المحافظات، تويتر، 23 / 7 / 2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1286217128455155712?s=20>

تاريخ التصفح: 23 / 7 / 2020م.

يثقل المنظومة الصحية، ويضعف البنية المجتمعية العُمانية على المدى البعيد⁽¹⁾.

- إغلاق صحي لمحافظة ظفار ومناطق سياحية أخرى:

كان إغلاق محافظة ظفار والمناطق السياحية في السلطنة رغبة مجتمعية، قبل أن تتحوّل إلى قرار رسمي صادر من اللجنة العليا، حيث نشط العُمانيون في وسائل التواصل الاجتماعي بمطالبات غلق المناطق السياحية، التي تستقبل الزوار سنويًا، ومن أبرز هذه المطالبات إغلاق محافظة ظفار، ويعود ذلك إلى موسم خريف صلالة السياحي، الذي استقبل في العام الفائت 2019م ما يقارب 766.772 زائرًا من مختلف الدول، وذلك بهدف الترفيه والترويح⁽²⁾. واستجابةً لهذه المطالبات المجتمعية أقرت اللجنة إغلاق محافظة ظفار، والمناطق السياحية المعروفة في السلطنة كالجبل الأخضر وجبل شمس وولاية مصيرة، كما منعت

(1) عمان تواجه كورونا [OmanVSCovid19]، توضيح قرار اللجنة العليا حول الإغلاق التام بين المحافظات ومنع الحركة، خلال الفترة 25 يوليو إلى 8 أغسطس 2020م، تويتر، 22 / 7 / 2020م، الرابط:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1285904671459205123?s=20>

تاريخ التصفح: 23 / 7 / 2020م.

(2) المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، نتائج موسم صلالة السياحي 2019م، سلطنة عمان، 2020م، الرابط:

[https://www.ncsi.gov.om/Elibrary/LibraryContentDoc/bar_2019_185f6a1f-](https://www.ncsi.gov.om/Elibrary/LibraryContentDoc/bar_2019_185f6a1f-d742-45ae-a8da-a7588562a9c6.pdf)

[d742-45ae-a8da-a7588562a9c6.pdf](https://www.ncsi.gov.om/Elibrary/LibraryContentDoc/bar_2019_185f6a1f-d742-45ae-a8da-a7588562a9c6.pdf)، تاريخ التصفح: 23 / 7 / 2020م.

التجمعات السياحية وممارسة أنشطتها، وذلك في 13 يونيو 2020م⁽¹⁾.
 وصاحب هذه القرار مجموعة من الإجراءات الاحترازية في بعض المناطق
 السياحية، كإيقاف منح تصاريح إقامة المخيمات لخريف صلالة 2020م،
 حيث يعد استقبال الزوار خلال هذه الفترة مخاطرة كبيرة، وإجراءات التباعد
 الجسدي قد لا تكون مجددة، بحسبما أشار إليه رئيس بلدية ظفار خلال
 المؤتمر الصحفي العاشر للجنة العليا⁽²⁾.

والجدير بالتأمل حول السياق السابق أن نطرح هذا التساؤل: هل تدخل
 الدولة لتطبيق سياسات التباعد الاجتماعي كان مبكراً أم متأخراً، لاحتواء
 فيروس كوفيد19 في المجتمع؟ علمًا أن نظم المحاكاة الرياضية للجائحة؛
 أشارت إلى أن الدول التي طبقت سياسات التباعد الاجتماعي بعد 20 يومًا من
 ظهور الفيروس في المجتمع ساعدت على خفض حالات الإصابة والوفيات،
 وحافظت على المنظومة الصحية للدول؛ مثل: الصين وكوريا الجنوبية وتايوان
 وسنغافورة، بينما الدول التي تأخرت في تطبيق هذه السياسة ارتفعت حالات
 الوفيات فيها، كما أثر ذلك على المنظومة الصحية للدول مثل: الولايات
 المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا.

(1) صحيفة الشبيبة الإلكترونية، اللجنة العليا تصدر عددًا من القرارات منها: إغلاق ظفار
 والجبل الأخضر، 9/ 6/ 2020م، الرابط: <https://www.shabiba.com/>، تاريخ التصفح:
 23/ 7/ 2020م.

(2) الغساني، قرار غلق ظفار للتحكم في انتشار المرض خلال موسم الخريف، بوابة
 الأخبار، 11/ 6/ 2020م، الرابط: <https://bawabaa.org/news/362573>، تاريخ التصفح:
 23/ 7/ 2020م.

• ثانيًا: المجتمع بكونه شريكًا في مواجهة الجائحة

لقد ساعدت القرارات والإجراءات الرسمية الحكومية لمواجهة جائحة كورونا (كوفيد19) في تغيير النمط العام لطبيعة العلاقة بين المواطنين العُمانيين والحكومة، حيث ساهم التفاعل المباشر وغير المباشر في رفع مستوى الثقة بالسياسات والقرارات المتخذة إزاء فيروس كوفيد19، كما تبلور فضاء تفاعلي نشط لتداول أبرز المسائل والمواضيع المرتبطة بالجائحة، وقد أكد استطلاع المركز الوطني للإحصاء والمعلومات (2020) على أن 95٪ من العُمانيين راضون عن القرارات الرسمية المتخذة للحد من انتشار الوباء⁽¹⁾، ويمكن أن نفسر هذا النتيجة من خلال تفعيل القائمين على إدارة الجائحة مجموعة من الأدوات أبرزها:

1. المؤتمر الصحفي للجنة العليا:

هو لقاء بين المسؤولين في الحكومة العُمانية والصحفيين من مختلف المؤسسات الإعلامية العامة والخاصة؛ المرئية وغير المرئية، يستعرض فيه البيانات الإحصائية حول فيروس كوفيد19 من مصادرها الموثوقة، ويقدم بعض الممارسات المجتمعية للوقوف على آثارها المترتبة على المجتمع في ظل الجائحة، كما يفتح المجال لطرح مجموعة من التساؤلات التي تشغل الرأي العام العُماني، ويختتم المؤتمر بإصدار حزمة من القرارات المعنية بمكافحة كوفيد19 في السلطنة، علمًا أن أول انطلاق للمؤتمر الصحفي كان «عن بُعد»، بتاريخ 2 أبريل 2020م.

(1) المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، مرجع سابق.

2. منصة عُمان تواجه كوفيد19:

حساب رسمي موحد لمركز التواصل الحكومي بالأمانة العامة لمجلس الوزراء، أُنشئ في منصات التواصل الاجتماعي لإبراز جهود السلطنة في مواجهة جائحة كوفيد19 وتوعية المجتمع⁽¹⁾، وعلى الرغم من سياسة الحساب في عدم التفاعل المباشر مع المتابعين إلا أنه يدرس جميع التساؤلات والاستفسارات المرتبطة بفيروس كوفيد19، ويعمل على تحويلها إلى الجهات المختصة لمتابعتها واتخاذ القرارات والإجراءات اللازمة⁽²⁾.

تعمل المنصة على نشر البيانات والإحصائيات اليومية حول الفيروس بشفافية، واستعراض مخرجات اجتماعات اللجنة العليا، وإبراز القرارات المتخذة لمكافحة الوباء، كما تتصدى لشائعات المجتمعية المتداولة في منصات التواصل الاجتماعي، وتسعى إلى توعية المجتمع بالممارسات الصحية للوقاية من العدوى وانتقال الفيروس، واعتمدت المنصة في مخاطبة الجمهور المتابع على (أكثر من تسع لهجات ولغات عالمية: الشحرية والبلوشية والمهرية والسواحيلية والإنجليزية والبنجالية والأوردو والفلبينية

(1) التواصل الحكومي [OmanVSCovid19@]، عُمان تواجه كورونا، تويتر، 2020م، رابط التغريدة:

https://twitter.com/OmanVSCovid19?ref_src=twsrc%5Egoogle%7Ctwcamp%5Eserp%7Ctwgr%5Eauthor، تاريخ التصفح: 14 / 7 / 2020م.

(2) التواصل الحكومي، سياسة التفاعل عبر منصات التواصل الاجتماعي، 2017م، الرابط: <https://omangc.info/>، تاريخ التصفح: 14 / 7 / 2020م.

والسير لانكية⁽¹⁾، كما قدمت المنصة النشرات الإخبارية حول مستجدات الفيروس بلغة الإشارة لذوي الاحتياجات الخاصة، مراعية التنوع الثقافي والمستوى التعليمي بين أفراد المجتمع العماني⁽²⁾.

3. التطبيق الإلكتروني «ترصد بلس»:

تطبيقُ إلكتروني يعرف بترصد بلس (+Tarassud) أطلقته وزارة الصحة، حيث يعمل على تقديم تصوّر متكامل حول الوضع العام لانتشار جائحة كوفيد19 في عُمان ودول الخليج ودول العالم، أضف إلى ذلك أنه يوفر خارطة تفاعلية لانتشار الجائحة⁽³⁾، وتم تطوير هذا التطبيق بإدخال خاصية تشخيص ومتابعة وتعقب المصابين بفيروس كورونا (كوفيد19) والمعزولين، وهو أشبه

(1) التواصل الحكومي، [@OmanVSCovid19]، عُمان تواجه كورونا، تويتر، 10/4/2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1248655846655119360?s=20>

تاريخ التصفح: 14/7/2020م.

(2) التواصل الحكومي، [@OmanVSCovid19]، عمان تواجه كورونا، تويتر، 2/4/2020م، رابط التغريدة:

<https://twitter.com/OmanVSCovid19/status/1245715769465483265?s=20>

تاريخ التصفح: 14/7/2020م.

(3) وزارة الصحة، وزارة الصحة تطلق تطبيق ترصد على منصة متجر أبيل، 19/3/2020م، الرابط:

https://www.moh.gov.om/ar/media-center-display-page/-/asset_publisher/NmYvyVmbbJDi/content/-tarassud-/pop_up?_101_INSTANCE_NmYvyVmbbJDi_viewMode=print

تاريخ التصفح: 14/7/2020م.

بالمراقبة الصحية الإلكترونية «عن بُعد»⁽¹⁾. مع وجود بعض وجهات النظر المتحفظة في المجتمع حول مسألة تقليص خصوصية وحرية الناس، التي قد تهدد حركتهم وتنقلهم مستقبلاً بشكل ما.

إن إدارة جائحة كوفيد19 في عُمان استندت بشكل ملحوظ على وسائل التواصل الحديثة وتطبيقاتها، للوصول إلى شريحة كبيرة من المجتمع، وقد ساعدت الوسائل المذكورة في هذا المحور في احتواء انتشار الفيروس بتعزيز قنوات الاتصال والتواصل بين الدولة والمجتمع لمواجهة الجائحة، والتي اتسمت بالشفافية في الإفصاح عن البيانات والمعلومات المتعلقة بالأوضاع الصحية المستجدة من مصادرها الرسمية، كما ساهمت في بناء علاقة تفاعلية شكلت من خلالها التصورات المجتمعية العامة تجاه الجائحة، مما أتاح للدولة القدرة على التعامل مع المجتمع، للتقليل من الآثار المترتبة، ومحاولة الخروج من الجائحة بأقل خسائر ممكنة. وبالإضافة إلى الأدوات المذكورة آنفاً؛ فهناك عوامل أخرى قد عززت القرارات والإجراءات الرسمية الحكومية لمواجهة الجائحة في المجتمع، ويمكن تلخيصها وتصنيفها على النحو الآتي:

أ- عوامل مرتبطة بالحكومة العُمانية:

- صدور مراسيم سلطانية بالتوازي مع القرارات المتخذة من اللجنة العليا لمواجهة كوفيد19، وانصبت في مصلحة المجتمع العامة، مما دعم

(1) صحيفة عُمان الإلكترونية، اللجنة العليا تدشن منصة ترصد بلس لتشخيص ومتابعة المصابين، 20/4/2020م، الرابط: <https://www.omandaily.om/?p=784198>، تاريخ التصفح: 14/7/2020م.

- وساند بصورة غير مباشرة لتقبلها المجتمع لقرارات وامثالها.
 - طرح اللجنة العليا سيناريوهات محتملة للجائحة في حالة التزام المجتمع بالقرارات، وسيناريوهات أخرى في المقابل في حالة عدم التزام المجتمع والآثار المترتبة عليها.
 - خصائص القرارات التي اتخذت لسياسة التباعد الاجتماعي، التي تتسم بالتدرج والمرونة وبساطة اللغة، مما عزز مساحة قبول المجتمع لها.
 - وضوح فاعلية دور الإدارة الصحية بوزارة الصحة لجائحة كوفيد19 من مؤسسات حكومية، خاصة والكوادر الطبية العاملة.
- ب- عوامل مرتبطة بالمجتمع العماني:

- ثقة المجتمع بالقرارات والإجراءات الرسمية المتخذة من قِبَل الحكومة ما قبل الجائحة وأثناء ظهور الجائحة محلياً.
- مشاركة المجتمع في إدارة جائحة كوفيد19، وصياغة بعض القرارات الرسمية بشكل مباشر وغير مباشر، الصادرة من اللجنة العليا المكلفة بالبحث عن آلية التعامل مع فيروس كورونا (كوفيد19).
- استيعاب المجتمع مدى خطورة الجائحة والآثار المترتبة في حالة الخروج عن تطبيق القرارات والإجراءات الوقائية المتخذة.

• ثالثاً: ما بعدية مجتمع الجائحة

إن مناقشة مسألة الحياة الاجتماعية المستقبلية ما بعد جائحة كوفيد19 تدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات المفتوحة، وتوقع سيناريوهات

معاكسة ومتناقضة، كمحاولة للفهم واستيعاب ما هو قادم:

- هل ستعود الحياة إلى طبيعتها أم ستغير الجائحة ملامح الحياة العامة للمجتمعات؟

- هل يستطيع الإنسان تجاوز الآثار المترتبة على سياسة التباعد الاجتماعي في المستقبل، التي غيرت شكل العلاقات ودرجة التماسك والاندماج بين أفراد المجتمع؟

- هل ستتج الجائحة فرصاً وإمكانات لإعادة إنتاج أشكال جديدة للحياة اليومية وأنماط التفاعلات والتجمعات أم أنها ستخلق تهديداً لها؟

- هل ستعمل الحكومات على إعادة تقييم ونقد إدارتها وترتيب أولوياتها، وفق الرؤى المستقبلية وما قدمته الجائحة من دروس مستفادة، أم أنها ستستمر على ما هي عليه ما قبل الجائحة؟

وعطفاً على ما طرح من تساؤلات في هذا السياق، يرى ابن خلدون أن تغيير المجتمعات (لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة، فأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال حال إلى حال)⁽¹⁾، (وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم

(1) حسن؛ سمير إبراهيم، تمهيد في علم الاجتماع، ط. 1، عُمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م.

بأسره، وكأنه خلق جديد، ونشأة مستأنفة، وعالم محدث⁽¹⁾. ومن منطلق رؤية ابن خلدون هذه، فإن الحياة الاجتماعية ما بعد الجائحة ليست كما هي قبلها تمامًا، فقد تبرز ملامح جديدة أو تتبدل ملامح أخرى، وتتغير كأثر قصير أو طويل المدى، وذلك بحسب الفترة التي ستستغرقها الجائحة وآلية إدارتها في المجتمعات عمومًا والمجتمع العماني خاصة. وبناءً عليه، سيحاول هذا المحور تقديم تصوّر لما بعد مجتمع الجائحة على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، وفق السيناريوهات⁽²⁾ الآتية:

- سيناريو الفرص والإمكانيات

هو تصوّر مستقبلي محتمل لتحوّلات المجتمع ما بعد جائحة فيروس كوفيد19، يقوم على فرضية (أن جائحة كورونا ستوجد مجموعة من الفرص والإمكانيات لتحسين الحياة الاجتماعية العامة في أربعة مستويات، وهي: الفرد والأسرة، والمجتمع، والدولة. وعليه، يتم استثمار الفرص وفق الإمكانيات والوسائل المتاحة لكل مجتمع، فقد نقلت جائحة كوفيد19 المجتمعات نقلة نوعية إلزامية فيما يرتبط بطبيعة الحياة الاجتماعية وتفاعلاتها وأنماطها وأشكالها، وهذا يدفع أفرادها إلى رؤية العالم الاجتماعي من منظور مستحدث ومختلف، يتماشى بالتوازي مع متطلبات المرحلة القادمة،

(1) بن لحسن؛ بدران، فيروس كورونا: تحولات وتحديات وفرص.. مقارنة فكرية، ط. 1، منشورات جمعية النبراس للثقافة والتنمية بوجدة، 2020م.

(2) World Economic Forum. (2020, May). Challenges and Opportunities in the Post-COVID-19 world (Insight Report). P:1-54. <https://www.weforum.org/>

والتغيرات التي طرأت عليها لاستعادة استقرار البنية المجتمعية وازدواجها واستمرارية الحياة كما يجب أن تكون، وعليه يمكن استعراض أربعة مستويات عامة ممكنة حول ما بعدية مجتمع الجائحة⁽¹⁾، وهي على النحو الآتي:

أ- **المستوى الأول (الفرد):** يعود فيها الفرد إلى إنسانيته وذاته، مستردًا شعوره بالاتزان النفسي والاجتماعي والروحاني والجسدي، ومتخطيًا لآلام الفقد وابتعاده عن حرجاء الجائحة، أضف إلى ذلك استعادة ثقته الاجتماعية بالآخرين، كما يرافق المابعدية الفردية تغييرات في السلوكيات والعادات اليومية، فيما يرتبط بالنظافة الشخصية وممارسة الرياضة اليومية والأكل الصحي، وينظر الفرد للوجود الاجتماعي كواقع حتمي وضرورة إنسانية لا يمكن إنكارها، وبناءً عليه يتعزز وجود الفرد في المجتمع أكثر، بالتواصل والتفاعل بالوسائل المباشرة وغير المباشرة مع المحيط الخارجي، بحيث إن الفرد يؤثر ويتأثر بالمحيط في علاقة تفاعلية متبادلة.

ب- **المستوى الثاني (الأسرة):** يُنظر إلى الأسرة كأساس للبناء الاجتماعي الباقي والدائم بعد غياب وتلاشي أشكال التجمعات الأخرى، في

(1) الغنامي؛ عبدالقادر، سيناريوهات المستقبل التربوي: الاستطلاع أم الاستهداف، الإمكانية أم الاحتمال؟ فيسوك، 24 / 10 / 2020م، الرابط:

<https://fr-fr.facebook.com/groups/mostaqbalat/permalink/274094302985219/>

تاريخ التصفح: 29 / 7 / 2020م.

ضوء تطبيق سياسة التباعد الاجتماعي، وبناءً عليه يرتفع تقدير ومكانة الأسرة باعتبارها اللبنة الأساسية في المجتمع، ولحمايتها والحفاظ على كينونتها يتم تقديم البرامج والأنشطة والخدمات الداعمة للنسيج الأسري وترابطه.

ج- المستوى الثالث (المجتمع): يُعيد المجتمع ترتيب بعض المفاهيم الاجتماعية بحسب أهميتها وأولويتها في التلاحم الاجتماعي، ومن الأمثلة عليها: التضامن الاجتماعي والتعايش المجتمعي والمسؤولية الاجتماعية والثقة الاجتماعية، ويتعزز حضور المجتمع كشريك أساسي مع الدولة في صياغة القرارات الرسمية وحق تقرير المصير المشترك، وتستمر أنماط التفاعلات الاجتماعية بصورتها الحديثة كإقامة المناسبات الاجتماعية افتراضياً، كما يشغل الترفيه عبر الإنترنت حيزاً من اهتمام المجتمع نتيجة التقدم التكنولوجي والتقني، مع اكتساب عادات جديدة في استعمال التكنولوجيا، يصاحبها تراجع في الأمية الرقمية كأحد المتطلبات الضرورية للانتقال إلى المرحلة المستقبلية.

د- المستوى الرابع (الدولة): يستحوذ مفهوم العقد الاجتماعي اهتمام الدولة، فيعاد النظر إلى طبيعة علاقة الدولة بأفراد المجتمع، مستحدثة مجموعة من الحقوق والواجبات المرتبطة بمواجهة الأزمات المجتمعية ما بعد جائحة كورونا (كوفيد19)، كما تولي الدولة عناية كاملة لاستراتيجيات الاكتفاء الذاتي بالاعتماد على

الإنتاج المحلي ما بعد الجائحة، وتلبية احتياجات المجتمع كافة من الداخل إلى الداخل، أضف إلى ذلك الالتفات إلى المواضيع المجتمعية التي استخرجتها الجائحة من عمق المجتمع، لتطفو على سطح الحياة الاجتماعية العامة مثل: توفير الحماية الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية وشبكة الأمان الاجتماعية، وذلك بتقديم الدعم والمساعدة للفئات الأكثر تضرراً من الجائحة، مع توفير حياة كريمة مستدامة وعادلة لجميع الفئات دون تمييز نوعي أو طبقي.

- سيناريو المخاطر والتحديات

هو وصف مستقبلي محتمل لتحويلات المجتمع ما بعد جائحة فيروس كوفيد19 معاكس للسيناريو السابق، مستنداً على فرضية (أن جائحة كورونا ستنتج مجموعة من المخاطر القادمة في المجتمعات، مما سيؤدي إلى صناعة واقع اجتماعي يهدد الحياة الاجتماعية العامة بأشكالها، على نطاق أربعة مستويات: الفرد والأسرة والمجتمع والدولة)، وبناءً عليه يمكن توضيح المستويات الممكنة ما بعدية مجتمع الجائحة على النحو الآتي:

أ- المستوى الأول (الفرد): يعيش الفرد في حالة من العزلة الاجتماعية نتيجة الآثار المترتبة من الجائحة، تعكسها مجموعة من المؤشرات كالشعور بالضيق والتشتت والارتباك الذاتي، بسبب تأثر أحد الجوانب النفسية أو الاجتماعية، ويؤدي إلى تشكيل شخصية ذات نزعة فردانية غير قادرة على التعايش مع المجتمع المحيط، يرافقها الكثير من الشك والريبة من الآخر، مصحوبة بعلاقات اجتماعية متذبذبة ومتوترة وغير

مستقرة.

ب- المستوى الثاني (الأسرة): ضعف بنية الأسرة بسبب القرارات المعززة لسياسة التباعد الاجتماعي، التي قد تؤثر بشكل غير مباشر على تفاعلات الأسرة وعلاقاتها، صانعة مجموعة من التوتر والضغوط الداخلية، التي قد تزعزع الاستقرار الأسري، مما يؤدي إلى ارتفاع معدل الطلاق والانفصال، مصحوبًا بغياب البرامج والأنشطة والخدمات الأسرية الإصلاحية أو الاستشارية داخل المجتمع.

ج- المستوى الثالث (المجتمع): يتبنى المجتمع مجموعة من المفاهيم التي تزعزع استقرار البناء الاجتماعي وقيمه، على سبيل المثال: الاغتراب الاجتماعي والصراع بين أفراد المجتمع وطبقاتها والوصمة الاجتماعية، مع غياب المشاركة المجتمعية في اتخاذ القرارات المستقبلية الخاصة بالشأن العام، والاعتماد على القرارات ذات الاتجاه الواحد، التي يتم اتخاذها من قمة الهرم، مع إلزام تطبيق المجتمع لها.

د- المستوى الرابع (الدولة): اعتماد الدولة على الإنتاج الخارجي في تلبية احتياجاتها المحلية بعد فتح الحدود الجغرافية بين الدول البرية والبحرية والجوية، دون أخذ الاكتفاء الذاتي بعين الاعتبار، وتوسع شكل هيمنة الدولة على المجتمع، وتهميش بعض الفئات الاجتماعية في ظل غياب سياسات التمكين لبناء القدرات، وتضليل الوعي المجتمعي لحقوق الفئات المتضررة مع صعوبة الوصول إليها.

المحور الإعلامي

المعالجة الإعلامية لوباء كورونا (كوفيد19) (1)

أ. سمية اليعقوبية

باحثة وإعلامية

• تقديم

يتنظر العالم اليوم بمزيد من الحذر والتعقيد أخبار اعتماد لقاح فعلي لمرض كورونا (كوفيد19)، الذي عصفت آثاره بجميع الدول منذ ديسمبر 2019م، حيث باتت هذه الأزمة الصحية الشائكة تلقي بثقلها على العالم أجمع، بفعل الانتشار السريع لهذا الفيروس، ووصول الإصابات إلى أرقام مليونية، مقارنة أعداد ضحايا الأوبئة الأكثر فتكًا بالبشرية، وأصبح ضروريًا على جميع الدول تفعيل قدراتها واستعدادها اللازم لمواجهة التأثيرات الصحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناشئة من هذه الأزمة المستعصية.

منذ فبراير 2020م أوضحت السلطنة أن جهودها ستكون تصاعدية على مستويات عدة، بينها الإجراءات الصحية المتبعة والنشاطات الاقتصادية

(1) المحور يدرس المعالجة الإعلامية منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى أغسطس 2020م.

العامة، وبين هذه المجالات اتضح الدور الذي يمكن أن يؤديه الإعلام والاتصال المتعلق بهذه الأزمة في إعادة رسم الاتجاهات المعرفية والذهنية والسلوكية للأشخاص، عبر بث رسائل التوعية والاستعانة بقوة وسائل الإعلام كوسيلة حقيقية للتأثير السلوكي والمعرفي، وشبكات التواصل الاجتماعي كمضخات معرفية وقيمة لصيقة بالإنسان والتعبير والتفاعل المستمرين.

في 22 فبراير 2020م أعلنت وزارة الصحة⁽¹⁾ عن دعوة سريعة لمواجهة الوباء، بناءً على معطيات التصنيف المجدول لـ«قانون الأمراض المعدية» بالسلطنة، وهي دعوة أتت بعد قرابة شهرين من أول موعد لمراقبة الوضع العالمي لانتشار الوباء الذي حمل الرقم (6)، في الوقت الذي أعلنت فيه الصين عن بداية تفشي الوباء في مدينة ووهان بتاريخ 31 ديسمبر 2019م.

سنرى كيف أن هذه الفواصل الزمنية المتعددة قد يجدها القارئ عابرة بعد مرور أكثر من نصف عام من بدء انتشار الوباء وتحوله لحالة النقل المجتمعي، لكنها مدد فارقة في المعالجة العامة المحتملة للوباء؛ إذ كان لزاماً على صانع القرار توجيه الأجهزة الأمنية والعسكرية والصحية والإعلامية والتعليمية والثقافية لمواجهة مرض قاتل، يستهدف البلاد بأششطتها العامة كافة، مثيراً الرعب والقلق وتردي الحالة الصحية والاقتصادية على نحو بالغ الخطورة،

(1) وزارة الصحة، بيان رقم (6) حول فاشية فيروس كورونا المستجد، 22 / 2 / 2020م،

الرابط: <https://www.moh.gov.om/ar/-/1222>

وأن أي تأخر أو خطأ غير مقصود إزاء فرضية انتشار هذا الوباء أو التهاون بشأنه مجتمعياً ستكون له آثاره المدمرة لصحة الفرد والمجتمع.

وهذا الشكل، تكون للسرديات والمعالجات التي فرضتها وسائل الإعلام وفق التسلسل الزمني من عمر الوباء، ثم القضايا التي رافقت هذه السردية والظواهر المختلفة التي انعكست على ممارسات وسائل الإعلام، دور مهم في تشكيل الوعي العام، وتصعيد قضايا محددة وطمس قضايا أخرى، وبالتالي تحديد ملامح الحالة الوبائية المحلية بصورة أساسية، ومستوى تأثر الناس بها وتأثيرهم فيها على نحو معاكس. في هذه القراءة في الحالة المحلية الإعلامية لا يمكن الادعاء أننا بصدد تقديم ما هو علمي ومنهجي صارم وحاسم للموقف الإعلامي المحلي في رهن تأثرنا الفعلي بتبعات هذا الوباء، فهناك صعوبات مستمرة في رصد الظاهرة الإعلامية، لا سيما في ظل استمرارها وتأثيرها المباشر، عوضاً عن أن التحليل المنهجي للظواهر الإعلامية، بصرف النظر عن رهنها ووفق منهجية كاشفة ومطلقة يعد أمراً شائكاً، شأنه في ذلك شأن التحديات والقضايا الإنسانية الأخرى المختلفة. لكن هذه القراءة هي محاولة لتشكيل عرض توثيقي محاط ببعض الأطر النظرية الإعلامية، ثم تقديم بعض المقترحات التي يمكنها أن تساهم في إعادة التوازن لهذه الحالة الهامة في تشكيل الوعي العمومي إزاء الأوبئة وتأثيراتها الشاملة.

• أولاً: التغطية الإعلامية ومعالجات أزمة كوفيد19

- مساهمات الإعلام الحكومي في متابعة مستجدات الأزمة

جرى تشكيل الخلية الإعلامية التابعة إلى اللجنة العليا لمتابعة مستجدات وتطورات كورونا (كوفيد19)، والتي كلفت ببحث آلية التعامل الاتصالي والإعلامي والصحفي مع التطورات الناتجة عن انتشار الوباء تزامناً مع وصوله لمرحلة الانتقال المجتمعي، مما أدى بدوره إلى التأخر في إعداد المواد الإعلامية والتوعية اللازمة⁽¹⁾، وبناء النموذج الاتصالي الذي يجمع قطاعات الدولة بعضها ببعض. ومع ذلك، قدمت شبكات التواصل الاجتماعي الكثير من الخدمات التي مكنت المؤسسات والأفراد النشطين في الأزمة لنشر التوعية اللازمة قبيل اعتماد الاستراتيجية الإعلامية⁽²⁾، مما يمثل خطوة سريعة لتدارك مخاطر التأخير في الاتصال بالجمهور المستهدف.

في منتصف مارس 2020م، بعد أيام من قرار توقف نشاط حركة المطارات في السلطنة، وهو أحد القرارات الأولية المتخذة لمواجهة الوباء، أعلن المرسوم السلطاني باعتماد اللجنة العليا المتصلة بمتابعة مستجدات انتشار الفيروس، والمكونة من وزراء ورؤساء وحدات حكومية في السلطنة، وحينها أعلن مركز اتصال الخدمات الحكومية التابع للأمانة العامة لمجلس الوزراء

(1) الكلبانية؛ فايذة، كورونا يفاقم مشكلات الصحف ويخلق أزمة وجودية، والعاملون يناشدون دعم صناعة الوعي الوطني، جريدة الرؤية، الرابط:

<https://alroya.om/p/258901>، تاريخ التصفح: 20/5/2020م، تاريخ النشر: 25/3/2020م.

(2) الخايفي؛ سيف، صناعة الوعي.. البيئة الخلاقة لتحصين المجتمع، جريدة عمان، 31/3/2020م، الرابط: <https://www.omandaily.om/?p=778703>.

والموقع الرسمي لوزارة الإعلام عن تأسيس حسابات اتصالية معنية بمتابعة تطورات الأزمة وإدارتها، حملت عنوان «عمان تواجه كورونا»، تنتمي هذه الحسابات لمركز اتصال الخدمات الحكومية، وهو تكوين هيكلي تابع للأمانة العامة لمجلس الوزراء بإدارة متخصصين في التسويق والإعلام، أتوا من قطاعات حكومية مختلفة للعمل في هذا المركز، يترأسهم بدر الهنائي الذي قاد الهوية التجارية لمؤسسات كثيرة، بينها شركة الاتصالات الشهيرة «عمانتل»، قبل أن يتم اختياره لإدارة مركز اتصال الحكومة في خطوة مشابهة اتخذت من قبل عدد من البلدان الخليجية.

فرض الهنائي اتجاهاته نحو التعددية الرقمية البصرية في أعماله المنفذة لعدد من المؤسسات، وهو ما انعكس على إدارة هذا المركز للكثير من الأحداث الوطنية، بينها إدارة أزمات الأعاصير والأنواء المناخية، فيما هو أشبه بالترويج لعلامة تجارية جديدة. بصورة عامة، تلبى الرسائل الاتصالية التي يضعها المركز الحاجات البصرية المتعددة للجمهور، وتضع بعين الاعتبار أن تكون المنتجات البصرية منتجات فنية قائمة على الجودة في المونتاج والإخراج، وتقديم العناصر البصرية والحسية المتكاملة، متضمنة الصوت والصور الاحترافية الخارجة عن الإطار المعتاد ومقاطع الفيديو القصيرة والأصوات المدمجة، وغيرها، واستعمال اللغة الدارجة والعبارات المبتكرة، التي تستحوذ على اهتمام المتابع وتستهدف جذبه بطرق متعددة.

لهذا السبب، عمد حساب «عمان تواجه كورونا» إلى اللجوء لمجموعات من المتطوعين الفنيين من جهات حكومية وخاصة، والعاملين باحتراف في مجالات الترجمة والتصوير والإخراج الفني، لتلبية الاحتياجات البصرية الفنية

المستمرة، المتوافقة مع متطلبات الحساب المتعددة، حيث بدى واضحاً أن قيمة المحتوى تعكس جماليته وإتقانه، وتحرره من الصور النمطية التي عكستها الجهات الحكومية في التعاطي مع المستجدات والأحداث المختلفة السابقة.

ولكن ينبغي طرح تساؤل: إلى أي حد أظهر عمل هذا الحساب تغييراً كبيراً في مستويات المعالجة الإعلامية وتأثيراتها العامة على المتلقي؟

على مستوى القيمة الوظيفية للحساب، يمكن اعتبار القيم الإخبارية والتوعوية قيماً أساسية، تستدعي استغلال الشبكات الاجتماعية وقوة الإعلام الرقمي. تستدعي القيمة الإخبارية للمحتوى الرسمي الحكومي الاهتمام الكبير بإشعار الجمهور بالمستجدات الإحصائية اليومية المتصلة بحالات الإصابة والمنومين في المستشفى، ثم تم إظهار الأرقام المتصلة بالوفيات لاحقاً. مثلت الإحصائية اليومية أهمية كبيرة، إذ ظلت تحظى بمتابعة كبيرة بين العمانيين والمقيمين في السلطنة، وانعكست تأثيراتها على أشكال الخطاب اليومي السائد بشأن مآلات تزايد أعداد الإصابات بين الوافدين وإمكان التعامل مع الحالة المتفشية للوباء بين العاملين بالأجرة اليومية، وغيرها من النقاشات السائدة اجتماعياً.

استطاعت الإحصائية اليومية أن تحدث تغييراً في مستوى اهتمام الجمهور بالوباء، حيث أصبح انتظار نشرها في الساعات المتأخرة من ظهيرة كل يوم مساراً هاماً لمتابعة مستوى التغيير الذي يحدثه انتشار الفيروس في الولايات والمحافظات في السلطنة. ولقد انعكست هذه الإحصائية على مستوى تقبل كبير وتجاوب إيجابي هام بين المواطنين والمقيمين إزاء القرارات العامة التي

اتخذتها الحكومة لاحقاً. سمحت هذه الأرقام اليومية المتوالية في مد الفضاء الرقمي العمومي بمصطلحات وبائية جديدة، تفرض نفسها كلما مالت الحالة إلى الشدة والتأزم، كان من بينها مصطلح «الذروة» المشير إلى التأزم الحقيقي وارتفاع عدد الإصابات بصورة كبيرة. وبينما رأى الجمهور تأزم الحالة الصحية في بعض الدول الخليجية والعربية القريبة، حيث تجاوزت الإصابات 800 إصابة يومياً، مثلت الإحصائية الرقمية اليومية بعدد المصابين والحالات الجديدة التي انضمت لسجل المرض فرصة للتفكير في مستوى قابلية انتشار المرض في البلاد.

حظيت سلسلة التوعية بأفلام قصيرة لا تتعدى الدقيقة بعنوان «النتزم لأجلنا.. ولأجلهم»⁽¹⁾، التي نشرها حساب «عمان تواجه كورونا» اهتمام صانعي المحتوى ومستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي. توضح السلسلة التضحيات التي يقدمها العاملون في خطوط الدفاع الأولى كرجال الشرطة والأطباء لصالح البقاء في أعمالهم وتقديم الخدمات المختلفة. وكانت هذه السلسلة بين مجموعة كبيرة من وسائط التوعية التي نشرها الحساب للتحديث عن مخاطر الوباء. تزامنت جهود هذا الحساب مع جهود أخرى لمجلس

(1) كيف يقضي أفراد الخط الأمامي يومهم في مواجهة كورونا وكيف يختمونه؟ منصة تويتر «عمان تواجه كورونا»، تاريخ التصفح: 12/6/2020م،

<https://twitter.com/omanvscovid19/status/1246136852140220416?lang=ar>

تاريخ النشر: 3/4/2020م.

الصحة لدول مجلس التعاون⁽¹⁾ الذي يعمل لخدمة دول المجلس كافة، والذي نشر سلسلة توعية مرئية بعنوان «كورونا يتكلم» عبر منصات مختلفة، تجسد الفيروس في شخصية تفاعلية تتحدث للجمهور، وتقدم جوانب صحية مختلفة، إضافة لدورها في الرد على الاستفسارات الشائعة بشأن أعراض الوباء ومخاطره.

- المؤتمر الصحفي لمتابعة مستجدات الوباء

في الأول من أبريل 2020م، أعلنت الحكومة عن ثاني خطواتها الاتصالية المعنية بإدارة الأزمة، عبر اعتماد المؤتمر الصحفي الدوري لأعضاء اللجنة العليا المكلفة ببحث ومتابعة مستجدات الوباء⁽²⁾، والذي أدى دوراً أساسياً في توجيه الخطاب الحكومي الرسمي، وإعادة رسم القرارات والخيارات المتاحة لدى اللجنة العليا إزاء الاستجابة لهذه الأزمة. شكل المؤتمر دوراً هاماً في تغيير الكثير من السياسات المتبعة، لا سيما الاتجاه نحو صرامة القرارات التي ينبغي اتباعها من جانب الحكومة، إزاء استمرار انتشار الفيروس لحالات تزيد عن ألف حالة يومياً. في منتصف ونهاية يونيو كان هناك العديد من المطالبات عبر

(1) الحلقة الأولى من سلسلة كورونا يتكلم، منصة تويتر «مجلس الصحة لدول مجلس التعاون»، تاريخ التصفح: 16 / 6 / 2020م،

https://twitter.com/ghc_gcc/status/1237460791885996033?lang=ar

تاريخ النشر: 10 / 3 / 2020م.

(2) الشبيدي؛ عاصم، تفاصيل أول مؤتمر صحفي للجنة العليا باستخدام تقنية التحدث «عن

بُعد»، تاريخ التصفح: 20 / 5 / 2020م، <https://www.omandaily.om/?p=779391>

تاريخ النشر: 2 / 4 / 2020م.

شبكات التواصل الاجتماعي، لا سيما منصة تويتر، للمضي باعتماد حظر التجول «منع التحرك وفق المفهوم الرسمي» وسيلةً أساسية لمنع انتشار الفيروس، ولقد ظلت هذه المطالبات مرتهنة إلى حد كبير بفاعلية المؤتمر الصحفي المرتقب حينها، الذي ظل بمثابة بوابة أساسية للإفصاح عن جملة من التغيرات والقرارات التي فرضت خلال الفترات المختلفة من انتشار الفيروس.

بالنسبة لبعض القراءات المحللة لواقع الخطاب الإعلامي⁽¹⁾ العماني في هذه الأزمنة؛ فإن اللغة السائدة في هذا المؤتمر صيغت لتعد قراراً نافذاً بشأن حسم اللجنة العليا للكثير من القضايا الشائكة المتصلة بالأزمة اقتصادياً وتنظيمياً وصحياً، حتى وإن تم الإفصاح عنها من قبل عضو غير دائم في اللجنة، إذ لظالما استضاف المؤتمر أعضاء غير دائمين في اللجنة المقررة بالمرسوم السلطاني. مع هذا كان لا بد من مراجعة مستمرة لقيمة اللغة الخطابية والتعبيرية التي استعملت كأسلوب يستدعي التأثير والترهيب تارة واجتذاب الاهتمام تارة أخرى.

سجل للحكومة العمانية محاولات نادرة في استعمال المؤتمرات الصحفية، كان بينها إعلان الموازنة العامة للدولة عام 2016م، بينما اتضح أن اعتماد المؤتمر الصحفي لفترات متلاحقة في ظل استمرار انتشار الوباء لأشهر طويلة يعد وسيلة ناجحة لتعزيز الجوانب المعلوماتية والاتجاهية لوسائل

(1) العويسي؛ رجب علي، هل عاد كورونا للواجهة من جديد، الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن العمانية، تاريخ النشر: 15 / 7 / 2020، <http://alwatan.com/details/390300>، تاريخ التصفح: 7 / 7 / 2020م.

الإعلام المختلفة. جرى الاستعانة بالمؤتمر الصحفي الدوري⁽¹⁾ لبث الكثير من رسائل التوعية والأخبار العامة، بينها استعداد السلطنة لمواجهة الفيروس، والمنحى الوبائي⁽²⁾ متضمناً: الإحصائيات المستمرة بشأن المصابين وحالات التعافي وحالات الوفاة وعدد المنومين في المستشفيات، إضافة لبيان مستوى الإجراءات الحكومية المقررة إزاء كل مرحلة من مراحل انتشار الفيروس في السلطنة. وقد سُمح للصحفيين حاضري هذا المؤتمر «عن بُعد» بالمساهمة بعدد محدد من الأسئلة، التي اتجهت لتبيان معلومات عامة حول الأداء الحكومي والمتابعة اللازمة من جانب المؤسسات ومستوى إنفاذ القرارات. وظهر وزير الصحة كشخصية محورية، تولت مسؤولية إدارة وتحديد ملامح الخطاب الإعلامي المستعمل في المؤتمر والإدلاء بالبيان الصحي الأولي بشأن الأزمة، ثم التحدث لوسائل الإعلام في القضايا العامة المتصلة بالأزمة، مستدعيًا الخطاب العلمي تارة، ثم الخطاب الداعم والمحفز⁽³⁾ لتبني

(1) مقتبسات من المؤتمر الصحفي لوزير الصحة الموقر، يوتيوب، 2020م،

<https://www.youtube.com/c/OmaniMOH/videos>، تاريخ التصفح: 12 أغسطس 2020م.

(2) استعمل هذا المصطلح على نحو موسع في العديد من التقارير الصحفية اللاحقة. على سبيل المثال انظر: الشيدي؛ عاصم: تفاصيل أول مؤتمر صحفي للجنة العليا باستخدام تقنية التحدث «عن بُعد»، تاريخ النشر: 2/4/2020م،

<https://www.omandaily.om/?p=779391>، تاريخ التصفح: 20/5/2020م.

(3) من النماذج على ذلك.. خطاب وزير الصحة عبر حساب جريدة الشيبية على يوتيوب بعنوان: لكل معركة جنود، تاريخ النشر: 5/6/2020م،

[youtube.com/watch?v=wTmhS8iaTNg](https://www.youtube.com/watch?v=wTmhS8iaTNg)، تاريخ التصفح: 18/7/2020م. وكلمة معالي الدكتور أحمد بن محمد السعيد في ختام المؤتمر الصحفي للجنة العليا عبر حساب

الإجراءات الصحية الاحترازية على نحو مجتمعي عام، فيما بدى مجازفة تستدعي الاهتمام والتحليل لأدوار يقوم بها وزير الصحة لأول مرة، وقد ساهمت بصورة كبيرة في تعزيز حضور المصدر الرسمي في عدد كبير من التغطيات الإعلامية والصحية. واستغل المؤتمر لتأصيل اتجاهات الحكومة في الكثير من القرارات المتخذة، بينها: عودة العمل في القطاعات المختلفة في الدولة، وإمكان الاستمرار بعمل الفحوصات للمقيمين الأجانب، وجاهزية المستشفيات الصحية المختلفة، وإغلاق بعض المرافق السياحية التي كان يتوقع نشاطها خلال الإجازات.

- مراحل التغطية الإعلامية والموضوعات المقدمة

تأثرت التغطية الصحفية والإعلامية بمستوى التحول في المنحنى الوبائي، وفرضت المؤسسات الرسمية التي وفرت المعلومات والبيانات بشأن هذا المنحنى نوعاً محدداً ومؤطراً من التغطيات الإعلامية. نحاول من خلال هذا العرض المبسط لمراحل التغطية الإعلامية؛ استيضاح الأساسيات التي صاغت كل مرحلة من مراحل التغطية بفضل استعانتها بالبيانات الصحية، وتوفير المعطيات المعلوماتية اللازمة لعمل وسائل الإعلام معتمدة على التحول في المنحنى الوبائي.

في لحظة إعلان أولى الحالات المصابة بهذا الفيروس في السلطنة؛ تشكلت

وزارة الصحة على يوتيوب بشأن ضرورة التعاون المجتمعي لدرء انتشار الوباء قبيل عيد الفطر المبارك، تاريخ النشر: 11 / 5 / 2020م،

تاريخ التصفح: 18 / 7 / 2020م، <https://www.youtube.com/watch?v=9yo7S6NbBwE>

المرحلة التعريفية المتصلة بالفيروس عبر وسائل الإعلام. فرضت هذه المرحلة الانتقال من الحالة المعتادة لتغطيات وسائل الإعلام؛ إلى حالة الإعلام المختص بالقضايا الصحية، أو ما يعرف بـ«الصحافة المختصة في الموضوعات الطبية». والتزمت وسائل الإعلام بتأكيد أهمية اتباع الممارسات الصحية بينها فلسفة التباعد الاجتماعي، التي تم تصعيدها على نحو محلي وعالمي.

ركزت التغطية الإعلامية على الإجراءات الحكومية المبكرة إزاء منع انتشار الفيروس، بينها: إغلاق المدارس والجامعات والمؤسسات الأكاديمية، وتأطير نطاق المسافرين المسموح بدخولهم للسلطنة. في هذه المرحلة التي استمرت شهرين (فبراير ومارس 2020م)، ظلت الصحافة والإعلام العماني متصلًا اتصالًا وثيقًا بالأداء الحكومي، وتصعيد هذا الأداء في وسائل الإعلام المختلفة، فيما بدى خطاب تعريف وتوعية بانتشار المرض.

تشكل هذه المرحلة الخلفية المعلوماتية التي جرى فيها تأصيل واعتماد عدد كبير من المصطلحات المتصلة بالوباء والمعايير الصحية المفروضة، التي سيتم توجيهها وتكرارها باستمرار عبر وسائل الإعلام، محددة بذلك مستوى الالتزام العام بمنع انتشار الوباء.

بعد هذه المرحلة تحققت للأجهزة الحكومية والمؤسسية الفرص المناسبة لإعادة بناء تنظيمها وهيكلتها الصحية، والاستعداد القانوني والتنظيمي الذي يستوجب التعامل مع انتشار الوباء، وفق اختصاصات المؤسسات المختلفة. اعتمدت القوانين التنظيمية بشأن العمل في المؤسسات ووجهت وسائل الإعلام الاهتمام بالتحويلات الطارئة في البيئة التنظيمية لمؤسسات الإعلام،

عبر ما عرف بثقافة العمل «عن بُعد» أو ثقافة العمل من المنازل. اهتمت وسائل الإعلام بمتابعة الوضع الصحي الوبائي مع المزيد من التركيز على النشاط المؤسسي العام. وخلال المرحتين السابقتين كانت التغطيات الإعلامية غير متصلة اتصالاً مباشراً بطبيعة ونوعية الخدمات المقدمة في المستشفيات، إذ جرى تجاهل الكثير من التفاصيل والمؤشرات العامة حول جاهزية القطاع الصحي للمرحلة المقبلة، ومستوى الخدمات الصحية المنفذة، وظلت الصحافة التحليلية المتصلة بالجوانب الاقتصادية المتعددة مغيّبة في الوقت الذي بدأت فيه بعض التأثيرات الاقتصادية الناتجة عن الإغلاق وتوقف النشاط الاقتصادي تظهر عبر نقاشات شبكات التواصل الاجتماعي.

جدول يوضح المراحل الإعلامية

وأطر التغطية وموضوعاتها وفق كل مرحلة

م	المرحلة الإعلامية	المدة	أطر التغطية وموضوعاتها
1	عمان تواجه كورونا (1): المرحلة التعريفية حول انتشار المرض.	فبراير - مارس	- التعريف بالممارسات الصحية اللازمة للوقاية من المرض. - التأكيد على فلسفة التباعد الاجتماعي. - تأطير نطاق السفر وإجراءات المطارات. - إغلاق المدارس والجامعات والمؤسسات الأكاديمية. - انتشار المصطلحات العالمية بشأن الوباء.

2	عمان تواجه كورونا (2): أبريل - مايو مرحلة صياغة القوانين والتنظيم العام.	- القرارات التنظيمية بشأن العمل في المؤسسات. - ثقافة العمل «عن بُعد». - الوضع الصحي ونشاط المؤسسات
3	عمان نحو التعافي: عودة الأنشطة الاقتصادية. نهاية مايو - يونيو	- عودة الأنشطة الاقتصادية والتأثيرات على المال والأعمال. - فتح المؤسسات واستكمال النشاط الحيوي للمدن. - قصص صحفية حول تأثيرات الأزمة المباشرة على الأفراد.
4	عمان تواجه كورونا (3): يوليو الأخبار وفرض السياسات والإجراءات المكثفة.	- القرارات التنظيمية الصارمة. - تنظيم حركة التسوق والتنقل بين المدن.

ساهمت الزيادة الكبيرة في أعداد المصابين⁽¹⁾ التي تلت عيد الفطر المبارك في تكثيف اهتمام وسائل الإعلام بأسباب انتشار الوباء، لا سيما أنها فاقت التوقعات العامة لما يتجاوز 1000 إصابة بالمرض يوميًا، حينها اعتبرت

(1) السلطنة تسجل أعلى عدد إصابات في يوم واحد، صحيفة أثير الإلكترونية، تاريخ النشر:

2020 / 5 / 29م،

<https://shortest.link/si9>، تاريخ التصفح: 2020 / 6 / 18م.

الجهات الصحية والرقابية⁽¹⁾ أن التغيير في المنحنى الوبائي ناتج عن تراجع الوعي المجتمعي العام بشأن تأثيرات الفيروس ومخاطره على الفرد والمجتمع، لا سيما في استمرار الزيارات المجتمعية والتجمعات العائلية خلال إجازة العيد. اهتمت وسائل الإعلام الإذاعية بهذا التحول، وخصصت له مساحات كبيرة من المعالجات الهادفة للتوعية، التي ركزت على استضافة مسؤولين في الحكومة لمناقشة أهمية الإجراءات الصحية المتبعة في مواضع متفرقة بينها العمل والتسوق والتجمعات العامة وغيرها.

في هذه الفترة التي استمرت منذ نهاية مايو حتى يونيو 2020م؛ قررت الحكومة عودة النشاطات في الكثير من المنشآت الاقتصادية ومؤسسات الأعمال⁽²⁾، إذ لم تتمكن البلاد من تحمّل الكلفة العالية للاستمرار في الإغلاق الاقتصادي. ورغم أن هذا الأمر قد نال أهمية كبيرة في نقاشات وسائل الإعلام العالمية والعربية؛ إلا أنه كان بمثابة تحول كبير تفرضه الحكومة فيما عرف «بعُمان نحو التعافي»، أي الدعوة العامة والهادفة لتعافي المجتمع في وسط أزمته الصحية الحاصلة.

ولهذا السبب، ركزت هذه المرحلة على التعافي الاقتصادي وأهمية العودة الاقتصادية التي تعيد للبلد حيويته ونشاطاته المختلفة، باحثاً عن المعالجة

(1) وكيل الصحة يكشف أسباب زيادة المصابين بكورونا في السلطنة، صحيفة الرؤية العمانية، تاريخ النشر: 14 / 6 / 2020م، <https://shortest.link/si8>، تاريخ التصفح: 25 / 5 / 2020م.

(2) كورونا.. سلطنة عُمان تجيز العمل «عن بُعد» لموظفي الحكومة، وكالة الأناضول، تاريخ النشر: 31 / 3 / 2020م، <https://shortest.link/tcY>، تاريخ التصفح: 18 / 5 / 2020م.

الاقتصادية اللازمة لما خلفه الوباء من تراكمات كثيرة. استعانت وسائل الإعلام المحلية بالتحول الذي فرضته الحكومة عبر حسابها المخصص لإدارة الأزمة، الذي قام بتغيير مسماه من «عمان تواجه كورونا» إلى «عمان نحو التعافي»، لتوسيع الاهتمام بالعودة الاقتصادية للمشروعات والأعمال مستعينة بخطاب جلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم المشجع على التعايش مع تحولات المرض المختلفة.

لم تنجح وسائل الإعلام بالاشتغال بالظاهرة الاقتصادية بجل ما تحمله من تبعات مختلفة، لا سيما على نطاقات الاقتصاد اليومي للناس، فغاب عن اهتمامها جملة من القضايا الاقتصادية، بينها قضية تسريح العاملين من وظائفهم، وأزمة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتحديات عمال الأجرة اليومية. في هذه المرحلة من عمر الوباء في السلطنة ظلت التغطيات الاقتصادية مركزة على جوانب نشاط المؤسسات وعودتها، واهتمامها التام بأهمية المؤشرات الاقتصادية الكبرى للبلاد، في حين سمحت العودة للمؤسسات الصحفية التي كانت قد تعثرت بفعل قرارات مختلفة، بينها وقف النشر الورقي وإشكاليات اقتصادية أخرى أن تنشر على نحو مستمر عددًا من القصص الصحفية حول حياة الأطباء والعاملين في الكوادر الصحية، والمدافعين في الخط الأمامي، والمرضى الذين عايشوا تجربة الوباء، وتجارب الفقد والمعاناة التي سادت الفترة الماضية.

كشف تحول الإعلام العماني لنمط القصص الصحفية (Features) عن تأرجح التغطية الإعلامية والمسارات، التي بيد متجري الرسائل الإعلامية بين

الحديث عن خطورة الأعداد اليومية الكبيرة للمصابين والانتشار المقلق لهذا الوباء من جهة⁽¹⁾، والإرادة الحكومية وتوجهاتها النخبوية العامة، نحو اعتماد العودة الاقتصادية السريعة وإدخال البلاد في حالة التعافي اللازم لعودة الاقتصاد من جهة أخرى، لكنّ مخاوفٍ سادت من أن ينقل هذا الانتشار المفاجئ للمرض البلاد بأسرها إلى حالة مأساوية، تتجاوز القدرة على معالجة ما يمكن معالجته، والمضي إلى مآلات انهيار المنظومة الصحية، أو ما يتبعها من انهيارات أخرى في قطاعات أخرى، دفع بالحكومة للإعلان عن تراجعها النسبي إزاء تصعيد مبدأ «التعافي العام» عبر وسائل الإعلام، والعودة للخطاب السابق المبني على جهود المؤسسات الإعلامية في محاربة الوباء عبر شعارها السابق «عمان تواجه كورونا».

نقلت تصريحات المؤتمر الصحفي المعني بمتابعة مستجدات الوباء البلاد إلى مرحلة أخرى مشابهة، تعيدنا للمشهد الأول من مكافحة الوباء، حيث العودة لإغلاق بعض المؤسسات، وفرض منع التحرك، وتقوية رقابة الأجهزة الأمنية على المشهد العام والنشاط المجتمعي. في المرحلة الرابعة، جرى تكثيف حضور المؤسسات الأمنية والرقابية وجهودها عبر وسائل الإعلام، حظي ما يعرف بـ«نقاط التحكم والسيطرة»، وهي النقاط التي تفرض الإغلاق

(1) في بداية أغسطس 2020م أعلنت الحكومة عن تخطيطها لذروة الوباء، الذي كان بتاريخ 13/ 6/ 2020م، دفعت حينها «جريدة الوطن» التي تابعت بعمق استمرار الحالة الصحية الخطرة في البلاد بافتتاحية مقال بعنوان «بدايات مشرقة.. ولكن»، الذي أكد على أنه ينبغي ألا توجه هذه المؤشرات للتصور الخاطيء بأن الوباء قد زال نهائياً، تاريخ النشر: 8/ 8/ 2020م، <http://alwatan.com/details/394711>، تاريخ التصفح: 10/ 8/ 2020م.

التام بين المحافظات العمانية وتفرض نشاطات منع الحركة على اهتمام وسائل الإعلام ودعمها المستمر. وأخضعت وسائل الإعلام المجتمع لحالة توعية جديدة، تهتم بدورهم في الالتزام التام بتعليمات الجهات الرقابية والأمنية المختلفة والانصياع التام للقوانين.

ما تزال السلطنة أمام خيارات تنظيمية كثيرة، ستدفع بوسائل الإعلام لتغيير نمط رسائلها واحتياجاتها الاتصالية. ولا يزال هناك الكثير من المعطيات المتصلة بهذا الفيروس، لا سيما في الفترة المقبلة التي ستشهد عودة الأنشطة التعليمية والمؤسسية على نحو أكبر. وعلى هذا الأساس، كيف يمكن فهم طبيعة السرديات المقبلة التي سيجري تبنيها بين وسائل الإعلام في السلطنة؟

إن أي نشاط تحديتي مرتقب في أجنحة وسائل الإعلام ومعالجاتها لهذه القضية ليعدرهنا لثقل التوجيه الحكومي المباشر، فيما تراه الأجهزة والمكونات التنظيمية الصحية والأمنية والعسكرية المراقبة للمنحنى البوائي. وعلى هذا الأساس، تظل لهذه المكونات تأثيرها التام في الانتقال بالعملية الاتصالية والإعلامية لمستويات جديدة تستدعي إظهار قضايا جديدة أو طمس قضايا محددة أو إعادة إنتاج خطاب ما على مستويات جديدة.

في خضم التراكمات المعرفية المقدمة دوماً لوسائل الإعلام، والتي قد تتجاوز الفرضيات المقدمة من جانب المجتمع إزاء ما يعرف بتجاوز ذروة المرض أو الحاجة العامة للتعافي، يبقى للدور التحليلي والتعمق المستمر في القضايا بهدف مراقبة الواقع المعاش؛ أهمية كبيرة في تعزيز قدرة وسائل الإعلام على تقديم سرديتها الخاصة، التي تتجاوز الحدود التقليدية المهيمنة

على معارف وسائل الإعلام، وبالتالي القدرة على التفكير الحر المتجاوز للأنماط التقليدية من المعلومات والأخبار.

- التوعية الصحية والتأثير في السلوك

تفترض الكثير من التحليلات المتصلة بدور مواد التوعية الإعلامية في التأثير على السلوك في فترة الأزمات ارتباطًا كبيرًا لدى الأفراد، وتباينًا في حدة الصراع «اللاستقرار» الذي يعيشه الفرد والمجموعات على حد سواء، فيما هو أشبه بحالة الخوف والاختلال التي تثيرها أزمات الحروب مثلًا، أو التحولات السياسية، أو حالات الدمار الاقتصادي، إضافة للأزمات الاجتماعية وانتشار الأوبئة ومشكلات انهيار الأنظمة الصحية. وعلى هذا الأساس يحيط الفرد والمجموعات عالمهم بالكثير من الوسائل الإعلامية، حيث يسعون من خلالها للحصول على الاحتياجات المعلوماتية والاتجاهية والسلوكية كافة. في أزمة كورونا (كوفيد19) كان لزامًا على القائم بالاتصال التأكيد على الممارسات السلوكية التي تتصل بالصحة والسلامة العامة، في الوقت الذي أعلن فيه أن هذا الفيروس هو الأسرع انتشارًا بين مثيلاته من الأوبئة والفيروسات التي شهدها العالم.

تقرر منذ الأشهر الأولى للأزمة أن للوسائل الإعلامية والاتصالية أهمية كبيرة في التأكيد على الممارسات والسلوكيات الصحية المتصلة بالجماعات وبالفرد خاصة، عبر تطويع الرسائل الإعلامية على التعبير عن الاستعداد المستمر للاستجابة للاحتياجات المفروضة من جانب الحكومات ومنظمات الصحة ولجانها المختلفة، والتي أكدت على دور السلوك في منع انتشار

الفيروس. يمكن اعتبار أن معالجات وسائل الإعلام قد غيرت على نحو غير مسبوق في الطريقة التي يتحدث بها الناس ويتصرفون، حيث انخرط الجميع في عالم من النقاشات الصحية التي استهدفت توسيع الآفاق بشأن معارفنا وقراراتنا العامة إزاء الوباء.

حفزت وسائل الإعلام على اعتبار التباعد الاجتماعي أساسًا هامًا لتقليل انتشار الفيروس، بل ومحاولة وصول البلاد إلى الحالة صفر في عدد الإصابات، ثم بدى واضحًا أن هذه الفلسفة بحاجة إلى المزيد من الايضاح عبر تحديد المسافة الفعلية التي تستوجب التباعد، وهي مسافة 1.5م - 2م بين كل فرد وآخر. أحد الأنماط السلوكية التي باتت مشاعة عبر وسائل الإعلام أيضًا؛ التأكيد على استعمال المعقمات والمطهرات ووسائل التنظيف كافة التي تشمل غسل اليدين بالماء والصابون، والتي ينبغي أن تكون مكررة لعشرات المرات يوميًا. أما عن السلوك الصحي التنظيمي فكان من بينه وجوب الإبلاغ عن المخالفين للأئمة والقواعد، والالتزام بالبقاء في المنازل في فترة منع التحرك، والذهاب للمراكز الصحية المختصة حالة الإصابة بأعراض المرض، أو الحفاظ على العزل الصحي للمصابين، وهي الممارسات التي استمرت وسائل الإعلام في تأكيدها على فترات متلاحقة، بناءً على السياسات المفروضة بين حكومات الدول وأنظمتها الصحية.

استفادت السلطنة مبكرًا من دور منظمة الصحة العالمية ووسائل الإعلام العالمية؛ لا سيما وكالات الأنباء، والمنظمات الدولية الداعمة للصحة، في الحصول على إطار شمولي معلوماتي إزاء محددات السلوك في خضم تفشي

الوباء، إذ تضمن العرض الخاص بمنظمة الصحة العالمية عبر موقعها على الويب بيانات تفصيلية كثيرة بشأن هذه الممارسات والسلوك الذي جرى التأكيد عليه بصورة متواترة عبر وسائل الإعلام العمانية، كما حددت المنظمة معايير عامة لاستجابة الدول الصحية لمتطلبات الأزمة. ومع أن وزارة الصحة قد أسهمت بما يزيد عن ثمانية أفلام توعية في التأكيد على السلوك الصحي الواجب اتباعه، وهي أفلام بثت عبر وسائل الإعلام المختلفة، بينها شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أن هناك تركيزاً كبيراً من جانب الإعلام الحكومي في إيجاد خطاب توعية مخصص لمنصات التواصل الاجتماعي، لا سيما الحسابات الرسمية المعنية بإدارة الأزمة أو حسابات المؤسسات الحكومية المختلفة.

إن هذا الاتكاء الكبير على الدور الرقمي في التوعية الصحية؛ كان له أثر كبير في التوجه إلى فئة واسعة من المجتمع، وبالتالي مواءمة وصول محتوى التوعية مع طبيعة الاستهلاك الرقمي المجتمعي، إذ تشير إحصائيات هيئة تنظيم الاتصالات⁽¹⁾ خلال مارس 2020م إلى تنامي مؤشرات اعتماد العمانيين والمقيمين في السلطنة على استعمال التكنولوجيا بشكل عام مقارنة بفرابر 2020م، كالزيادة في استهلاك بيانات الإنترنت المتنقلة بنسبة 23٪، وارتفاع كبير في استعمال تطبيق واتساب بنسبة 36٪، ومنصة فيسبوك بنسبة 20٪، ومنصة يوتيوب بنسبة 16٪،

(1) الأرقام.. استهلاك الإنترنت في السلطنة يرتفع... و«تفلكس» يتصدر التطبيقات، صحيفة أثير الإلكترونية، تاريخ النشر: 15 / 4 / 2020م، <https://shortest.link/sif>، تاريخ التصفح: 25 / 4 / 2020م.

ومنصتي تويتر وإنستجرام بنسبة 16٪، ومنصة سناب شات بنسبة 8٪. ولكن، هل يكفي استخدام المنصات الرقمية للتوعية الصحية لتحديد مستوى فاعلية رسائل التوعية في التأثير على السلوك؟

ثمة تحديات تواجهنا عند الإجابة على مثل هذا التساؤل، فقياس مستوى تأثير الوسائل الإعلامية والاتصالية في الحالة السلوكية لطالما ظل إشكالية كبيرة في دراسات وبحوث الرأي العام، حتى وإن لُجئ للطرق الشائعة في القياس مثل: الاستبيانات واستطلاعات الرأي والمقابلات الهاتفية مع المبحوثين. كما أن هناك تداخلاً كبيراً بين ما يمكن اكتسابه على نحو شخصي، وبين ذلك الكم من المعلومات والاتجاهات العشوائية المكتسبة عبر وسائل الإعلام، لدرجة يصعب من خلالها على الشخص نفسه تحديد مكمّن معارفه ومصدرها الحقيقي.

هل يمكن تلمس بعض الإخفاقات في مستوى التأثير للرسائل الإعلامية، الذي حسمه السلوك الصحي اللازم اتباعه، والمتصل مثلاً بالاستعداد الشخصي للناس في المجتمع العماني للالتزام بالاحترازاات واتجاهاتهم العامة إزاء المرض؟

عند التفكير في بعض الممارسات التي شاعت في الأشهر الأولى لانتشار المرض؛ فإن هناك الكثير من التساؤلات الحقيقية المفروضة إزاء التأثير السلوكي للإعلام، بينها دور الإعلام في حالة شيوع الممارسات المجتمعية المضادة. ومن هذه الممارسات مثلاً: تأكيد بعض الناس أن تجاربهم كانت ناجحة في علاج تبعات الوباء، بناءً على تناول بعض الأدوية العشبية المتوفرة

في الأسواق المحلية وفي دكاكين العطارين وبائعي المنتجات العشبية ممن يحظون بسمعة جيدة في المجتمع، واعتقاد بعض أفراد المجتمع بجدوى وصفاتهم العشبية في علاج أمراض مستعصية، فضلاً عن الأمراض التنفسية مثل: العسل والقرنفل والكركم والليمون. هذا الادعاء الذي يفاضل بين ما هو علمي تفرضه وسائل الإعلام، وما هو شعبي ديني فرضته الممارسات الاجتماعية الشعبية السائدة، كان مؤشراً واضحاً للمستوى الذي تستطيع من خلاله أية وسيلة إعلامية عمومية التأثير في سلوك شخصي يومي يؤديه الإنسان علانية وسراً، على الرغم من سيادة الحوارات الصحية الملزمة، التي تؤكد على الالتزام بالاحترازاات الصحية في المجتمع.

حتى بعد ما يزيد عن ثلاثة أشهر من الأزمة وانتشار المصطلحات والتعبيرات السلوكية الهامة المرتبطة بالصحة العامة؛ كان لزاماً على الحكومة فرض سياسات صارمة جديدة في كل مرة، لحماية المجتمع والأفراد، متكئة على قوة القوانين وصرامة الأدوات الرقابية التي تمتلكها الدولة، بديلاً عن القوة الناعمة وخيارات التوعية المشاعة عبر وسائل الإعلام. على هذا الأساس، يصبح من الضروري، بل الحتمي، إعادة مراجعة جدوى التوعية والجهود التثقيفية الصحية في المجتمع، بالنظر لواقع المعارف والأفكار والاتجاهات المتشكلة لدى الناس إزاء الصحة العامة. وعلى نحو عام، يلزم تحديد الأولويات المستمرة من أنشطة التوعية الصحية، وإسهامات التوعية في غير حالات الأزمات، ثم النقاش بشأن ما يمكن تغييره في المنظومة توعية الصحية.

- حول المصدر الحكومي في المعالجات الإعلامية

ينظر للمصادر بوصفها قلب العملية الإعلامية والصحفية، وبفضل المصادر تتمكن وسائل الإعلام يوماً بعد يوم من إحاطة الجمهور بالخلفيات المعرفية والمعلوماتية والاتجاهية، التي تحدد مستوى التعاطي مع الأحداث والتأثر بها، بل إن حضور بعض المصادر يعد أمراً مهماً للدرجة التي تتغير عبرها وسائل التعاطي مع الأحداث بشكل عام. منذ بداية الأزمة اتجهت وسائل الإعلام العمانية للاعتماد على المصادر الحكومية والمؤسسية، التي تنضوي تحت مظلة المنظمات والجهات التنظيمية، حيث اعتبرت مواجهة الحكومة لأزمة كورونا (كوفيد19) والإجراءات المتتابعة المرتبطة بالصحة والاقتصاد والنشاط في المدن مادة أساسية لمحتوى وسائل الإعلام.

على الرغم من أهمية المصادر الحكومية عالمياً؛ إلا أنه سرعان ما اتخذت وسائل الإعلام العالمية مصادر أخرى جديدة كالأطباء والباحثين وعلماء الأوبئة، لتؤدي هذه المصادر دور التحليل والمراجعة والتقييم لجهود الحكومات في كبح انتشار الفيروس تارة، والتقييم العلمي والبحثي لمستوى نشاطه ومستجداته العلمية تارة أخرى. في الولايات المتحدة التي اختبرت انتشاراً كبيراً للفيروس؛ برز الدكتور المتخصص في علم المناعة أنتوني فاوتشي (Anthony Fauci) بكونه أحد المصادر الحكومية البارزة لوسائل الإعلام، واختير مرات عدة للتحديث رسمياً في مجموعة من المؤتمرات الصحفية الوطنية، بوصفه عضواً في فريق البيت الأبيض المعني بمكافحة مرض كورونا (كوفيد19)، إضافة لمهامه مديراً للمعهد الوطني للحساسية والأمراض

المعدية. ساهمت تصريحات فاوتشي في الكثير من النقاشات العلمية والسياسية الجادة إزاء التعامل مع الفيروس، واعتبرت منصة فيسبوك⁽¹⁾ أن تصريحات فاوتشي تشكل أهمية كبيرة في تقديم المعلومات الدقيقة والموثوقة بشأن الوباء والتعافي منه، وتم تقديم بعض تصريحاته كوسيلة لمكافحة سبل الأخبار الزائفة التي تواجهها المنصة.

ومع تراكم التطورات الاقتصادية والتأثيرات الكبيرة لانتشار الفيروس في العالم، وتعمق آثاره المترتبة على نشاط المال والأعمال والبرامج الاقتصادية المختلفة للدول، ظهرت الحاجة لمصادر أخرى مرتبطة بالتحليل الاقتصادي والمالي، بل ولزوم حضور الأشخاص المتضررين من السياسات الاقتصادية المفروضة بفعل انتشار الوباء.

يمكن القول إن أزمة كورونا (كوفيد19) قد عكست الهيمنة المعلوماتية الرقمية للحكومة على مختلف أشكال المعرفة المتصلة بهذا المرض، بل أن مساهمة المصادر الحكومية قد فرضت نوعاً محددًا من الآراء والتوجهات، التي تفترض تفسيرات محددة بشأن الأزمة وتحولاتها وانعكاساتها المباشرة، ولكن يشكل حضور المصادر المتعددة أمرًا أساسيًا لتعدد وجهات النظر والآراء المطروحة، وبالتالي الوصول لأقصى قدرة ممكنة لتحديد المحتوى الصحفي والوصول به لأقصى درجات الضبط الأخلاقي والمهني.

(1) Facebook Official Account: Dr. Anthony Fauci, the US's top infectious disease expert, shares what we can all do to fight the spread of the coronavirus (COVID-19). Entry on 12th August 2020. <https://www.facebook.com/108824017345866/videos/520947868798446/>, Published in: 20th March 2020

تتجه التيارات الإعلامية الجديدة لإزالة الثقل عن كاهل الحكومات بكونها مصادر دائمة للمعلومات والبيانات عبر وسائل الإعلام، في ظل البحث عن توازن حقيقي للمعالجة الإعلامية اللازمة للأزمات. وبات لزامًا في ظل تعمق الصحافة الجديدة في حياة الناس، لا سيما في فترة الأزمات، البحث عن مصادر متجددة وبديلة تقود للحقائق والبيانات وتدعم الصحافة بالمؤشرات غير التقليدية. يتزامن ذلك مع اتجاه مستمر لتعزيز مساهمات الأشخاص العاديين في الإعلام، لا سيما مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي ودورها المباشر بكونها مصادر أساسية للمعلومات والآراء. وتقود التعددية على مستوى المصادر إلى تقديم عناصر جديدة للمعلومات قائمة على اعتبارات متعددة، من قبيل الخبرة المهنية والعملية للمصادر والمعايشة المستمرة للأحداث والتأثر المباشر أو الدائم بالقضايا. ولهذا الأمر تبعاته الكثيرة على تعمق المعالجة الصحفية للقضايا، إذ تفرض الوسائل الإعلامية أن الحاجة لمصدر حكومي في خارطة النشر اليومية هي حاجة أساسية إلى الحد الذي تُوَطر فيه المادة الخبرية بما يمكن وصفه بـ(المحددات الرئيسية للتحرك في القضايا العامة وفهمها على نحو عام)، لكن يبقى أن فعل التفسير والتحليل والاستيضاح، أو استكشاف قضايا جديدة من هذه المواد الخبرية، واقعًا ضمن مسؤولية مصادر أخرى، تبدأ من الخبراء والمهتمين والمحللين المستقلين، ولا تتوقف عند شهود العيان والضحايا والمتأثرين بالوقائع والأحداث.

مع هذا، يدافع الإعلاميون العاملون في المؤسسات الصحفية والإذاعية العمانية اليوم عن موقفهم المفضل لحضور المصادر الحكومية في التغطيات

الإعلامية، بدعوى التزام المصدر الحكومي الدائم بالموثوقية وتحري الدقة، لكونه اللسان المعبر عن أداء الحكومة، التي تملك حق القرار في الشأن العام. ينعكس ذلك على طبيعة علاقة التفضيل المستمرة للحكومة لوسائل إعلام بعينها في السلطنة، والتي تحظى بتمويل مباشر من الدولة. في نهاية عام 2019م اجتمع السلطان الراحل قابوس بن سعيد بعدد من الصحفيين التابعين لمؤسسات إعلامية حكومية وخاصة، وكان ذلك معبراً بصورة كبيرة عن تعمق العلاقة الجدلية بين الحكومة ووسائل الإعلام في نمطها العام والخاص، والدعوة لمرحلة أخرى جديدة من هذه العلاقة، تتجاوز الفترة الحالية إلى فترات مستقبلية، قد لا يكون فيها هذا السلطان حاضراً لإدارة شؤون البلاد.

تدعم هذه المؤشرات فرضية استمرار اتكاء الصحافة العمانية على المصدر الحكومي «المسؤول الحكومي» في الكثير من التغطيات الإعلامية والصحفية وهو ما أثبت في البحوث العلمية والدراسات المنفذة على المستوى الأكاديمي العماني.

في أزمة كوفيد19 حضرت التغطية الإعلامية المتصلة بآراء الحكومة وتوجهاتها، وما يمكن استيضاحه من معلومات وبيانات حكومية، لتشكّل المادة الدائمة والمستمرة في التغطية الصحفية، لا سيما في المراحل المبكرة من الأزمة (من مارس حتى نهاية أبريل 2020م). كان المسؤولون الحكوميون الذين تم تزكيتهم ليشكلوا أعضاء في اللجنة العليا لمتابعة مستجدات الأزمة مصادر أساسية للتغطية الصحفية المقدمة. ظل المؤتمر الصحفي الأسبوعي للحكومة مصدراً أساسياً لمجموعة كبيرة من المعلومات والبيانات والآراء

المقدمة من جانب الإعلاميين والصحفيين، بل والنقاشات التي تصعدها وسائل الإعلام عبر شبكات التواصل الاجتماعي. ودافع الإعلاميون عن الكثير من المواقف التي دعمتها وصعدتها الحكومة، واتخذوا من الخطاب الحكومي مصدرًا أساسيًا للتغطيات الإعلامية، وشكلوا عبر ما قُدم من بيانات وآراء في هذا المؤتمر الصحفي أجندة لمعالجات وسائل الإعلام، وبالتالي النقاش العمومي المستمر بشأن هذه الأزمة.

- الخبراء والطواقم الصحية مصادر بديلة في الشبكات الاجتماعية

ترتبط الثقة فيما يقدم عبر وسائل التواصل الاجتماعي بجانبين أساسيين:

الأول: المتصل بالقدرة على الثقة بالمعلومات والبيانات الحاضرة في هذه الوسائل، بالشكل الذي يجعلها مصدرًا أساسيًا للحصول على المعرفة وتبادلها ومد النقاش بشأنها.

والثاني إمكان الأفراد والمؤسسات استعمال خاصية البحث عن المعلومات عبر هذه الوسائل، للاقتراب من الحالة المعرفية المراد الوصول لها، وسد الاحتياجات المعلوماتية والثقيفية والشعورية المتصلة بعملية البحث.

لهذا السبب، يمكن الافتراض أن طاقة وسائل التواصل الاجتماعي وقدرتها الدائمة على سد الثغرات المعرفية والمعلوماتية ترتبها إلى حد كبير بحضور المصادر الموثوقة في هذه الوسائل، هذه المصادر التي لم تعد اليوم

بالضرورة مصدرًا رسميًا حكوميًا يقدم المعلومات والبيانات العامة بلغة حذرة، تستوجب النظر لمعايير النظام السياسي والاقتصادي والإعلامي العام فحسب، بل توسعت للنطاق الذي تفرض فيه تقديم الآراء والمعلومات الرصينة والعميقة، بحيث لا تبدو قابلة للتشكيك، ويجري التحقق بشأنها بفضل القدرة العلمية والمعرفية لأصحابها.

لقد اتضح ذلك جليًا في انعكاس مساهمة الخبراء والعلماء والأطباء وأعضاء الطواقم العلمية والطبية على التغطيات الإعلامية العابرة للقارات، فقد عززت مساهمات الأطباء والمتخصصين في علوم الأوبئة مساحة كبيرة من الصحافة الاستقصائية، وتم الاعتراف بهذه المساهمات لتكشف خطوط الأمل إزاء القضاء على الفيروس من جهة، وتحديد معالم هذا الوباء وخارطة انتشاره وممارسات الحياة المعيشة تحت سطوة الوباء من جهة أخرى، ما أراح الكثير من الثقل والضغط الممارس على الحكومات للقيام بالدور الاتصالي اللازم.

استغلت الصحافة العمانية هذا المنحى الواضح في الصحافة العالمية في مرحلة التفشي المجتمعي المتأخرة بعد ثلاثة أشهر ووصول البلاد لما يعرف بذروة المرض، ففي مايو 2020م نشرت سرى الرواس⁽¹⁾ وهي طبيبة واستشارية في المستشفى السلطاني -المستشفى الذي يعالج نسبة كبيرة من المصابين بمرض كورونا (كوفيد19) في العاصمة مسقط، وبه غرف عناية

(1) طبيبة عمانية تروي سبب دخولها إلى الحجر الصحي، جريدة الشبية العمانية، يوتيوب، تاريخ النشر: 23/6/2020م، يوتيوب، تاريخ التصفح: 15/5/2020م. الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=tAAGp1E32wU>

مركزية هي الأكبر في السلطنة - عبر حسابها على تويتر مقطع فيديو، تحدثت فيه عن التزامها بالحجر الصحي بعد مخالطتها لأحد المصابين بكوفيد19. انتشر المقطع عبر منصات متعددة بينها منصة واتساب المستعملة بصورة كبيرة في السلطنة، وتم استضافة الرواس لاحقاً في مؤسسات إعلامية مختلفة، بينها تلفزيون سلطنة عمان وجريدة الشبية للتحدث عن مخاطر الفيروس وتأثيراته الحادة على الفرد، داعية العمانيين إلى عدم الاستهانة بهذه المرحلة الحرجة.

في يونيو 2020م نشرت «مجلة الفلق» الإلكترونية⁽¹⁾ حواراً جمع شهادات عدد من النساء العاملات في القطاع الصحي في السلطنة، اللواتي مثلن خطوط الدفاع الأولى في مواجهة الفيروس، بينهن أخصائية في العلاج الطبيعي وممرضة وعاملة نظافة في قسم المصابين بكورونا (كوفيد19).

إن حضور المؤسسات العمانية الحكومية والمدنية والخاصة عبر شبكات التواصل الاجتماعي لمواجهة هذا العجز أمر هام، وهو مؤسس لمرحلة جديدة من المحتوى المؤسسي الداعم للنشاطات المهنية المختلفة عبر وسائل الإعلام في السلطنة. وينعكس هذا الأمر على تقديم المعلومات والبيانات وبت الأخبار، والتفاعل مع المستخدمين عبر الرد على الاستفسارات وحملات التوعية الاجتماعية وحملات التشييك مع المؤسسات والمنظمات وجماعات المصالح.

(1) البعقوبي؛ سمية، نساء عمانيات في مواجهة كورونا.. نحمل خوفنا معنا إلى المنازل، تاريخ النشر: يونيو 2020م، مجلة الفلق، <https://www.alfalq.com/?p=12138>، تاريخ الوصول: 4/7/2020م.

بشكل عام يمكن القول إنه على الرغم من كل ما يثار بشأن مساهمة وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الأخبار المضللة والمزيفة إلا أنه شكّل قدرًا من الموثوقية والدعم الذي تستمر وسائل التواصل الاجتماعي في منحه للمؤسسات الحكومية والمنظمات العالمية ووسائل الإعلام الاحترافية. ساهمت منصتا تويتر وانستجرام -على سبيل المثال- في دعم الجمهور في وقت القلق والحجر والعزلة المفروضة، ووفرت وسيلة لنشر المعلومات ذات الصلة بالفيروس وتطوراتها، وآراء العلماء والأطباء وشهادات العاملين بالقطاع الصحي والعلمي⁽¹⁾، وساهم انتشار هذه الشبكات وربطها المباشر والآني بشتى الأجهزة الذكية، كأجهزة الموبايل والربط المباشر بالتطبيقات المختلفة مثل تطبيق واتساب وتليجرام، في وصول المحتوى الموثوق لأكثر أفراد المجتمع، وتسيده النقاشات الافتراضية بين المستخدمين⁽²⁾.

عززت المصادر الافتراضية بصورة عامة رفع مستوى الثقة في المصادر الحكومية والمؤسسات الإخبارية، فعندما اعتمد حساب «عمان تواجه كورونا» على نشر القرارات والإجراءات الحكومية المتبعة وفق نمط زمني متسلسل متخذًا من منصتي تويتر وانستجرام أداة للوصول للجمهور؛ كان ذلك بمثابة نقطة اتصال سريعة ومباشرة لربط الحكومات بالأفراد، عبر وسائل ذات طابع اجتماعي وتفاعلي مباشر.

(1) Reuters Institute: Digital News Report. 2020. Reuters Institute & University of Oxford. Entry on: 12th April 2020. https://reutersinstitute.politics.ox.ac.uk/sites/default/files/2020-06/DNR_2020_FINAL.pdf

(2) Reuters Institute: Digital News Report. 2020. iBid

• ثانيًا: المخفي من تغطيات وسائل الإعلام

- وباء الصحة.. وباء الاقتصاد

يواجه الاقتصاد اليوم أصعب التحديات وأكثرها تأثيرًا منذ أعوام، فيما يبدو أشبه بالتبعات الاقتصادية التي تلي الحروب العالمية، وقد صفت الأمم المتحدة حالة الركود الاقتصادي بأنها (الأخطر والأسوأ)⁽¹⁾، إذ بلغت الخسائر الاقتصادية حوالي 8.5 تريليون دولار، ما قضى على ما يقرب من 4 سنوات من مجمل دخل الإنتاج العالمي، وقدرت معدلات خسارة الوظائف لتشمل أكثر من 1.7 مليون شخص في الولايات المتحدة وحدها. في العالم العربي، لا تتوفر الكثير من الأرقام والبيانات بشأن التبعات الاقتصادية لكورونا (كوفيد19)، لكن تقديرات أولية اعتبرت أن التأثيرات المتداخلة بين أزمتي كوفيد19 وانخفاض أسعار النفط ستؤدي إلى ارتفاع ملحوظ في معدلات الفقر، لتصل إلى أكثر من 101 مليون مواطن⁽²⁾، أي ما يقارب ربع سكان المنطقة العربية.

في السلطنة، تقدم وسائل الإعلام أخبارًا وتقارير وتغطيات متعددة حول تأثيرات الجائحة على قطاعات محددة، بينها: الشركات الحكومية العاملة في قطاعات اللوجستيات، والموانئ، وأداء المناطق الصناعية، وقطاع الطيران

(1) UN NEWS: Coronavirus 'grim reality' (World economy to shrink by 3.2 per cent, new UN report projects). Entry in: 14th June 2020, <https://news.un.org/en/story/2020/05/1064032>, Published in: 13th May 2020

(2) أبو سويح؛ لون: العرب وكورونا.. إدارة أزمة أم أزمة إدارة؟ ص 21، افتتاحية العدد، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 2020م.

والنقل، وهي قطاعات اقتصادية كبيرة تحظى بدعم الحكومة المستمر. سمحت الجائحة خلال الأشهر من فبراير حتى نهاية يونيو بترسيخ ممارسات متعددة للفصل التعسفي، لا سيما في الشركات العاملة في قطاع الإنشاءات في البلاد. وأحد الآثار الاقتصادية المنتشرة على نحو عالمي، كمحصلة للبيئة الاقتصادية الهشة، كان بشأن الأوضاع المعيشية لأصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة ولعمال المياومة (من يدفع أجرهم بصورة يومية)، والإشكاليات التي واجهتها هذه الفئة في المجتمع نتيجة إغلاق النشاطات الاقتصادية وتقليل مستوى الحركة بصورة عامة. كتبت الباحثة العمانية في علم الاجتماع وضحاء شامس: (شكلت القرارات العالمية الصادرة لمكافحة الجائحة تهديداً لحياة عمال المياومة، وهدراً لكرامتهم الإنسانية، مما دفع بعض العمال إلى كسر هذا القرار المتخذ من قبل الدولة بالخروج من المنزل؛ لتأمين احتياجاتهم الأساسية والرغبة في الشعور بالأمن الوظيفي والاستقرار الأسري، فأصبحوا يواجهون في كلِّ يوم صراعاً وجودياً للبقاء على قيد الحياة وتعاطيهم مع سؤال أخلاقي جدلي؛ وهو: الموت بكورونا أم الموت بالجوع؟) (1).

لوسائل الإعلام دور هام في إيجاد المقاربات والمعالجات اللازمة المتصلة بالتحويلات الاقتصادية المرادفة للأزمات، لا سيما آثارها المباشرة على مستويات الدخل الخاص بالأفراد، وفرص العمل، وأنماط العمل،

(1) شامس؛ وضحاء، الموت بكورونا.. أم الموت بالجوع، مجلة الفلق الإلكترونية، تاريخ النشر: مايو 2020م، الرابط: <https://www.alfalq.com/?p=11939>، تاريخ التصفح:

ومهددات ذلك على انحسار الطبقة المتوسطة. تواجه المؤسسات الصحفية اليوم تحدياً آخر بشأن الطريقة التي غيرت من خلالها هذه الجائحة في صناعة الميديا والصحافة، بالنظر للتأثيرات السياسية والاقتصادية المتجذرة أصلاً في الممارسة الإعلامية العربية والمحلية.

لم تُستثنِ المؤسسات الإعلامية من التبعات الاقتصادية لانتشار الجائحة، فلقد دمرت الأزمة صناعة الإعلام بشكل غير مسبوق؛ نتيجة الإغلاق العام ومنع السفر والتجول وتذبذب قطاع الإعلانات الذي يعد الشريان الرئيسي لاستمرار المؤسسات التي لا تمولها الحكومات. في السلطنة، ساهم القرار الاحترازي في مارس بمنع طباعة وتداول ونشر الصحف ورقياً⁽¹⁾ في الكثير من التحديات المتصلة بإمكان التحول الرقمي للمؤسسات الصحفية، وأدى تراجع الإعلان وتراكم تأثيرات الأزمة الاقتصادية إلى خفض رواتب العاملين في القطاع الإعلامي وإغلاق سريع للمؤسسات.

في يوليو 2020م، أعلنت قناة مجان التلفزيونية الخاصة توقفها عن العمل بفعل الظروف المالية القاهرة. كما صرحت مؤسسة بيت الغشام عن توقف تام عن العمل بسبب التمويل المالي المتوقف. وعبر عدد من الصحفيين والعاملين في جريدتي «الوطن» و«الشبية» عن غضبهم نتيجة تأخر دفع رواتبهم والتهديد بفصلهم من العمل. كما أعلنت جمعية الصحفيين العمانية عبر لجنة

(1) اللجنة العليا تقرر تقليص الموظفين إلى 30% وإلغاء خدمات المراجعين.. إغلاق محلات الصرافة ووقف الطباعة الورقية، صحيفة عمان، الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر: 22 / 5 / 2020م، الرابط: <https://www. omandaily. om/?p=776564>، تاريخ التصفح: 15 / 6 / 2020م.

الحريات الصحفية عن تقديمها ملف لوزير الإعلام العماني يدرس الآثار الاقتصادية على استمرار عمل وسائل الإعلام. بحسب جمعية الصحفيين العمانية⁽¹⁾ أدت التراكمات الاقتصادية إلى تراجع الدخل المالي للمؤسسات الإعلامية لما يزيد عن 70٪، إذ تراجع الدخل الخاص بالإعلان الواحد من 1200 ريال سابقاً إلى ما يقرب من 350 ريالاً بعد انتشار الوباء، مما يهدد استمرار المؤسسات الإعلامية مستقبلاً.

إن الحالة المتعثرة لواقع الممارسة المهنية الإعلامية العمانية والمخاطر الدافعة لتغييب التعددية الإعلامية بسبب إغلاق المؤسسات وإعلان إفلاسها؛ ينبغي أن يقع ضمن أولويات المعالجة الإعلامية المطروحة، بهدف تشكيل ضغط إعلامي كبير على صانع القرار، لتعديل مسارات الاستثمار في البيئة الاقتصادية الإعلامية وتمويل المؤسسات الصحفية.

وتفرض المرحلة المقبلة نوعاً خاصاً من المعالجة الإعلامية معنياً بواقع الممارسة الإعلامية، من خلال الاهتمام بالتأثيرات المباشرة على اقتصاديات المؤسسات الإعلامية، ومستقبل الصحافة الورقية وضمانات الولوج للعالم الرقمي، وتجذر علاقة وسائل الإعلام بالحكومات، والهيمنة الاقتصادية المتصلة بهذه العلاقة وتأثيراتها على مستوى المنتجات الصحفية، والثقة التي تبديها المجتمعات إزاء أداء وسائل الإعلام.

(1) كل الأسئلة.. هل سنشهد إغلاقاً لبعض المؤسسات الإعلامية المحلية وتسريح العاملين فيها بسبب كورونا؟ هلا أف أم، تاريخ النشر: يوليو 2020م، منصة Soundcloud، الرابط: <https://soundcloud.com/halafnradio/olkwpfoimxl>، تاريخ التصفح:

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنحسر المعالجة الصحفية والإعلامية على التأثيرات الآتية لهذا الوباء على بنية الاقتصاد والممارسات المتبعة في الأسواق، بل ينبغي أن تتعدى ذلك لاستشراف مستوى تأثيرات الجائحة المتوقعة على البنى التحتية للمؤسسات والشركات والتقنيات المتوقعة، وجهود ردم الهوية الرقمية في الأعمال الاقتصادية الكبرى، والعمليات الإنتاجية التي سيتجه لها العالم بعد الوباء⁽¹⁾، وعلاقة ذلك بطبيعة العلاقة بالأنظمة السياسية والنظم الاقتصادية القائمة، بل والضمانات التي تقدمها الحكومة لأجل تصحيح مسارات الاقتصاد، وضمان حدوث التعافي اللازم في البنية الاقتصادية المتصدعة.

- إعلام الأقليات الآسيوية

تعمل وسائل الإعلام العمانية جاهدة لنيل اهتمامات المتلقين من المواطنين الذين يشكلون جمهوراً أساسياً لوسائل الإعلام، ولهذا السبب تحاول وسائل الإعلام تطوير منتجاتها الصحفية والإعلامية بما يتوافق مع النمط المعرفي والاحتياجات الاتصالية للمواطنين. في السلطنة، لا توجد وسيلة إعلامية تلفزيونية غير ناطقة باللغة العربية، في حين تقل عدد الوسائل الإعلامية الإذاعية الناطقة بلغات أجنبية، ويركز معظم محتوى هذه الإذاعات على إيجاد الترفيه وإنتاج المواد الفنية.

على مستوى الصحف، هناك ثلاث صحف يومية ناطقة باللغة الإنجليزية،

(1) الحياة بعد كوفيد19.. اتجاهات المستقبل في التجارة، مؤسسة دبي للمستقبل، الرابط:

<https://u.ae/ar-ae/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling->

[the-covid-19-outbreak/life-post-covid-19](https://u.ae/ar-ae/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/life-post-covid-19)، تاريخ التصفح: 18 / 7 / 2020م.

وهي الأهم والأكثر تداولاً بين الأقليات الأجنبية في السلطنة، لكونها الجسر المعلوماتي والإخباري الأبرز لما يحدث في البلاد بالنسبة لهذه الفئة من المقيمين والسكان.

في الأشهر الأولى من أزمة وباء كوفيد19، كان الوافدون هم الأكثر إصابة مقارنة بالمواطنين، ما أثار قلقاً كبيراً في المجتمع، اعتبر الكثير من الإعلاميين والناشطين عبر الإنترنت أن تلك الزيادة المستمرة في أعداد الوافدين المصابين بالمرض لتدل على وجود فجوة كبيرة في التوعية المقدمة عبر وسائل الإعلام، والتي تتجه لاستعمال مكثف للغة العربية دون باقي اللغات الأخرى، تمثل هذه الفجوة أساساً لوجود مجتمع واسع من السكان والمقيمين الوافدين من جنسيات متعددة، يعزلون عن الأحداث العامة والسياق الاقتصادي والاجتماعي الداعم لتطور هذه الأحداث، ظهرت هذه الفجوة جلياً في المؤشرات الحقيقية للإصابة المتزايدة بكوفيد19 بين المقيمين، في الوقت الذي ظلت فيه الحكومة تؤكد على أهمية اتباع الإجراءات الاحترازية الصحية للوقاية من المرض، وتقليل التجمعات قدر الإمكان، والاهتمام بالصحة العامة. على الرغم من أن عدداً من الصحفيين⁽¹⁾ يرون أن إعلاماً محلياً يتجاوز اللغات الرسمية في البلاد (العربية والإنجليزية) إلى لغات أخرى مثل: السواحيلية والبنجلاديشية والأوردية والباكستانية والفارسية، ولهجات محلية كالشعرية والجبالية والكمزارية، يعد من الترف الذي لا يمثل متطلباً لهذه

(1) اليعقوبي؛ سمية، إعلام الأقليات الآسيوية ضرورة أم مجازفة، مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، تاريخ النشر: 12 / 3 / 2017م، الرابط: <https://institute.aljazeera.net/en/node/405>، تاريخ التصفح: 10 / 8 / 2020م.

المرحلة الإعلامية، بل قد يشكل خرقاً ثقافياً وخروجاً عن النمط المعتاد، إلا أن الفروقات اللغوية والمعيشية التي تشكلت إزاء انفصال وسائل الإعلام عن استخدام هذه اللغات في المنصات الإعلامية التقليدية والرقمية انعكس سلباً على مستوى التأثير العام لهذه الوسائل على سلوك الناس، وعلى المضى نحو التعافي العام من الوباء على مستويات عدة بينها: الصحة والاقتصاد.

نسبة الوافدين في عمان حوالي 45٪، وهي نسبة تمضي لتغيرات كثيرة وفق القرارات الاقتصادية المرتقبة، لكنها تظل نسبة كبيرة بالنظر لاحتياجات هذه الفئات الاتصالية والثقافية والمعرفية المختلفة. في المقابل، ينبغي القول إن وسائل الإعلام تكتسب حضورها وشرعيتها في المجتمعات بمستوى قدرتها على تمثيل التنوع الإنساني والعرفي والإثني في هذه المجتمعات، ولهذا السبب، لا يمكن الولوج لمراحل أخرى بعد انقضاء هذا الوباء دون التفكير في مستوى ملائمة المنتجات الإعلامية العمانية لهذا التعدد الحاصل في البلاد على مستويات مختلفة، بينها: الإحاطة التامة بالأخبار والأحداث، ومعالجة الأزمات اليومية المعيشة لهذه النسبة الكبيرة من السكان عبر وسائل الإعلام، وتقليل الحواجز الثقافية والاجتماعية التي تربطها بباقي مكونات المجتمع.

• ثالثاً: كيف نعيد للحالة الإعلامية توازنها اللازم؟

«كل أزمة مدعاة للفرص الكثيرة».. بهذه العبارة المقتبسة من كتابات الصينيين يتضح ما للأزمات والمشكلات المستمرة من دور هام في تعزيز الواقع اليومي بالحلول، وتشكيل الانتباه العام إلى الظروف التي ساهمت في تشكل الأزمات واستمرارها وبلوغ تأثيراتها إلى حدود معينة. إن الحالة

الإعلامية العمانية لتواجه تحديات مختلفة تتجاوز الممارسة المهنية الإعلامية إلى التحديات الاقتصادية المتصلة بمستقبل التعددية الإعلامية، والتحديات المهنية المرتكزة على تأهيل العاملين في المؤسسات الإعلامية وتعزيز قدرتهم على تقوية دور وسائل الإعلام في معالجة الظواهر المجتمعية والوطنية في إطار من الثقة والشفافية. ولا يمكن تناسي تلك التحديات ذات الصلة بعلاقة وسائل الإعلام بالحكومة من حيث القوانين والأنظمة والإجراءات المنظمة، وضرورة إعادة مراجعتها وتقييمها لأجل الوصول لبيئة جاذبة للممارسة المهنية الإعلامية في البلاد. ولهذا السبب، يحاول هذا الجانب من الورقة تحديد الجوانب الداعمة لإعادة التوازن اللازم للممارسة الإعلامية والصحفية.

- النقاشات المهنية حول مستقبل الممارسة المهنية

الصحفية والإعلامية

على الرغم من أن الكثير من الأدبيات العلمية والبحثية العربية؛ تركز الاهتمام اليوم على أهمية مراجعة الأدوار المباشرة والخفية للأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي تؤثر كثيراً على الممارسة المهنية للصحافة، حيث يمكن اعتبار أن هذه الأنظمة وتكوينها الأيديولوجي والفكري بما تحمله من فلسفة وقوانين وإجراءات يعد حاكماً أساسياً على ضعف الممارسة الإعلامية، إلا أنه يمكن تشبيه مقاومة هذه التيارات في ظل ضعف النقاش المهني العمومي بشأن الممارسة الإعلامية بـ«مواجهة الطواحين» دون أمل حقيقي، إذ لا يمكن للقائمين بالاتصال على اختلاف تطلعاتهم وخلفياتهم المهنية الاحتكام لمحددات أصيلة وواعية إزاء الممارسة المهنية؛ دون وجود

فضاء حقيقي وداعم للنقاشات المستمرة بشأن مستقبل هذه المهنة ودورها في الواقع المعيش.

في عام 2004م، تأسست جمعية الصحفيين العمانية بمبادرة مهنية خاضها عدد من الصحفيين في السلطنة، وهي تعد مكوناً تنظيمياً تابعاً للدولة عبر التزامها بإطار عمل وزارة التنمية الاجتماعية، مع هذا حاولت الجمعية عبر جهود غير منظمة جمع عدد من الصحفيين والإعلاميين والممارسين للنشاط الإعلامي من قطاعات مختلفة، والقيام بدور معزز للممارسة الصحفية والإعلامية في البلاد، لكن لا تزال هناك ندرة واضحة في التجمعات والمؤتمرات والملتقيات العمومية التي تجمع ممارسي المهنة. مع هذا، فإن مهمة الحوار المهني المستمر بشأن الممارسة الصحفية والإعلامية ليس الوقوف على طبيعة الممارسة المهنية وتأصيلها فحسب، بل إن له مساهمات في الوقوف على العثرات الحقيقية، وبالتالي تشكيل جهات ضغط مدنية ونقابية لدفع صانع القرار لتشكيل بيئة تقوم على الحرية الإعلامية والتعددية في صناعة الإعلام واستثماره وطنياً، وبالتالي تحييد وتقليل الضغط الواقع على صناعة المنتجات الإعلامية وتطور البيئة الرقمية للصحافة، إضافة للحالة الاقتصادية المترامنة مع هذه الممارسة. شاهدنا كيف عصفت جائحة كورونا (كوفيد19) بالبيئة الصحفية والإعلامية العمانية، وأجبرت الكثير من المؤسسات الإعلامية المحلية على الإغلاق أو تقليل نشاطها وموازاناتها المالية، وكان لهذا الأمر تأثيره الحاد على حقوق ممارسي مهنة الصحافة والإعلام في البلاد. مع هذا، فإن ثمة هدمًا خلاقًا فيما حدث، إذ يمكن أن تجمع هذه الحالة العصبية لواقع الممارسة المهنية الصحفيين والإعلاميين من

مختلف المؤسسات لنقاش حقيقي وحاسم، بشأن مستقبل مهنتهم وأهمية نشاطهم في ظل سوء الاقتصاد الداعم لوسائل الإعلام.

وبالمقابل، التفكير في خيارات اقتصادية بديلة لدعم المؤسسات الصحفية في إطار التفكير التقليدي المعتاد، ثم الإجابة على التساؤل الحقيقي: هل سيكون من المشجع للصحفيين اليوم الاستمرار في مهنة الصحافة والإعلام في البلاد؟ هذا السؤال الذي يحمل في طياته تقييماً عاماً للطابع المؤسسي لممارسة مهنة الإعلام والصحافة، ونظرة ثابتة للبيئة المهنية لها، بكل ما تحمله من توازنات تجمع الممارسة التقليدية بتلك الرقمية، وأبعاد اقتصادية، ومنظومة للتشريعات والقوانين والإجراءات، ومراجعة نقدية لدور الدعم الحكومي لوسائل الإعلام في ظل دورها الكبير والحاسم خلال هذه الجائحة.

يمضي هذا الشكل من الخطاب التفكري⁽¹⁾ (Journalistic Reflexivity) الدائم حول طبيعة ممارستنا للصحافة والإعلام في ظروف غير داعمة لهذه الممارسة؛ إلى النظر في التغيرات المباشرة واليومية على ممارسة الإعلام والصحافة، وبالتالي الفرصة المستمرة لإعادة توازن العمل المهني والصحافة وتقوية جذوره في المجتمع والدفع به للإنتاجية والإبداعية اللازمة.

- الناطق الرسمي للحكومة

خلال السنوات الماضية أثارت قضية هيكلية الإعلام الحكومي وقطاعاته الحديث بشأن دواعي اعتماد متحدثين إعلاميين رسميين، تعقد هذه النقاشات بالقوة التي تتركها هذه المهنة على مستوى الخطاب الإعلامي المقدم، حيث

(1) جمال نون؛ غسان مراد، الفعل السياسي الرقمي في العالم العربي ومنظومة القيم والتحويلات، دراسات إعلامية، ص 3-4، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر 2019م.

تصمم شخصيات المتحدثين الرسميين لتكون واجهة إعلامية للحكومات، وأداة فاعلة للتعامل مع المتطلبات المعلوماتية المختلفة التي تعززها وسائل الإعلام. تحظى شخصية المتحدثين الرسميين باهتمام كبير في فترة الأزمات، فهي تعد المصدر الأساسي والأولي للكثير من المعلومات، وهي شخصيات مصممة لمد الجسور المستمرة بين مختلف المؤسسات الحكومية والقطاعات المتصلة بالأزمة، وكل ما يشار عبر وسائل الإعلام من اهتمامات ونقاشات واستفسارات. لا تتوقف أهمية المتحدث الرسمي في كونه أداة حقيقية للخطاب الإعلامي المؤسسي، بل إنه يساهم بصورة كبيرة فيما نسميه «رجع الصدى»، وهو نقل الصورة الكاملة لما يحدثه المجتمع من آراء وتصورات ونقاشات لصاحب القرار نتيجة اشتغال هذا المتحدث بالظاهرة الإعلامية والاتصالية والتصاقه الوثيق بوسائل الإعلام.

أثار الحضور المستمر لوزير الصحة العمانية وبعض ممثلي الحكومة عبر وسائل الإعلام، ومساهماتهم المختلفة في الحديث عن التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية المؤسساتية؛ الاهتمام بدواعي استحداث منصب المتحدث الإعلامي الرسمي للحكومة، حيث يمكن ملاحظة أن هذا الجهد كان يمكن أن يحمل على منحى أكثر توسعاً ودقة واحترافية، في ظل استحداث شخصية المتحدث الإعلامي الرسمي المعني بالعملية الاتصالية الحكومية الموجهة للمجتمع من جهة، والموجهة لوسائل الإعلام من جهة أخرى.

يعتبر دليل التعامل الإعلامي مع الأزمات الذي أعدّه مركز التواصل الحكومي ووزارة الإعلام العمانية أنه من المهم: (تمثيل الدوائر القائمة بعملية الاتصال في فريق إدارة الأزمات بالمؤسسة)، و(تجنب التصريح غير

المدرّوس الذي قد ينتج عنه تداول معلومات خاطئة أو متناقضة⁽¹⁾. تؤكد العبارتان على أهمية التمثيل لفريق إدارة الأزمات، ثم تجنب التصريحات غير المدروسة، وهي المبادئ التي تؤكد عليها الممارسة المهنية المفترضة للناطق الرسمي للأزمات والمؤسسات في البلاد، ويتضح أن البيان الرسمي بشأن إدارة الأزمات في البلاد واعٍ لأهمية هذه الوظيفة وقيمتها الهادفة لتطوير التعاطي الإعلامي العماني مع الأزمات.

- المجد للصحافة العلمية

نشهد اليوم مرحلة مفصلية من عمر مكافحة العالم للأوبئة والتحديات الصحية، إذ لم يكن بمقدوره من قبل التعاطي مع الأوبئة بمثل هذه الجاهزية الاقتصادية والثقافية والإعلامية، لم يكن بوسعنا معرفة الكثير عما خلفته الأوبئة من دمار وتغيير موحش في عمق العالم والإنسان، لكننا اليوم بفضل ما نملكه من وسائل وأدوات رقمية للرصد وبحث المعلومات والإحاطة بكل منطقة في العالم؛ أصبحنا أثرياء معرفياً ومعلوماتياً على نحو غير مسبوق، وبات بالإمكان أن نتوسع بجديّة إزاء كل ما نراه ونلاحظه بشأن هذه الوباء.

إن دور الصحافة العالمية والمحلية في البلدان المختلفة يكمن في حفظ هذا المجد العلمي، والتوسع فيه وتطويره ونقده، ودورنا نحن الصحفيين والإعلاميين أن نحمي هذا المنجز العلمي، وأن نسعى لامتداده إلى فضاءات جديدة عبر تقديم منتجات صحفية ترصد الحالة العلمية والمعرفية، وتناقش الواقع الصحي والطبي في بلداننا، وتستدعي الاهتمام المجتمعي بقضايا صحة

(1) دليل التعامل الإعلامي مع الأزمات، مركز التواصل الحكومي ووزارة الإعلام والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مصدر سابق.

الإنسان، وساعية إلى التحرر من كل الأوهام الضمنية التي تركن العلم الصحي والطبي جانباً عبر اعتبارات مزيفة، كصعوبة تقديم هذه العلوم عبر الصحافة، وصعوبة فهمها واستيعابها مجتمعياً.

أليس من الهام اليوم أن يعاد للعلوم الحية والممتدة لكل مجالات الحياة، والتي تسهم الآن أكثر من أي وقت مضى، عبر جهود حثيثة لإنتاج لقاح يقينا مآزق كورونا (كوفيد19) وغيره من الأوبئة والأمراض المستعصية، بأن تكون لها مساحتها القيمة والبارزة في وسائل الإعلام المحلية على نحو خاص، شأنها في ذلك شأن أخبار النزاع والحروب وحياة المشاهير وأخبار العلاقات العامة التي تكتسح وسائل الإعلام المختلفة؟

إن الإعلام العماني كالإعلام العربي قد دفع ثمنًا باهظًا نتيجة غياب الصحافة العلمية المتخصصة، فالجمهور لا يزال سلبياً إزاء متابعة الأخبار والتقارير العلمية، في ظل غياب البرامج العلمية ذات الصفة الشعبية⁽¹⁾، التي بوسعها أن تجذب الشريحة الأوسع من الجمهور، بفضل ما تقدمه من تحليلات جادة في سياق مشوق يستعمل الصورة والجرافيكس، ويركز على ثبات المعلومات والتصاقها بالفرد والمجتمع. وأحد متطلبات تقوية جذور الصحافة العلمية في المجتمع يكمن في البحث عن مصادر حقيقية للتأهيل العلمي والمعرفي للصحفيين، بما يضمن إيجاد تغطيات علمية حقيقية، قائمة على المعرفة الرصينة للصحفيين، والخروج من القالب الإخباري العام

(1) بشر؛ هاني، الصحافة العلمية أصدق إنباء، مجلة الصحافة، العدد 18، معهد الجزيرة للإعلام، تاريخ النشر: يونيو 2020م، الرابط: <https://shortest.link/sB8>، تاريخ التصفح 28/6/2020م.

للمنتجات الصحفية إلى قالب التحليلي، الذي يلتفت إلى ما بداخل المنجزات العلمية، ومحاولات العلماء وأبحاثهم من قضايا وتحولات تستدعي التحليل والمراجعة. يفترض الخبراء أن يملك الصحفي استعداداً لممارسة الصحافة العلمية مع هذا فإنه (لا يتعين على الصحفي المتخصص في الشؤون الصحية أن يكون طبيباً، بل يجب عليه بناء قاعدة معرفية، تمكنه من معالجة المواضيع المراد تناولها، وعليه أن يكون قارئاً نهماً دائم الاطلاع على كل ما يتعلق بالأمر الصحية. فقد علمتنا يومياتنا في العام الحالي أن الكثير من المستجدات اليومية تبرز من اكتشافات وأبحاث⁽¹⁾.

من المهم تدريس الصحافة العلمية المتخصصة في كليات الإعلام والصحافة وأقسامها بالجامعات والكليات العمانية، كما يصبح ضرورياً أيضاً أن يعاد فهم الغرف الإنتاجية والتحريرية في المؤسسات الصحفية العمانية، بما يواكب متطلبات الصحافة العلمية والمتخصصة. ومما لا شك فيه أن مثل هذه التغيرات ستكون محل تقدير علمي عام ومجتمعي خاص، إذ لا اختلاف اليوم إزاء أهمية الطب والعلوم المختلفة في حياة الفرد والمجتمع.

(1) بشر؛ هاني، الصحافة العلمية أصدق إنباء، مجلة الصحافة، العدد 18.

قائمة المصادر والهوامش

باللغة العربية

1. أبو سويرح؛ لون، العرب وكورونا إدارة أزمة أم أزمة إدارة؟ مركز دراسات الوحدة العربية، افتتاحية العدد، أبريل 2020م.
2. أثير الإلكترونية؛ صحيفة، الأرقام.. استهلاك الإنترنت في السلطنة يرتفع.. و«نتفلكس» يتصدر التطبيقات، <https://shortest.link/td8>.
3. أثير الإلكترونية؛ صحيفة، السلطنة تسجل أعلى عدد إصابات في يوم واحد، <https://shortest.link/tda>.
4. بشر؛ هاني، الصحافة العلمية أصدق إنباء، مجلة الصحافة، العدد 18، معهد الجزيرة للإعلام، <https://shortest.link/sii>.
5. البوابة الإعلامية، وزارة الإعلام، إطلاق الحساب الرسمي الموحد لمتابعة مستجدات كورونا بالسلطنة، الموقع الإلكتروني لوزارة الإعلام العمانية، <https://omaninfo.om/topics/94/show/324384>
6. جمال نون؛ غسان مراد، الفعل السياسي الرقمي في العالم العربي ومنظومة القيم والتحويلات، دراسات إعلامية، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر 2019م.
7. الحاج؛ دعاء، الصحافة الصحية ما بعد كورونا ليس كما قبلها، مجلة الصحافة، العدد 18، معهد الجزيرة للإعلام، <https://shortest.link/td5>.
8. الرؤية؛ صحيفة، وكيل الصحة يكشف أسباب زيادة المصابين بكورونا في السلطنة، الموقع الرسمي لجريدة الرؤية العمانية، <https://shortest.link/sir>
9. شامس؛ وضحاء، الموت بكورونا.. أم الموت بالجوع، مجلة الفلق الإلكترونية العمانية، <https://www.alfalq.com/?p=11939>.

10. الشيبية؛ صحيفة، لكل معركة جنود، يوتيوب،
[youtube. com/watch?v=wTmhS8iaTNg](https://www.youtube.com/watch?v=wTmhS8iaTNg).
11. الشيبية؛ صحيفة، كلمة معالي الدكتور أحمد بن محمد السعيد في ختام المؤتمر الصحفي للجنة العليا بشأن ضرورة التعاون المجتمعي لدرء انتشار الوباء قبيل عيد الفطر المبارك، يوتيوب،
<https://www.youtube.com/watch?v=9yo7S6NbBwE>.
12. الشيبية؛ صحيفة، طيبة عمانية تروي سبب دخولها إلى الحجر الصحي، يوتيوب،
<https://www.youtube.com/watch?v=tAAgp1E32wU>.
13. الشيدي؛ عاصم، تفاصيل أول مؤتمر صحفي للجنة العليا باستخدام تقنية التحدث «عن بُعد»، <https://www.omandaily.om/?p=779391>.
14. عمان؛ صحيفة، اللجنة العليا تقرر: تقليص الموظفين إلى 30٪ وإلغاء خدمات المراجعين.. إغلاق محلات الصرافة ووقف الطباعة الورقية، الموقع الإلكتروني لصحيفة عمان، <https://www.omandaily.om/?p=776564>.
15. عمان تواجه كورونا، منصة تويتر، كيف يقضي أفراد الخط الأمامي يومهم في مواجهة كورونا وكيف يختمونه؟
<https://twitter.com/omanvscovid19/status/1246136852140220416?lang=ar>
16. العويسي؛ رجب علي، هل عاد كورونا للواجهة من جديد، الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن العمانية، <http://alwatan.com/details/390300>
17. مجلس الصحة لدول مجلس التعاون، منصة تويتر، الحلقة الأولى من سلسلة كورونا يتكلم،
https://twitter.com/ghc_gcc/status/1237460791885996033?lang=ar
18. مركز التواصل الحكومي، دليل التعامل الإعلامي مع الأزمات، مركز التواصل الحكومي ووزارة الإعلام والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون،
<http://omaninfo.om/images/library/file/Book881501.pdf>

19. مؤسسة دبي للمستقبل، الحياة بعد كوفيد19.. اتجاهات المستقبل في التجارة، <https://shortest.link/siG>.
20. وزارة الصحة، مقتبسات من المؤتمر الصحفي لوزير الصحة الموقر، يوتيوب، <https://www.youtube.com/c/OmaniMOH/videos>
21. وكالة الأناضول، كورونا.. سلطنة عمان تجيز العمل «عن بُعد» لموظفي الحكومة، <https://shortest.link/tdi>.
22. هلا أف أم، كل الأسئلة (هل سنشهد إغلاقاً لبعض المؤسسات الإعلامية المحلية وتسريح العاملين فيها بسبب كورونا؟)، منصة ساوندكلاود، <https://soundcloud.com/halafmradio/olkwpfoimxol>
23. اليعقوبي؛ سمية، إعلام الأقليات الآسيوية ضرورة أم مجازفة، مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، <https://institute.aljazeera.net/en/node/405>.
24. اليعقوبي؛ سمية، نساء عمانيات في مواجهة كورونا (نحمل خوفنا معنا إلى المنازل)، مجلة الفلق، <https://www.alfalq.com/?p=12138>

باللغة الإنجليزية

25. Facebook Official Account: Dr. Anthony Fauci, the US's top infectious disease expert, shares what we can all do to fight the spread of the coronavirus (COVID-19). Entry in: 12th August 2020. <https://www.facebook.com/108824017345866/videos/520947868798446/>, Published in: 20th March 2020.
26. Reuters Institute: Digital News Report. 2020. Reuters Institute& University of Oxford. Entry on: 12th April 2020. https://reutersinstitute.politics.ox.ac.uk/sites/default/files/2020-06/DNR_2020_FINAL.pdf
27. UN NEWS: Coronavirus 'grim reality'(World economy to shrink by 3.2 per cent, new UN report projects). Entry in: 14th June2020, <https://news.un.org/en/story/2020/05/1064032>, Published in: 13th May 2020

المحور الاقتصادي

التداعيات الاقتصادية لجائحة كورونا (كوفيد19)

د. سالم بن عبدالله آل الشيخ

متخصص في الاقتصاد

• مقدمة

مرت قرابة 10 أشهر منذ أن كتبت هذا البحث المتصل بالتداعيات الاقتصادية لجائحة فيروس كورونا (كوفيد19) في سلطنة عُمان، إذ كتبه في يوليو من العام الماضي 2020م، وإن بدت مدة ليست طويلة إلا أن بما حملة عاما 2020 و2021م من أحداث جسام متلاحقة على العالم بصورة عامة، وعلى عُمان بصورة خاصة، جعلت منهما عامين مختلفين كل الاختلاف عن كل الأعوام في العقود الأخيرة.

والبحث هذا ينقسم إلى أربعة أجزاء رئيسية، الجزء الأول ناقش التغيرات الكبيرة التي شهدتها السلطنة في عام 2020م، والمتمثلة في جائحة كورونا، وانهيار أسعار النفط بعد أن كانت في حالة انخفاض مستمر في السنوات الخمس الأخيرة، ووفاة صاحب الجلالة السلطان قابوس طيب الله ثراه، وتسلم مقاليد الحكم صاحب الجلالة السلطان هيثم حفظه الله ورعاه.

ثم انتقل للحديث عن واقع الاقتصاد العماني قبل جائحة كورونا

(كوفيد19)، الذي كان ولا زال يعاني من بعض المشكلات الهيكلية، أهمها - ولا يقتصر عليها- اعتماده على مصدر رئيس للدخل، وارتفاع عدد الباحثين عن عمل، وغياب الاستدامة المالية نتيجة ارتفاع الدين العام.

انتقل البحث بعد ذلك ليفصّل كيف عمّقت الجائحة هذه المشاكل وزادت الأوضاع تدهورًا، ويأتي هنا دور التدابير الحكومية للتخفيف من الآثار الاقتصادية والمالية التي فرضتها الجائحة.

وفي هذين الجزئين كان الحديث عن الفترة الممتدة منذ أن سُجلت أول حالتها إصابة بالفيروس في عمان أواخر فبراير 2020م إلى أواخر يوليو من نفس العام، أي فترة خمسة أشهر.

ثم جاء الجزء الأخير من البحث ليلسط الضوء على سمات الاقتصاد المرنة القادرة على امتصاص الأزمات الداخلية والخارجية، وكيف ينبغي للاقتصاد العماني أن يتبنى سياسات اقتصادية تجعل منه مرناً، وقادراً على التعامل مع هذه الأوضاع الاستثنائية.

وعلى الرغم من أن كثيراً من الأمور المذكورة في هذا البحث ما زالت قائمة وصحيحة حتى وقت نشره، غير أنه يجب -أيضاً- مراعاة أن عمان مرت بالكثير من التغيرات بعد يوليو 2020م، الشهر الذي أنهيت فيه البحث، أهمها التغيرات الكبيرة في هيكل الحكومة ورجالات الدولة، وتطبيق برنامج التوازن المالي، وتحديث المنظومة التشريعية التي لا يزال العمل عليها جارياً، لذا يجب قراءة هذا البحث في هذا السياق.

• تغيرات مهمة مع بداية 2020

لم يكن عام 2020م عامًا سهلاً على العالم عمومًا، وعلى الدول المعتمدة على النفط كمصدر رئيسي للدخل بصورة خاصة، ففي بداية العام اجتاحت العالم جائحة كورونا (كوفيد19) فتوقفت معظم الأنشطة الاقتصادية، فصاحب ذلك انخفاض حاد لأسعار النفط، لتصل فيها لمستويات لم تصلها منذ قرابة عقدين، نزل فيها سعر النفط الخام بنهاية مارس وبداية أبريل دون 20 دولارًا، فقد وصل سعر خام برنت لقرابة 20 دولارًا (بي بي سي عربي، 2020)، أما سلة أوبك وخام غرب تكساس الوسيط فقد انحدر دون 20 دولارًا ليصل لأدنى مستوى له منذ 18 عامًا (وكالة رويترز، 2020)، أما سعر نفط عمان فقد واصل انخفاضه إلى قرابة 20 دولارًا في أبريل 2020م (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020)⁽¹⁾.

بيد أن عام 2020م كان عامًا فارقًا للاقتصاد العماني ليس بسبب الجائحة فحسب، وإنما أيضًا لأن هذا العام شهد الاقتصاد العماني فيه ثلاثة تغيرات مهمة، سأشرحها هنا بإيجاز، وهي:

- انخفاض حاد لأسعار النفط

لم تكن بداية انخفاض أسعار النفط في عام 2020م، إلا أنه واصل انخفاضه لمستويات غير متوقعة، فقد بدأ الاقتصاد العماني يواجه انخفاض الأسعار منذ النصف الثاني من عام 2014م، حين بدأت أسعار النفط العالمية في الهبوط

(1) وصل سعر البيع الرسمي لخام عمان إلى أدنى مستوى له بتاريخ 4 مايو 2020م، حيث انخفض إلى قرابة 16.5 دولارًا (بورصة دبي للطاقة، 2020).

التدريجي منذ يوليو 2014م، ففي يونيو 2014م -قبل بداية سلسلة الانخفاضات- تجاوزت أسعار النفط 110 دولارًا، غير أنها ما لبثت حتى بدأت في النزول حتى وصلت إلى حوالي 50 دولارًا بنهاية نفس العام (Elsevier B. V, 2018)، واستمرت أسعار النفط منخفضة في السنوات اللاحقة، مما راكم عجز الميزانية العامة للدولة العمانية، اضطرت معه الدولة لاتخاذ بعض التدابير المالية، كالاقتراض المحلي والدولي، والسحب من الاحتياطات المالية، ووقف ترقية موظفي الدولة، ورفع جزئي للدعم عن بعض الخدمات، ورفع الرسوم على بعض الخدمات الحكومية، وتطبيق الضريبة الانتقائية.

وبناءً عليه، يمكن القول بأن عام 2020م بدأ بأسعار نفط منخفضة، قبل أن تهوي مجددًا لمستويات غير متوقعة مع نهاية يناير والشهور اللاحقة له من العام بسبب جائحة فيروس كوفيد19، وما أحدثته من توقف لكثير من الأنشطة الاقتصادية⁽¹⁾ (Macrotrends LLC, 2020).

- وفاة صاحب الجلالة السلطان قابوس طيب الله ثراه⁽²⁾

إن وفاة صاحب الجلالة السلطان قابوس طيب الله ثراه، وانتقال الحكم للسلطان هيثم بن طارق حفظه الله في نفس اليوم: 11 / 1 / 2020م، وما صحب

(1) تُظهر البيانات انحدارًا شديدًا في حركة سعر خام غرب تكساس الوسيط مع بداية عام 2020م، ويصل أدنى مستوى له في أبريل 2020م. كما تظهر البيانات متوسط سعر النفط الخام منخفضًا بمقدار 34٪ مقارنة بالعام السابق 2019م.

(2) أعلنت وكالة الأنباء العمانية صبيحة يوم 11 يناير 2020م وفاة صاحب الجلالة السلطان قابوس عن 79 عامًا، وتعيين السلطان هيثم خلفًا له.

ذلك من تغيرات أثرت في الاقتصاد العماني، فقد انتهت حالة عدم اليقين التي سادت المشهد العماني إثر تدهور صحة صاحب الجلالة السلطان قابوس وعدم وضوح من سيخلفه على عرش السلطنة على الرغم من إشارة النظام الأساسي لآلية انتقال السلطة. كما تسارعت وتيرة التغيرات الاقتصادية فور تولي صاحب الجلالة السلطان هيثم حفظه الله، وبَدَت حركة الإصلاح أكثر شمولية، لتطال مجموعة من مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والأمنية والشركات الحكومية، كما شملت التغيرات قطاع الاستثمار والضرائب والانفاق العام، وغيرها من جوانب اقتصادية أخرى.

إنه يبدو واضحًا للمراقب العام ومنذ الخطاب التاريخي الثاني (23 / 2 / 2020م) لصاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق⁽¹⁾ الحضور القوي للملف الاقتصادي، إذ تطرق جلالته في هذا الخطاب بصورة جلية لمفاهيم اقتصادية مهمة كالحوكمة والنزاهة والمحاسبة، وإعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة، وتحديث المنظومة التشريعية والقانونية، ورفع كفاءة عمل المؤسسات المملوكة للدولة، وأهمية قطاع الأعمال والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتوجيه الموارد المالية التوجيه الأمثل لخفض الدين العام وتحقيق الاستدامة المالية، وغيرها من المفاهيم المهمة الأخرى التي وردت في الخطاب، والتي ترسم ملامح المرحلة المقبلة لعُمان.

(1) جاء هذا الخطاب بعد الخطاب الأول لصاحب الجلالة السلطان هيثم حفظه الله يوم توليه الحكم بتاريخ 11 / 1 / 2020م، وقد جاء الخطاب الأول خطاب طمأنه للخارج، فركز على العلاقات الخارجية للسلطنة ومواصلتها لنفس النهج المعتدل الذي اتبعه السلطان الراحل طيب الله ثراه.

وجاءت المراسيم والأوامر السامية بعد هذا الخطاب التاريخي لتضع هذه المفاهيم على أرض الواقع، فقد شهد الواقع العماني خلال الشهور القليلة المنصرمة عددًا من التغيرات المهمة التي أثرت في الاقتصاد العماني، كتقليص عدد موظفي الدولة، ورفع كفاءة بعض المشاريع الحكومية المتعثرة، وتغيير في بعض القيادات العليا في الدولة، وإعادة هيكلة بعض الشركات المملوكة للدولة، وتعديل في بعض التشريعات ذات الصلة بالاقتصادي، والعمل جارٍ ومستمر نحو الإصلاح الاقتصادي.

- جائحة كورونا (كوفيد19)

ظهر فيروس كورونا (كوفيد19) في الصين، لأول مرة في 12 ديسمبر 2019م، بمدينة ووهان، إلا أن الصين كشفت عنه رسميًا منتصف يناير 2020 (بي بي سي، 2020). ثم ما لبث حتى تفشى في كثير من دول العالم، وفي يوم الأربعاء 11 مارس صنفت منظمة الصحة العالمية انتشار الفيروس وباءً عالميًا، وأعلنت حالة الطوارئ على نطاق دولي لمواجهة تفشي الفيروس.

سجلت عمان يوم الاثنين 24 فبراير 2020م أول إصابتين بفيروس كوفيد19 لمواطنتين قدمتا من إيران (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020)، فبدأت حكومة السلطنة بأخذ التدابير اللازمة لاحتواء المرض الذي بدأ في التفشي، وتشكلت لجنة عليا بأوامر سامية من سلطان البلاد لإدارة الأزمة، وقد أصدرت هذه اللجنة خلال الشهور المنصرمة عشرات القرارات، وقد طال الكثير منها النواحي الاقتصادية التي تأثرت سلبًا بصورة مباشرة.

وبناءً عليه، فإن هذه الأحداث الثلاثة الكبيرة التي افتتح بها الاقتصاد العماني عام 2020م كان لها الأثر البالغ على مكونات هذا الاقتصاد، ولا توجد

دراسات اقتصادية إحصائية حتى الآن -على حسب علم الباحث- بحثت الآثار المترتبة لكل حادثة، كما أن تداعيات كل هذه الحوادث لا تزال مستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور.

بعد هذا العرض السريع للأحداث الكبيرة التي أثرت ولا زالت تؤثر في الاقتصاد العماني منذ بداية 2020م، سيستكمل هذا الفصل مواضيعه مركزاً على الحدث الأخير؛ جائحة فيروس كورونا (كوفيد19)، كون الكتاب يتحدث عن تداعيات هذه الجائحة.

• أولاً: واقع الاقتصاد العماني قبل الجائحة

لم يكن الاقتصاد العماني قبل جائحة كوفيد19 في أفضل أحواله، فقد دخل الاقتصاد العماني عام 2020م وهو يعاني من مشكلات هيكلية⁽¹⁾ كبيرة، ولم يكن مستعداً لهزات اقتصادية عنيفة كتلك التي واجهها متحدةً ابتداءً من يناير 2020م، وتتصدر هذه المشاكل: الاعتماد على النفط، زيادة أعداد الباحثين عن عمل، وارتفاع الدين العام⁽²⁾:

- مشكلة الاعتماد على مصدر رئيس للدخل

كان الهدف الأول منذ خطة التنمية الخمسية الأولى (1976-1980) هو

(1) يمكن وصف المشكلة بأنها هيكلية إذا استدعى إصلاحها إلى تحول أو تغيير في الطرق الأساسية التي يعمل بها الاقتصاد.

(2) تم التطرق هنا لما يمكن تسميته بأمهات المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد العماني فقط، وإلا هناك غيرها، إما أن تكون انبثقت من هذه المشاكل الثلاث، أو أنها أقل أهمية، فلم يتطرق لها مفصلة، وإن جرى في بعض الأحيان الإشارة إلى بعضها.

(العمل على تنمية مصادر جديدة للدخل القومي، تقف إلى جوار الإيرادات النفطية وتحل محلها في المستقبل) (وزارة التقنية والاتصالات، 2020)، واستمر الهدف كما هو في جميع خطط التنمية الخمسية التي تلتها، والرؤية الاقتصادية 2020، والآن الرؤية الاقتصادية 2040، كلها تؤكد على ضرورة تنويع مصادر الدخل، وبناء اقتصاد بقاعدة إنتاجية عريضة تركز على قطاع خاص قوي، وقوى عاملة وطنية متمكنة من المعرفة، وقادرة على الابتكار، إلا أنه ومنذ ذلك الحين بقي النفط المصدر الرئيس للدخل، وبقي القطاع الخاص قطاعاً قائماً على المشاريع الحكومية في معظم الأحوال، وبقيت القوى العاملة الوافدة سمتها الغالبة قلة المهارة، تشكل نسبة عالية من القوى البشرية العاملة في القطاع الخاص⁽¹⁾.

وتشير إحصاءات 2019 إلى أن النشاط النفطي المباشر فقط يشكل قرابة 35٪ من حجم الاقتصاد، وحوالي 80٪ من مجمل المالية العامة، كما تشكل

(1) كثرة الشركات الحكومية وتعددتها - التي تجاوزت 60 شركة حكومية - تعكس بشكل ما ضعف القطاع الخاص، إذ إن المتبع لاقتصاديات السوق الحر - كما هي الحال عليه في السلطنة - أن الدولة لا تملك - في الغالب - إلا الشركات التي يحجم القطاع الخاص الاستثمار فيها، لضخامة رأس المال المطلوب، أو لضعف هامش الفائدة.. وهذه الحالة.. قلما تكون في الاقتصادات ذات القطاع الخاص القوي، ويتضح من المنشور المالي رقم (2) لعام 2020م، والمرسل لرؤساء مجالس إدارة الشركات الحكومية، تفهيم وزارة المالية لهذا الواقع، وتطلب من رؤساء مجالس الإدارات وقف إنشاء شركات حكومية لممارسة أي نشاط إلا في حال عدم وجود إقبال من القطاع الخاص للقيام بذلك النشاط، وتوجه بإعطاء الأولوية للقطاع الخاص في توسعة أية أنشطة في الشركات الحكومية القائمة (وزارة المالية، 2020)، واقع الشركات الحكومية والقطاع الخاص بحاجة لمراجعة شاملة.

القوى العاملة الوافدة في القطاع الخاص حوالي 84٪، أكثر من 90٪ منهم بمؤهلات دون الجامعي (النشرة الإحصائية الشهرية يناير 2020، 2020). ولهذا تطفو مشكلة الاعتماد على النفط على السطح بصورة جلية ومقلقة؛ كلما انخفض متوسط أسعار النفط لأدنى من السعر المعتمد لبرميل النفط في الميزانية العامة للدولة، كما حدث في حالات متكررة في العقود الماضية، وفي عام 2020م بلغ متوسط سعر تسليم نفط عمان حتى نهاية النصف الأول من العام حوالي 51 دولارًا للبرميل، بينما بنت الحكومة موازنتها لنفس العام بسعر تقديري وهو 58 دولارًا، وسيخلق الفارق بين السعرين عجزًا في الميزانية ما لم تتحسن أسعار النفط في النصف الثاني من العام (صحيفة الرؤية، 2020)، هذا العجز الذي قد يسدد بالدين العام أو بالسحب من الاحتياطي العام للدولة. إضافة إلى مشكلة العجز وارتفاع الدين العام، هناك مشاكل اقتصادية أخرى يخلفها الاعتماد على النفط كمصدر رئيس للدولة، ومنها ضمور قطاعات اقتصادية حيوية كقطاع الزراعة والصيد وقطاع الصناعة وقطاع التعدين، وذلك نتيجة تحول اهتمام الدولة لقطاع النفط واستقطاب الماهرين في القطاعات الأخرى للعمل في هذا القطاع والصناعات القائمة عليه نتيجة ارتفاع الأجور، والضمان الوظيفي العالي⁽¹⁾.

(1) اكتشاف مورد طبيعي وتصديره يؤدي إلى ارتفاع الطلب العالمي لعملة تلك البلد، وبالتالي.. ارتفاع قيمتها، وهذا يضعف تنافسية القطاعات الاقتصادية الأخرى في السوق العالمية لارتفاع تكلفتها، ويؤدي بها في الأخير إلى الضمور والتراجع. وهذه الظاهرة تُعرف بالمرض الهولندي إذ إنه لوحظ في هولندا بعد اكتشاف النفط فيها لأول مرة في النصف الأول من القرن الماضي، إلا أنه في عمان وإن قامت الدولة بربط العملة بالدولار بسعر ثابت ولم

كما أن قطاع النفط يصنف من القطاعات ذات الرأس المال الكثيف الذي لا يتطلب قوى عاملة كبيرة، ولا يجد فرص وظيفية كثيرة، والاعتماد عليه في دولة نامية تشكل الفئة الشابة النسبة الأعلى من السكان (تمثل نسبة من هم دون 45 سنة حوالي 85٪ من مجموع السكان، حسب إحصاءات المركز الوطني للإحصاء والمعلومات - 2020) يؤدي إلى أعداد كبيرة من القوى الوطنية الباحثة عن عمل.

إضافة إلى أن الاعتماد على الربيع -النفط في حالة السلطنة- أحد أهم أسباب تضخم الجهاز الإداري للدولة وانخفاض إنتاجيته، حيث تقوم الدولة باحتواء المجتمع في هيكل الدولة، لتوزيع الربيع على شكل أجور، غير عابئة بحجم الإنتاج وكفاءته، لذا فإن مشكلة الاعتماد على الربيع مشكلة هيكلية في الاقتصاد العماني، ربما تطلبها المراحل الأولى من التنمية الحديثة في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، غير أن استمرارها حتى عام 2020م يعكس قصورًا في التخطيط، أو عجزًا في تحويل خطط التنوع الاقتصادي إلى واقع ملموس.

تتأثر قيمته بالطلب العالمي بطريقة مباشرة، فإن القطاعات الاقتصادية الأخرى تراجع بما يشبه الدول المصابة بهذا المرض، فعمان تعاني من أعراض المرض وإن لم يصبها من خلال سعر العملة؛ فإنه أصابها من خلال تحول القوى العاملة الوطنية من القطاعات الاقتصادية المختلفة لقطاع النفط والغاز، ومن خلال ركون فئة كبيرة من القوى العاملة إلى الراحة في العمل في المنشآت الحكومية المتضخمة، كما أنه يظهر في معدل الإنفاق الاستهلاكي العالي.

– مشكلة الباحثين عن عمل

مشكلة الباحثين عن عمل مشكلة متجذرة في معظم الاقتصادات الربية المعتمدة على دخل واحد، إذ يعجز -في الغالب- الاقتصاد القائم على الثروات الطبيعية الأولية عن استيعاب الأعداد المتزايدة من الباحثين عن عمل، وبدلاً من أن تبدأ الحكومة في حل المشكلة من خلال تحفيز قطاعات أخرى اتاجية بالنمو، ودعم القطاع الخاص ليكون ركيزة مهمة في الاقتصاد، تبدأ باستيعاب الباحثين عن عمل من خلال توظيفهم في الجهاز الحكومي، ولو لم تستدع حاجة اقتصادية لهم، فيتضخم الجهاز الحكومي حتى يصل للحد الذي تعجز معه الدولة عن دفع أجور العاملين بمؤسساتها، أو تشارف على ذلك، وهنا ينتهي هذا الحل التريعي المُسكّن؛ لتجد الحكومة نفسها أمام أصل المشكلة الاقتصادية، وهي الاقتصاد القائم على بيع مصدرٍ أولي من الموارد الطبيعية دون وضع قيمة مضافة، واقتسام الإيرادات المتحصلة من ذلك البيع على شكل أجور تُمنح للعاملين دون أهمية لاحتساب «الإنتاجية».

وبناءً عليه، فإن مشكلة الباحثين عن عمل ما هي في حقيقتها إلتيجة لمشاكل اقتصادية أخرى كالبطء في النمو الاقتصادي يقابله نمو سكاني أكبر، أو نموه في قطاعات لا تناسب القوى العاملة الوطنية لأسباب موضوعية كتدني الأجور أو انخفاض معدل الأمان الوظيفي، وهنا ينشأ ما يُعرف بالبطالة الهيكلية، وعمان ليست بخلاف ذلك، فترى في الوقت الذي ينمو فيه أعداد الباحثين عن عمل تنمو أيضاً أعداد القوى العاملة المستقدمة من الخارج، وعليه يمكن الخلوصل إلى أن حل مشكلة الباحثين عن عمل يكمن في حل

مشاكل أخرى في الاقتصاد، وهذا درس تعلمه العالم منذ ما يعرف بفترة الكساد العظيم في بدايات القرن المنصرم، وأكدته النظريات الاقتصادية بعد ذلك. وقد تراكت في عمان أعداد الباحثين عن عمل حتى تجاوزت في عام 2011م خمسين ألف باحث، فكانوا يتيل خطر والعالم العربي يمر بالربيع العربي، فما كان أمام الحكومة من خيار إلا استيعابهم في جهاز الدولة بمؤسساتها المختلفة، دون حاجة اقتصادية لهم، فكانت أوامر السلطان السامية بتوظيف 50 ألف باحث عن عمل في القطاعات الحكومية المختلفة (صحيفة الوطن، 2011).

كان خيار التوظيف خياراً سياسياً بامتياز، أحدث أثراً اقتصادياً سلبياً، إذ سرعان ما تكشفت مشكلة بند الرواتب الحكومية الذي تضخم بالقدر الذي لا تستطيع الميزانية العامة تحمله عند أسعار النفط المنخفضة، فقد ارتفع بند الرواتب من 2.6 مليار ريال في عام 2010 إلى 6.1 مليار ريال في عام 2016م (الهنائي، 2018)، وهذا كلف الدولة عجوزات مالية ارتفع معها الدين العام في السنوات اللاحقة لعام 2011م، حين انحدرت أسعار النفط إلى حدود 50 دولاراً.

بيد أن هذا الإجراء لم يحل المشكلة، وإن أوجد لها مسكناً لبعض الوقت، إذ سرعان ما تدفقت سنوياً مخرجات التعليم العام والجامعي تبحث لها عن فرص عمل، فتضاعفت أعدادهم مجدداً أمام عجز الدولة عن تبني سياسات اقتصادية قادرة على إيجاد فرص وظيفية مناسبة لهم، وجاءت الأوامر السامية مرة أخرى بتاريخ 4 أكتوبر 2017 بتوظيف 25 ألف باحث عن عمل في

مؤسسات القطاع العام والخاص كمرحلة أولى، على أن يبدأ تطبيق هذه الخطوة في ديسمبر من نفس العام (صحيفة عمان، 2017)، لكن أعداد الباحثين عن عمل استمر في النمو.

دخل الاقتصاد العماني عام 2020م بمعدل كبير من الباحثين عن عمل، لا تعكسه البيانات الرسمية المنشورة، غير أنه مُلأَمَس في واقع سوق العمل، فقد نشر المركز الوطني للإحصاء بأن معدل الباحثين عن عمل مع نهاية 2019م بلغ حوالي 2.8٪، ولكيلا نفع في فتح الأرقام، يمكننا فهم سر هذه النسبة المنخفضة إذا عرفنا أن المركز يعرف الباحث عن عمل - كما عرفته منظمة العمل الدولية - بأنه (الفرد الذي في سن العمل ولا يعمل شريطة، أن يكون مستعداً وقادراً على العمل ويسعى إليه، من خلال البحث عنه، ولا يجده خلال الفترة المرجعية المحددة) (صحيفة أثر الإلكترونية، 2017)، والفترة المرجعية التي حددتها منظمة العمل الدولية هي أربعة أسابيع، إلا أن الكثير من الباحثين عن عمل في السلطنة قد لا يحدثون بياناتهم لمدة تتجاوز الأربعة أسابيع، إذا لم تُلح لهم بارقة أمل في فرصة معروضة مناسبة لمؤهلاتهم وتطلعاتهم، وهذا قد ينتج عنه بيانات غير دقيقة عن الأعداد الصحيحة للباحثين عن عمل.

مشكلة الباحثين عن عمل مشكلة ليست مرتبطة بوزارة بعينها أو جهة حكومية، وإنما هي انعكاس لمشاكل هيكلية في الاقتصاد، تتطلب تكاتف الجهود من قطاعات الدولة كافة، مشكلة لها اتصالاً بواقع قطاع خاص ضعيف، وتجارة مستترة، ونمو سكاني كبير يتجاوز النمو الاقتصادي، وقطاع حكومي رواتبه عالية مقارنة بالقطاع الخاص، وعجز عن تبني سياسات ناهضة

باقتصاد متنوع، ولذا نجد أن الكثير من الإجراءات التي تم اتخاذها من قِبَل بعض الجهات ذات العلاقة بمعالجة مشكلة الباحثين عن عمل إما أنها لم تؤتِ أكلها، أو أنها لم تكن بالقدر الكافي لحل المشكلة.

- ارتفاع الدين العام

ارتفاع الدين العام مشكلة نسبية تختلف باختلاف الاقتصادات، فنسبة حجم الدين من حجم الاقتصاد تحدد -إلى حدٍ ما فقط- حجم خطورته، وتبقى ثقة العالم (توقعاته) في أداء الاقتصاد المحك المهم الذي يحدد مدى خطورة الدين على الاقتصاد، لذا فإنه من الخطورة مقارنة حجم أو معدل الدين العام بين اقتصادين مختلفين، والحكم على أحدهما أنه دين آمن أو غير آمن بناءً على معطيات اقتصاد آخر، إذ إن حجم المشكلة لا يحددها حجم الدين وحسب، وإنما توقع العالم من أداء الاقتصاد في المرحلة المقبلة.

وارتفاع الدين العام في السلطنة جاء نتيجة مباشرة لانخفاض أسعار النفط دون السعر التقديري الذي بنت الحكومة عليه ميزانيتها العامة⁽¹⁾، وهي تعتمد على إيراداتها من النفط بنسبة تقارب 80٪ كما تمت الإشارة سابقاً، وقد بدأ الدين العام العماني يأخذ منحى تصاعدي بعد منتصف 2014م، إثر انخفاض أسعار النفط. مما دفع الحكومة إلى الاقتراض لمواجهة العجز الناجم عن انخفاض إيرادات النفط، وإن بدا الاقتراض حلاً سهلاً في البداية، إلا أنه يتحول لمشكلة مع تناميهِ وتنامي حجم الفائدة، خصوصاً إذا كان الهدف منه تمويل الاستهلاك كما هو الحال في عمان.

(1) يكون حجم الميزانية في بعض السنوات طموحاً، فتبنى على سعر تقديري عال.

وقد ارتفع الدين العام العماني من 1.48 مليار ريال في 2014م إلى أن وصل الحجم الإجمالي للدين العام في عام 2019م إلى ما يعادل 16.5 مليار ريال، متجاوزًا بذلك 50٪ من مجمل الناتج المحلي، وتشكل الديون الخارجية منه حوالي 77٪، كما أن مبلغ خدمة الدين واصل ارتفاعه في السنوات الأخيرة ليقتطع من ميزانية 2020م حوالي 860 مليون ريال (صحيفة الرؤية، 2020). إن لارتفاع الدين العام تأثيراته السلبية على مستقبل الاقتصاد، فهو يؤدي إلى خفض التصنيف الائتماني نتيجة ارتفاع المخاطر، وهذا بدوره يرفع قيمة خدمة الدين، ويؤثر في حركة الاستثمار المحلي والأجنبي، ويهز الثقة في ربط الريال العماني بالدولار، وقد خفضت وكالات التصنيف الائتماني العالمية المختلفة التصنيف الائتماني للسلطنة، وغيرت النظرية المستقبلية إلى سلبية، ويعزى هذا التخفيض إلى ارتفاع الدين العام، وضعف القدرة على تحمله (Trading Economics, 2020).

وقد حصلت عمان على مركزٍ متأخر جدًا في عنصر «ديناميكية الدين» في مؤشر التنافسية العالمي 2019، إذ حصلت على معدل 34٪، والترتيب 139 من أصل 141 دولة، وهذا العنصر يشير إلى ضعف قدرة الحكومة على سداد دينها، كما حصلت السلطنة على تقييم ضعيف في عنصر «الاستقرار» في نفس المؤشر، إذ حصلت على الترتيب 107 من أصل 141 دولة، ويتضمن هذا العنصر: متانة القطاع المصرفي، ونسبة القروض المتعثرة من مجمل القروض، ونسبة فجوة الائتمان (تقرير التنافسية العالمي 2019، 2020).

إذًا، دخلت السلطنة عام 2020م مثقلة بدين عام عالٍ لدولة صغيرة

اقتصادياً، ومعتمدة على مصدر واحد للدخل، وبخدمة دين مرتفع، وتصنيف ائتماني منخفض، واحتياطات مالية تتآكل، كما أنها دخلت بجهاز حكومي مترهل، جعل الدولة تعتمد أكثر على النفط وعلى القروض الداخلية والخارجية لتغطية نفقاته، كما أنها سحبت من الاحتياطات المالية، وكل هذا يتناقض مع الخطط والرؤى الاقتصادية للحكومة.

بعد هذا العرض، يمكننا القول إن الاقتصاد العماني كان قبل جائحة فيروس كورونا (كوفيد19) يعاني من مشاكل هيكلية، جعلته غير مهياً للتعامل مع هزات عنيفة مثلما فعلت الجائحة وما تبعها من انحدار في أسعار النفط.

• ثانياً: فيروس كوفيد19 يعمق المشكلات الاقتصادية

بدأت حكومة السلطنة بأخذ التدابير اللازمة لمنع فيروس كوفيد19 من التفشي، مباشرة بعد إعلان أول حالتها إصابة في عمان قادمين من إيران، فقامت أولاً بتعليق جميع رحلات الطيران المدني بين السلطنة وإيران، غير أن تزايد عدد حالات الإصابة استدعى السلطات استعمال تدابير وقائية أكثر صرامة، فتدرجت إلى أن علقت الرحلات الجوية، وأغلقت المنافذ البرية، وفرضت الحجر المؤسسي والمنزلي، وفرضت احترازاات صحية يقوم بها الفرد والمؤسسات، وأغلقت الكثير من الأنشطة التجارية والمرافق العامة، وفرضت العقوبات على المخالفين، وكان ذلك بناءً على قرارات لجنة تشكلت بأوامر سامية لإدارة الأزمة.

كل تلك التدابير -وهي ضرورية- أثرت سلباً على الوضع الاقتصادي

للبلد، فتعمقت المشكلات الاقتصادية التي كان من الأساس يعاني منها الاقتصاد العماني، وعلى الرغم من أن الاقتصاد العماني لا يزال في عين عاصفة الأزمة، ولا يمكن الخروج بتصور نهائي عن الآثار الناجمة عنها، فإنه يمكن إيجاز بعض الآثار الواضحة حتى الآن في الملفات الثلاثة الآتية:

- ملف التنوع الاقتصادي

أثرت أزمة كورونا (كوفيد19) سلبيًا في الجهود المبذولة للتنوع الاقتصادي، فقد تأثرت معظم مؤسسات القطاع الخاص، مما أجبر بعضها الخروج من السوق، وحادًا بالبعض الآخر التآقلم مع الأوضاع المستجدة بتقليل عملياتها، وتقليص القوى العاملة بها، وتعثرت الكثير من الشركات الصغيرة والمتوسطة، فلم تتمكن من سداد التزاماتها المالية، أو مواصلة مشاريعها القائمة، وقد انعكس ذلك في انخفاض مجمل القيمة المضافة للأنشطة غير النفطية والخدمية في الربع الأول من عام 2020م بمقدار 5.7٪، مقارنة مع نفس الفترة من العام 2019م، كما انخفضت قيمة الصادرات غير النفطية بمعدل 27.6٪، وقيمة الواردت السلعية بنحو 11٪ (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020)، وقد سجلت الأنشطة غير النفطية نموًا سالبًا بمقدار 6.2٪، تمثل ذلك في تراجع الأنشطة الصناعية بمقدار 11.5٪، وتراجعت أيضًا الأنشطة الخدمية بنسبة 5.2٪، بينما نما النشاط الزراعي والسمكي بمقدار 10.3٪ (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020)، كما أن الأزمة أثرت في قطاع الاستثمار المحلي والأجنبي، فحالة عدم اليقين وارتفاع درجة المخاطرة دفع بالمستثمرين إلى التريث حتى تنقشع سحابة الأزمة، ويتكشف الوضع الجديد

الذي ستخلفه.

وقد شهدت إيرادات الدولة من القطاع الجمركي انخفاضاً بمعدل 0.8٪، وانخفضت إيرادات ضريبة الدخل على الشركات بمعدل 10.7٪، أما الإيرادات الرأسمالية فقد انخفضت بمقدار 53.4 (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020)، كما أن إيرادات الحكومة من الرسوم انخفضت نتيجة الإعفاءات التي قدمتها، كل هذا أثر على قدرة الحكومة على دعم الاقتصاد للخروج من أزمته، وأخرت تنفيذ البرامج التنموية المعتمدة في الموازنة كما صرح بذلك الوزير المسؤول عن الشؤون المالية، فقد انخفضت المصروفات الاستثمارية في الربع الأول من 2020م بمقدار 24.5٪، وانخفض مجمل الإنفاق العام للدولة في الربع الأول من 2020م بمقدار 12.5٪ مقارنة مع نفس الفترة عام 2019م (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020).

- ملف الباحثين عن عمل

بدأ العام الجديد وهاجس الباحثين عن عمل كبير، وكانت المطالبة بتوظيف الأعداد الكبيرة من الباحثين عن عمل، الذين تراكمت أعدادهم بعد عمليات التوظيف الكبيرة في بداية عام 2011م ونهاية 2017م. غير أن تفشي الفيروس وضع مؤسسات القطاع الخاص في موقف مالي صعب، وكانت المشكلة مركبة، فهناك إضافة إلى ضعف الطلب، عانت هذه المؤسسات أيضاً من انقطاع سلاسل الإمداد بعد غلق الحدود وتوقف النشاط التجاري

والصناعي في دول الشركاء التجاريين⁽¹⁾، كما أن السياسة المالية المقتصدة التي تبنتها الحكومة، وتأخر الحكومة عن دفع التزاماتها المالية للشركات⁽²⁾، وارتفاع بعض الرسوم الحكومية كان له الأثر البالغ على قطاع خاصٍ متكئٍ على المشاريع الحكومية.

كان الوضع الجديد الذي فرضته الأزمة صعباً على معظم المؤسسات، ولا يستثنى منها إلا القليل ممن استفاد من الأزمة، نتيجة طبيعة الخدمة أو المنتج التي تقدمه؛ كالمؤسسات العاملة في خدمة التوصيل، أو بيع المواد الصحية، أو المواد الطبية. وقد دفع الوضع المالي الصعب المؤسسات أولاً إلى وقف خططها التوسعية، مما جعل فرص التوظيف نادرة، ثم مع تفاقم الأزمة اضطرت إلى خفض الرواتب وإلغاء العلاوات، لكن الوضع تجاوز ذلك لتقوم بعض المؤسسات الكبيرة منها والصغيرة بتقليص حجمها وتسريح بعض عمالها، ناهيك عن تلك التي خرجت من السوق كلياً.

فاقمت أزمة كورونا (كوفيد19) المشاكل العمالية بين العمال وأرباب العمل، وحاولت الحكومة ونقابة العمال التدخل لحل بعض هذه الإشكالات

(1) تعد الإمارات العربية المتحدة والصين أكبر شريكين تجاريين للسلطنة، فقد شكلت واردات عمان من دولة الإمارات العربية المتحدة في الربع الأول من 2020م ما نسبته 43٪ من مجمل الواردات، تلتها الصين بنسبة 6.5٪، إلا أن السلع صينية المنشأ شكلت حوالي 13٪ من مجمل الواردات (المركز الوطني للإحصاء، 2020).

(2) وجهت وزارة المالية في منشورها رقم (3) لعام 2020م كافة الوحدات الحكومية؛ بعدم التأخر في سداد مستحقات الشركات المنفذة للمشاريع الحكومية، والإسراع في سداد الدفعات المالية في مواعيدها، وفقاً للشروط التعاقدية المبرمة بين الأطراف (وزارة المالية، 2020).

التي لم تكلل جميعها بالنجاح، كما أنها أّزمت ملف الباحثين عن عمل بارتفاع أعداد المسرّحين عن العمل من القوى العاملة الوطنية، وعلى الرغم من عدم توفر إحصاءات دقيقة في هذا الشأن؛ فإنه من غير المجدي الحديث عن أعداد نهائية، فالأزمة تتفاقم ولا زلنا في وسط عاصفتها، كما أن الأعداد لا يمكن الجزم أنها نتيجة الجائحة، ما لم تتوفر دراسة إحصائية تفصّل أثر العوامل الأخرى المتداخلة والمؤثرة في أعداد المسرّحين عن العمل، غير أنه في هذا الصدد، فإن تقريراً أعدته صحيفة «الرؤية» بناءً على تقرير قدمه مجلس الشورى، تطرق لأعداد المسرّحين خلال الفترة 2016-2019م، فقد بلغ مجمل المسرّحين في هذه الفترة بحسب إحصاءات وزارة القوى العاملة 15.4 ألف مسرّح، بينما بلغ عددهم وفق إحصاءات الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية 53.8 ألف مسرّح، والفارق بين العددين كبير، ولعل مرد ذلك إلى اختلاف في تعريف المسرّحين لدى الجهتين، إلا أن هذا الفرق لا يخدم الجهات البحثية في السلطنة، ولا متخذي القرار (الجهوري، 2020)، كما أنه من المؤكد أن العدد ارتفع مع أزمة كوفيد19 في عام 2020م.

وبمقارنة النشرات الشهرية ليناير ويوليو التي يصدرها المركز الوطني للإحصاء والمعلومات يتّضح انخفاض في مجمل العمانيين العاملين في القطاع الخاص المؤمن عليهم في مايو 2020م مقارنة بديسمبر 2019م بمقدار 4687 عاملاً، أي بمعدل 1.8٪، وتشير النشرات إلى أن ذلك ناجم عن انخفاض في معظم الأنشطة الاقتصادية، وعلى وجه الخصوص قطاع الصناعة التحويلية، وقطاع التشييد، وقطاع الخدمات الإدارية وخدمات الدعم، كما تظهر

النشرات ارتفاع نسبة الباحثين عن عمل للجنسين في يونيو 2020م مقارنة بمايو من نفس العام بنسبة 0.7٪.

إدًا، إضافة إلى أن المسرَّحين عن العمل أضافوا عبئًا آخر إلى ملف الباحثين عن عمل؛ فإن فقدانهم لوظائفهم يمكنه أن يخفِّض من قوة الطلب التي هي في الأساس ضعيفة، كما أوجد إشكالات أخرى مرتبطة بهؤلاء المسرَّحين كعجزهم عن سداد التزاماتهم البنكية.

- ملف الاستدامة المالية

أثرت أزمة فيروس كوفيد19 في بند الإيرادات الحكومية وفي بند الصرف، فقد واجه بند الإيرادات انخفاضًا كبيرًا في الإيرادات النفطية، إذ هوت الأسعار لمستويات تاريخية، فقد وصل العالم لتخمة في المعروض والمخزون من النفط، لدرجة هوت فيه أسعار النفط الآجلة للصفر، وتجاوزته إلى حوالي سالب 37 دولارًا، كما حدث للعقود الآجلة للنفط الأمريكي الخام (العربية، 2020)، وهذا ما لم يحدث في التاريخ، وقد انخفضت الإيرادات النفطية في الربع الأول من 2020م بمقدار 327 مليون ريال، ومن المتوقع أن تنخفض أكثر في النصف الثاني من العام (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020)، أما في جانب الصرف فقد حرصت الحكومة على ضبط النفقات بصورة عامة لخفض معدل العجز، غير أن الوضع الراهن ضغط باتجاه زيادة الصرف في تلك البنود المتعلقة بالتعامل مع جائحة المرض وعلاج المصابين.

قُدِّر العجز المالي في ميزانية 2020م بنحو 2.5 مليار ريال، وبنسبة 8٪ من الناتج المحلي الإجمالي لنفس العام، وسيصل بنهاية العام مبلغ خدمة الدين

قراءة بمليار ريال (صحيفة الرؤية، 2020)، غير أن وزارة المالية رجّحت أن يصل العجز لعام 2020 إلى أكثر من 4 مليارات ريال، وليس كما هو متوقع بداية العام بحوالي 2.5 مليار، وذلك للانخفاض الحاد في أسعار النفط (وزارة المالية، 2020)، وقد اختارت حكومة السلطنة مؤخراً بنكي أبوظبي الأول ومسقط لترتيب قرض من بنوك دولية بملياري دولار (الأسواق العربية، 2020)، وبذلك سيقترب حجم الدين العام من 60٪ من حجم الناتج القومي الإجمالي.

وفي سياق ارتفاع مستويات الدين العام، تصبح شفافية الدين بالغة الأهمية، إذ إن على الدولة أن تضع استراتيجية واضحة لكيفية سداد الدين، والفوائد المترتبة عليه، كما أنه من المهم نشر تفاصيل دقيقة وشاملة لكيفية صرف المبالغ المستلمة، وكل ذلك يجب أن يستند إلى فهم واضح لمستوى وتكاليف ومخاطر الدين (ريفاتي، 2020).

كما قد يؤثر الوضع المالي للسلطنة على حجم احتياطياتها الخارجية، وعلى الرغم من أن صناديق الاستثمار والتحوط مهمة في مثل هذه الحالات الطارئة، وقد انشئت لهذا الغرض، حيث إنها تمتص الفائض من الدخول وقت الرفاه، وتكون المعين وقت الشدة، فإن تدهورها بشكل كبير يؤثر على التصنيف الائتماني، واستقرار العملة، مما قد يشكل لها ضغوط سيولة خارجية كبيرة، مما يضطر معها البنك المركزي العماني إلى فك ربط الريال بالدولار أو تخفيضه، وهذه مشكلة كبيرة قد تُدخل الاقتصاد العماني في أزمة عملة عنيفة⁽¹⁾.

(1) تشير الدراسات الاقتصادية إلى أن الدول التي تطبق «نظام صرف ثابت» غالباً ما تكون أكثر عرضة لأزمات العملات من تلك التي تطبق «نظام صرف مرن»، وذلك.. راجع إلى

كل تلك المعطيات جعلت من البنك الدولي يتوقع أن ينكمش الاقتصاد العماني في عام 2020م بمعدل 4٪ (البنك الدولي، 2020)، وتشير بيانات الربع الأول من 2020م إلى انخفاض في الناتج المحلي الإجمالي بمقدار 3.9٪ مقارنة مع نفس الفترة من عام 2019م (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020).

• ثالثاً: التدابير الحكومية للتخفيف من الآثار الاقتصادية التي فرضتها الجائحة⁽¹⁾

تعاملت السلطنة بجديّة كاملة مع الجائحة والآثار المترتبة عليه، فصدرت الأوامر السامية بتشكيل لجنة عليا تتولى بحث آلية التعامل مع التطورات الناتجة عن انتشار فيروس كوفيد19، وذلك بعد قرابة 15 يوماً من رصد أول حالتي إصابة بالفيروس في عمان، وتختص اللجنة برصد ومتابعة التدابير المتخذة عالمياً للتعامل مع الجائحة، ووضع الحلول والمقترحات والتوصيات للحد من انتشاره، وتخفيف الآثار المترتبة عليه (وكالة الأنباء العمانية، 2020).

توقعات المضاربين والمستثمرين في قدرة الدول على الدفاع عن عملتها والحفاظ على قيمتها أمام الربط.

(1) المناهضون لتوسع دور الحكومة؛ يرون بأن دورها يجب أن يقتصر -كما يقترح سميث- على وضع التشريعات وإقامة العدل، والحفاظ على حقوق الملكية الخاصة، والدفاع عن الوطن ضد العدوان، ويرون أن الحكومات في العالم استغلت جائحة كورونا كوفيد19، لتزداد توسعاً على حساب حريات الأفراد ومبادئ السوق الحر.

وقد عملت هذه اللجنة منذ إنشائها على دراسة مستجدات الجائحة، وإصدار القرارات الملائمة لكل مرحلة، وبعد قرابة شهرين من عملها، جاءت الأوامر السامية بتشكيل لجنة خاصة لمعالجة الآثار الاقتصادية الناتجة عن الجائحة (وكالة الأنباء العمانية، 2020)، لتعكس اهتمام أعلى سلم الدولة بالوضع الاقتصادي الذي تأثر جرّاء الأزمة، وتهدف اللجنة إلى وضع الآليات المناسبة التي تضمن سرعة عودة الأنشطة الاقتصادية، وضمان تحقيق معدلات نمو اقتصادي سريع (صحيفة الرؤية، 2020).

ولتخفيف الآثار الاقتصادية للجائحة قامت الحكومة بحزمة من الإجراءات المالية والاقتصادية التي تستهدف المؤسسات الحكومية، والقطاع الخاص، والأفراد، أهمها:

- ترشيد الإنفاق العام⁽¹⁾

قامت الحكومة جاهدة بالعمل على خفض الإنفاق ورفق كفاءته، وعلى الرغم من ارتفاع الصرف في البنود المتصلة بالجوانب الصحية وخدمة الدين العام، تمكنت الحكومة في الربع الأول من 2020م من خفض مجمل الصرف بمقدار 461 مليون ريال، وهذا وإن لم يحل مشكلة العجز التي تواجه الميزانية العامة للدولة فإنه سيسهم في تخفيفه (وزارة المالية، 2020).

ومن المتوقع أن يصل الأثر المالي لإجراءات خفض الحكومة في عام

(1) خفض الإنفاق ضرورة ألجأ إليها الدولة تأثر إيراداتها بالأزمة، وإلا فالأفضل للاقتصاد للخروج من أزمته ومعاودة نموه هو تنفيذ سياسة مالية توسعية، ويتم ذلك من خلال التوسع في الإنفاق الحكومي وخفض الضرائب والرسوم.

2020م إلى حدود مليار ريال، فقد قامت الحكومة بخفض إنفاقها في مجموعة بنود، أهمها خفض المصروفات الجارية والإنمائية لوحداها المدنية والعسكرية والأمنية والشركات الحكومية بمقدار 10٪، كما أنها خفضت الدعم المقرر للشركات الحكومية بمقدار 50٪، وأوقفت جميع الترقيات والمكافآت والعلاوات والمشاريع الرأسمالية الجديدة (وزارة المالية، 2020)، وسيسهم هذا الخفض في الإنفاق في التقليل من حجم العجز المتوقع، ولا يخفض حجم الدين العام.

في الوقت نفسه، خاطبت وزارة المالية جميع الوحدات الحكومية بضرورة العمل على رفع كفاءة الإنفاق من خلال إعادة ترتيب أولويات الصرف، ومراجعة أوجهه كافة، خصوصاً تلك المتصلة بالبنود الاستهلاكية، وتدابير أية احتياجات قد تستجد خلال العام من بنود الموازنة المعتمدة دون طلب رفع المخصصات المالية المقررة (وزارة المالية، 2020)، كما قررت الحكومة في محاولة لرفع كفاءة الإنفاق بتقليص أعضاء مجالس إدارات الشركات الحكومية، وخفض حجم مؤسسات الدولة من خلال إحالة للتقاعد ما لا يقل عن 70٪ من موظفي جهاز الدولة ممن أكمل 30 سنة خدمة أو 25 سنة خدمة إذا كان شاغلاً لمسمى مستشار أو خبير أو مدير مختص، وعدم تجديد عقود ما لا يقل عن 70٪ من المستشارين والخبراء الأجانب العاملين في مؤسسات الدولة (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020)، وقلّصت الحكومة المكافآت والأتعاب التي كان يتحصل عليها مجالس إدارات الهيئات والمؤسسات العامة والشركات الحكومية. وفي سعي من بعض المؤسسات الحكومية لرفع كفاءة عملها قامت بتقليل الوقت المطلوب للخدمة، وتسهيل الإجراءات،

فعلى سبيل المثال، أعلنت هيئة المنطقة الاقتصادية الخاصة بالدقم تقليص فترات إنجاز معاملات المستثمرين، وذلك في محاولة إلى تسريع الاستثمار في المنطقة، ورفع من كفاءة العمل (هيئة الدقم الاقتصادية، 2020).

- البنك المركزي العماني يوفر سيولة إضافية ويخفّض معدل

الفائدة

تلجأ الدول في وقت الأزمات الاقتصادية لتنفيذ سياسات مالية ونقدية توسعية لتنشيط الاقتصاد ومنعه من الدخول في حالة ركود أو كساد، وفي هذا السياق وجه البنك المركزي العماني قرارات لجميع المصارف وشركات الصرافة وشركات التمويل بتعزيز مستوى السيولة، وذلك من خلال توفير سيولة إضافية في حدود 8 مليارات ريال (إبراهيم، 2020)، وبناءً عليه فقد ارتفع مجمل السيولة المحلية بمقدار 10.2٪، كما خفّض متطلبات رأس المال الوقائي بنسبة 50٪ من 2.5٪ إلى 1.25٪، وقد ارتفع عرض النقد بنحو 10.3٪ (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020).

كما تم تسهيل الإقراض في القطاعات المتأثرة بالأزمة كقطاع السفر والسياحة وقطاع الخدمات الصحية (إبراهيم، 2020)، فارتفع مجمل القروض والتمويل بمعدل 3.3٪، وانخفض متوسط سعر الفائدة على مجمل القروض بنسبة 0.2٪ (المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، 2020)، ووجه البنك المركزي بضرورة منح مرونة في التعامل مع القروض المرتبطة بتمويل المشاريع الحكومية، ودراسة إمكانية تخفيض الرسوم على الخدمات المصرفية، وضرورة عدم إضافة رسوم إضافية أخرى (صحيفة الرؤية، 2020).

- دعم القطاع الخاص

نال القطاع الخاص بالغ الاهتمام من الحكومة، لما يمثله من أهمية للاقتصاد الوطني، فصدرت القرارات وجاءت التوجيهات من لدن المقام السامي ومن خلفه قطاعات الدولة المختلفة لتخفيف آثار الأزمة عليه، ومن أهم الإجراءات التي اتخذت في هذا الصدد:

- منح جهاز الضرائب الشركات العاملة بالسلطنة مهلاً وإعفاءات ضريبية، فقد عفا عن الغرامات والجزاء المترتبة على التأخر في تقديم الإقرارات والحسابات الضريبية، كما أوقف سريان الضريبة الإضافية المستحقة عن الضرائب الأصلية الواجب سدادها عن السنوات السابقة على سنة 2019م، وسمح بإعادة جدولة سدادها للذين سبق الموافقة لهم بتقسيتها، وسمح بجواز تقسيط مبلغ ضريبة عام 2019م (جهاز الضرائب، 2020).

- اعتماد برنامج للقروض الطارئة دون فوائد، لمساعدة الفئات المتضررة من رواد الأعمال؛ خصوصاً أولئك العاملين لحسابهم الخاص، والحاصلين على بطاقة ريادة، والمستفيدين من قروض صندوق الرفع وبنك التنمية العُماني، وقد أعلن بنك التنمية أن عدد المؤسسات والشركات المستحقة حوالي 25 ألفاً، تقدم منها خلال الأربعة أسابيع الأولى من إعلان المبادرة حوالي 3300 شركة ومؤسسة، ومن المتوقع صرف حوالي 6 ملايين ريال لهذا العدد (الطوقي، 2020).

- منح تسهيلات مالية وإعفاءات على بعض الخدمات الحكومية كتلك التي تقدمها البلديات المختلفة، ووزارة القوى العاملة، ووزارة التجارة، كما تم

- خفض بعض الاشتراطات للحصول على موافقات جهات الاختصاص بالدولة (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020).
- وجه البنك المركزي المصارف وشركات التمويل بالاستجابة لطلبات إعادة جدولة قروض المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المتأثرة بتداعيات الجائحة، دون تحميلهم عبء فوائد إضافية (صحيفة الرؤية، 2020).
 - اتخذت الحكومة ممثلة في وزارة التجارة ومجموعة أسياذ بتسهيل كل الإجراءات الممكنة نحو الاستيراد المباشر، لأجل التغلب على مشكلة إغلاق الحدود وتوقف تدفق السلع من بعض الشركاء التجاريين، وهذا انعكس على شكل ارتفاع في معدلات الاستيراد والتصدير من الموانئ العمانية في الربع الأول من عام 2020م، وأشارت نتائج الربع الأول من العام 2020م لميناء صحار إلى ارتفاع حجم مناولة الحاويات بنسبة 20٪، كما زادت في ميناء صلالة بنسبة 23٪ (أسياذ، 2020).

- دعم القوى العاملة الوطنية

- تأثر كثير من الأسر العمانية بنتيجة تسريح رب الأسرة والمعييل لها من عمله، فعملت الحكومة على تخفيف أثر الجائحة على هذه الأسر، ومن ضمن ما قدمته الحكومة في هذا السياق:
- منع إنهاء خدمات القوى الوطنية العاملة دون إخطارها بمدة ثلاثة أشهر على أقل تقدير من التاريخ المحدد لإنهاء الخدمة، وذلك وفق القرار الوزاري رقم (124 / 2020)، وقد نظرت لجنة مختصة برئاسة وكيل وزارة القوى العاملة لجميع الحالات التي خالفت القرار، وخاطبت

- جهات العمل بالالتزام بالقرار الوزاري، وبالمدد المحددة فيه (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020).
- وجه البنك المركزي العماني المصارف وشركات التمويل بتفهم أوضاع المقترضين المتأثرين بالجائحة، والموافقة على إعادة جدولة قروضهم دون تحميلهم أعباء مالية إضافية نتيجة إعادة الجدولة (صحيفة الرؤية، 2020).
- تأجيل سداد فواتير الكهرباء والماء والصرف الصحي حتى نهاية يونيو 2020م، مع إعطاء فرصة تسيط المبالغ المستحقة بعد هذه المدة، كما يمنح المستحق منهم بطاقة الدعم الوطني للوقود (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020).
- إنشاء صندوق الأمان الوظيفي، وقد وجه جلاله السلطان هيثم بن طارق المعظم حفظه الله بإنشاء الصندوق، وموَّله من نفقته الخاصة بمبلغ 10 ملايين ريال لبداية تأسيسه، على أن يجري وضع نظام لتمويله لاحقاً من خلال مشاركة أرباب العمل والعمال في القطاع الخاص (صحيفة الرؤية، 2020)، ويهدف هذا الصندوق إلى توفير رعاية للذين يفقدون وظائفهم نتيجة ظروف خارجة عن إرادتهم، كما أن الصندوق يرفع مستوى الأمان الوظيفي لأولئك العاملين بالقطاع الخاص، وهذا من شأنه أن يمنح دفعة قوية لهذا القطاع المهم.
- إضافة إلى كل تلك الجهود الحكومية، تجدر الإشارة هنا إلى الجهود الجبارة التي بذلتها مؤسسات المجتمع المدني لمساعدة الأسر المتضررة، فكانت داعماً ومكملاً لدور الحكومة في تخفيف الآثار الاقتصادية الناجمة

عن هذه الجائحة، ويمكن لمس تلك الجهود في عمل لجان الزكاة والفرق الخيرية في ولايات عمان المختلفة، والتي وجهت جهودها لمساعدة هذه الأسر، حيث سهّلت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية من خلال برنامج زكاة الإلكتروني دعم المتضررين من كورونا (كوفيد19) بمبلغ أكثر من 170 ألف لـ 854 أسرة من مختلف ولايات السلطنة (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2020).

كما قامت الفرق الخيرية بتجميع وتخصيص مبالغ مالية خاصة للأسر المتضررة من الجائحة (وكالة الأنباء العمانية، 2020). فعلى سبيل المثال، قام فريق مطرح الخيري وجمعية الرحمة بالعديد من الجهود، في تقديم المساعدات لتوفير المؤن والمواد الغذائية الأساسية، وتوزيعها على المتضررين من العزل الصحي، الذي فرض على ولاية مطرح خلال أبريل (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020). وتوجت جهود الحكومة بتأسيس صندوق وقفي لدعم الخدمات الصحية في هذا الإطار التشاركي بين الدولة وقطاعات المجتمع المختلفة، حيث تشرف على الصندوق وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ويشترك الجميع -أفراداً ومؤسسات- في تمويله، وتخصص أمواله وعوائد استثمارها لدعم أنشطة وبرامج الخدمات الصحية بالسلطنة (صحيفة أثير الإلكترونية، 2000).

• رابعًا: إيجاد اقتصاد مرّن وآمن

منذ أن وُجد النظام الاقتصادي الجديد في بداية القرن العشرين الميلادي وهو يحمل في طياته بذور الأزمات التي تأتي متلاحقة منذ ذلك الحين، حتى إنه

يكاد لا يخلو عقد من الزمان دون نشوب أزمة عالمية أو إقليمية⁽¹⁾، ومما زاد في عدد هذه الأزمات وحجمها الروابط المعقدة بين اقتصادات دول العالم على صعيد القطاع المالي أو على صعيد ما يُعرف بالاقتصاد الحقيقي، وبناءً عليه فإن تجنب الأزمات قد يبدو مستحيلًا في بعض الأحيان، غير أنه يمكن للدول امتلاك القدرة على إدارة تلك الأزمات، والتخفيف من آثارها، وامتلاك المرونة الكافية لمعاودة النمو في أسرع وقت ممكن.

وفي هذا الصدد ابتكرت مؤسسة (FN Global) للتأمين مؤشرًا يحسب قدرة الاقتصاد على التأقلم مع المتغيرات العالمية الطارئة ومدى مرونته في امتصاص آثار الصدمات الاقتصادية الخارجية، اعتمد المؤشر في قياسه على ثلاثة معايير أساسية وهي: قوة الاقتصاد، ونسبة المخاطر، وجودة سلاسل الإمداد، وتتضمن هذه المعايير الأساسية أخرى فرعية منها مستوى الإنتاجية، ومستوى الاعتماد على النفط، ومستوى الفساد، ومخاطر التعرض للهجمات السيبرانية، وجودة الشبكة اللوجستية المحلية. ثم أعطى المؤشر 100 درجة لكل معيار، بحيث يكون الاقتصاد مرناً وقادرًا على التعامل مع الأزمات الخارجية كلما اقترب من 100، بينما تقل تلك المرونة ومستويات الأمان المناسبة لتلقي الأزمات وتجاوزها كلما ابتعد الاقتصاد عن 100 مقربًا من الصفر (FMGlobal, 2020).

(1) يكاد يجزم معظم الاقتصاديين بضرورة تعديل النظام المالي العالمي، والكثير منهم يعتقد بأنه نظام ولد وبرحمه بذور الأزمات التي سيلدها متلاحقة بعد ذلك، ومن أشهر من انتقد النظام المالي العالمي منذ بداياته الاقتصادي البلجيكي الأمريكي روبرت تريفن، وقد عرف نقده للنظام بعد ذلك بمعضلة تريفن.

وقد قام هذا المؤشر بتصنيف الدول بناءً على مجموع تلك المعايير الأساسية والفرعية، فجاءت عمان في الترتيب 51 من أصل 130 دولة مُصنفة، وقد حصلت على معدل عام مقداره 56.1، وحصلت على معدل 56.1 في مؤشر قوة الاقتصاد و30.9 في مؤشر نسبة المخاطر و56.6 في مؤشر جودة سلاسل الإمداد، ويتضح من هذه الأرقام الهامش الكبير الذي يمكن عمان العمل عليه لرفع مستوى مرونة اقتصادها (FMGlobal, 2020).

وبناءً عليه، فإنه يمكن أن نستشهد بالمعايير المستخدمة في هذا المؤشر، لرسم خارطة طريق لاقتصاد مرّن، قادر على التعامل مع الهزات الخارجية، والتعافي منها في وقت قياسي، كما أننا سنستلهم بعض الدروس من هذه العاصفة التي يمر بها حاليًا الاقتصاد العماني ومعظم اقتصادات العالم، ونقترح ليكون الاقتصاد في أعلى حالات المرونة والقوة النقاط الآتية⁽¹⁾:

- أمن وطني قائم على أمن غذائي ودوائي وطاقة مستدامة

واجهت بعض دول العالم في بداية الأزمة تحديًا كبيرًا في توفير بعض السلع الأساسية لمواطنيها، ومن جملتها بعض دول الخليج العربية، اعتمدت دول الخليج لسنوات طويلة على سلة الغذاء التي تستوردها من الخارج، بالأموال التي تحصل عليها من بيع النفط، والسلطنة ليست استثناءً، فقد صرح الرئيس التنفيذي للهيئة العامة للمخازن والاحتياطات الغذائية أنها تستورد معظم احتياجاتها من المواد الغذائية (صحيفة عمان، 2019)، وإن بدا هذا الأمر خارجًا عن إرادة سكان المنطقة لما تتصف به المنطقة من أجواء حارة قاسية

(1) ترتيب النقاط لا يعني ترتيب أولوية أو أهمية.

بمساحات زراعة ضيقة، وقلة في المخزون المائي، فإنه لا يُعفي المخططين من وضع خطط طارئة لوقت الأزمات، فالكثير من الدول المصدرة للغذاء تحظر تصدير السلع التي تحتاجها لتحتفظ به كمخزون استراتيجي في وقت الأزمات (جريدة الخليج، 2012)، وهذا بدوره قد يحدث أزمة غذاء في الدول المستوردة.

تتصف منطقة الجزيرة العربية على مدى التاريخ المكتوب بأنها منطقة طاردة للسكان، بسبب أجوائها القاحلة وشح المواد الأساسية فيها كالماء والغذاء والطاقة، ولذا نجد العرب يتجهون شرقاً للهند وإفريقيا، أو شمالاً للعراق والشام، حيث تتوفر سبل عيش أفضل، وفي هذه اللحظة الخليجية - كما أطلق عليها أستاذ العلوم السياسية عبد الخالق عبدالله - التي جاءت بعد اكتشاف النفط في المنطقة، تحولت دول الخليج إلى دول مركز بدلاً من الهامش، ودول جذب بدلاً من الطرد، ومرد ذلك كله الوفرة المالية التي أحدثها النفط، فزاد عدد السكان إلى أرقام قياسية تجاوزت قدرة الموارد الأساسية - ماء وغذاء وطاقة - المتاحة في البيئة القاحلة في حال توقف تدفق النفط من باطن الأرض.

ومن هذه الحقيقة، تأتي أهمية التفكير باستدامة القدرة على العيش في هذه المنطقة من العالم، وأن تولي السلطات في عمان ودول الخليج الاهتمام لتحقيق حدٍ من الاكتفاء من السلع الأساسية، ولا ينحصر الحديث هنا عن الغذاء، بل يمتد للدواء والطاقة، فكلاهما أساسيان لاستدامة العيش، ولا يتأتى ذلك إلا بالتخطيط والتركيز على البحوث والدراسات المتصلة بالزراعة

وتوفير المياه العذبة والطاقة الرخيصة وصناعة الدواء والمعدات الطبية الضرورية، حتى تغلب على شح الطبيعة وقسوة المنطقة عند توقف تدفق النفط.

إن نظرية الاكتفاء الذاتي لا تتفق مع النظريات الاقتصادية التي تدعو بأن ينتج كل بلد ويصدّر ما يُحسن، ويشتري من غيره ما لا يحسن؛ بقيمة أرخص من لو أُنج بنفسه، فإن الاكتفاء الذاتي هنا ضرورة أمنية، ومردودها الاقتصادي هو إكساب الاقتصاد القدرة على امتصاص الأزمات الخارجية، بيد أن الدعوة هنا إلى إنشاء مراكز بحث ودراسة واستثمار في التقنية؛ لتمكين هذه الدول من إنتاج الغذاء والماء والدواء والطاقة بتكلفة تنافسية، فيتحقق بذلك الأمن القومي والفائدة الاقتصادية، وفوق ذلك استدامة العيش لهذه المجتمعات البشرية الكبيرة بعد توقف إنتاج النفط.

بناءً عليه، فإن تحقيق الأمن الغذائي والدوائي وتوفير الطاقة من المواضيع العاجلة والمهمة؛ عاجلة لأنها تحقق استقرار اقتصادي في ظل الأزمات كالتالي نمر بها، ومهمة لأن مستقبل العيش في المنطقة مرهون بمدى تمكن سكان المنطقة الآن في ظل توفر ثروة النفط من إيجاد أسباب استمرارية الحياة، لهذه الأعداد الكبيرة من البشر في بيئة تتصف بالجفاف.

- رفع إنتاجية القوى العاملة الوطنية

أشارت بعض الدراسات وأوراق العمل إلى انخفاض إنتاجية القوى العاملة في عُمان، وفي «متدى عُمان للموارد البشرية» الذي عقد بداية العام 2019م بعنوان: «الإنتاجية مسؤوليات وإجراءات لازمة» قُدمت أوراق عمل

وجلسات حوارية، بحثت أسباب تراجع أداء موظف الدولة وكيفية تحفيزه، ودعا المؤتمر في ختامه إلى إطلاق مؤشر وطني لقياس الإنتاجية (الكلبانية)، (2019).

ومن الجوانب السلبية لقلة إنتاجية القوى العاملة؛ إضعاف القدرة التنافسية للقطاعات الاقتصادية المختلفة وقدرتها على الاستجابة لمتغيرات الاقتصاد العالمي، كما يؤدي لهدر الموارد، وتضعيف لنمو الاقتصاد وتوسيع قاعدة إنتاجه، بالإضافة لكونه طارداً للاستثمار المحلي والأجنبي، ومفوتاً لفرصة المنافسة في الأسواق العالمية لارتفاع تكلفة التشغيل، كما أنه يجعل الصناعات المحلية عرضة للمنافسة الخارجية الشرسة، مما يؤدي كل ذلك إلى فقدان الاقتصاد المرونة التي تمكنه من التعامل مع الهزات الخارجية.

ويضع تقرير التنافسية العالمي لعام 2019م السلطنة في المرتبة 53 من أصل 141 دولة في مؤشر التنافسية، وإن عدت هذه المرتبة متقدمة نسبياً، إلا أنها تأخرت 6 مراكز عما كانت عليه في العام 2018م، ومؤشر التنافسية العالمي يتناول القدرة التنافسية لكل بلد من خلال مجموعة المؤسسات والسياسات والعوامل التي تحدد مستوى الإنتاجية فيه (Schwab, 2019).

ويمكن رفع إنتاجية القوى العاملة الوطنية من خلال مجموعة إجراءات، ولا يتسع المقام هنا لمعالجة تلك الإجراءات ومناقشتها، غير أنه يمكن -في سطور قليلة- تسليط الضوء على أهم الأمور التي تناولتها الأدبيات بشأن تحسين الإنتاجية، تبدأ معالجة مستوى الإنتاجية من بناء نظام تعليمي موجّه لحاجات سوق العمل من القيم والمعارف والمهارات المطلوبة، وقد جاء

اعتماد وثيقة الإطار الوطني لمهارات المستقبل من قِبل مجلس التعليم خطوة مهمة في هذا السياق (صحيفة الرؤية، 2020)، ويبقى الجانب الأهم وهو تضمين تلك المهارات في مناهج التعليم المختلفة.

كما أنه من الضرورة لرفع الانتاجية تبني التقنية الحديثة والاستفادة من جديد عالم الابتكار والذكاء الاصطناعي، وتبني النظم الإدارية التي أثبتت جدارتها كإدارة الجودة وإدارة العمل من خلال وضع مؤشرات كمية ونوعية، كما أنه من المهم وضع سياسات وخطط لتحفيز الاقتصاد للتوسع نحو قطاعات تتطلب قوى عاملة وطنية ذات مهارات عالية، وتمنح أجوراً مرتفعة محفزة للعمل والإنتاج، كما أن للدور التشريعي أهمية في هذا الإطار، فلا بد من وجود تشريع مرن يسمح للقطاع الخاص والعام تمييز القوى العاملة بناءً على إنتاجيتهم، ويحمل في مضمونه القدرة على استخدام مبدأ الثواب والعقاب بصورة فاعلة.

- منظومة قانونية متطورة ومرنة

إن أحد أهم معايير تحديد ملائمة الاستثمار في أي بلد هو مدى تطور الإطار التشريعي في ذلك البلد، ومدى تطبيقه على أرض الواقع، فلا بد من أن تكون المنظومة القانونية ملائمة لمستوى التنمية في البلد، وحافزة للنمو، ومُفعلة دون تمييز، فالإطار القانوني مهم لحماية المكتسبات الاقتصادية، ولنشر الطمأنينة للشركاء كافة في البلد: الدولة والمستثمرين والشركات والقوى العاملة.

وقد عملت حكومة السلطنة منذ بدايات النهضة على تطوير البيئة التشريعية

المنظمة للأنشطة الاقتصادية، وجعل عمان بلد قانون ومؤسسات، فسنت القوانين وأصدرت لها اللوائح المنظمة بغية دعم البيئة الاقتصادية، وجذب الاستثمار المحلي والأجنبي، وبناء قطاع خاص قوي، وقد حصلت على درجة متقدمة في عنصر كفاءة الإطار القانوني (الترتيب 14 من أصل 141 دولة) في مؤشر التنافسية العالمي 2019 (تقرير التنافسية العالمي 2019، 2020).

وخلال سنوات النهضة، أصدرت حكومة السلطنة العديد من القوانين ذات الصلة بالجانب الاقتصادي، كقانون استثمار رأس المال الأجنبي، وقانون التخصيص، وقانون الشراكة بين القطاعين العام والخاص، وقانون الإفلاس، وقانون الشركات التجارية، وقانون التجارة العماني، وقانون السجل التجاري، وقانون العمل، وغيرها من القوانين المنظمة لحركة عوامل الإنتاج المختلفة.

وبالرغم من أهمية وجود القانون، إلا أنه ينبغي أن يكون مرناً ومواكباً للمتغيرات التنموية في البلد، وإلا كان سبباً لهزات اقتصادية داخلية وخارجية، كما حدث في دول شرق آسيا في عامي 1997 و1998م، إذ أرجع كثير من الاقتصاديين أسباب الأزمة التي عصفت بتلك الدول -المعروفة حينها بالنموذج الآسيوية- إلى ضعف الإطار القانوني والتنظيمي، خصوصاً ذلك الذي له صلة بالاستثمار الأجنبي والمصرفي (Lee & Park، 2007)، كما ينبغي أن تترابط القوانين فيما بينها بما يحقق اتساقاً يخدم خطط التنمية المختلفة، ويضمن خدمة عوامل الإنتاج المختلفة في مراحلها كافة بمرونة ويسر.

- تنوع اقتصادي مرتكز على قطاع خاص قوي

يُعد التنوع الاقتصادي أحد معايير المرونة التي يجب مراعاتها، وألا يكون الاقتصاد تحت رحمة تقلبات أسعار النفط، وكما تمت الإشارة إليه، فإن السلطنة تعتمد بشكل رئيس على النفط، وتقلب أسعاره أثر على عمل الاقتصاد بشكل كبير، وهنا نعني بالاعتماد المتمثل في النسبة الكبيرة التي يشكلها من الميزانية العامة والاقتصاد الكلي، كما أن القطاع الخاص يعتمد على النفط، كونه يعتمد على المشاريع الحكومية المعتمدة عليه.

غالبًا ما تتبع الحكومات لتحفيز اقتصادها وقت الأزمات؛ تعزيز الطلب من خلال تنفيذ سياسات مالية ونقدية توسعية، وهذا يساعد الاقتصاد على امتصاص الأزمة وتجاوزها، إلا أن الوضع يكون مختلفًا في الدول المعتمدة على النفط كمصدر رئيس عندما تؤثر الصدمات الدولية على أسعاره، فتكون الدولة عاجزة عن تبني تلك السياسات التوسعية لانخفاض إيراداتها، بل قد تلجأ إلى سياسات انكماشية لتغطية الانخفاض الحاد في الإيرادات، كما هو الحال في عُمان، وهذا قد يُدخل الاقتصاد في حالة ركود طويلة المدى.

تحتل السلطنة في مؤشر التعقيد الاقتصادي (ECONOMIC COMPLEXITY INDEX) لعام 2018م المرتبة 83 من أصل 133 دولة، ويأتي معدل التعقيد الاقتصادي لديها بسالب 0.45، ويصنف هذا المؤشر الدول على أساس تنوع وتعقيد سلة صادراتها، فالبلدان التي تأتي في أعلى سلم المؤشر يعني أنها موطن لمجموعة من القدرات المتطورة والمتخصصة، وبناءً عليه فإنها قادرة على إنتاج مجموعة متنوعة للغاية من المنتجات المتطورة وعالية التعقيد، وتُعد

عمان ضمن فئة الدول «أقل تعقيدًا وأقل مرتبة» (The President and Fellows of Harvard College، 2020)، تحتل اليابان (2.43) وسويسرا (2.17) وكوريا الجنوبية (2.11) المراتب الثلاثة الأولى في هذا المؤشر. وبناءً عليه، يتضح أن من أهم خصائص الاقتصاد المرن القادر على التجاوب مع الصدمات الخارجية ومعاودة النمو هو الاقتصاد متعدد المصادر، الذي يلعب فيه القطاع الخاص دورًا كبيرًا في استيعاب القوى العاملة الوطنية، وإدارة توجيه دفعة الاقتصاد.

– المستقبل للتحول الرقمي

أعطت جائحة كورونا (كوفيد19) الفرصة الذهبية للتوجه الرقمي، وبرهنت كذلك على أهمية هذا التوجه، وقد ذهب كثير من المؤسسات إلى الخيار الإلكتروني مجبرة في بادئ الأمر، غير أنه ما لبثت تلك المؤسسات حتى أيقنت من سلامة الإجراء الذي اتبعته، وجدوى هذا التحول وأهميته، وقد نجح كثير من المؤسسات الحكومية والخاصة في تقديم الخدمات إلكترونيًا خلال الأزمة، كما شاع العمل «عن بُعد»، مما حدا ببعض المؤسسات عدم الرجوع لأساليب العمل التقليدية المتبعة ما قبل الأزمة.

أتاحت الجائحة الفرصة لاستغلال التقنية التي كانت موجودة لدى المؤسسات وتفعيلها، فاكسبت بذلك المرونة المطلوبة في ظروف صعبة كالتى تمر بها، وأدركت تلك التي لم تسع إلى التحول الرقمي فداحة خطئها، وسيغير التحول الرقمي نوع الوظائف المطروحة، وقد يتطلب مهارات أعقد ولكن بأجور أعلى، وهذا سيخدم سوق العمل العماني الذي عانى من مشكلة

بطالة هيكلية نتجت من عدم توافق مهارات الباحثين عن عمل وتوقعاتهم لمستوى الأجور مع تلك الشواغر المطروحة، كما أن التحول الرقمي يحسّن من جودة سلاسل الإمداد، ويُتيح الفرصة لتتبعها، وهذا يمنح الاقتصاد مرونة في الإنتاج، وهذا مهم في مواجهة الأزمات والتعافي منها.

وتعد عمان من ضمن الدول ذات «المستوى الأعلى» في تقديم الخدمات الإلكترونية الحكومية، فقد أصدرت الأمم المتحدة في يوليو 2020م إشادة بشأن التحول الإلكتروني في السلطنة، إذ حصلت على المستوى 50 عالمياً في مؤشر تطوير الحكومة الإلكترونية⁽¹⁾ (الطائي، 2020)، كما حصلت السلطنة على معدل 0.75 في مؤشر خدمات الحكومة الإلكترونية حسب آخر بيان متوفر في سنة 2016م، وهو أعلى من المتوسط العالمي البالغ 0.63 (البنك الدولي، 2020)، كما حصلت على الترتيب 55 من أصل 112 دولة في مؤشر جاهزية الشبكة لعام 2019م، بيد أن السلطنة لا تزال في بداية طريق التحول الإلكتروني، وقد أطلقت الحكومة عام 2003م مشروعها للتحول الإلكتروني، لكن المشروع لم يكتمل بعد، على الرغم من مرور قرابة 20 سنة عليه، ولا يزال هناك الكثير يمكن عمله.

- حماية الاقتصاد من الهجمات السيبرانية

ولأن الأزمات الخارجية تتنوع، فإن أحد أنواع تلك الأزمات هي الناتجة عن الهجمات السيبرانية القادمة من الخارج، والتي تستهدف قطاعات

(1) أتت الدنمارك وجمهورية كوريا الجنوبية وأستونيا في المراتب الثلاثة الأولى في هذا المؤشر.

الاقتصاد المختلفة، وقد علّق المنتدى الاقتصادي في تقريره لعام 2018م على تزايد الهجمات السيبرانية على الدول بقوله: (تزايد مخاطر الأمن السيبراني، من حيث انتشارها وإمكاناتها التخريبية، تضاعفت الهجمات على الشركات تقريباً في غضون خمس سنوات، وأصبحت الحوادث التي كانت تعتبر في يوم من الأيام استثنائية أكثر شيوعاً).

وقد سجلت هجمات سبرانية شرسة وكبيرة، استهدفت قطاعات كبيرة في دول العالم المختلفة، ويمكن لهذه الهجمات أن تعوق قطاعات اقتصادية كاملة في دول عديدة، وتُحدث أضراراً كبيرة باقتصاد الدول كما حدث في عام 2017م مع برامج «الفدية» التي شكلت 64٪ من جميع رسائل البريد الإلكتروني الخبيثة، ومن الأمثلة البارزة لهجمات برامج الفدية (WannaCry) التي أثرت على 300 ألف جهاز كمبيوتر في 150 دولة، وهجوم (Notpetya) الذي تسبب في خسائر ربع سنوية لعدد من الشركات بقيمة 300 مليون دولار، حيث يمكن للهجمات السيبرانية أن تتسبب في انهيار الأنظمة التي تحافظ على عمل المجتمعات (المنتدى الاقتصادي العالمي، 2018).

وقد تنبّهت السلطنة لأهمية إنشاء مراكز متخصصة للتعامل مع الفضاء السيبراني، فأنشئ المركز الوطني للسلامة المعلوماتية عام 2010م، وقد نصت رؤية المركز على (أن تكون لسلطنة عمان قدرات أمن معلومات بمقاييس عالمية تجعل كل مستخدم للحاسب الآلي في السلطنة يشعر بالأمن والسلامة)، ويهدف المركز إلى تحليل التهديدات الأمنية المحتملة، والعمل على تجنبها، كما يهدف إلى الاستجابة للحوادث الأمنية والحد من آثارها، ومن ثم جاءت الأوامر السامية في عام 2020م، بإنشاء مركز الدفاع الإلكتروني،

ويهدف المركز إلى تعزيز قدرة الجهات الحكومية والأفراد على التصدي للتهديدات الإلكترونية، كما يُعنى ببناء القدرات الوطنية المتخصصة في مجال الأمن الإلكتروني (صحيفة أثير الإلكترونية، 2020).

وبفضل هذه الجهود؛ احتلت السلطنة المرتبة الثانية في العالم العربي في مؤشر الأمن السيبراني العالمي (GCI) 2018-2019 الصادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU)، واحتلت المركز السادس عشر عالمياً في المؤشر الذي يضم 175 دولة (ITU, 2020).

وفي عمان تتعرض الشركات والمؤسسات في قطاعات الاقتصاد المختلفة إلى هجمات إلكترونية متكررة يومياً، فعلى سبيل المثال، تصدى المركز الوطني للسلامة المعلوماتية لقرابة 433 ألف هجمة إلكترونية تعرض لها الفضاء السيبراني العماني، كما تصدى لحوالي 71 ألف هجمة على المواقع الإلكترونية العمانية، ورصد أكثر من 200 برمجة خبيثة، كل هذا في عام 2018 فقط (المركز الوطني للسلامة المعلوماتية، 2019)، ويتضح من خلال الأرقام تصاعد أعداد الحوادث الأمنية التي تعامل معها المركز، ففي عام 2016م تعامل المركز مع 1744 حادثاً أمنياً، ليرتفع العدد في عام 2017م إلى حوالي 1839 حادثاً، ثم يصل إلى حوالي 2334 حادثاً في عام 2018م (الشبيبي، 2019).

ومن شأن هذا المراكز أن تحسّن قدرة الاقتصاد على التجاوب مع الهجمات التي قد تستهدفه، كما يمكنه أخذ التدابير اللازمة لتجنب أخرى، كما يحسّن وضع الاقتصاد العماني في المؤشرات العالمية ذات الصلة بمرونة الاقتصاد، التي تلعب دوراً مهماً في قرارات الاستثمار الأجنبية والمحلية.

– رفع كفاءة البنية الأساسية

جودة البنية الأساسية واكتمالها أحد أهم مؤشرات المرونة في الاقتصاد، فهي تدعم العمليات الاقتصادية، وتجعلها أكثر كفاءة من خلال تقليل الوقت، وخفض تكلفة الإنتاج، وإعادة توزيع عوامل الإنتاج دخل الدولة، كما تجعل من بيئة العمل بيئة جاذبة للاستثمار، إذ ينخفض مستوى المخاطرة وعدم اليقين. تُعد الدول التي تتمتع ببنية أساسية متقدمة أفدر على امتصاص الأزمات ومعاودة النمو، لما توفره البنية الأساسية من القدرة على الحصول على المعلومات، واستمرار سلاسل الإمداد المهمة للإنتاج، والبنية الأساسية القوية أيضاً تلك القادرة على تحمل الكوارث الطبيعية التي قد تؤثر في بيئة الاستثمار كالعواصف والأعاصير والحرائق وغيرها، ومعاودة العمل بأقل الأضرار بعد مرور الكارثة.

يُعد الإنفاق في البنى الأساسية استثماراً يحقق أرباحاً مباشرة وغير مباشرة، فملايين الاستثمارات تشير بوصلتها للدول التي استثمرت في بنيتها الأساسية، وقد استطاعت دول كثيرة مشاركة القطاع الخاص لتوفير مشاريع متصلة بالبنية الأساسية كتلك المرتبطة بقطاع الكهرباء والمياه والنقل والاتصال وغيرها، ومن هنا يصف البعض البنية الأساسية بأنها كالزيت، تجعل عجلة الاقتصاد تدور بانسيابية أكبر وكفاءة أعلى.

قطعت السلطنة شوطاً كبيراً في بناء وتحسين بنيتها الأساسية من شبكات نقل ومرافق عامة، وقد شهد القطاع اللوجستي نقلة نوعية خلال السنوات القليلة الماضية، تمثلت في مجموعة من المشاريع الضخمة، على رأسها مطارا

مسقط وصلالة والجديدان، إضافة إلى مطار صحار وموانئ صحار والدقم وصلالة والمناطق الحرة فيها، وشبكة الطرق التي تربط بين جميع هذه المناطق الاقتصادية المهمة، ويشير مؤشر التنافسية العالمي 2019 لحصول السلطنة على مركز متقدم في عنصر البنية الأساسية، حيث حصلت على الترتيب 28 بين 141 دولة، ومعدل مرتفع تجاوز بقليل 80% (تقرير التنافسية العالمي 2019، 2020)، غير أنه لا يزال هناك هامش للتطوير واستكمال البنية الأساسية، فالدول تتطور بطريقة متسارعة في تحسين بنيتها، وعلى عمان أن تفعل ذلك أيضاً لتحافظ على اقتصاد مرن ونام.

– مراكز بحوث قوية ومراكز استشراف للأزمات

تلعب مراكز البحوث دوراً حيوياً لحل ما يستجد من مشاكل وتحديات تعوق النشاط الإنساني الذي يشكل في مجمله الاقتصاد، وتطالعنا الصحف والنشرات الإخبارية يومياً عن مراكز أبحاث طبية في العالم تعمل على إيجاد لقاح أو دواء لفيروس كوفيد19، وبلا شك فإن أيًا من تلك المراكز سوف تعطي الأولوية لدولتها عند اكتشاف اللقاح أو الدواء، وهذا سيكون له بالغ الأثر على المستوى الاقتصادي لتلك البلد، كما يحقق لها مستوى آمناً وعالياً. وتكشف هذا الجائحة مدى حاجة الدول لمراكز بحثية ترصد الهزات قبل وقوعها، وتقترح الطرائق التي تحول دون التأثير بها، وتسارع في إيجاد الحلول عند وقوعها، وستكون الاقتصادات التي تملك الحلول أكثر مرونة وأسرع تعافياً من تلك التي تنتظر الحلول أن تفد عليها من خارج الحدود.

تستثمر عمان في البحث والتطوير ما نسبته 0.2% من مجمل الناتج المحلي،

وهي نسبة متدنية مقارنة بالحد الأدنى الذي يوصي به الكثير من المؤشرات العالمية وهو 1٪ من مجمل الناتج المحلي، وتذهب الكثير من الدول إلى تخصيص أعلى من هذه النسبة لما للبحث العلمي والتطوير من أهمية بالغة في بناء اقتصاد قائم على المعرفة والابتكار وتنويع قاعدته الإنتاجية، وعلى سبيل المثال، تستثمر كوريا ما يزيد عن 4٪ من مجمل ناتجها المحلي، ويتشارك في هذه الميزانية الحكومة ومؤسسات القطاع الخاص لإدراك الجميع للمرود الإيجابي لهذا الإنفاق (الكلبانية، 2018)، أما متوسط استثمار العالم حسب تقدير البنك الدولي فقد بلغ حوالي 2.2٪ (البنك الدولي، 2020).

وفي مسح قام به معهد اليونسكو للإحصاء يظهر أن كوريا 4.3٪ واليابان 3.4٪ وفلندا 3.2٪؛ تأتي في المراتب الثلاثة الأولى في الاستثمار في البحث والتطوير كنسبة من مجمل الناتج القومي، بينما تحتل عمان درجة دنيا (81 من أصل 95 دولة متوفرة بياناتها)، وأقل من متوسط استثمار العالم في البحث والتطوير (UNESCO Institution for Statistics, 2020)، وفي مؤشر التنافسية العالمي لعام 2019م، حصلت السلطنة في مجال البحث والتطوير على معدل 20٪ فقط، والترتيب 99 من أصل 141 دولة في المؤشر، ويشمل هذا العنصر المنشورات العلمية، ونسبة طلبات براءات الاختراع لكل مليون نسمة، ونسبة نفقات البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي، وبروز المؤسسات البحثية عالمياً (تقرير التنافسية العالمي 2019، 2020).

- تطبيق معايير الحوكمة والسيطرة على الفساد

الفساد آفة تلقي بظلالها على مناحي الحياة المختلفة ومنها الاقتصاد، وقد شَبَّهه كثير من القادة والمعنيين بقضايا الفساد بمرض السرطان، ومنهم نائب رئيس الولايات المتحدة السابق، جو بايدن الذي قال: (الفساد.. هو سرطان يقوِّض إيمان المواطن بالديمقراطية، ويقلل من غريزة الابتكار والإبداع) (The White House, 2014)، ويُقصد بالفساد استغلال السلطة العامة لتحقيق منافع خاصة، واستيلاء النخب ذات المصالح الخاصة على الدولة، وقد حصلت عمان في عام 2019م على 53 درجة في مؤشر مدركات الفساد، متقدمة درجة واحدة للأفضل عن عام 2018م، وهو أعلى من المتوسط العالمي بحوالي 10 درجات باتجاه مستويات فساد دنيا، غير أنه أقل من متوسط دول غرب أوروبا والاتحاد الأوروبي بحوالي 13 درجة، إذ حصلت الأخيرة على متوسط 66 درجة (Transparency Organization, 2020).

عملت الدولة على مكافحة الفساد من خلال مجموعة من المؤسسات والنظم التشريعية، يأتي على رأس المؤسسات جهاز الرقابة المالية والإدارية للدولة، وإدارة الادعاء العام لجرائم الأموال العامة، ووحدة التحريات المالية في شرطة عُمان السلطانية، وإدارة مكافحة الجرائم الاقتصادية في الإدارة العامة للتحريات والتحقيقات الجنائية في شرطة عُمان السلطانية (جهاز الرقابة المالية والإدارية للدولة، 2020).

ومن أهم التشريعات الوطنية في هذا الإطار قانون الجزاء، وقانون الإجراءات الجزائية، وقانون الرقابة المالية والإدارية للدولة، وقانون حماية

المال العام وتجنب تضارب المصالح، إضافة إلى قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب. أما بالنسبة للقانون الدولي، فقد دخلت عمان مع المجتمع الدولي في اتفاقيات تهدف إلى مكافحة الفساد، فهي انضمت بموجب المرسوم السلطاني رقم (64/ 2013) في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد ومنع الفساد، وقد كُلف جهاز الرقابة المالية والإدارية للدولة بمهمة متابعة تنفيذ الاتفاقية، وانضمت إلى اتفاقية مكافحة رشوة الموظفين العموميين الأجانب في المعاملات التجارية الدولية، كما صدقت على الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد.

بيد أنه من المهم أن تكون تلك المؤسسات والنظم والاتفاقات فاعلة على أرض الواقع لتمنح القطاعات الاقتصادية القدرة على العمل في بيئة نظيفة ومحفزة وقادرة على التعامل مع الأزمات المختلفة وفق قواعد العمل الاقتصادي، وأن تنعكس تلك الجهود أيضًا على المؤشرات الدولية حتى تتمكن من جذب الاستثمارات الأجنبية، وتكوين سمعة تنعكس إيجابًا في التقارير الدولية المؤثرة في حالة الاقتصاد.

وتعد الحوكمة إحدى أهم وسائل معالجة مسائل الفساد المالي والإداري، وذلك لكونها تعمل على تطوير منظومة العمل، والحفاظ على المال العام من خلال إجراءات وقائية متعددة. إن ضعف الحوكمة أو غيابها يؤدي إلى ضعف القيود التي يمكن أن تحد من الفساد وتعزز مفهوم النزاهة والشفافية.

وفي عام 2015م صدر المرسوم السلطاني بإنشاء مركز عمان للحوكمة والاستدامة ويختص بقطاع الشركات العمانية، ويهدف إلى نشر مفهوم وثقافة

الحكومة في الشركات كافة في السلطنة، وقد وقعت معه مؤخراً الهيئة العامة لسوق المال اتفاقية إعداد ميثاق حوكمة الشركات المملوكة للدولة.

- سلاسل إمداد محلية عالية الكفاءة

أحد أهم الدروس المستفادة من أزمة جائحة كورونا (كوفيد19) هو ضرورة عدم الاعتماد على سلاسل الإمداد الخارجية للسلع الأساسية كالغذاء والدواء، إذ إن هذه السلاسل عرضة للتوقف والانقطاع كما حدث في هذه الأزمة، وبناءً عليه فإنه من المهم إيجاد بدائل لتوفير سلاسل إمداد محلية. وتوفر سلاسل إمداد محلية لا تُكسب الاقتصاد مرونة وقت الأزمات وحسب؛ وإنما أيضاً وقت الفرص، فعندما يرتفع الطلب على سلعة ما؛ لربما لن يتمكن المستثمر من تلبية زيادة الطلب نظراً لنقص الإمداد من المكونات الأساسية للسلعة لو كان المورد أجنبياً، غير أن الموردين المحليين عادة ما يكونون أكثر تفاعلاً من الموردين البعيدين. يمكنهم تسليم المنتجات بشكل أسرع، ومن الأسهل على المورد تنسيق شحنة من السوق المحلية أكثر من السوق الأجنبية البعيدة.

وكما سبق الحديث، قد تكون هذه البدائل غير اقتصادية من ناحية الكلفة في بادئ الأمر؛ إلا أنها مهمة لاقتصاد مرن قادر على امتصاص الأزمات ومعاودة النمو. كما يُنصح -على المدى البعيد- الاستثمار في التقنية لجعل هذه السلاسل المهمة للسلع الأساسية متوفرة بصورة رخيصة ومجدية اقتصادياً من ناحية التكلفة، وبذلك تعزز مرونة الاقتصاد من خلال توفر قاعدة إنتاج أوسع وبأسعار تنافسية مما قد يزيد على المدى البعيد من تنوع سلة السلع المصدرة.

إضافة إلى محاولة إيجاد سلاسل إمداد محلية لتوفير السلع الأساسية؛ فإنه من المهم تحسين خط هذه السلاسل، بحيث تكون سهلة الحركة والمراقبة، فيمكن للمستثمر تتبع الشحنات عبر سلسلة الإمداد، وبالتالي فإنه يمكن من خلال بناء سلاسل إمداد محلية خفض مستوى المخاطرة المتعلقة بالشحن والنقل، وخفض الرسوم المدفوعة للتأمين، ولا يتم ذلك إلا من خلال بنية أساسية متطورة في قطاعات النقل والخدمات؛ كما سبق الحديث.

- منح مساحة لمنظمات المجتمع المدني والأفراد

وصفت الأمم المتحدة المجتمع المدني بمؤسساته بأنه «القطاع الثالث» في المجتمع، إلى جانب الحكومة وقطاع الأعمال، وتساعد دور مؤسسات المجتمع المدني خلال العقدين الماضيين، فقد نجحت في كثير من الدول بتقديم خدمات تنموية تكاملت مع جهود الحكومات في تلك البلدان. أما على المستوى العالمي، فالأمثلة كثيرة لحمولات دعائية ناجحة نهضت بها مؤسسات مجتمع مدني، كتلك الحملات المتصلة بقضايا البيئة، وحقوق الإنسان، ومكافحة انتشار الأسلحة، وغيرها من القضايا الكثيرة (الموسوعة الجزائرية السياسية، 2020)، وقد اثبتت مؤسسات المجتمع المدني في عمان والأشخاص المستقلون قدرتهم على تحمل المسؤولية، والدخول في شراكات مهمة مع القطاع الخاص والحكومي. وكان لمؤسسات المجتمع المدني الدور الكبير في تخفيف آثار أزمة كوفيد19 على الأسر المتضررة، فعملت الفرق الخيرية والجمعيات التطوعية ولجان الزكاة على المساهمة في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية في الولايات المختلفة، وخصوصاً في

المناطق المحجورة طبيًا، وقد كان لتلك الرعاية دور إيجابي في مساعدة الأسر على تخطي الأزمة، ومعاودة الانخراط في الأنشطة الاقتصادية بيسر وسهولة. وتنشط في عمان كثير من مؤسسات المجتمع المدني، ومن جملتها الهيئة العمانية للأعمال الخيرية، التي أنشئت بموجب المرسوم السلطاني (96 / 6)، وقد نص المرسوم على أنها هيئة أهلية للأعمال الخيرية، وتتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والإداري، وللهيئة أنشطة داخل السلطنة وخارجها في قضايا متصلة بالإسكان والعلاج والتعليم، والغذاء وكفالة الأيتام (الهيئة العمانية للأعمال الخيرية، 2020)، كما أن هناك صندوقًا خاصًا بالزكاة في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، يعنى بالفئات المختلفة من المجتمع التي يصرف عليها الزكاة، إضافة إلى عشرات لجان الزكاة في معظم ولايات السلطنة، تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، كما يوجد عشرات الجمعيات الأهلية الخيرية، بلغ عددها حوالي 43 جمعية، وتشرف عليها وتنضمها وزارة التنمية الاجتماعية، ومنها على سبيل المثال: الجمعية العمانية للعمل التطوعي، وجمعية الرحمة للأمومة والطفولة، وجمعية دار العطاء وجمعية بهجة العمانية المتخصصة في كفالة الأيتام.

إن مساهمة مؤسسات المجتمع المدني في اقتصاد الدول المتقدمة ما بين 7-10٪ (SCGO، 2019)، ولا ينحصر دورها على تقديم المعونات المالية، وإنما يمتد لتقديم محاضرات وورش وبرامج توعوية مساعدة، كما قد تقترح حلولاً اقتصادية لمؤسسات القطاعين الخاص والعام، ويتجاوز دور مؤسسات المجتمع المدني في بعض الدول المتقدمة لتقديم مشاريع الرعاية

الصحية والخدمات العامة، ومساعدة رواد الأعمال وأصحاب المشاريع الفردية، والمشاركة في دعم البنية الأساسية للمجتمع. وبناءً عليه، فإنه يمكن لمؤسسات المجتمع المدني والأفراد من خلال استعمال طرق متعددة الإسهام بدرجة كبيرة في كسب الاقتصاد المرونة في التعامل مع الصدمات، ومعاودة النشاط مجددًا، وكان إدراك الحكومة لهذا الدور كبيرًا عندما أشركت مؤسسات المجتمع المدني والأفراد في مواجهة الأزمة الأخيرة، ودعتهم للمشاركة في المجالات المختلفة لدعم جهود الحكومة.

• الخاتمة

دخل عام 2020م ودخلت معه جائحة كورونا (كوفيد19) وما تبعها من انخفاض حاد في أسعار النفط، بيد أن عمان دخلت أيضًا مع بداية العام عهدًا جديدًا بإرادة إصلاح قوية ورؤية جديدة «رؤية عمان 2040»، قادرًا على مجابهة الأزمة والعبور بعمان إلى بر الأمان.

وما هذا التسارع في التغيرات إلا مؤشر على هذه الإرادة المدركة لخطورة الوضع -الاقتصادي خصوصًا- في هذه المرحلة، ومن المهم في الختام التأكيد على أن كل إصلاح ومجابهة للأزمات لا يتم إلا عبر قوة بشرية وطنية مزودة بالقيم والمعارف والمهارات، قادرة على إدارة دفة الاقتصاد للاتجاه الصحيح بعيدًا عن المخاطر، ونستلهم هنا ما ورد في خطاب صاحب الجلالة السلطان قابوس طيب الله ثراه بمناسبة الانعقاد السنوي لمجلس عمان بتاريخ 4 نوفمبر

2002م: (ولقد أكدنا دائماً في شتى المناسبات أن الإنسان هو هدف التنمية وغايتها، وأنه في ذات الوقت أدياتها ووسيلتها، ويقدر ما تكون هذه الأداة فاعلة ماهرة تكون قادرة على تحقيق التنمية، ومن هنا فإننا ندعو دوماً إلى النهوض بالموارد البشرية، وتطوير قدراتها العلمية ومهاراتها الفنية وخبراتها التقنية، من خلال إيجاد البيئة المواتية لذلك، وذلك لمقابلة حاجة المجتمع الملحة وتوفير الفرص التي تمكن هذه الموارد البشرية من الإسهام بكل طاقاتها في مسيرة النهضة المباركة التي تشهدها عمان في مختلف مجالات الحياة).

وقد سار على نفس النهج صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق حفظه الله؛ فأكد في خطابه الثاني بعد توليه الحكم على أن الوطن يعتمد في حاضره ومستقبله على شبابه، فقال: (إن الشباب هم ثروة الأمم، وموردها الذي لا ينضب، وسواعدها التي تبني، هم حاضر الأمة ومستقبلها، وسوف نحرص على الاستماع لهم، وتلمس احتياجاتهم واهتماماتهم وتطلعاتهم، ولا شك أنها ستجد العناية التي تستحق).

وإن الاهتمام بقطاع التعليم بمختلف أنواعه ومستوياته، وتوفير البيئة الداعمة والمحفزة للبحث العلمي والابتكار، سوف يكون في سلم أولوياتنا الوطنية، وسنمده بأسباب التمكين كافة، باعتباره الأساس الذي من خلاله سيتمكن أبنائنا من الإسهام في بناء متطلبات المرحلة المقبلة).

المحور التعليمي

التعليم في ظلّ كورونا (كوفيد19) سيناريوهات الواقع والمُستقبل⁽¹⁾

د. سيف بن ناصر المعمرى

أستاذ مشارك

كلية التربية جامعة السلطان قابوس

• مُقدمة

لم يكن كورونا (كوفيد19) مرضاً يشبه الأمراض التي عرفها العالم في العقود الماضية، لقد تحول إلى وباء، وقاد إلى فرض عزلة إجبارية على المجتمعات الإنسانية، التي وجدت نفسها مضطرة للتواصل «عن بُعد» عبر الوسائط التكنولوجية، وكان التعليم من القطاعات التي تأثرت كثيراً بهذه الجائحة العالمية؛ فقد كانت المرة الأولى التي يشهد فيها العالم إغلاق مؤسسات التعليم من مدارس وجامعات على نطاق واسع، وإغلاق المؤسسات التعليمية يوضع المجتمعات في خطر كبير جداً في التراجع عن

(1) المحور يدرس التعليم منذ بداية ظهور كوفيد 19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى 16 يونيو 2020م.

المُكتسبات التي حققتها الأنظمة التعليميّة خلال العقود الماضية. إن مثل تلك المخاطر تتعاظم في دولة مثل سلطنة عُمان؛ إذ يعد قطاع التعليم من أهم القطاعات الخدمية والاستثمارية والاقتصادية؛ إذ يتنامى عدد الطلبة فيها على مختلف المستويات المدرسيّة والجامعيّة؛ بالإضافة إلى أن هذه القطاع تقوم عليه العديد من الوظائف المساندة، وأيضًا يرتفع فيه عدد المدارس الخاصة. أما مؤسسات التعليم العالي التي تبنت لاحقًا التعلّم في حالة الطوارئ؛ فإنها خسرت جزءًا كبيرًا من وقت التعلّم، واضطرت إلى تطبيق أساليب تقويم بديلة وطائرة، ربما لا تعطي مؤشرات مرضية حول تحقيق المُتطلبات الأكاديميّة. وحتى الآن، وبعد مرور سبعة أشهر على ظهور أولى حالات هذا الفيروس في الصين، تبدو في المُستقبل القريب مجهولًا، والأمل في العودة الطبيعيّة إلى المدارس مع بداية العام الدراسي في سبتمبر رهن باحتمالات مُتعدّدة، أقرها إلى المنطقية هو اللجوء إلى التعلّم «عن بُعد»؛ مما يعني المضي في سيناريو التكيّف، وهو أحد السيناريوهات التي طرحت على الأنظمة التعليميّة مع ظهور الجائحة.

لقد وجدت وزارة التربية والتعليم أن الخيار الأفضل هو إنهاء العام الدراسي مُبكرًا، مؤكدة عدم القدرة على التكيّف مع هذه الجائحة، نتيجة ضعف الاستعداد الكافي لتطبيق التعلّم «عن بُعد»، في حين لم تظهر مؤشرات حول تجربة شهرين من التعلّم «عن بُعد» التي طبقتها مؤسسات التعليم العالي، وفي ظل هذا السياق المفتوح للتكهنات والتوقعات؛ تأتي هذه الدراسة التحليليّة، محاولة استشراف واقع التعليم في ظل جائحة كورونا (كوفيد19) في

السلطنة، وذلك من خلال مسارين: قراءة الواقع واستشراف المستقبل. ولتحقيق هذا الهدف؛ لا بدّ من الالتفات إلى وضع التعليم في العالم خلال هذه الجائحة، وسيناريوهات التعامل معها التي قدّمها البنك الدولي، ومخاطر التحديات التي يمكن أن تؤثر على التعليم، وما فرص تأثير التعليم العُماني بها؟

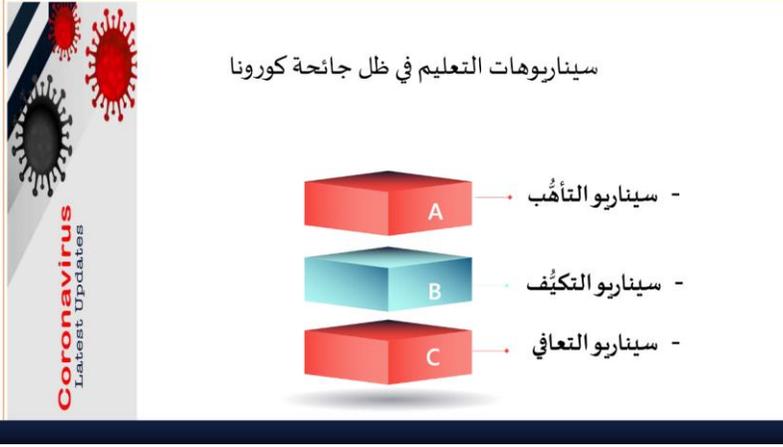
• التعليم العالمي في ظلّ الجائحة

أغلقت المدارس جزئياً أو كلياً في كثير من بلدان العالم، بدءاً من فبراير 2020م، ولقد وصفت سافيدرا (2020) ذلك بأنه الحدث (الأخطر في زماننا المعاصر)؛ فقد بلغ عدد الدول التي أغلقت مدارسها حتى 28 مارس 2020م؛ 161 دولة، وبلغ عدد الطلبة المُنتطعين عن الدراسة أكثر من 1.6 مليار طفل وشاب، وكانت الصين -أول دولة يظهر فيها الوباء- هي أولى البلدان إغلاقاً للمدارس. ومن وجهة نظر البنك الدولي، سيكون لهذه الجائحة (تأثيرٌ مدمر في البلدان التي تنخفض فيها نتائج التعلم، وترتفع فيها معدلات التسرب، وتضعف فيها القدرة على الصمود في وجه الصدمات) (قازي-هق، شمس، 2020)، فكثير من دول العالم تعاني من «أزمة تعلّم»، حيث لا يتلقّى الطلبة في المدارس المهارات الأساسية التي يحتاجونها في الحياة، وظهر ذلك جلياً في مؤشر البنك الدولي عن «فقر التعلّم»، فقد كشف أن 53٪ من الطلبة لا يستطيعون القراءة أو الفهم في سن العاشرة في البلدان مُنخفضة ومتوسطة الدخل قبيل تفشي كورونا (كوفيد19). وبعبارة أخرى، كان وضع التعليم في العديد من البلدان قبل تفشي كوفيد19 يتسم بـ(تدني مستوى التعلّم، وارتفاع

نسب عدم المساواة، وبطء وتيرة التقدُّم)، وكان العالم بعيداً عن المسار الصحيح نحو تحقيق هدف التنمية المُستدامة، الذي يُؤكِّد على أهمية (تمتُّع جميع الفتيات والفتيان بتعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وجيد) (ص4، البنك الدولي، 2020).

وهذه التأثيرات لن تقف عند الجوانب الأكاديمية، وإنما تتعداها إلى جوانب أخرى، إذ يقود بقاء الطلبة فترة طويلة في المنازل إلى (أعباء اقتصادية، على كاهل آبائهم الذين قد يواجهون تحديات في العثور على رعاية لأطفالهم فترة طويلة، أو حتى توفير الطعام الكافي في حال عدم وجود واجبات مدرسية) (قازي-هق، شمس، 2020)، وسوف تقود عدم القدرة على توفير أساليب تعليم بديلة كما التعلُّم «عن بُعد» إلى التسبب في (خسائر في رأس المال البشري وتقلُّص الفرص الاقتصادية) (قازي-هق، شمس، 2020).

وضع البنك الدولي ثلاثة سيناريوهات للتعامل مع التعليم في ظلّ جائحة كورونا (كوفيد19): سيناريو التأهب، سيناريو التكيّف، سيناريو التعافي. وفيما يلي توضيح لكل من هذه السيناريوهات الثلاثة (قازي-هق وشمس، 2020):



الشكل رقم (1)

- سيناريو التأهّب: يؤكّد البنك الدولي بأن معظم الدول ما عدا الصين كانت في مستوى متدنٍ من الاستعداد للتعلّم «عن بُعد» عندما بدأ تفشي الجائحة في العالم، ويقاس التأهّب هنا بقدرة الطلبة على مواصلة التعلّم مع إغلاق المدارس عبر التعلّم «عن بُعد» والإنترنت، وتساعد قوة التأهّب على التكيّف مع استمرار الجائحة أو انتشارها على شكل موجات.
- سيناريو التكيّف: وهو الانتقال إلى التعلّم «عن بُعد»، واستمرار التواصل بين المدارس والطلبة، عوضاً عن إغلاق المدارس وإنهاء العام الدراسي، ولقد وجد خلال ذروة انتشار الجائحة خلال الأشهر من مارس حتى يونيو 2020م استمرار بعض الدول في التعلّم، بينما عملت دول على إنهاء العام الدراسي، كما هي الحال في السلطنة. إن إعادة فتح المدارس خلال هذه الفترة مع استمرار الجائحة يتطلب مجموعة من الإجراءات، مثل: توسيع

التباعد الاجتماعي، تجنُّب أماكن اختلاط الطلبة مثل ساحات الألعاب، توسيع المساحة بين الطلبة داخل الفصل، تقليل عدد أيام الدراسة الأسبوعيَّة، تقليل الساعات التدريسيَّة والتبديل بينها.

- سيناريو التعافي: يبدأ هذا السيناريو بعد أن تنتهي حالة الطوارئ؛ إذ يفترض أن تتبنى الدول سياسات تعليميَّة مختلفة، قد تتضمن تعويض الوقت الضائع، وذلك من خلال تعديلات على الجدول الزمني للعام الدراسي، وإعطاء أولويَّة للطلبة في الصفوف التي تستعد لامتحانات مصيريَّة. ولقد ظهر أن أكثر الدول استجابة لهذه الأزمة كانت بلدان شرق آسيا، التي مرّت بتجارب سابقة، استفادة من دروسها في التعامل مع الأزمات التجديدية، مما جعلها أكثر تأهبًا، نتيجة تعزيز أنظمتها التكنولوجيَّة، مما مكَّنها من التكيف بسهولة مع استمرار الجائحة.

• المخاطر والتحديات الناجمة على الجائحة

لقد ظهر من خلال تقرير البنك الدولي «جائحة كورونا: صدمات التعليم والاستجابة على صعيد السياسات»، الصادر في مايو 2020م، أن هذه الجائحة وضعت التعليم أمام صدمات مُتعدِّدة المسارات والتأثيرات، ويمكن تلخيصها كالآتي:



الشكل رقم (2)

أولاً: الآثار المباشرة لإغلاق المدارس عن التعليم:

- توقُّفُ التعلُّم.
- اتساع فجوة عدم المساواة في التعلُّم.
- تراجع الارتباط بالتعليم المدرسي.

ثانياً: الآثار الصحية لإغلاق المدارس:

- سوء حالة تغذية الطلاب.
- تراجع الصحة النفسية للطلاب.
- زيادة معاناة الطلاب.

ثالثاً: الآثار المترتبة للأزمة الاقتصادية على تعلُّم الطالب:

- زيادة معدلات التسرُّب، خاصةً بين الفئات المحرومة.
- زيادة عمالة الأطفال، زواج الأطفال، وظاهرة المقايضة الجنسية.
- تراجع استثمار أولياء الأمور في التعليم.

رابعاً: الآثار المترتبة للأزمة الاقتصادية على جانب العرض في التعليم:

- انخفاض الإنفاق الحكومي على التعليم.
- تدني جودة التعليم.
- تدني جودة التدريس.
- إغلاق المدارس الخاصة.

خامساً: الآثار المترتبة على المدى الطويل:

- زيادة فقر التعلُّم.
- تراجع رأس المال البشري.
- زيادة الفقر العام (من جرّاء التسرُّب من التعليم).
- اتساع فجوة عدم المساواة.
- زيادة الاضطرابات الاجتماعية.
- تفاقم دائرة الفقر الممتدة عبر الأجيال، وانخفاض قيمة رأس المال البشري.

إن نظرة فاحصة على تلك الآثار تبرز لنا الآثار العميقة التي سوف تركها

هذه الجائحة على التعليم في كثير من البلدان، خاصةً تلك الدول التي لا تزال أنظمتها التعليميّة تعاني كثيرًا من الإشكاليات أبرزها «تدني الجودة» الذي قاد إلى ما أطلق عليه «الفقر التعليمي»، ويظهر ذلك من خلال العديد من المؤشرات الدوليّة، والتي كان آخرها مؤشر جودة التعليم الصادر عن المنتدى الاقتصادي بدافوس، حيث كشف عن احتلال السلطنة مراتب متأخرة على المستوى العربي والعالمي، سواء فيما يتعلّق بالتعليم الابتدائي أو العالي. فعلى مستوى التعليم الابتدائي: كان ترتيبها الثامن عربيًا، و88 عالميًا، إذ تقدمتها كل من قطر والإمارات ولبنان والبحرين والأردن والسعودية وتونس. أما على مستوى التعليم العالي؛ فكان ترتيبها العاشر عربيًا، و107 عالميًا، وهذا يعطي مؤشّرًا على إشكاليات عدة يواجهها النظام التعليمي، وربما تتفاقم خلال جائحة كورونا (كوفيد19)؛ فقد ظهرت عدم القدرة على مساندة الطلبة في التعلّم «عن بُعد»، أو تقديم بدائل لإبقاء الطلبة على صلة بأنشطة التعلّم. إنها صدمة الجائحة التي ضربت كثيرًا من القطاعات، وانقطاع استمرار التعلّم سوف يفاقم من الآثار التي حدّدها البنك الدولي، سواء على المدى القريب أو البعيد.

• التعليم «عن بُعد»: مفهومه، أنماطه، إيجابياته وسلبياته

لم يحظَ التعلّم «عن بُعد» بتداول واهتمام كما حدث خلال الأشهر الأولى من انتشار جائحة كوفيد، فقد استعملت العديد من المصطلحات للإشارة إلى هذا النوع من التعلّم مثل (Remote learning' distance

(education and online learning)، ويعرفه ليفي (Levy،2006) بأنه نظام تعلُّم قائم على التكنولوجيا والتنظيم والإدارة، يمنح الطلبة القدرة على التعلُّم عبر الإنترنت يسهل من عملية تعلُّمهم، فيما يعرف زاري وآخرون (Zare et al, 2014) التعلُّم بأنه استخدام أنظمة التعليم الإلكتروني، مثل: الكمبيوتر والإنترنت وأقراص الوسائط المتعددة والمجالات الإلكترونية ونشرات الأخبار الافتراضية، والتي تهدف إلى تقليل الوقت والنفقات، وتحقيق أفضل وأسرع، وتعلم أسهل، ولقد أكد غلام حسيني (Gholamhosseini, 2008) أن نمط التعلُّم القائم على التكنولوجيا لا يتطلَّب الحضور المادي للطلبة؛ إذ يمكن أن يتم خارج الفصول الدراسية، وقد حدّد محمودي وآخرون ستة أنماط للتعلُّم الإلكتروني (Mahmoodi et al, 2015):

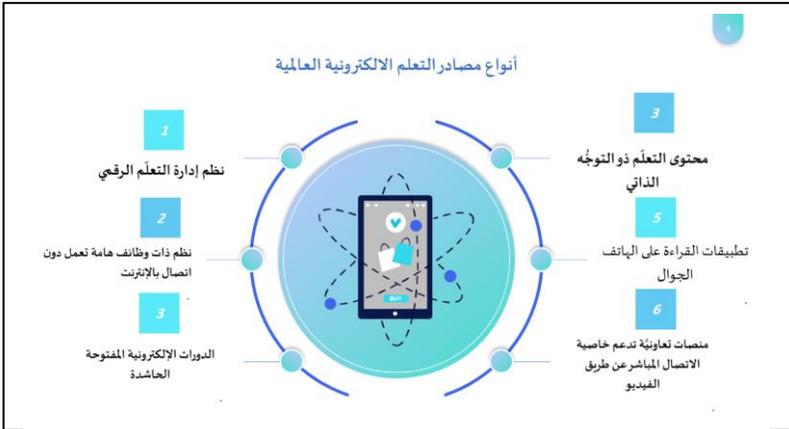
- التعلُّم الإلكتروني مع الوجود المادي ومن دون الاتصال الإلكتروني (وجهاً لوجه).
- حضور ومن دون اتصال إلكتروني (التعلم الذاتي).
- التعلُّم الإلكتروني من دون حضور ومع الاتصال الإلكتروني (غير متزامن).
- التعلُّم الإلكتروني مع التواصُل الافتراضي والاتصال الإلكتروني (متزامن).
- التعلُّم الإلكتروني مع التواجُد العرض والتواصُل الإلكتروني (مختلط/ هجين متزامن).
- التعلُّم الإلكتروني عن طريق الحضور والتواصُل الإلكتروني (ممزوج/ مختلط ومتزامن).

يتضح مما تقدم أن التعلُّم «عن بُعد» هو عملية في أساسها معتمدة على الاتصال بالتكنولوجيا، والاستفادة منها في عملية التعلُّم، إلا أن هذه العملية مُعقَّدة، ولها العديد من الأشكال والأنماط التي لا بدَّ من معرفتها، واعتماد نمط أو أكثر منها تبعاً للإمكانات المُتاحة أمام الطلبة، وبصرف النظر عن هذه الأنماط؛ فإن التعلُّم الإلكتروني يساعد على الابتعاد عن التعلُّم التقليدي الذي يقوم على تكديس الطلبة بأعداد كبيرة في الفصول الدراسية على تحقيق بعض الإيجابيات على تعلُّم الطلبة، وظهر ذلك من خلال العديد من التغطيات الصحفية لآراء الطلبة في بعض الدول مثل مصر، ومن ضمن هذه الإيجابيات: انتقاء وقت التعلُّم ومادة التعلُّم، البُعد عن مصادر التشُّتُّت في الفصول الدراسية، بالإضافة إلى تقليل القلق والتوتر الذي قد يتعرض له الطلبة في مواقف التعلُّم التقليديَّة، والقضاء على الوقت الضائع للتقلُّل من المدرسة وإليها، وأيضاً الحصص، وساعد على تنويع مصادر التعلُّم المقروءة والمسموعة والمرئية، والتي كان من الصعب توظيفها في المدارس، وكذلك تحسُّن الحالة النفسية، وقلة حالات التئمُّر الدراسي (عبدالحميد، 2020).

أما عن عيوب التعلُّم «عن بُعد» وتحدياته المُتعدِّدة؛ فقد أشارت نفس التغطيات في أكثر من بلد إلى ضعف التفاعل المباشر بين المُعلِّم والطالب، مهارات المُعلِّم في التصويب والتغذية الراجعة قد تكون مفقودة في هذا الشكل من التعلُّم، وضعف البنية التحتية التكنولوجية في المدارس والمنازل، والافتقار إلى المهارات التي يتطلَّبها هذا النوع من التعلُّم لدى المُعلِّمين والطلبة، بالإضافة إلى القناعة لدى أولياء الأمور الذين ينظرون إلى هذا التعلُّم بأنه يفقد

إلى القدر الكافي من الجديَّة والالتزام لدى الطلبة (عبدالحميد، 2020). وترى سافيدرا (2020) أنَّ التحديات التي تواجه هذا التعلُّم هي عدم امتلاك العديد من الطلبة مكتبًا للدراسة ولا كتبًا، فضلًا عن صعوبة اتصالهم بالإنترنت، وعدم امتلاكهم الحواسيب المحمولة في المنزل، بالإضافة إلى ضعف المساندة من الآباء والأمهات نتيجة الاشتغال أو ضعف المستوى الثقافي، خاصةً إن كان النمط المُعتمد في التعلُّم الإلكتروني يقوم على جهد الطالب كثيرًا، ومن المعروف أن الطلبة في المراحل الدنيا يحتاجون قدرًا كبيرًا من التوجيه والمساعدة.

لقد قامت اليونسكو بدور كبير خلال هذه الجائحة في تعريف ومساعدة دول العالم في التعريف بقائمة التطبيقات والمنصات والموارد التعليميَّة الرقميَّة المُتاحة التي يمكن أن يتعلَّم منها الطلبة، وهي مُتاحة بالعديد من اللغات وبشكل مجاني، وفيما يلي أبرز هذه المنصات الإلكترونيَّة:



الشكل رقم (3)

أولاً: نظم إدارة التعلّم الرقمي:

- بلاك بورد (اللوحة الأسود): موارد وأدوات للتغيير وتقديم التعليم والتعلّم الجيدين عن طريق الإنترنت.
- سينشيري تك (تقنية القرن): مسارات للتعلّم الشخصي بواسطة دروس مصغرة تعمل على سدّ الثغرات المعرفية، وتنمي روح التحدي لدى الطلاب، وتعزز الذاكرة الطويلة الأمد.
- إدراك: تعليم عن طريق الإنترنت باللغة العربية، ويوفر موارد للدارسين والمُعلمين.
- غوغل كلاسروم: يساعد في المُحافظة على التواصل بين طلاب الصف الواحد، كما يساعد على تنظيم الدروس.
- مودل: منصة للتعلّم المفتوح، تدار بطريقة جماعية وتتلقى دعمًا عالميًا.
- نفهم: منصة تعليمية على الإنترنت باللغة العربية، تقدم دروسًا مُسجلة عن طريق الفيديو توافق المناهج الدراسية في مصر وسورية.
- سكولر: أدوات تحول برمجيات مايكروسوفت أوفيس إلى منصات تعليمية.

ثانياً: نظم ذات وظائف هامة تعمل دون اتصال بالإنترنت:

- كانت ويت تولرن (أتشوق إلى التعلّم): تستعمل هذه المنصة تكنولوجيا الألعاب لتقديم تعليم جيد للأطفال، بمن فيهم، الأطفال في المناطق التي تشهد نزاعات.
- رومي: أدوات تعليمية ومحتوى تعليمي يمكن المجتمعات التي لا تحظى بخدمات كافية من التعلّم مدى الحياة.

ثالثاً: الدورات الإلكترونية المفتوحة الحاشدة:

- أليسن: دورات على شبكة الإنترنت يقدمها خبراء.
- كورسييرا: دورات على شبكة الإنترنت يقدمها مدرسون من جامعات وشركات معترف بها.
- إيدكس: دورات على شبكة الإنترنت تقدمها مؤسسات تعليمية رائدة.
- يونيفرستي أوف ذا بيسل (جامعة الشعب): جامعة على شبكة الإنترنت، التعليم العالي فيها مفتوح.

رابعاً: محتوى التعلّم ذو التوجّه الذاتي:

- خان أكاديمي: دورات ودروس وتمارين تطبيقية مجانية على شبكة الإنترنت.
- موقع يوتيوب: موقع ضخم مليء بالأفلام والقنوات التعليمية.

خامساً: تطبيقات القراءة على الهاتف الجوال:

- المكتبة الرقمية العالمية: كتب حكايات رقمية، ومواد أخرى للقراءة، يمكن الوصول إليها من الهاتف الجوال أو الحاسوب.
- ستوري ويفر (مؤلف القصص): موقع إلكتروني يحتوي على قصص للأطفال بلغات متعددة.
- وورلد ريدر (القارئ العالمي): كتب وقصص رقمية يمكن الوصول إليها من الهاتف الجوال، وفيه خصائص تدعم تعليم القراءة.

- سادساً: منصات تعاونية تدعم خاصية الاتصال المباشر عن طريق الفيديو:
- هانغ أوت مييت: محادثات عن طريق الفيديو، مدرجة في أدوات ج-سوت من غوغل.
 - تايمز: دردشة واجتماعات واتصالات وخصائص تتيح التعاون، مدرجة في برمجيات مايكروسوفت أوفيس.
 - سكايب: اتصالات مرئية ومسموعة، ودردشة وخصائص تعاونية.
- وهذه المنصات والموارد وإن كانت غير مرتبطة بالمنهج المدرسي الذي تتبناه الدولة؛ إلا أن بعضها يوفر أدوات للتواصل وتحميل المحتوى، وبعضها الآخر يقدم محتوى إثرائياً يمكن الاستفادة منه، وبعضها ممكن الاستفادة منه في تعزيز المهارات التكنولوجية؛ لذا يمكن أن تكون هذه المنصات مُطلقاً لبناء منصة تعليمية وطنية تُزوّد بالمناهج الدراسية وأنشطتها تبعاً للفصول الدراسية والأعمال، بالإضافة إلى ربطها بمواد مرئية تفاعلية، وهذا ما وفرته على سبيل المثال منصة التعليم الأسكوتلندية (Gloww) التي طُبّق من خلالها التعلم «عن بُعد» عندما أغلقت المدارس في منتصف مارس 2020م، وتوفير هذه المنصة وإثرائها بالمحتوى والمواد المرئية الداعمة والأنشطة التي يمكن أن تساعد الطلبة خلال عملية تعلّمهم.

رغم توفر هذه المنصات والمواد الرقمية؛ إلا أن الذهاب إلى المدرسة ليس للتعلّم فقط، وإنما لأهداف مُعدّدة منها: توفير فرص النمو للطلبة، والتي لا يمكن تحقيقها من خلال التفاعل مع الأجهزة الرقمية، وعلى حد تعبير سفيدرا (2020) (الطالب لا يذهب إلى المدرسة لتعلّم الرياضيات والعلوم

وحسب، وإنما يذهب أيضًا ليقيم علاقات اجتماعية ويتعامل مع أقرانه، ويتعلم كيف يكون مواطنًا ويطوّر من مهاراته الاجتماعية، وكيفية الإسهام كمواطنين في تطوير مجتمعاتهم).

كما أن قناعة المُعلّمين وكفاءتهم تعدُّ أحد التحديات في التعلّم «عن بُعد»، حيث أجرى مركز إيكار (ECAR) الأمريكي للبحوث والتحليل مسحًا على أعضاء هيئة التدريس حول التعلّم «عن بُعد» عام 2017م، وكشفت نتائج الدراسة أن 9٪ من الأكاديميين يفضلون التدريس في بيئة إلكترونية، بينما يفضل 91٪ التدريس في أي مكان آخر غير الإنترنت، كما ظهر أن نصف العينة يرون أن التعليم عبر الإنترنت فعّال.

مع تبأين الظروف والقدرات بين الدول في تبني استراتيجيات التعلّم «عن بُعد»، يؤكّد خبراء البنك الدولي أهمية تبني وسائل مختلفة يمكن أن تحقّق بعض الأهداف مثل: مخطّطات الدروس ومقاطع الفيديو والدروس التعليمية، والاستعانة بالمدوّونات والتسجيلات الصوتية، وكذلك إعفاء شركات الاتصالات المستخدمين الطلبة من رسوم تنزيل مواد التعلّم، كذلك يمكن الاستفادة من شبكات التواصّل مثل: الواتساب للتواصّل مع الأهل والمُعلّمين والطلبة، بالإضافة إلى استعمال الإذاعة والتلفزيون من خلال تخصيص قنوات تعليمية، أو برنامج يوجه توعية لأولياء الأمور لمساعدة أبنائهم.

• سيناريوهات التعليم في عُمان

إن التعليم في السلطنة قطاع واسع نتيجة عدد الطلبة الكبير؛ فقد بلغ عددهم في العام الدراسي (2019-2020) 634770 طالبًا، مُلتحقين في 1166 مدرسة، حسب إحصاءات الأمانة العامة لمجلس الوزراء في 25 أغسطس 2019م، أما عدد الطلبة المُقيدين في مؤسّسات التعليم العالي في العام الجامعي (2017-2018) فبلغ 127962 طالبًا وطالبة (الجيلانية، 2019)، وهذا التنامي الكبير لأعداد الطلبة يعكس أهمية التفكير في تقليل آثار هذه الجائحة على هذه الأعداد الكبيرة من الطلبة، والبحث عن الآليات التي تمكن من تقليل الفجوة التحصيلية الناتجة عن إغلاق المدارس والجامعات وتحول البعض إلى التعليم الإلكتروني.

بصفة عامة، يمكن تقييم التعلّم في السلطنة خلال جائحة كوفيد19، من خلال تطبيق السيناريوهات الثلاثة التي وضعها البنك الدولي، حيث يمكن تحديد الفجوات التي تُعد بحاجة إلى التعامل معها خلال الفترة القادمة من الجائحة، أو مستقبلاً في ظل أزمت أخرى، وفيما يلي استعراض للسيناريوهات الثلاثة:

سيناريو التأهب: من الثابت أنه لم يكن هناك تحرُّك استباقي في السلطنة، ويفترض لهذا التحرُّك أن يكون جزءاً من سياسات إدارة المخاطر التي نشأت داخل كل مؤسسة نتيجة تعرُّض السلطنة مراراً لأنواع مناخية مثل الأعاصير، والتي وإن لم تقد إلى التأثير مباشرة على مجريات النظام التعليمي، إلا أن تأثيراتها كانت محتملة، وكان لا بدّ أن تكون دافعاً

لتبني سيناريو استباقي يمكن أن يوظف في حالات الأنواء والجوائح الصحيّة أو حتى الحرّيّة، خاصّةً أن المدارس كانت خلال تلك الأنواء هي أهم مراكز الإيواء، واحتمال تعطل التعليم فيها فترة كان واردًا، وفيما عدا تجربة كلية العلوم الشرعيّة التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية لم يكن هناك تجربة للتعلّم «عن بُعد»، وحتى مؤسسات التعليم العالي لم يكن لديها استعداد كاف لتطبيق هذا التعلّم، لذا اضطرت هذه المؤسسات إلى تبني سياسة التعلّم في حالة الطوارئ على عجل، وهي تجربة لما يعرف بعد نتائجها وجدواها، وكان الهدف منها إنهاء الفصل الدراسي حتى وإن جرى التغاضي عن بعض المتطلّبات الدراسيّة.

سيناريوهات التعليم في عمان في ظل
جائحة كورونا وما بعدها

ضعف سيناريو التأهب:

- 01 عدم القدرة للانتقال للتعليم عن بعد مباشرة

صعوبة تطبيق سيناريو التكيف:

- 02 إهاء العام الدراسي للمدراس
- 02 تطبيق التعلم للطوارئ

تطبيق سيناريو التعافي:

- 03 إصلاح نظام التعليم
- 03 تعزيز البنية التحتية للتعليم عن بعد
- 03 تعزيز الجودة
- 03 تعزيز نظام الاستجابة للأزمات والجوائح.

الشكل رقم (4)

سيناريو التكيّف: نتيجة ضعف التأهّب؛ لم تتمكن المدارس من التكيّف مع الجائحة، وأنهت العام الدراسي مبكراً، في حين تكيّفت مؤسسات التعليم العالي، ونتيجة استمرار الجائحة، يبدو أن سعي المدارس إلى التكيّف في العام الدراسي الجديد (2020-2021)، ستكون محفوفة بالتحديات، خاصة إذا عرفنا أن وزارة التربية والتعليم وقّعت اتفاقية مع الشركة العُمانية القطرية للاتصالات أوريدو لإطلاق منصة تعليمية للطلبة والمُعلمين في وقت متأخر جداً؛ وهو 25 يونيو 2020م، وهو ما يؤكد كثيراً ضعف حالة التأهّب، وتأخرها حتى بعد مرور سبعة أشهر على بدء الجائحة، خاصة إذا عرفنا أن بعض التجارب التي عملت عليها بعض الدول في المنطقة مثل قطر، التي تختلف في عدد طلبتها ومدارسها، وتباين ظروفها الجيولوجية وأسعار خدمات الاتصالات لديها عما هو الحال في السلطنة.

فقطر كانت من الدول القليلة التي تكيّفت مع الجائحة وأكملت الفصل الدراسي، وذلك من خلال تبني إجراءات مُتعددة، لتطبيق التعليم الإلكتروني، والتي كانت كالاتي:

- تحديد أستوديوهات لتصوير الدروس وتهيئتها كبيئة لإنتاج الدروس المصوّرة.
- اختيار أكفأ المدرّبين المُعلّمين على إنتاج الدروس المُصوّرة.
- إعداد المُعلّمين محتوى الدروس.
- إنتاج الفيديوهات من خلال تصوير ومونتاج الدروس.
- فتح منصات خاصة بالتعلّم «عن بُعد».

- فتح القنوات التعليميّة، قطر التعليميّة (1) وقطر التعليميّة (2).
 - نشر وإرسال الخطط التعليميّة والجدول الأسبوعي للحصص لأولياء الأمور، يشمل أربع مواد دراسيّة مصورة يوميًا، وتقييمات يومية وأسبوعيّة يجيب الطالب عنها لتأكيد استيعابه الدروس.
 - توفير مصادر التعلم (الكتب المدرسية) بصيغة (PDF)، بالإضافة لمزيد من الفيديوهات الداعمة.
 - توفير مجموعة من نماذج الإجابات لأولياء الأمور.
- هذه الإجراءات تعكس تطبيقًا للخيارات التي قدّمتها المنظمات المتخصصة كالبنك الدولي ومنظمة اليونسكو للأنظمة التعليميّة، من خلال توظيف وسائل مُتعدّدة للتعليم «عن بُعد»، ثلاث مستويات مختلف الأسر، وكذلك تقديم الدعم لأولياء الأمور حتى يتمكنوا من مساعدة أبنائهم، ومثل هذه الإجراءات تتطلّب استعدادًا مُبكرًا من قِبَل أي نظام تعليمي، خاصّة أنها تقتضي كلفة مادية، وأيضًا تهيئة الطلبة، وتجريب المنصات لمعرفة التحديات والصعوبات وعلاجها قبل التطبيق الفعلي.
- سيناريو التعافي: يبدو أن التعليم العُماني يحتاج بعد انحسار الجائحة إلى إصلاح بنيوي، ليس فحسب يقود إلى التعامل مع ترقية النظام، ليكون قادرًا على تقديم التعلّم «عن بُعد» من خلال تفعيل الأدوات التكنولوجيّة، وإنما أيضًا يقود إلى الالتفات إلى مسألة الجودة، التي تؤثر على مخرجات النظام التعليمي بشقيّه المدرسي والجامعي، وتقود إلى حصول السلطنة على مراتب متأخرة في التصنيفات العالميّة، وهذا ما كشف عن

مؤشر جودة التعليم الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، وكشفت عنه من قبل دراسات صادرة عن المؤسسة التعليمية نفسها وهي وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المنظمات الدولية، مثل الدراسة التي أجريت مع البنك الدولي وصدرت تحت عنوان «التعليم في السلطنة: الماضي قدمًا في تحقيق الجودة» التي صدرت عام 2012م، أما الدراسة الثانية فهي «تقييم النظام التعليمي لسلطنة عُمان: الصفوف 1-12»، وهي دراسة مشتركة بين وزارة التربية والتعليم واتحاد المنظمات التربوية النيوزلندية. أما إشكاليات ضعف الجودة في التعليم العالي فهي مؤطرة من خلال احتلال السلطنة لمراتب متأخرة عالميَّة، وأيضًا عربية، إضافة إلى أنه يمكن الاطلاع على تقارير الهيئة العُمانية للاعتماد الأكاديمية، والتي وضعت في إطار سعيها لاعتماد المؤسسات التعليميَّة كثيرًا منها تحت الملاحظة في تقاريرها الأولى، ويمكن الاطلاع على ذلك في موقعها (<http://www.oaaa.gov.om/ar/Default.aspx>).

إن سيناريو التعافي المنشود للتعليم العُماني؛ هو ليس التعافي من تأثيرات الجائحة نفسها فحسب، وإنما التعافي من إشكاليات مُتعدِّدة، قادت إلى وجود مشكلة عميقة؛ لم تمكن من تحقيق جودة في الهدف المأمول من التعليم، الذي رُكِّز عليه في النظام الأساسي للدولة الصادر عام 1996م في المادة (13) وهو: (إيجاد جيل قوي في بنيته وأخلاقه، يعتز بأُمته ووطنه وتراثه، ويحافظ على منجزاته).

• الخاتمة

ينبغي عدم القفز إلى المُبالغة في التوقُّعات، بأن كورونا (كوفيد19) سوف يقود إلى تغيير واقع التعليم لدينا، فقد علمتنا التجارب أن التعليم آخر القطاعات التي تتأثر بالأحداث، سواء أكانت سياسيَّة أو اقتصاديَّة أو صحيَّة؛ هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن تطبيق التعلُّم «عن بُعد» كخيار للتعلُّم لا يوجد ما يثبت فاعليته ونجاحه، فالتقنية أداة من أدوات التعلُّم، ولكن هذه الأزمة تحتم على المستوى القريب البحث في آليات تعزيز سيناريو التكيُّف مع الجائحة خلال العام الدراسي القادم (2020-2021). وعلى المدى الطويل، فإن مؤسسات التعليم بحاجة إلى بناء سيناريو مستقبلي لـ«التأهَّب»، لمواجهة مثل هذه الجوائح، وللأنواء المناخية التي تتعرَّض لها عمان، وذلك يتطلَّب جوانب كثيرة للعمل عليها، أهمها: بناء بوابة محتوى رقمي، وبناء القدرات الفنية لدى الطلبة والمعلمين، وإعادة تعزيز البنية التحتية للإنترنت، ودعم وجود الألواح الإلكترونيَّة، وتأسيس صندوق طوارئ تعليمية، حيث يمكن دعم الأسر ذات الدخول المختلفة منه خلال هذه الظروف الاستثنائية.

أما من حيث المحتوى، فلا بدَّ من دعم مهارات الحياة والصحة العامة، والتركيز على مهارات التعلُّم، بدلاً من التركيز على المحتوى في منهج المدرسة، فبناء الاستقلالية لدى المُتعلِّم والبُعد عن المنهج التقليدي القائم على المعرفة يجعل من السهل مواكبة متطلبات هذه المراحل. إضافة إلى ذلك، فإن هذه الأزمة قدمت للنظام التعليمي في السلطنة فهمًا أوضح

للفجوات والتحديات التعليميّة المُرتبطة بالتعلم «عن بُعد» مثل: إمكانية الاتصال، والمعدات، ودمج الأدوات الرقمية في المناهج الدراسية، وجاهزية المعلمين، وطبيعة إتاحة التكنولوجيا في الأسر العُمانية، وهو من شأنه أن يعزز منظومة التعليم المُستقبلية.

خلاصة القول، قبل تفشي هذه الجائحة كانت هناك ضرورة مُلحة لإصلاح النظام التعليمي، وقد تعاظمت الحاجة أثناء الجائحة وبعدها، وبالذات في توفر الإجراءات الاستباقية في التعامل مع الأزمات، وتطوير كفاءة النظام التعليمي، وقدرته على التكيف مع المستجدات والتحسين المُستمر لمكوّناته، إن هذه الجائحة تمثل فرصة لجذب اهتمام الحكومة لإصلاح النظام التعليمي، وأهمية مواكبته لتوجّهات الدولة في إدماج التكنولوجيا مع مختلف جوانب الحياة، فلا يمكن أن يكون النظام التعليمي الذي يفترض أن يقود التحولات المختلفة داخل البلد متأخرًا عن بقية المؤسسات في إدماج التكنولوجيا وحلّ الإشكاليات المُختلفة التي تواجهه.

المراجع

باللغة العربية

1. الجيلانية؛ عهدود، (30 /10 /2019)، حوالي 128 ألف طالب وطالبة مقيدون بمؤسسات التعليم داخل السلطنة وخارجها وتخرج 28 ألفاً العام الماضي، جريدة عمان، <https://www.omandaily.om/?p=740539>.
2. عبدالحميد؛ عاطف، (12 يونيو 2020)، فيروس كورونا: كيف يقدم التعليم «عن بُعد» حلولاً لبعض مشكلات المدارس في مصر؟
<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-53002725>
3. قازي-هق؛ كاليوبي؛ شمس، تيغران، (3 /18 /2020)، إدارة تأثير فيروس كورونا المستجد على الأنظمة التعليمية في أنحاء العالم، مدونات البنك الدولي، <https://shortest.link/siM>.
4. سافيدرا؛ خايمي، (30 /3 /2020)، التعليم في زمن فيروس كورونا: التحديات والفرص، مدونات البنك الدولي،
<https://blogs.worldbank.org/ar/education/educational-challenges-and-opportunities-covid-19-pandemic>
5. وزارة التربية والتعليم، (2017)، تقييم النظام التعليمي لسلطنة عمان: الصفوف 1-12، دراسة مشتركة بين وزارة التربية والتعليم واتحاد المنظمات التربوية النيوزيلندية، الناشر: سلطنة عمان.

باللغة الإنجليزية

6. Gholamhosseini, L. (2008). E-learning and its place in higher education system. *Paramedical Medicine magazine of IRI army force*, 2(2), 28-35 .
7. Levy, Y. (2006). *Assessing the value of E-Learning Systems*. USA: Infancy
8. Montazer, G. A. (2002). ICT skills Training and its impact on Effective and Ubiquitous Learning. *Journal of Humanities University of Al-Zahra*, 12(42), 175-188 .
9. Zare. M. , Sarikhani, R. , Sarikhani, E. & Babazadeh, M. (2015). The Effects of Multimedia Education on learning and Retention in a Physiology Course. *Media Electronic Learning Magazine*, 6(1) , 32-38 .

محور البحث العلمي والابتكار

البحث والتطوير والابتكار السلاح الأقوى

لمواجهة الأزمات الطارئة

كورونا (كوفيد19): محنة أم منحة؟⁽¹⁾

د. شريفة بنت حمود الحارثية

مديرة الاستراتيجية الوطنية للابتكار -

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار

• المقدمة

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽²⁾، ارتبطت هذه الآية الكريمة بأهمية العلوم وتسخيرها لخدمة البشرية، وهي بمثابة قانون كوني ارتضاه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليكون خليفته في الأرض، وسخر له كل أسباب التمكين وملكات التعلم وتحصيل المعرفة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد من مخلوقات الله الذي ميزه بملكات عقلية

(1) المحور يدرس البحث العلمي والابتكار منذ بداية ظهور كوفيد 19 في عُمان أوأخر فبراير 2020م، وصولاً إلى نوفمبر 2020م.

(2) البقرة: 31.

وذهنية تمكنه من حمل أمانة العلم وإنتاج المعرفة وتسخيرها لخدمة البشرية وخدمة المخلوقات الأخرى على هذه الأرض.

فالمتمفحص العاقل لهذه الآية الكريمة يدرك تمامًا أن هذا التنافس والتسابق المعرفي والعلمي بين دول العالم لم يكن ضربًا من الصدفة أو العبث، بل هو مسار ممنهج أراد الله سبحانه وتعالى تكريمًا لهذا الإنسان المتوقع بحب المعرفة والشغوف بمطاردة الاكتشافات العلمية وأسرار المعرفة بمنهج تراكمي وبنیان متواصل غير منقطع حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولعلنا لا نبالغ مطلقًا عند التأكيد على أن التحولات العملاقة التي حدثت عبر العصور؛ كانت نتاج الفكر الإنساني في شتى ميادين الحياة، لذا كان لزامًا أن يكون الإنسان هو محور الكون، والحفاظ عليه من المخاطر التي تهدد حياته وتدفعه للفناء (وإن كان الفناء حقيقة لا محالة)، وتسخير سبل الراحة والحياة الكريمة هو الغاية الأسمى للعلوم كافة، فبفناء الإنسان يفنى العالم.

وهنا ندرك تمامًا أهمية العلوم والتركيز على البحث العلمي والابتكار في المجالات الحيوية التي ترتبط مباشرة بحياة الإنسان واستمرار بقائه، ففرى كل دول العالم تسخر أكبر إمكاناتها المادية والبشرية (مع اختلاف اقتصادياتها) في مجالين: الأول هو مجال التعليم والبحث العلمي الذي يعتبر مصدر الإنتاج المعرفي والعلمي، والثاني المجال الصحي الذي يهدف لبقاء الإنسان بكامل عافيته لمواصلة الإنتاج الفكري والمعرفي.

ومن الأهمية بمكان أن نعرض على بعض المفاهيم العلمية المرتبطة

بالإنتاج الفكري، وعلاقه هذه المفاهيم بدور العقل البشري الذي بتعطله تتعطل كل جوانب الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والنفسية، ومن هذه المصطلحات مفهوم المعرفة، ومفهوم البحث العلمي، ومفهوم الابتكار، وارتباط كل منها ببعضها، وأيضاً ارتباطها بما يسمى التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة.

كما أن إدراكنا لحقيقة هذه المفاهيم ومكوناتها يقودنا لإدراك دور العلم والبحث العلمي والابتكار للتصدي للأزمات التي تعصف بالعالم خلال فترات قد تكون متباعدة تارة ومقاربة تارة أخرى، ومن بينها الأزمة الحالية التي يمر بها العالم؛ أزمة كوفيد19، وكيف تجاوب معها العلم وتصدى لها الفكر البشري.

• الإطار النظري للمفاهيم العلمية

إن الفكر البشري بما لديه من ملكات وقدرات تجعله دائم الشغف في فهم وإدراك كل ما يحيط به من ظواهر وأحداث كونية، ويعمل الفكر البشري بإرادة وأكثر شغفاً كلما أحاط بالظواهر المحيطة الغموض وتعددت التساؤلات حول أسرارها. من هنا تعددت تعريفات المصطلحات العلمية بين الباحثين والمفكرين من وجهة نظر المجال الذي يعمل به، إلا أنه لا بد أن يكون هناك توافق بين كل هذه التعريفات في المفهوم المتأصل للمصطلح العلمي، وهنا نطرح مفاهيم المصطلحات الأكثر توافقاً بين المفكرين والباحثين فقط، أو التي تم اعتمادها في الأدلة الاستراتيجية في المنظمات الدولية والأممية، حيث

إن هذه التعريفات متفق عليها وفق معايير ومقاييس دولية. إلا أنه قبل سبر أغوار هذه المفاهيم العلمية نجد أهمية الرجوع إلى تأصيل ارتباط الفكر البشري، أو ما يسمى الرأسمال الفكري بالاكشافات العملاقة التي بدأت بالتساؤلات العميقة حول ما هو خارق للعادة، وكل ما يحيط به الغموض في أرجاء الكون، وهذا كان نهج الأنبياء والرسل منذ نشأة الخليقة. وقد يكون سؤال النبي إبراهيم عليه السلام لربه: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾⁽¹⁾ واستجابة رب العزة لهذا الطلب حيث أراه ما طلب، لهو المنهج الأصيل الذي اتبعه كل العلماء والمفكرين، وهو المنهج الذي يجب علينا تأصيله وتأسيسه في منظومات التعليم والبحث العلمي والابتكار.

وهنا يأتي تعريف مفهوم «المعرفة» الذي تطرق له كثير من المفكرين والباحثين من أمثال (عليان، 2008)، (دنكان برتشالاد، 2013)، (رفعت عبدالحليم، 2005)، (عامر إبراهيم، 2002)، (نونكا، 2009)، (غوالي، 2016)، ورغم الاختلافات البينية بينهم إلا أن هناك اتفاقاً واسعاً بأن المعرفة هي الأرقى والأسمى من مفهوم العلم والمعلومات، فالمعرفة أوسع آفاقاً، وأسمى مدلولاً، لأنها تتسع لتجيب عن أهم خمسة أسئلة عميقة كما يراها الباحثون والمفكرون وهي (ماذا، وكيف، ولماذا، وأين، ومتى)، وهي بذلك تتسع لتشمل المعرفة الإدراكية والسببية والتجريبية والمكانية والزمنية (عليان، 2008).

وبالرجوع إلى الآية الكريمة: (أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) وما بعدها؛ ندرك

(1) البقرة: 260.

أهمية التأصيل الذي نعنيه في هذا السياق، وهو ارتباط الفكر البشري بتوليد وإنتاج المعرفة من خلال الإدراك والفهم الصحيح للأحداث والظواهر.

وهذا يقودنا إلى مفهوم «المعرفة»، وهو كما يراه المفكرون والباحثون: ثمرة الامتزاج بين المواهب والأفكار والخبرات المتراكمة، والمهارات والإجراءات، وإعمال الذكاء والفكر التي تقودنا لفهم الظواهر والأحداث من حولنا وتفسيرها واتخاذ قرارات مبنية على الأدلة العلمية من أجل الوصول لحلول لقضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة).

إن هذا التعريف يقودنا أيضاً إلى إدراك أهمية توظيف ثمرة هذا الامتزاج المسمى «المعرفة» لتحقيق قيمة اجتماعية واقتصادية، حيث أصبحت للمعرفة قيمة سوقية لمن يمتلكها يمكنه المتاجرة بتناجه المعرفي، وذلك وفق قواعد وقوانين وسياسات مقننة ومتعارف عليها عالمياً، وهذا ما أدى بالدول المتقدمة معرفياً باستثمار هذه المعارف لتأسيس ما يسمى «الاقتصاد المبني على المعرفة»، وهو اقتصاد مستدام باستدامة تطور المعرفة، واستمرار توليد وتراكم المعرفة، والتي تتضاعف بوتيرة متسارعة بسبب التقنيات الحديثة والمتقدمة مثل: الشبكة العنكبوتية، ومحركات البحث، وتقنيات الثورة الصناعية الرابعة، التي هي أيضاً من نتاج المعرفي للفكر والعقل البشري.

أما المفهوم الثاني المرتبط ارتباطاً مباشراً بالمعرفة فهو مفهوم البحث العلمي والتطوير: أو الاكتفاء بـ «البحث والتطوير». يعتبر دليل فرسكاتي (2015) المعتمد من قبل منظمة اليونسكو، ومعهد اليونسكو للإحصاء المتخصص في قياس أنشطة البحث والتطوير في دول العالم هو المرجع الأكثر

وثوقية واعتماداً من قِبَل الباحثين والمفكرين في هذا المجال، لتعريف مفهوم البحث والتطوير، حيث يعرف دليل فرسكاتي البحث والتطوير على أنه (كل عمل إبداعي يمارس وفق أساس ممنهج بهدف زيادة المعارف ذات العلاقة بالإنسانية والثقافة والمجتمع، وتوظيف هذه المعارف من أجل إيجاد حلول ابتكارية وتطبيقات جديدة).

وهو بذلك ينقسم إلى ثلاثة أقسام: البحوث الأساسية، والبحوث التطبيقية، والبحوث التجريبية. ومن المهم بمكان الإشارة إلى أن دليل فرسكاتي وضع معياراً دقيقاً لتمييز وتنفيذ البحث العلمي عن غيره من الأنشطة في هذا المجال، حيث يعتمد على عنصر الحداثة والأصالة على المستوى العالمي، ويسعى للإجابة على أسئلة علمية عميقة لم تتم الإجابة عليها مسبقاً، وهي تقع ضمن دائرة عدم اليقين والشك، بهدف الوصول لحلول ناجعة لخدمة البشرية.

أما الباحثون الذين يقومون بهذا النشاط العلمي فيعرفون حسب ذات الدليل (2015) على أنهم (المهنيون العاملون في تصميم وابتكار معارف ومنتجات وعمليات وأساليب جديدة، وكذلك في إدارة المشاريع البحثية ذات الصلة، كما يشمل هذا التعريف صلب الدراسات العليا على مستوى الماجستير والدكتوراه ومن هم في حكمهم).

وهذا يقودنا إلى مفهوم آخر ارتبط بالمعرفة والبحث العلمي وهو مفهوم الابتكار، حيث تعددت التعريفات لهذا المفهوم، إلا أن دليل أوسلو (2005) وضع مفهوماً عاماً وشاملاً للابتكار، اعتمده المنظمات الدولية منها

منظمة اليونسكو والمنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية (الوايو) حيث يعرف دليل أسلوب الابتكار على أنه (تطبيق منتجات أو خدمات جديدة أو مطورة جذريًا، أو آلية أو طريقة تسويق، أو أسلوب إداري في ممارسات إدارة الأعمال أو بيئات العمل أو العلاقات الخارجية مع المؤسسات الأخرى) (OECD, Oslo Manual). وتحليل هذا التعريف، يظهر أن الابتكار يشمل عدة أنواع، منها: الابتكار التقني الذي يطور المنتجات التقنية، والابتكار المؤسسي الذي يركز على تطوير الأداء والأنظمة والعمليات، والابتكار المجتمعي الذي يركز على ريادة الأعمال والتسويق، وقد يتعدى إلى ما يسمى «الابتكار الحكومي» الذي يركز على كفاءة الأداء الحكومي. وقد وضعت مؤشرات لقياس هذه الأنواع من الابتكار بمؤشر عالمي يسمى «مؤشر الابتكار العالمي»، الذي ينشر سنويًا من قبل المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية، وبالتعاون مع جامعة كورونيل الأمريكية.

وعلى هذا الأساس، فالابتكار يطلق على المنتجات والأنظمة والعمليات وطرق التسويق التي يتم تطويرها جذريًا فقط، وتطبق على أرض الواقع لخدمة التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة من خلال تحقيق قيمة اجتماعية واقتصادية تصل للمستهلك، أو ما يسمى «المستخدم الأخير» (End User). أما العمليات والأنشطة الابتكارية التي تسبق تحقيق القيمة المضافة ابتداءً من توليد الفكرة وتطويرها، ومن ثم تصميم النماذج الأولية، وتسجيل براءات الاختراع وحقوق الملكية الفكرية ومرحلة الاحتضان، ومسرعات الأعمال جميعها عمليات تسبق الابتكار، ولا يجوز أن يطلق عليها مفهوم الابتكار لأنها

لم تحقق قيمة اجتماعية أو اقتصادية، أو لم تنتج حلولاً ذكية لقضايا التنمية المستدامة.

مما تقدم أعلاه، نستطيع تشكيل نمط العلاقة التي تربط المفاهيم الثلاثة أعلاه وترابطها الوثيق لتشكيل منظومة متجانسة ومتناغمة، فتوليد المعارف الذي يجب أن تركز عليه منظومة التعليم الشامل والفاعل من خلال التركيز وتحفيز الطلاب والباحثين للإجابة على التساؤلات العميقة والتي تبدأ بـ(لماذا، وكيف، ...) من أجل توليد المعارف، ومن ثم توظيف هذه المعارف للإجابة على الأسئلة الصعبة التي لا إجابة عليها، والتي تقع ضمن دائرة عدم اليقين على المستوى العالمي من خلال البحث العلمي والتطوير، ثم استعمال وتطبيق هذه الإجابات الإبداعية من أجل إيجاد الحلول الابتكارية الذكية لقضايا التنمية المستدامة وفق منظومة وطنية تسمى «المنظومة الوطنية للابتكار»، والتي تعرف على أنها (شبكة من العلاقات والترابطات الممنهجة والفاعلة بين الجهات والأوساط المنتجة والداعمة والمستخدم للمعرفة ذات العلاقة بالابتكار في تكامل نسيجي في مجال إنتاج، وتطوير ونشر وتوظيف المعرفة والتقانة لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة). (Lundvall).

• جائحة كورونا (كوفيد19)

في أواخر ديسمبر 2019م، كان العالم على موعد مع رحلة للتحويل الجذري في شتى مناحي الحياة اليومية؛ المهنية والسياسية والاجتماعية

والاقتصادية. كانت بداية هذا التحول نبأ انتشار فيروس من الفيروسات التاجية، التي تسمى علمياً «كورونا»، وذلك من مدينة ووهان الصينية النابضة بالحياة الصاخبة، هذا الفيروس سُمي فيما بعد باتفاق العلماء والخبراء في القطاع الصحي: «كوفيد19»، للتمييز بينه وبين الفيروسات التاجية السابقة، التي اجتاحت بعض مناطق العالم، إلا أن تأثير كوفيد19 كان أشد ضراوة في سرعة انتشاره وتأثيره على حياة البشر.

كوفيد19 (مرض معدٍ يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر 2019. وقد تحوّل كوفيد19 الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم)⁽¹⁾.

ولعل كوفيد19 جاء ليجبر البشرية للتحول الجذري، فقد كانت هناك علامات ورسائل واضحة تدعونا للتغيير والتحول نحو آفاق جديدة، يكون فيها للعلم والمعرفة والابتكار والتقنية الدور الأبرز في تحريك عجلة الحياة عبر محطات مختلفة خلال الأعوام المنصرمة، ولكن لم تستجب البشرية لهذه الرسائل بالشكل الكافي، فما كان إلا أن جاء كوفيد19 وأعلن الإغلاق الشامل والشلل التام، وإخماد الضجيج والصخب الذي صاحب لهات البشرية نحو صراعات وتنافس لم يكن عادلاً ولا مهنيًا. أما كوفيد19 فقد أظهر تأثيره العادل بين دول العالم كافة، فأصبح العالم يصارع عدوًا واحدًا مشتركًا، ولم يكن هناك إلا سلاح العلم والبحث والتطوير والابتكار وحده المخلص، ولم يكن

(1) منظمة الصحة العالمية، 2020م.

إلا الفكر البشري هو الأداة الفاعلة لتطوير هذا السلاح العلمي للتصدي لأكبر عدو للبشرية في مقدار تأثيره ورغبته في القضاء على البشر، والأصغر في ماهيته وخصائصه.

إلا أنه من جانب إيجابي آخر كان كريمًا ليظهر للبشرية قدراته الخارقة المعطلة، والثغرات التي يجب ردمها للوصول نحو حياة ذات آفاق جديدة أكثر ذكاءً وأمانًا ورخاءً. بالإضافة إلى ذلك فقد أعاد كوفيد19 تحديد الأولويات الوطنية والعالمية، وبأن الإنسان في المقام الأول هو الغاية الأسمى، وبقاءه سالمًا معافي الأولوية العليا للدول كافة، فلم تكن الآثار الاقتصادية الناجمة من الإغلاق ذات أهمية عندما يواجه الإنسان الموت المحتم، فاتخذت جميع الإجراءات الاحترازية من أجل بقاء الإنسان.

• دور البحث العلمي والابتكار في التصدي للجائحة

كان البحث العلمي والابتكار وما زال يلعب الدور الأبرز في التصدي للأزمات المختلفة؛ سواء الاقتصادية أم الاجتماعية، أم البيئية هذه المجالات الثلاثة التي تشكل التنمية المستدامة. غير أن الأزمات الصحية عبر العصور كان لها التأثير الأكبر على مجالات الحياة المختلفة كونها أكثر ما تصيب الإنسان الذي هو من يقود قاطرة الحياة.

لذلك، كان الاهتمام من قِبَل الباحثين والمفكرين والسياسيين بكل ما يتعلق بصحة الإنسان، ويحظى القطاع الصحي دائمًا بتسخير الموارد والإمكانات أكثر من غيرها من المجالات، عدا قطاع التعليم الذي هو أيضًا

مرتبط بشكل غير مباشر بقطاع الصحة.

ولعل حائجة كوفيد19 أظهرت الاهتمام الكبير في البحث والتطوير والابتكار لإيجاد الحلول الناجعة لمواجهة هذه الأزمة العالمية، ليس لأجل الحصول على العلاج فحسب، بل تعدى ذلك إلى سبل الوقاية والإجراءات الاحترازية والتنبؤ بالأزمات الصحية المستقبلية.

ورغم أن الأبحاث الطبية تأخذ وقتاً طويلاً من البحث والتجريب والتصنيع حتى تصل للأسواق؛ ما بين 20-25 سنة، حسب تقارير مؤسسة راند الدولية، إلا أن أزمة كورونا (كوفيد19) غيرت هذا البروتوكول من أجل التسريع لإيجاد اللقاحات المناسبة لوقف نزيف الوفيات حول العالم.

بناءً عليه، اجتمع علماء العالم والمتخصصون الصحيون من جميع دول العالم من أجل الاستجابة السريعة لمواجهة هذا الوباء، بعد أن أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه يعد الوباء الأخطر بسبب سرعة انتشاره، فكان اجتماع أبرز علماء العالم والأطباء في جنيف مقر منظمة الصحة العالمية بتاريخ 11-12 فبراير 2020م من أجل تقييم الوضع المعرفي حول فيروس كوفيد19. حيث اتفق العلماء والباحثون والأطباء من مختلف دول العالم -فالعالم والبحث والتطوير والابتكار لا تعترف بالحدود الجغرافية، خاصة أن العدو هذه المرة عدو مشترك، يهدد العالم بأسره- على تحديد الأسئلة البحثية ذات الأهمية والطارئة حول كوفيد19 من أجل الإجابة عليها علمياً، ومن أجل الاتفاق على التعاون والعمل معاً وتوفير الإمكانيات المادية لتمويل هذه الأبحاث المهمة.

وبناءً عليه، تم تحديد هدفين أساسيين: الأول: التسريع في الأبحاث

الابتكارية التي ستساعد في وقف انتشار الفيروس، ومساعدة المصابين. والثاني: دعم أولويات البحث والتطوير التي ستساهم في تعزيز ودعم منصة الأبحاث العالمية، والاستفادة من الأبحاث السابقة التي أثبتت جدواها، وآخر ما توصلت إليه الأبحاث الطبية في مجال مكافحة الأوبئة، وبالتالي التنبؤ والاستعداد لأية أوبئة قد تحدث مستقبلاً. (موقع منظمة الصحة العالمية). لقد وضع برنامج بحثي عالمي مشترك من أجل تطوير اللقاحات، وبحوث العلاجات وعلوم الصيدلة، وتقوية الروابط والتعاون من أجل التشارك وتسريع وتدفق المعلومات والبيانات بين العلماء والباحثين حول العالم في هذا المجال الذي كان العلماء في سباق مع الزمن.

هنا نستطيع القول إن هذا التعاون العالمي وتوفير الموارد المالية والبشرية وحده ساعد في تسريع تطوير اللقاحات ونتائج البحوث والابتكارات التي كانت تستغرق سنوات طوال لتظهر نتائجها. كما أن التعاون بين القطاعات الأكاديمية والجامعات ومختبرات المستشفيات حول العالم مع شركات تصنيع الأدوية ذات السمعة والخبرة العالمية؛ ساهم أيضاً كثيراً في تسريع وتعظيم نتائج البحوث والابتكارات لمواجهة كوفيد19.

فقد خصصت المفوضية الأوروبية 80 مليون يورو لشركة الأدوية الألمانية (كيورفاك) من أجل الأبحاث الحيوية في هذا المجال، بالإضافة إلى تخصيص 232 مليون يورو لمساعدة الدول الأعضاء والتعاون الدولي في أبحاث كوفيد19. كما خصص مبلغ آخر وقدره 10 ملايين يورو لدعم عمليات البحث العلمي من أجل التوصل للعلاج ضد هذا الفيروس. من جانبها

خصّصت الولايات المتحدة الأمريكية 8.3 مليار دولار ميزانيةً عاجلة لمكافحة الفيروس، من ضمنها إجراء الأبحاث العلمية. أما عن حجم الأنشطة البحثية، فقد أوضحت قواعد بيانات منظمة الصحة العالمية أنه تم رصد أكثر من 130 ألف ورقة علمية بحثية، تناولت المجالات كافة ذات العلاقة بمواجهة كوفيد19، بدايةً من التشخيص ومعرفة ماهية الفيروس والأعراض المصاحبة، وانتهاءً بالاحترازمات والإجراءات الوقائية وتطوير اللقاحات.

ورغم هذا التضامن الدولي الكبير المنقطع النظير، الذي يؤكد أن البحث العلمي والابتكار قوة معرفية بشرية لا تعرف الحدود الجغرافية فهدفها خدمة البشرية، إلا أن نسبة نجاح اللقاحات لا تزال ما بين 70-95٪، وما زالت الأبحاث مستمرة في الكشف عن الآثار الجانبية الناجمة عن هذه اللقاحات، ولن تظهر البيانات الأخيرة لهذه الأبحاث إلا بعد فترة من الوقت.

ويتنظر العالم أول ثلاث لقاحات ذات الكفاءة الأعلى والأسرع في الاختبارات السريرية والمنتجة من قبل فايزر بيونتك، واسترازينيكا، ومختبر جاماليا، وموديرنا⁽¹⁾.

(1) منظمة الصحة العالمية، 2020م.

• واقع مساهمة السلطنة في خارطة العالم للبحث

العلمي والابتكار حول كوفيد19

سلطنة عمان كغيرها من الدول بادرت بإطلاق برنامج بحثي، إيماناً منها أن البحث العلمي والتطوير والابتكار هو السلاح الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه من أجل القضاء على هذا الفيروس.

فقد أطلق مجلس البحث العلمي (سابقاً) البرنامج البحثي كوفيد19 الذي ينقسم إلى قسمين: أبحاث طبية (Clinical)، وأبحاث غير طبية (non- Clinical) تعالج القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتوعية من تداعيات كوفيد19، حيث رصد مبلغ مالي بأكثر من ثمانمائة ألف دولار أمريكي، لمقترحات بحثية تهدف إلى إيجاد حلول سريعة وذكية لمواجهة فيروس كوفيد19، سواء أكانت هذه الحلول طبية أم اجتماعية أم اقتصادية، حيث تلقى المجلس خلال أسبوعين أكثر من 400 مقترح من حوالي 18 مؤسسة مستفيدة من هذه المنح البحثية، إلا أنه وبسبب التمويل المحدود تم دعم ما يقارب 45 مقترحاً بحثياً. إن هذه البحوث العلمية التي دعمت من قطاع البحث العلمي والابتكار سوف تسهم بشكل غير مباشر في الإرث المعرفي العالمي عند نشرها في المجالات العلمية والمنصات العالمية ذات الاختصاص وذات العلاقة بالفيروس كوفيد19⁽¹⁾.

من جانب آخر شارك الباحثون والأطباء العمانيون نظراءهم في دول العالم عبر المنصات الرقمية في المؤتمرات التي خصصت من أجل تبادل وتدفق

(1) البرنامج البحثي كوفيد19.

المعلومات والبيانات حول التجارب والأبحاث التي تقوم بها الدول، فقد ساهم عدد من المختصين في مجلس البحث العلمي⁽¹⁾ (سابقاً)، وعدد من الباحثين بمستشفى جامعة السلطان قابوس، وكذلك الباحثون من وزارة الصحة، والمستشفى السلطاني في عدد من المؤتمرات، وأيضاً قاموا بعرض عدد من نتائج البحوث الإكلينيكية في المستشفيات حول كوفيد19، والتي ستسهم في رفد الوعي المعرفي العالمي في مجال البحوث العلمية.

كما أن السلطنة متمثلة في قطاع البحث العلمي والابتكار عضو في المنصة الدولية (العلم المفتوح) التي ترعاها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، والتي كان من أهم توصياتها ضرورة فتح العلوم والمعارف بين الدول، حيث يشير مصطلح «العلم المفتوح» (إلى مفهوم شامل يجمع بين الأنشطة والممارسات المختلفة، التي تهدف إلى جعل المعرفة العلمية والأساليب والبيانات والأدلة متاحة مجاناً، ومتاحة للجميع، وزيادة التعاون العلمي ومشاركة المعلومات لصالح البشرية، وفتح عملية إنتاج المعرفة العلمية وتعميمها على الفاعلين، ليس للمجتمع العلمي فحسب؛ ولكن يتعدى ذلك للمجتمع والمستفيدين من الأطياف كافة)⁽²⁾.

الجدير بالذكر أن عدداً من المؤسسات والشباب استجاب مباشرة للمساهمة في تقليل آثار الجائحة، وذلك بتطوير بعض الأفكار الابتكارية

(1) أصبح جزءاً من وزارة التعليم العالي، ضمن إعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة في

أغسطس 2020م. [المحرران]

(2) اليونسكو، 2020م.

والإبداعية، باستعمال التقنيات الحديثة؛ منها على سبيل المثال:

1. قيام الصندوق العماني للتكنولوجيا بتخصيص مبلغ مليون ريال لدعم التطبيقات الذكية التي يتجهها الشباب لمواجهة كوفيد19، حيث أطلق عدد من التطبيقات والابتكارات كما يلي:

أ- تطبيق «دختر» (dakhterclinic) هو تطبيق أطلقه الأطباء العمانيون، حيث يقدم استشارات طبية تخصصية من أطباء متخصصين «عن بُعد» للحالات الطارئة.

ب- منصة «وريد» (Wareedco) لتوصيل الأدوية لكبار السن إلى المنازل لتجنب العدوى بكوفيد19.

ج- المنصة الذكية «بحار» (behar_market) والمنصة الذكية «إثمار» (Athmar) مع وزارة الزراعة والثروة السمكية⁽¹⁾ (سابقاً) لتحويل الشراء بالسوق المركزي للأسماك للمزايدات كافة «عن بُعد» عبر المنصة لتقليل مخاطر الازدحام.

د- المنصة الذكية (fastmovers) للشحنات المبردة لنقل الأسماك والخضراوات من الأسواق المركزية تجنباً للازدحام.

هـ- منصة التعليم عن بُعد «أسهل» (easy) لتقديم خدمات التعليم عن بُعد.

و- تطبيق التواصل المرئي للاجتماعات عن بُعد «اجتماعاتي» Igtimaati.

(1) تغيّرت ضمن إعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة في أغسطس 2020م؛ ليصبح اسمها الآن وزارة الثروة الزراعية والسمكية وموارد المياه. [المحرران]

2. استعمال الطائرات ذاتية القيادة (درونز) لتعقيم الأحياء والمدن والقرى العمانية.
 3. استعمال الطائرات ذاتية القيادة (درونز) للتقصي الشامل وفحص درجات الحرارة «عن بُعد» للمشتبه بإصابتهم بكوفيد19.
 4. صناعة معقم محلي من إنتاج شركة تنمية نفط عمان من قِبَل موظفي قسم الكيمياء، وجهاز تقييم متكامل من قِبَل وزارة الدفاع ومصنع الابتكار.
 5. قام عدد من الشباب في مركز صناع عمان للنمذجة التابع لمجمع الابتكار مسقط في مجلس البحث العلمي بتطوير قناع الغوص لاستعماله قناعاً للتنفس الصناعي باستعمال الطابعة ثلاثية الأبعاد، حيث جرّب مع المختصين في المستشفى السلطاني، فأثبت نجاحه، وكذلك تصنيع القناع الواقى للطاقم الطبي باستعمال الطابعة ثلاثية الأبعاد، بالاضافة إلى تصنيع مقبض شخصي لفتح الأبواب باستعمال الطابعة ثلاثية الأبعاد.
 6. أطلقت منصة المدن الذكية التابعة لمجلس البحث العلمي والشركاء مسابقة للشباب العماني لإيجاد حلول ذكية لمواجهة تداعيات كوفيد19، حيث توجت ثلاث تطبيقات فاعلة (إصحاح، عمان تواجه كورونا، خلونا نهجع) وجميعها تقدم خدمات لمواجهة كوفيد19.
- ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن جائزة كوفيد19 أظهرت أهمية البحث العلمي والابتكار في جميع المجالات، وذلك بسبب الآثار الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي أُلقت بظلالها على كل جوانب الحياة جراء تأثير كوفيد19، والإغلاق التام الذي اتخذته دول العالم من أجل السيطرة على

انتشاره. مما أدى إلى تعاظم الأزمة وتشعبها في شتى مناحي الحياة، الأمر الذي أدى بالمجتمع الدولي في مجال البحوث والابتكار بالتحرك السريع للتخفيف من هذه الأزمات، فسخرت مليارات الدولارات من أجل التخفيف من هذه الآثار.

إلا أن واقع البحث العلمي والابتكار في السلطنة لا يستطيع أن يساهم بشكل فعّال، وذلك بسبب محدودية الإمكانيات والموارد البشرية والمالية، فلا يزال عدد الباحثين الفاعلين والنشطين (المعادلين بوقت كامل لكل مليون نسمة) في السلطنة متواضعاً، ولا يتعدى 248 باحثاً، بينما المتوسط العالمي حسب تصنيف اليونسكو ما بين 3000-7000 باحث لكل مليون نسمة.

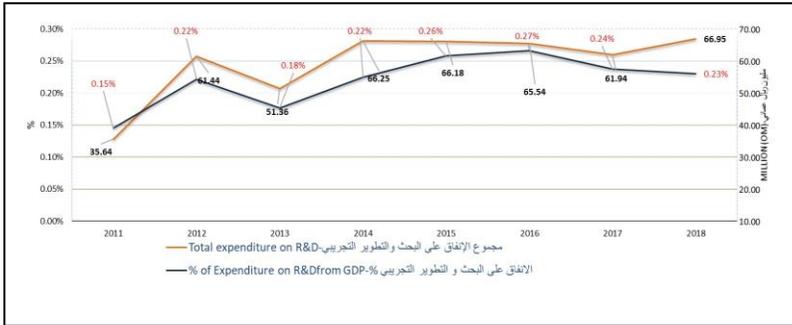
يوضح الجدول أدناه عدد الباحثين في السلطنة من (2011-2018م)

Research Capacity	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018	السعة البحثية
Researchers- HC	1446	1301	1235	1696	2313	2930	2795	4131	اجمالي عدد الباحثون
Researchers-FTE	483.63	603.612	497.244	716.5	906.969	1074.13	1131.07	1139.64	الباحثون المعادلون بوقت كامل
population	3,295,298	3,623,001	3,855,206	3,992,893	4,159,102	4,414,051	4,559,963	4,601,706	التكلفة السكانية
% of total researcher per million inhabitants	0.044%	0.036%	0.032%	0.042%	0.056%	0.066%	0.061%	0.090%	نسبة اجمالي عدد الباحثون لكل مليون نسمة
% of (FTE) researcher per million inhabitants	0.015%	0.017%	0.013%	0.018%	0.022%	0.024%	0.025%	0.025%	نسبة اجمالي عدد الباحثون المعادلون بوقت كامل لكل مليون نسمة
total researcher per million inhabitants	439	359	320	425	556	664	613	898	اجمالي عدد الباحثون لكل مليون نسمة
(FTE) researcher per million inhabitants	147	167	129	179	218	243	248	248	اجمالي عدد الباحثون المعادلون بوقت كامل لكل مليون نسمة

الجدول رقم (1): عدد الباحثين في السلطنة (2011 – 2018)

أما فيما يتعلق بالإنفاق على البحث العلمي والابتكار؛ فتظهر المؤشرات أيضاً تواضع حجمه مقارنة بالمعايير الدولية، فما يزال مؤشر الإنفاق الموجه للبحث العلمي والتطوير في السلطنة لا يتعدى 0.23٪؛ وهو ما قيمته 66 مليون ريال في عام 2018م من مجمل الناتج المحلي، بينما توصي منظمة اليونسكو بالأقل معدل الإنفاق عن 1٪ من مجمل الناتج المحلي للدول سنوياً؛ وهو ما يمثل 300 مليون ريال وفق تقديرات عام 2018م، حتى نستطيع إحداث تأثير معرفي واضح ومؤثر اجتماعياً واقتصادياً.

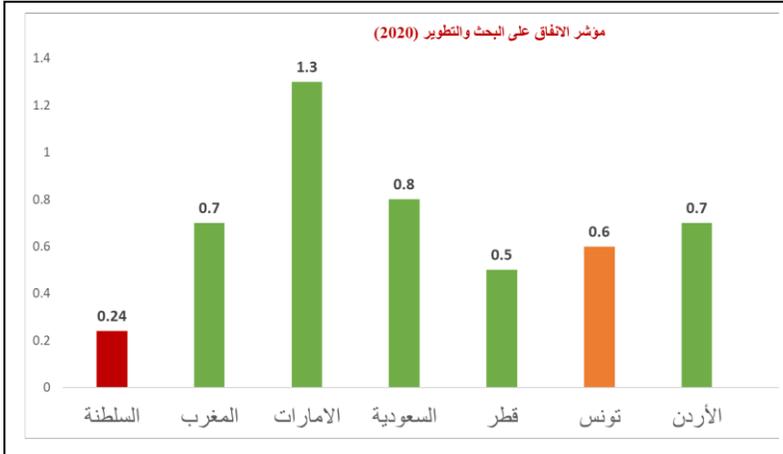
يوضح الشكل الآتي معدل الإنفاق على البحث والتطوير في السلطنة خلال الفترة (2011-2018م) حيث لم يتعد الإنفاق السنوي 66 مليون ريال.



الرسم التوضيحي رقم (1):

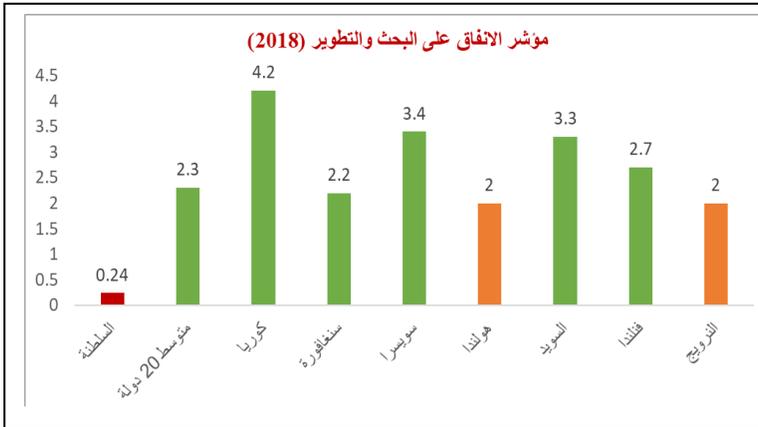
معدل الإنفاق على البحث والتطوير في السلطنة (2011 – 2018)

ويوضح الشكلان أدناه مقارنة إنفاق السلطنة مقارنة بدول الجوار، وبالذات المتقدمة ضمن أعلى 20 دولة في مؤشر الابتكار العالمي (2020).



الرسم التوضيحي رقم (2):

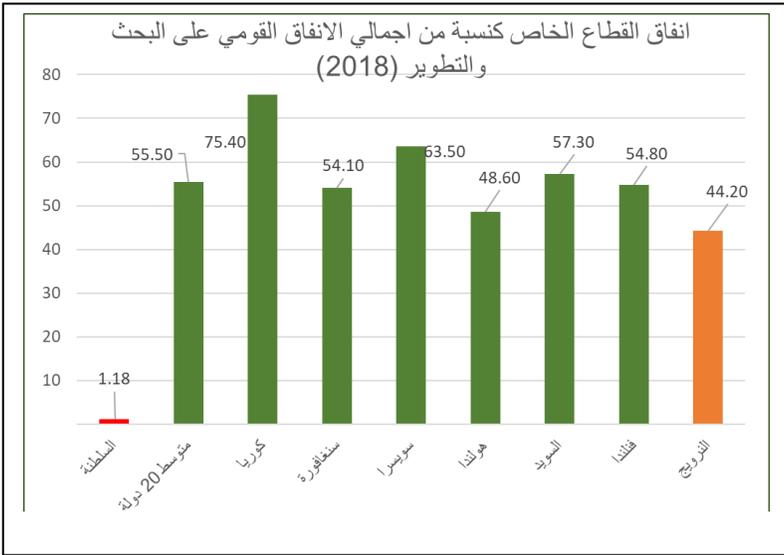
معدل اتفاق السلطنة على البحث والتطوير مقارنة مع الدول العربية



الرسم التوضيحي رقم (3):

إنفاق السلطنة على البحث والتطوير مقارنة مع أعلى 20 دولة في مؤشر الابتكار العالمي

ومن أجل الوقوف على الأسباب الحقيقية لتواضع مؤشر الإنفاق على البحث والتطوير في السلطنة، لا بدّ من الإشارة إلى أهمية إنفاق القطاع الخاص على أنشطة البحث والتطوير، حيث تظهر المؤشرات تواضع مساهمة القطاع الخاص في السلطنة في الإنفاق على البحث والتطوير، حيث يوضح الشكل أدناه مقارنة معدل إنفاق القطاع الخاص في السلطنة مع عدد من الدول ضمن الأعلى 20 في مؤشر الابتكار العالمي، حيث يساهم القطاع الخاص في تلك الدول بنسبة 70٪ من مجمل الإنفاق الكلي للبحث والتطوير.



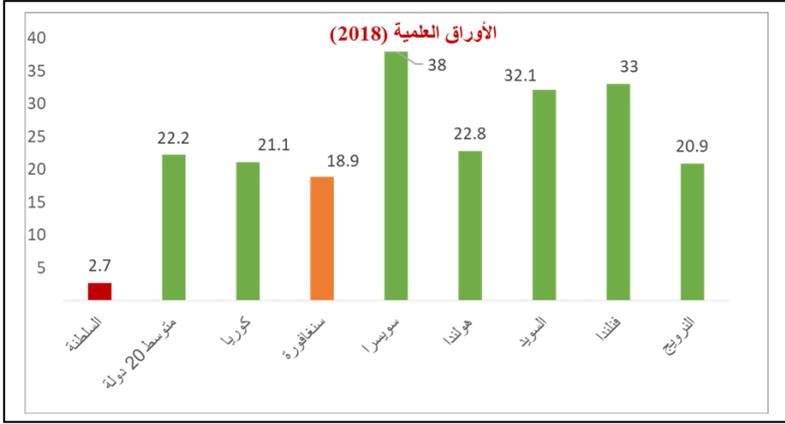
الرسم التوضيحي رقم (4):

إنفاق القطاع الخاص على البحث والتطوير في السلطنة

مقارنة مع أعلى 20 دولة في مؤشر الابتكار

والجدير بالذكر أن الشركات العملاقة في السلطنة تنفق مبالغ طائلة على البحث والتطوير خارج السلطنة، وذلك بسبب عدم توفر البنية الأساسية المتكاملة كالمختبرات المتقدمة، والمراكز البحثية التي تركز على التميز البحثي، وعدم كفاية المتخصصين من الباحثين والعلماء والمفكرين في المجالات ذات الصلة، بالإضافة إلى أنه تتوفر في تلك الدول تشريعات تحفيزية للشركات مثل الحوافز الضريبية للشركات التي تمارس أنشطة البحث والتطوير ضمن خططها الاستراتيجية التطويرية، الأمر الذي يؤدي إلى عدم احتساب هذه المبالغ في مؤشرات السلطنة، لأن أنشطتها البحثية تحسب للدول التي تجري فيها فعلياً هذه الأنشطة البحثية وتطوير التقنيات والابتكارات ذات الصلة.

كما يتضح من أداء السلطنة في مؤشر النشر العلمي والإنتاج المعرفي ومؤشر الاقتباس، الذي هو متواضع، أن مساهمتها في خارطة العالم للبحث العلمي والابتكار لا تزال محدودة، ولا ترقى بتطلعات السلطنة في بناء مجتمع معرفي واقتصاد يقوم على المعرفة، وبالتالي مساهمة قطاع البحث والتطوير لخدمة البشرية لا يزال دون الطموح.



الرسم التوضيحي رقم (5):

حجم النشر العلمي في السلطنة مقارنة مع أعلى 20 دولة في مؤشر الابتكار العالمي

• «رؤية عمان 2040» ومستقبل البحث العلمي والابتكار في السلطنة

تسعى «رؤية عمان 2040» إلى تأسيس اقتصاد مبني على المعرفة، الأمر الذي يقودنا إلى توضيح مفهوم الاقتصاد المبني على المعرفة، حيث يقوم هذا الاقتصاد بتوظيف المعارف وتطبيقاتها وتحويلها إلى قيمة اجتماعية واقتصادية، من أجل تحقيق الرخاء والازدهار، الذي بدوره يقود للتنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة⁽¹⁾.

وبناءً عليه، فإن الاقتصاد المبني على المعرفة يقوم على مجموعة من

(1) محمد مرياتي.

الأسس أهمها: التعليم الريادي، والبحث والتطوير، ونقل وتطوير التقنية، والتسويق، والبنية الأساسية الرقمية والفيزيائية واللوجستية، هذه الأسس تشكل في مجملها المنظومة الوطنية للابتكار سابقة الذكر، التي تتكامل فيها المؤسسات ذات العلاقة بهذه الأسس في تناغم نسيجي لتحقيق رؤية مشتركة، وهنا نشير إلى ما ورد في «رؤية عمان 2040» بأن تكون (عمان في مصاف الدول المتقدمة).

من هذا المنطلق، لا يمكن بناء اقتصاد على المعرفة دون التركيز على البحث العلمي والتطوير والابتكار، الأمر الذي ركزت عليه «رؤية عمان 2040» في أولوية «التعليم والتعليم والبحث العلمي والقدرات الوطنية» التي تصدرت جميع الأولويات الاثني عشرة من جانب الأهمية، وأكد على تلك الأهمية خطاب حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم حفظه الله ورعاه التاريخي بأن التعليم والبحث العلمي والابتكار في سلم الأولويات الوطنية.

وقد سعى مجلس البحث العلمي منذ إنشائه بموجب المرسوم السلطاني رقم 54/2005 لتأسيس منظومة إبداعية تستجيب للمتطلبات المحلية والتوجهات العالمية، وتعزز الانسجام الاجتماعي وتقود إلى الابتكار والتميز العلمي، وبأن تكون السلطنة محوراً إقليمياً للإبداع، ورائدة في ابتكار الأفكار وتوفير السلع والخدمات الجديدة. وأن تمتلك السلطنة سعة بحثية واسعة على مستوى المنطقة، وأن تتوفر لديها منظومة بحثية تستجيب بشكل سريع وفعال لتلبية الاحتياجات المحلية (الاجتماعية والاقتصادية)، الأمر الذي سيقود

السلطنة إلى تقديم أبحاث السياسات المستتيرة المبنية على الأدلة. (الاستراتيجية الوطنية للبحث العلمي 2020).

كما سعى المجلس من خلال تطوير الاستراتيجية الوطنية للابتكار 2040 إلى تأسيس المنظومة الوطنية للابتكار برؤية طموحة تتناغم تمامًا مع «رؤية عمان 2040»، بأن تصبح عمان ضمن أعلى 20 دولة في مؤشر الابتكار العالمي، كما تتشارك استراتيجية الابتكار التي اعتمدت من قبل مجلس الوزراء في العام 2017م ذات الأهداف والركائز مع الرؤية الوطنية، بالإضافة إلى ذلك، طوّر مجلس البحث العلمي الاستراتيجية الوطنية للبحث العلمي والتطوير 2040، التي جاءت متوائمة مع رؤية وأهداف «رؤية عمان 2040».

ومع إعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة وفق مقتضيات المرحلة الراهنة التي تمر بها السلطنة وفق المرسوم السلطاني رقم 122/2020، ودمج قطاع البحث العلمي والابتكار مع وزارة التعليم العالي، يظل قطاع البحث العلمي والابتكار قطاعًا متكاملًا بنفس الرؤى والأهداف المتناغمة مع الرؤية، بالإضافة إلى أنه يتكامل مع قطاع التعليم العالي والتدريب المهني، لتكتمل المنظومة الوطنية للعلوم والتقانة.

وبتحليل وثيقة «رؤية عمان 2040» نستطيع ملاحظة أن البحث العلمي والابتكار يعتبر مرتكزًا أساسيًا في كل محاور وأولويات الرؤية الاثنتي عشرة.

كما أن مؤشر الابتكار العالمي ومؤشر التنافسية العالمي اللذين بهما تُقاس أنشطة البحث العلمي والابتكار، يعتبران ضمن المؤشرات الأساسية لتحقيق الرؤية، الأمر الذي يدعو إلى رفع مخصصات البحث والتطوير في السلطنة

تصل إلى 1٪ من مجمل الناتج المحلي بحلول عام 2030، و2٪ من مجمل الناتج المحلي بحلول عام 2040م، وفق مستهدفات مؤشرات الرؤية، حيث تشارك في هذه المخصصات القطاعات الحكومية والخاصة، بالإضافة إلى العمل على رفع السعة البحثية للسلطنة لتصل وفق المعايير الدولية إلى 3000 باحث معادل بوقت كامل لكل مليون نسمة.

ومن أجل ترجمة «رؤية عمان 2040» إلى واقع ملموس لتأسيس اقتصاد مبني على المعرفة، لا بدّ من التأكيد على أهمية تأسيس بنية أساسية رصينة للبحث والتطوير والابتكار، من خلال تأسيس المراكز البحثية متعددة التخصصات، من ضمنها المركز الوطني لأبحاث إدارة الأزمات الصحية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث يقدم قطاع البحث العلمي والابتكار ضمن الخطة الخمسية العاشرة. الجدير بالذكر أن تأسيس مثل هذه المراكز البحثية المتعددة التخصصات يكلف ما يقارب 50 مليون ريال.

بالإضافة إلى أن تأسيس مختبرات طبية عالية الجودة ومحكمة السيطرة لأبحاث علم الأوبئة، من أجل تحقيق الأمان الصحي للباحثين والمجتمع، يعتبر من البنى الأساسية عالية التكلفة، ولا يوجد أي واحد منها على مستوى المنطقة، الأمر الذي يصعب على الباحثين والأطباء إجراء تجارب الأوبئة الناتجة عن الفيروسات في السلطنة، وبالتالي فإن مساهمة السلطنة في هذا المجال تظل محدودة ودون الطموح لعدم توفر هذا النوع من المختبرات والتي تسمى (BSL-lab).

وبالرجوع إلى الآثار التي أفرزتها جائحة كورونا (كوفيد19) في المجالات

كافة، وفي شتى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، التي أظهرت الحاجة لمواجهة التداعيات والأضرار الناجمة، ليس في القطاع الصحي فحسب، بل في القطاعات كافة، ندرك تمامًا أهمية تأسيس منظومة متكاملة للبحث العلمي والابتكار في السلطنة، مزودة بأسباب التمكين كافة، كالتحويل المناسب والكافي، وبأن يكون مشاركة بين القطاع الخاص والقطاع الحكومي. وتأسيس شركات قائمة على المعرفة لإنتاج المنتجات الدوائية، وكل المنتجات ذات العلاقة بالسلامة والصحة، وتأسيس مختبرات متعددة التخصصات، وتأسيس مختبرات وحاضنات الابتكار، ومكاتب نقل التقنية في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، ووضع برامج وطنية لتأسيس الباحثين العمانيين وفق المعايير الدولية، وذلك من خلال إشراكهم مع نظرائهم في المؤسسات البحثية الدولية، وتحفيز القطاع الخاص من خلال استصدار تشريع يقدم حوافز ضريبية لشركات القطاع الخاص، التي تثبت مساهمتها في تطوير أنشطة البحث العلمي والابتكار.

• الخاتمة

تناول هذا المحور استعراض دور جائحة كورونا (كوفيد19) في الكشف عن الثغرات التي تواجه منظومة البحث العلمي والابتكار، سواء على المستوى العالمي، أو على المستوى الوطني للسلطنة.

حيث يمكن اعتبار الجائحة بمثابة البوصلة التي جاءت لتوجه العالم نحو آفاق وتحولات جديدة، فلن يتمكن العالم من الصمود إذا استمر في انتهاج

سياساته السابقة، والمتمثلة في الانفراد والتنافس وعدم التعاون في التعامل مع الأوبئة، أو أية أزمة صحية أو اقتصادية، ولا بدّ من إعادة النظر في تسخير العلوم والبحوث والابتكار لتحقيق الرخاء والتنمية المستدامة العالمية، وذلك من خلال انتهاج سياسة العلوم والبحوث والابتكارات المفتوحة بين الأقطار.

كما أن الجائحة أثبتت أن القطاعات متداخلة، وتتأثر ببعضها بعضاً، فهي ليست أزمة صحية فحسب، بل تعدتها إلى أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية، من الممكن أن تستمر تداعياتها إلى أمد غير قصير.

وبناءً عليه، فإن التعاون والتشارك بين العلماء والباحثين والمفكرين لتأسيس منصات متعددة التخصصات لتبادل وتدقق المعرفة خارج نطاق الحدود الجغرافية والصفقات السياسية؛ أصبح أمراً حتمياً من أجل بقاء البشرية. فالعلم والمعارف والابتكارات المتراكمة عبر العصور، وبين الأجيال منذ الأزل، كانت ولا تزال هي القوى البشرية التي لا تعرف الحدود، بل الهدف الأسمى منها كان خدمة وبقاء البشرية من أجل تعمير هذا الكون.

كما أن السلطنة بكونها جزءاً من هذه المنظومة يجب أن تسعى لتكون بصمة على خارطة العالم للبحث والتطوير، من خلال زيادة حجم المعرفة والابتكارات المنتجة في السلطنة، والتي تخدم البشرية، وتوظيفها من أجل رخاء الإنسان. ولا يتأتى ذلك إلا بالاعتراف بالتحديات والثغرات التي تواجهها السلطنة، سواء من جانب تواضع التمويل المخصص للبحث العلمي والابتكار، أو من خلال قلة عدد الكوادر البشرية العاملة في الإنتاج المعرفي، أو الكوادر البشرية الشابة العاملة على توظيف المعرفة لتأسيس الشركات الناشئة

التي هي عصب الاقتصاد المبني على المعرفة. ومن أسباب التمكين التي يجب أن تقدم للمنظومة الوطنية للابتكار والتي يعتبر البحث العلمي أحد مكوناتها، تمويل أنشطة البحث العلمي والابتكار بمبلغ يصل إلى 300 مليون ريال سنويًا، يتشارك فيه القطاع الخاص والقطاع الحكومي، موجه بالأولويات الوطنية، ومخصص لتأسيس مراكز التميز البحثي، ومراكز البحوث العلمية متعددة التخصصات لإدارة الأزمات الطارئة، والبرامج البحثية الاستراتيجية، وبرامج الماجستير والدكتوراه لطلبة الجامعات، والمختبرات متعددة التخصصات في الجامعات والمراكز البحثية، وحاضنات ومسرعات الأعمال، ومراكز النمذجة؛ بالإضافة إلى تطوير المنظومة الوطنية للملكية الفكرية وتمكينها بأحدث التقنيات الرقمية حيث ما زالت تشكل فجوة كبيرة في تفعيل المنظومة الوطنية للابتكار. بالإضافة إلى تأسيس برنامج وطني لبناء القدرات البحثية والابتكارية الشابة، ضمن منظومة بناء القدرات الوطنية لتكون قادرة على المنافسة المحلية والعالمية.

المراجع

أولاً: باللغة العربية

1. التقرير الأول (المسودة الأولى) لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو توصيات حول العلم المفتوح، باريس، 2020م.
2. تقرير مؤسسة (رانلد) الدولية حول تقييم أنشطة وبرامج مجلس البحث العلمي، 2013م.
3. تقرير مؤشر الابتكار العالمي،
<https://www.globalinnovationindex.org/analysis-indicator>
4. الحارثي؛ شريفة، الاستراتيجية الوطنية للابتكار بمجلس البحث العلمي، مجلس البحث العلمي، 2019م.
5. دنكان برتشارد، ما المعرفة؟ ترجمة مصطفى ناصر، سلسلة عالم المعرفة، العدد 4040، الكويت، 2013
6. عليان؛ مطفي ربحي، إدارة المعرفة، عمان، الأردن، 2008م.
7. الغزالي؛ عادل، دور إدارة المعرفة في الرفع من أداء التنظيم الصناعي بالجزائر، دراسة ميدانية، أطروحة الدكتوراه، 2016م.
8. الفاغوري؛ رفعت عبدالحليم، إدارة الإبداع التنظيمي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2005م.
9. قنديلجي؛ عامر إبراهيم، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، دار الوراق للخدمات الحديثة، الأردن، 2002م.
10. مجلس البحث العلمي، البرنامج البحثي كوفيد19، عرض مقدم لهيئة مجلس البحث العلمي، 2020م.

11. مجلس البحث العلمي، الاستراتيجية الوطنية للبحث العلمي، 2008م.
12. مجلس البحث العلمي، الاستراتيجية الوطنية للبحث العلمي والتطوير 2040م.
13. مجلس البحث العلمي، مشروع مؤشرات العلوم والتقانة، 2019م.
14. مسودة الخطة الخمسية العاشرة، وزارة الاقتصاد، 2020م.
15. مكتب الرؤية 2040، وثيقة الرؤية، 2019م.
16. الموقع الإلكتروني لمنظمة الصحة العالمية، <https://shortest.link/sAg>، covid-19، نوفمبر 2020م.
17. الموقع الإلكتروني لمنظمة الصحة العالمية، R& D Blueprint and COVID-19، نوفمبر 2020م.

ثانياً: باللغة الإنجليزية

18. OECD Frascati Manual. (2015). Frascati Manual 2015: Guidelines for Collecting and Reporting Data on Research and Experimental Development, The Measurement of Scientific, Technological and Innovation Activities. Paris: OECD publishing .
19. Nonaka, I. and K. G. Von, 2009. Tacit knowledge and knowledge conversion: Controversy and advancement in organizational knowledge creation theory. Organization Science, 20 652–635 : (3)
20. OECDOSLO Manual. (2005). OSLO Manual 2005. Guidelines for Collecting and Interpreting Innovation Data. Paris: OECD publishing .

المحور الديني

تعدد الخطاب الديني أثناء كورونا (كوفيد19) الواقع واستشراف المستقبل⁽¹⁾

أ. أحمد بن مبارك النوفلي

كاتب وباحث في المعارف الدينية

• مدخل

بدايةً، هذا المحور هو محاولة لفهم الخطاب الديني في عُمان أثناء جائحة كورونا، باعتبار أن مرض كورونا (كوفيد19) هو فيروس يسبب التهابًا في الجهاز التنفسي، ونسب إلى العام 2019 لأن أول ظهور له في شهر نوفمبر من عام 2019م، بمدينة ووهان الصينية. ينقل الفيروس العدوى بين الناس، وأعراضه تتضمن الحمى والسعال وضيق التنفس، وتحول المرض من وباء إلى جائحة، والجائحة وفق ما جاء في قواميس اللغة تأتي بمعنى الشدة والنازلة العظيمة، فهي من الجوح أي الاستئصال من الاجتياح⁽²⁾.
ويكافح هذا الفيروس بغسل الأيدي وكظم السعال، ولبس الكمامات،

(1) المحور يدرس الخطاب الديني منذ بداية ظهور كوفيد13 في عُمان أواخر فبراير 200م، وصولاً إلى 9 يوليو 2020م.

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «جوح».

والتباعد الجسدي؛ خاصةً من المصابين به أو الحاملين لأعراضه، أي بالعزل والحجر الصحي، فالتباعد الاجتماعي أمر فيه ضروري.

وبما أن بعض الشعائر الدينية والعادات الاجتماعية تمارس باللقاءات والتجمعات الجسدية كان لا بدّ من تدابير وقائية تحدّ من ذلك، لذا يدرس هذا المحور الخطاب الديني أثناء الجائحة في عُمان، وكيفية تعدد هذا الخطاب، واقعاً ومستقبلاً.

ومن المهم الإشارة إلى أن بعض المصطلحات الواردة هنا ليست وفق ما هو متداول في المسلمات الأثرية، ومنها على سبيل المثال مصطلح المعتقدات، الذي لا يعني الإيمان كما قد يتصوره البعض، ولكن يقصد به التوجهات الدينية والآراء المتغيرة، وبعض المصطلحات سيأتي توضيحها داخل الموضوع.

• تعدد وتوسع مفهوم الخطاب

قبل الولوج إلى دراسة الخطاب الديني في عُمان أثناء جائحة كورونا (كوفيد19)؛ يلزم الوقوف عند مفهوم الخطاب الديني، وما الذي يقصد به في هذه الدراسة، فالخطاب في عمومه متنوع ومتعدد، هناك الخطاب الديني، والخطاب الفلسفي، والخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الأدبي، ما يهمنا هنا الخطاب الديني الذي يتوسع في خطاباتهِ للجمهور، فهناك الخطاب الفقهي، والخطاب الأصولي، والخطاب العقدي، والخطاب الوعظي، والخطاب الصوفي.

بيد أنه في العموم كلها مدرجة تحت الخطاب الديني، ومن هنا سنسلط الحديث عنه وعن تعدده أثناء جائحة كورونا.

• مفهوم الخطاب الديني

مصطلح «الخطاب الديني» يقدم أكثر من دلالة في أذهان القراء، فمنهم من يفهم منه خطاب القرآن الكريم. وبعضهم يضيف إلى القرآن السنة والروايات. ومنهم من يعدد صيغته إلى عموم وخصوص كالأصوليين⁽¹⁾، أو يقسمه إلى ثلاثة أقسام: لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب⁽²⁾. ومنهم من يوسع ذلك فيقصد به كل ما طرحه المنظومة الدينية من كتب وفتاوى وآراء وأفكار ونصائح وإرشادات ووعظ، إلى غير ذلك من الأفهام والمعاني والأقسام.

حين الوقوف مع القرآن الكريم؛ نجد أن لفظة «خطب» بمختلف اشتقاقاتها وردت فيه 12 مرة، وهي تأتي بمعنى الكلام كقول الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽³⁾، وتأتي أيضاً في سياق المطالبة بالكلام والإخبار بالشأن والأمر كآية: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽⁴⁾. لذا ورد في معاجم اللغة أن الخطب: (هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير،

(1) انظر: السالمي؛ طلعة الشمس. والزدجالي؛ دراسات تداولية في أصول الفقه.

(2) الجنائني، كتاب الوضع، ص 7.

(3) الفرقان: 63.

(4) الحجر: 57.

والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال) (1).

كما وردت في القرآن الحكيم لفظة «الخطاب» بالتعريف مرتين في «سورة ص» مع أحداث قصة النبي داود عليه السلام:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾ (2).

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْبَةً وَلِي نَعْبَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (3).

والآيتان واضحتان وفق سياقهما من كون مفهوم الخطاب جاء في الحديث عن القدرة على الكلام وحسن التعبير، فمن هنا جاء قول الرازي (ت: 604هـ): (فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام) (4).

فإذاً، الخطاب الديني كلام في الدين، وبذا يلحظ أن الله أنزل رسالة يكلم من خلالها الناس، والناس بمختلف أطيافهم وتوجهاتهم يتكلمون في الدين، وكلام الناس ليس ديناً، بل هو تأويل له، لهذا تعددت الآراء والأفكار والتأويلات حتى في دلالة مفهوم الخطاب الديني. ومن وجهة نظري أن مفهوم الخطاب الديني، لدى الأمة المحمدية؛ التي تتبع القرآن والسنة النبوية، ينبغي حصره في كلام القرآن الكريم فحسب، لأنه كلام الله الذي جاء بالدين للناس،

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة «خطب».

(2) ص 20.

(3) ص 23.

(4) الرازي، التفسير الكبير، ج 26، ص 164.

فالقرآن خطاب إلهي لهداية البشر، أي أنه كلام الله ليسمعه الناس ويعقلوه ويتبعوه، كما أخبر القرآن بذلك، أما ما عدا ذلك فهو كلام في الدين بالتأويل والاجتهادات، بما في ذلك الروايات المأثورة والآثار.

والدين هو ما أرسله الله إلى الناس عبر وحيه لأنبيائه، فحتى النبي محمد عليه السلام أمر بهذا الدين، بل وأرسل إليه، ثم قام الرسول عليه السلام بتطبيقه عملياً أمام الناس، ودعاهم إليه، فكان يدعو إلى رسالة الله وتمثلها في الواقع، لذا كان أول حاملٍ الخطاب الديني كما أنزل عليه.

وإذا كانت بعض قواميس اللغة اعتبرت «خطب» تضم (الخطاء والطاء والباء أصلاً: أحدهما الكلام بين اثنين)⁽¹⁾، فإن كلام الله مع عباده أيضاً خطاب، ويأتي عبر ثلاث طرق⁽²⁾، ذكرت في الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾، وهذا يعني أن كلام الله بين اثنين؛ بين الرب والعبد، فالعبد إذا ما أراد أن يتكلم مع الله لجأ إلى كتابيه؛ المسطور، والمنظور، لكن هناك معاجم لغوية سبقت ابن فارس (ت: 395هـ)، واعتبرت (مراجعة كلام بين اثنين) مناقرة⁽⁴⁾، ككتاب «العين» للفراهيدي (ت: 170هـ)، وإن كانت المناقرة جزءاً من الخطاب إلا أن الخطاب أعم منها، ولم تذكر ذلك في كلمة «خطب»، لذا جاء عند الفراهيدي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص160.

(2) لشرح هذه الطرق في كيفية كلام الله للبشر انظر كتابنا: أقانيم اللامعقول، ح2، ص93-108.

(3) الشورى: 51.

(4) الفراهيدي، العين، مادة (القاف والراء واللام).

(والخطاب: مراجعة الكلام)⁽¹⁾، وقارئ القرآن ينظر في كلام الله فيراجعه من أجل التدبر والعمل بمقتضاه، فالقرآن إذًا خطاب ديني.

يبد أن الدراسة هنا لا تمنع من التوسع في دلالة مفهوم الخطاب الديني، من أجل تقديم دراسة تحليلية لواقع الآراء والفتاوى الدينية أثناء جائحة كورونا (كوفيد19)، فارتأيت أن يكون الخطاب الديني هنا بمفهوم إنزال الخطاب الديني إلى أرض الواقع بتطبيقات عملية، بحيث يشمل المضامين التي تصدر من مؤسسة معينة أو من فرد معين فيراد من الناس تمثلها، وهو رأي يذهب إليه خميس العدوي⁽²⁾، وأراه منسجمًا مع ما يتداول عصرنا من مفهوم حول الخطاب الديني، ليتضمن الحراك البشري في إنزاله على أرض الواقع، ليشمل التعبير عن هذا الخطاب بأي منهج أو وسيلة أو طريقة كانت، كالتعبير عنه بالكتابة، أو الرسوم والصور، أو مقاطع الفيديو، أو رسائل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو الفتاوى والخطب والمحاضرات والندوات، وغير ذلك. جاء هذا التوسع في الدراسة هنا من باب مزاحمة المناهج والأفهام والخطابات البشرية لكلام الله تعالى، ولربما قدموها عليه، واعتبروها دينًا.

وهذا يعني أن الخطاب الديني يحمل رؤية اجتماعية أو سياسية معينة، وفق تحولات الأوضاع المختلفة من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان، بل من مؤسسة إلى مؤسسة، ومن فرد إلى آخر. فبهذا، لغة الخطاب الديني هي قراءة

(1) المرجع السابق، مادة (الخاء والطاء والباء).

(2) انظر: العدوي، الخطاب الديني في ظل جائحة كورونا، حلقة نقاشية، صالون الأربعاء، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=WCaU2iBoOGk>، تاريخ التصفح: 2020/5/30 م.

بشرية للدين قابلة للتغيير وفق معطيات الأزمنة والأمكنة والثقافات، بل حتى وفق المعطيات الكونية وأثرها على الواقع المعيش، فالخطاب الديني الذي هو كلام الله جاء لبناء الإنسان، والدفاع عنه، وحفظه من كل أذى، بيد أن الخطابات البشرية تمارسه وفق تأويلاتها الأيديولوجية وإسقاطاتها المعرفية المسبقة، وأرادت من الناس تمثلها، لذا جاز التوسع في تسمية الخطاب الديني من هذا المنطلق.

• الخطاب الديني في عمان أثناء الجائحة

- الآراء والتحليل

من الطبيعي ظهور آراء حول أي حدث جديد على الناس، قبولاً ورداً ووقوفاً، ذلك لأن العقل البشري ينظر فيما حوله من أحداث ووقائع، فيحاول فهمها واستيعابها وتفسيرها، وفق ما لديه من قدرات ذهنية أو مناهج معرفية ونظرية أو علوم طبيعية وتجريبية أو غيرها من الإمكانيات.

من هنا ظهرت دراسات ووجهات نظر إحيائية واجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية ودينية وفلسفية، وكل في مجاله وتخصصه، لفهم جائحة كورونا (كوفيد19)، هذه الدراسات ووجهات النظر لمعرفة هذا الفيروس والوباء من أجل البحث والتصدي له ومعرفة ماهيته، أو من أجل كيفية التعامل مع الوضع القائم بسببه، ولئن كان المحور يتناول الجانب الديني؛ فسيكون الحديث حول واقع هذا الخطاب أثناء الجائحة في عمان والآراء في ذلك مع التحليل.

- واقع الخطاب الديني أثناء الجائحة وتجلياته

تنوع الخطاب الديني خلال فترة كورونا (كوفيد19)، التي مازلنا نعيشها ونعيش أثارها ومتغيراتها. لذا، يرى الباحث الاجتماعي طلال المصطفى أننا أمام خطاب إنساني عالمي جديد، في أثناء كورونا (كوفيد19) وما بعده، سيشمل التخصصات العلمية والإنسانية كافة، وإن كان لم يكتمل غير أنه سيتبلور أكثر في المستقبل، لأجل رصد وتبع موضوعاته واستراتيجياته، باعتبار أن الحديث عن كل ذلك ودراسته حالة طبيعية، لأن هيمنة الخطاب مرتبطة بالأحداث، وذلك يستشف من خلال قراءة الأحداث التاريخية؛ السياسية والاجتماعية والاقتصادية⁽¹⁾.

من هنا يتبع خميس العدوي أقسام الخطاب الديني أثناء الجائحة على المستوى العالمي، فيقسمه إلى أربعة أقسام، وهي⁽²⁾:

1. خطاب يحاول استثمار الوضع الوبائي في نصرة معتقداته، ويلحظ ذلك في المجتمعات ووسائل التواصل الاجتماعي، هذا الخطاب يعتبر الوباء جنداً من جنود الله تعالى جاء ليردع البشرية، أو لينتقم من العصاة

(1) انظر: المصطفى، بعض الخطاب العالمي الذي أوجده فيروس كورونا، مقالة، مركز محرمون للدراسات المعاصرة، الرابط: <https://2u.pw/OzcxU>، تاريخ النشر: 2020/4/20م.

(2) انظر: العدوي، الخطاب الديني في ظل جائحة كورونا، حلقة نقاشية، صالون الأربعاء، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، لجنة الدراسات والفكر، رابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=WCaU2iBoOGk>، تاريخ التصفح: 2020/5/30م.

لقد قام خميس العدوي (أحد محرري هذا الكتاب) بضبط نصه من كونه شفهيًا ليصبح مكتوبًا، بتصريف دون خلل بالأصل. [المحرران]

- والمفسدين في الأرض، أي جاء لنصرة دينه أو مذهبه.
2. خطاب يقابل الخطاب السابق، هذا الخطاب يحسب نفسه مستتيراً، فيستمر الجائحة في كونها أتت لتفضح المعتقدات الواهمة أو الأسطورية أو الخطابات التقليدية، فهي محاولة منه أيضاً لإثبات معتقداته المعاصرة أو تصوراتهِ أو رؤيته ضد الرؤى التقليدية.
3. خطاب المواءمة بين الجائحة وبين معتقداته أو تصوراتهِ، فيرى أنه توجد رؤية فقهية للتعامل مع هذه الجائحة كعدم الصلاة جماعة، أو أداء سائر الشعائر، أو تواصل المسلم مع الآخرين في الناحية الدينية بما يتوافق مع التوصيات الصحية، وهو يكيّف ذلك بحسب الرؤية التقليدية، وفق القواعد الأصولية القديمة بالاستمداد من الآراء والتصورات التي قيلت قبل مئات السنين؛ سواء منذ عهد الرسول أو الصحابة أو التابعين ومن جاء بعدهم.
4. خطاب ينشد الإصلاح الاجتماعي، وينقسم إلى شقين:
- أ- شق حاول استثمار الجائحة في الإصلاح الاجتماعي عن طريق علاج الجائحة بالابتعاد عن المعاصي كالربا والخمر والزنا وعقوق الوالدين، هذا الخطاب نوعاً ما مبرأ من محاولة استغلال الجائحة وفق الرؤية التي تصف الجائحة بأنها جاءت حرباً ضد البشرية أو لنصرة المعتقدات، وحاول ربط الموضوع داخل الإشكال الاجتماعي، ربما كثير من الخطابات الإسلامية الرسمية والاجتماعية جنحت هذا الجانب، وهو الذي حصل لدى الخطاب الديني الرسمي والاجتماعي في عُمان.

قضية الإصلاح الاجتماعي مطلوبة لذاتها، وكذلك محاربة المفسد التي في المجتمعات، مثل: الزنا والربا، وكل ما يؤدي إلى الدمار الاجتماعي، ولكن السؤال المنطقي هنا: كيف يحصل الربط بين هذه الأمراض الاجتماعية السائدة في المجتمعات عبر التاريخ وستبقى كذلك إلى ما شاء الله، وبين حالة مرضية؟! حيث لا يوجد دليل منطقي ولا نص إلهي يربط بين الأمرين، ولذلك، ينبغي أن تعالج الأمراض الاجتماعية بما يناسبها من المواعظ والتوجيهات، بينما يعالج الوباء بما يناسبه من الوسائل العلمية والطبية.

ب- شق من هذا التيار ممن ينشد الإصلاح الاجتماعي ركز على الأخطاء الإدارية التي وقعت فيها الدول في إدارة منظومة البيئة الكونية، فنشأت بسببها الحروب المدمرة للبيئة، والعوادم والتلوث البيئي مما أدى إلى ثقب الأوزون، وغير ذلك، إذ يرون أن هذا الوباء ناشئ بسبب هذا الخلل الذي حصل نتيجة التعامل مع البيئة، وبالتالي، ينبغي أن تعالج هذه الأخطاء الإدارية للبيئة التي توجد في العالم، بحيث يُحد من ظهورها. هذا خطاب ديني طرحت بعض المقالات. وهذا هو الخط الإصلاحية المقابل للخط التقليدي السابق.

هذا التقسيم آف الذكر من خلال الحلقة النقاشية مع العدوي، والمشار إليها سابقاً، لواقع الخطاب الديني جيد في حد ذاته، بيد أنه يتحدث عن دائرة أوسع مما يتناوله المحور هنا، فحديثنا حول الخطاب الديني في عمان، وحديثه على المستوى العالمي، والملاحظ عليه حصر الخطاب الديني في عمان

بالشق الأول من النوع الرابع، وهو ما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، وحين تتبع الخطابات الدينية في عمان أثناء الجائحة ظهر أنها أكثر من خطاب كما سيأتي ذكرها فيما بعد.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العدوي في الحلقة النقاشية لم يمثل على الخطاب الديني في عمان، واكتفى بالإشارة إليه تبنيه من قبل المؤسسة الدينية الرسمية في السلطنة، فلو أوضح أكثر لكان أفضل وأوضح للمتلقي، ولربما ضيق وقت المناقشة هو ما دعاه إلى عدم التمثيل لذلك.

وأجيز لقلمي الاستدلال على ما ذهب إليه الخطاب الديني الرسمي في السلطنة من رأي حول هذا الخطاب بكلمة ألقاها الشيخ المفتي العام للسلطنة، طبعت إلكترونيًا ونشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان «فيروس كورونا المستجد كوفيد19 والأوضاع الراهنة»⁽¹⁾.

هذه الكلمة دعا فيها الشيخ المفتي إلى التوبة والاستغفار إلى الله، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتركه يؤثر على حياة الناس ويدعهم في المهالك دعا، وضرب أمثلة من المنكر الذي يجب النهي عنه، لأنه يؤدي إلى سخط الله ولعنته، فمثل بالربا والزنا والشذوذ الجنسي والخمور والإلحاد.

واعتبر طلال المصطفى مثل هذا الخطاب يعبر عن (من يتحدث عن الانتقام الإلهي، ضد غير المؤمنين الذين اقترفوا انحرافات أخلاقية وقيمة

(1) انظر: الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=i4OpAID1PCM>، تاريخ التصفح: 2020/6/3م.

«المثلية الجنسية نموذجًا» باعتبار أن مرض كورونا عقابٌ⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العدوي حين ذكر النوع الثالث؛ وهو ما يتعلق بخطاب الموامة بين جائحة كورونا (كوفيد19) وبين المعتقدات الدينية أو التصورات التعبدية كالصلاة مثلاً، لم يضرب مثلاً بالخطاب الديني في عمان، مع حضور هذا الخطاب فيها، وانطلاقه؛ أي الخطاب من التأصيل الفقهي القديم، وفق ما أصّل له الشافعي (ت:204هـ)، ومن نهج منهجه ممن جاء بعده من الأصوليين بين موسّع ومضيق، ومثال ذلك مع هذه الجائحة: فتاوى وآراء الصلاة عموماً وصلاة التراويح وصلاة العيد وجواز إقامتها في البيوت وكيفيةها مع شروع خطبة العيد، وغير ذلك⁽²⁾.

فيلاحظ على هذا الخطاب الديني إصداره وفق تأصيل فقهي قديم للتعامل مع المتطلبات الاجتماعية والممارسات التعبدية، دون النظر والبحث عن تأصيل جديد لهذا الواقع المختلف عن واقع الزمن القديم من حيث إفرازاته ومتطلباته وتطوراته الفكرية والمعرفية والثقافية والمادية، فهو يقتصر على النظر في الموروث من أدلة ومعانٍ ومواقف لحمل الناس على هذا الخطاب

(1) انظر: المصطفى، بعض الخطاب العالمي الذي أوجده فيروس كورونا، مقالة، مركز محرمون للدراسات المعاصرة، الرابط: <https://u. pw/OzcxU>، تاريخ النشر: 2020/4/20م.

(2) انظر: سؤال أهل الذكر، تويتر، @aldhiker، تاريخ التغريدة: 2020/5/20م، تاريخ التصفح: 2020/6/4م. وانظر: عبدالله الشحري، كيفية صلاة العيد في البيت وحكم الخطبة بعده، بتاريخ 2020/5/23م، حكم صلاة التراويح في البيت، تويتر، @alshahri_aa، تاريخ التغريدة 2020/4/25م، تاريخ التصفح: 2020/6/9م.

الديني المراد تمثله برجع الصورة التاريخية للأوائل ومعارفهم وثقافتهم.
بالإمكان إضافة أربعة خطابات دينية حاضرة في السلطنة؛ وهي الآتي:

1. خطاب استثمر جائحة كورونا (كوفيد19) في الإصلاح النفسي، مما يتعلق بالعيوب النفسية كالاستكبار والغرور واتباع الأهواء، أُستثمرت الجائحة في ذلك بالوعظ الديني عبر وسائل التواصل والقنوات الفضائية، واستعمل لعلاج هذه العيوب أسلوب تذكير الإنسان بضعفه أمام الله.

وهذا الخطاب جيد من حيث مراجعة الإنسان لذاته، لتقويمها وإصلاحها على المستويين؛ الفردي والجمعي، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما العلاقة بين الأمراض الجسدية المتأثرة بفيروس كوفيد19 وبين العيوب النفسية؟

نعم، ممكن أن تكون لهذه العيوب النفسية علاقة في الروابط الاجتماعية، من حيث إضعافها وزعزعتها، فتؤدي إلى خلخلة العلاقات بين مستوى الأفراد والأسر، وبين علاقات الدول سياسياً، كما يشهد له الواقع والتاريخ.

انتهز الخطاب الديني الفرصة للتذكير بضعف الإنسان ليتعد عن هذه العيوب، ويزكي نفسه منها، هذا الخطاب استعمل معنا في عمان، مثال ذلك ما صدر عن الشيخ المفتي العام للسلطنة على حسابه الرسمي في تويتر، إذ يقول في الرسالة الرابعة: (إن من تدبر فيما عم العالم من هذا الوباء المتشتر تستوقفه كل نقطة في سجله العظيم، لتفيض عليه من الدروس، فقد غشي هذا البلاء الأرض بعدما أخذت زخرفها، وأزّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها، وتصور الإنسان أنه أمسك بزمام الحياة كلها، وأُعطِيَ مقاليد كل شيء، وإذا بالقدر الإلهي -في أوج هذا الغرور البشري- يقرع مسامعه ليوظظ عقله الطائش

المغرور، بأنه لا يزال في طور العبودية الضعيفة، وأن أقل جندي من جنود الله - الذي له جنود السموات والأرض - يقهقره حتى يوقفه موقف الذل والحسرة. فقد أراه الله تعالى آيته الكبرى في كائن بلغ من الدقة والضعف حيث لا تسلط عليه عين، ولا تتمكن منه حاسة ولا تعرف له هوية، ولا تشخص له عين، فإذا به يدحر هذه الجموع الهائلة من أولي القوى الحسية والمعنوية⁽¹⁾.

2. خطاب استثمر الجائحة في دعم المتأثرين منها بالحث على الصدقة والزكاة، ومثال ذلك الخطاب الديني الرسمي في السلطنة، إذ تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالحث على التبرع ودفع الزكوات للمحتاجين عامة وللمتضررين من الجائحة خاصة، ففي حساب الوزارة بتويتر، جمعت لمتابعيها المنصات الرسمية كافة للتبرع، وذلك لضمان وصول المساهمات إلى المتأثرين من الجائحة، فنشرت فيديو يحتوي على منصات رسمية للتبرع كحسابات وزارة الصحة والبوابة الإلكترونية لخدمات الزكاة وكيفية طريقة الدفع⁽²⁾.

3. خطاب استثمر الجائحة في اللجوء إلى الحياة الصوفية، أو ما يعرف لدى البعض بالتجربة الروحية، وانتهاز فرصة العزل المنزلي في ذلك. وذلك بمناشدة الناس باللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار والدعاء والإكثار من الصلاة والذكر والابتغال، فنشرت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عبر

(1) الخليلي؛ أحمد، تويتر، @AhmedHAIKhalili تاريخ التصفح: 1/ 6/ 2020م.

(2) انظر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، عطاؤكم يصنع فرقاً، تويتر، @meraoman، تاريخ التغريدة: 29/ 4/ 2020م، تاريخ التصفح: 1/ 6/ 2020م.

وسائل التواصل منشورات تحتوي على أدعية وأذكار وآيات وروايات تدعو إلى ذلك، قبل رمضان وبعده، وزاد نشاطها خلال شهر الصيام، مثال ذلك تغريدها بمنشور يحتوي على رواية: (قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)⁽¹⁾.

من الجيد أن يلجأ الإنسان إلى ربه وينيب إليه، وهو ما خاطب به القرآن الناس جميعاً، ولكن القرآن لا يريد من الناس أن يذكروا الله دون عمل ولا نشاط بدني أو فكري أو غير ذلك، ولا أظن الخطاب الديني في عمان ينادي بذلك، وخاصةً أن الفقه العماني غلب عليه التركيز على العمل أكثر من التركيز على الانضواء والعزلة والانكماش، فهو فقه عملي واجتماعي وتعبدي.

هذا الخطاب يلحظ عليه نشاطه مع بداية الحجر المنزلي، وكذلك زاد نشاطه في رمضان، ولكن بعد ذلك بدأ يضعف ويفتر، وهذا شيء طبيعي، لأن النفس البشرية تتعب وتكّل من الممارسات الروتينية اليومية ما لم تغير شيئاً في برنامجها.

4. خطاب تبريري اتجاه الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها السلطات في التعامل مع جائحة كورونا (كوفيد19)، فيقوم بالبحث في الموروث الديني أو باستدعاء خطاباتة وحججه لتبرير كل ما يصدر عن السلطة، وإقحامه في الأحكام الشرعية، فمن الأمثلة على لزوم الحجر المنزلي أو الصحي وعدم الخروج إلا لضرورة وفق إجراءات السلطات.

(1) انظر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، تويتر، @meraoman، تاريخ التغريدة: 2020/6/2م، تاريخ التصفح: 2020/6/4م.

يبرر عبدالله الشحري الإمام والخطيب بمركز السلطان قابوس العالمي للثقافة والعلوم في مقطع صوتي في إحدى تغريداته فيقول: (الخروج من المنزل إما حلال وإما حرام، وهل يوجد أمر ثالث يا شيخ؟ نعم يوجد؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. أنا المسلم، ما موقفي من المشتبهات؟

أولاً: الخروج من المنزل، ما حكمه في مثل هذه الظروف؟ إن لم نقل: إنه حرام. وصدقاً النفس تميل إلى هذا بعد أن رأينا الضرر الكبير. إن لم نقل: إنه حرام. أقل ما نقول: إنه من المشتبهات. وما حكم المسلم من المشتبهات؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.

موقفك أيها المسلم وموقفنا جميعاً؛ أننا نستبرئ لديننا من الشبهات، ومن المتشابهات. الخروج من المنزل الآن في ظل هذه الظروف لغير ضرورة شرعاً، أنا أتكلم عن الحكم الشرعي، أقل ما يقال فيه: إنه من المشتبهات. لماذا؟ لقول صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار. أي لا يجوز لك أن توقع ضرراً على نفسك، ولا أن توقع ضرراً على الآخرين، والخارج من المنزل في هذه الظروف قد يأخذ هذا الوباء - لا قدر الله - أو قد ينقله إلى غيره - لا قدر الله - كذلك فيوقع على غيره ضرراً. إن لم نقل: إنه حرام الخروج من المنزل، فليس

أقل من أنه من المتشابهات والمشتبهات) (1).

مجموع تنوع الخطاب الديني الذي ذكره العدوي مع ما ذكرته ثمانية خطابات إلى الآن، ولا أظن ستظهر بعدها خطابات أخرى، لأن الخطاب الديني استنفد كل ما لديه من قدرات وإمكانات معرفية وذهنية، وهذا التنوع في الخطاب الديني يعبر عن رأي بشري، وليس عن الدين الذي أنزله الله تعالى، فهو تعبير عن فهم شخص أو مؤسسة رسمية، يُراد للناس أن يفهموا من خلالها الجائحة، وأن يتعاملوا معها وفق هذا الخطاب أو ذلك، وهو تنوع غير متعارض مع بعضه إلا في القليل منها، كالخطاب الذي يحاول استثمار الوضع الوبائي في نصره معتقداته، وبينما هناك خطاب آخر كما ذكرته سلفاً يحسب نفسه مستنيراً، فيحاول استثمار الجائحة ليبين خطئ المعتقدات التقليدية التي يتصر لها الخطاب التقليدي، والظاهر في الوقت ذاته أنهما خطابان متشابهان في استثمار كل واحد منهما الجائحة لصالح معتقداته وتصوراته.

وعموماً، يظهر من تنوع الخطاب الديني أثناء الجائحة موقف العامي على حد تعبير المنظومات المعرفية الدينية، فيعجز عن تصور الجائحة؛ نفعها من ضررها، وكيفية التعامل معها على الأقل في حيز المنظومة الدينية وأفكارها، فاقتصر على المظاهر الشكلية والتفسيرات الظنية والخطابات الوعظية،

(1) انظر: عبدالله الشحري، ما هو الحكم الشرعي لمن لا يلتزم الحجر المنزلي في وجود الوباء، تويتر، @alshahri_aa، تاريخ التغريدة: 17/4/2020م، تاريخ التصفح: 9/6/2020م.

عند التحرير قمنا بحذف بعض الكلام المتكرر، وذلك.. لأن أصل الكلام ملقى شفاهة، مع تصرف غير مخل. [المحرران]

وأفضل ما قام به هو تمسكه بالأوامر من الجهات المختصة بذلك، وهذا أمر طبيعي لكل من يعيش في دول المؤسسات. وخلاصة هذه الخطابات أنها لا تخرج عن ثلاثة خطابات إيجابية؛ وأربعة خطابات مشكلة، ذكرها الباحث محمد بسيوني⁽¹⁾. أما خطابات الاتجاه الإيجابي فهي:

1. خطاب الاتجاه الإيماني.
 2. خطاب يدعم السياسات الصحية أو بتعبير آخر يتوافق معها.
 3. خطاب الاتجاه القيمي والأخلاقي.
- والخطابات المشكلة، والتي تحتاج إلى مراجعة ونظر فهي:
1. خطاب تفسير الأزمة، والاستحضار المستمر لثنائية العقاب الإلهي أم الرحمة.
 2. خطاب ثنائية الإنسانية أم الجماعة الدينية، فثمة سرديات دينية نشأت في كنف فكرة العقاب الإلهي.
 3. خطاب تراتبية المقاصد، التي تشير إلى الأولويات الحاكمة للخطاب الديني، وهل يكون تأدية الشعائر الدينية مقدماً على الحفاظ على سلامة وحياة المؤمنين؟
 4. خطاب العلاقة مع العلم، وهي واحدة من القضايا الإشكالية

(1) انظر: بسيوني، سياسة الأمل: اتجاهات دعم الخطاب الديني الرسمي لمكافحة كورونا، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الرابط: <https://2u.pw/x10q3>، تاريخ النشر: 12/4/2020م.

الأزلية في الخطاب الديني. على أن الخطاب الديني الرسمي في عُمان، لم يخرج عن العلم، أي توافقه مع سياسات اللجنة العليا والمنظمة الصحية العالمية، لكن في الوقت ذاته هناك خطاب عكس ذلك، فينادي بمطالبة التجمع في الشعائر الدينية، بخلاف ما تذهب إليه منظمة الصحة العالمية واللجنة العليا بالسلطنة. بالإضافة إلى خطاب خامس لم يشر إليه بسيوني، وهو خطاب الانتصار للمعتقدات والتصورات، سواء القديمة منها أم الحديثة، والذي تقدم الحديث عنه.

• استشراف مسار الخطاب الديني بعد الجائحة

يتناول هذا الاستشراف لمسار الخطاب الديني بعد الجائحة في محورين:

1. واقع الخطاب الديني وآفاقه:

بما أن الجائحة ما زالت مستمرة في أضرارها وتقلباتها على مختلف الأصعدة؛ الصحية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، إلى هذه اللحظة⁽¹⁾، فإن واقع الخطاب الديني أثناء الجائحة تأثر اجتماعياً ودعويًا، إذ اتفق مع أوامر من السلطة المختصة بذلك، فتم وفق قرار السلطة إيقاف العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيد في المساجد والمصليات، فصدرت الفتاوى الدينية لتسوّغ تلك الأوامر

(1) اليوم.. السبت: 6/6/2020م.

والتوجهيات، فهذا يعني أن واقع الخطاب وفق تنوعه مستمرٌ وقائمٌ على السلطة.

فالمسجد يعتبر دوره أساسياً لأداء صلاة الجماعة، والاستماع فيه إلى الخطاب الديني من خطب الجمعة والمحاضرات الوعظية ودروس القرآن والفقه وغيرها من المعارف الدينية، وكل ذلك دخل في الحظر أثناء الجائحة، مما أثر على فتور التجربة الدينية الجماعية، غير أن ذلك لم يمنع من إيصال الخطاب الديني إلى الناس، بصورة أو بأخرى، ودعوتهم إلى الصبر والتحمل إلى أن تنفجر هذه الجائحة.

كما يلاحظ أن الخطاب الديني في عمان قبل الجائحة كان نشطاً في أداء رسالته الدينية، ومن خلال استثمار دور العبادات والمنصات الاجتماعية واللقاءات الفردية والاجتماعية، بالإضافة إلى استثمار مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية، إلا أن الجائحة أثرت على كل ذلك، واقتصر إيصال الخطاب عبر مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية كغيره من الخطابات.

بالإضافة إلى ذلك، ملاحظة أن تنوع الخطاب الديني أثناء الجائحة جاء آتياً، لأن القائمين عليه تفاجأوا بهذا التغيير الواقع، كما تفاجأت بقية الخطابات، فكان الارتجال في طرح هذه الخطابات دون أن تقدم شيئاً جديداً.

فنحن نستشرف أن يكون واقع الخطاب الديني في عمان من بعد الجائحة أفضل، إذا ما أمرت السلطات بدراسة هذا التنوع في الخطاب

وإعادة النظر فيه، هذه الإعادة هي إعادة مراجعة ونقد وتصحيح للأوضاع القائمة سابقاً، وبحيث تكون هناك مواءمة بين الخطابات الدينية وبين الواقع المعيش، لأن بعض هذه الخطابات ما زال يعيش الماضي، ومن يحجر نفسه في الماضي فلن يروم النظر إلى المستقبل وآفاقه، بل لن يروم الانسجام مع الواقع والعيش في ظله.

أما السعي من ذوي الاختصاص في الخطاب الديني من قبل أنفسهم نحو إعادة النظر والصياغة والتجديد في الخطاب الديني فلا أظنهم يسعون إلى ذلك جاهدين، لأنهم يخشون مخالفة ما كان عليه السلف، وكأن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

2. مستقبل الخطاب الديني وآفاقه:

للحديث عن مستقبل الخطاب الديني في عمان من خلال استشراف مساره لا بدّ من تجلي الصورة واقعياً، غير أن حالة وضع جائحة كورونا (كوفيد19) واستمرارها مؤثر على الخطاب الديني، في تنوعه وفق ما تم ذكره سلفاً، وصارت الصورة ضبابية لضباب الواقع مع الجائحة، فيصعب تقديم رؤية حول مستقبل الخطاب الديني، وذلك لأن كما يقول المنطقة: (الحكم على شيء فرع تصوره).

وبناءً عليه، فلا يمكن الحكم على مستقبل الخطاب الديني في عمان ما لم تتضح الصورة، بيد أنه لن يكون بخلاف بقية الخطاب الديني في عالم المسلمين، وخاصة الخطاب الديني في دول الخليج العربي، وذلك بحكم التقارب، بل حتى الاستقاء منه أحياناً؛ مناهج وأساليب، فإذا حدث هناك

تغيير إيجابي ينعكس ذلك على الخطاب الديني في عمان، وإذا حدث العكس فكذلك ينعكس عليه.

وهذا لا يعني أن ننظر إلى الخطاب الديني نظرة سلبية، بل علينا أن ننظر إليه نظرة إيجابية، فربما كان لهذه الجائحة خير كثير لإعادة النظر والدراسة والتصحيح للخطاب الديني.

لذا، يرى خميس العدوي ضرورة إيجاد خطاب آخر حقيقي ينزل إلى الأرض، بحيث توجد آلية في التعامل مع مثل هذه الجوائح والأوبئة وكل ما يؤثر على الدين والعبادات، بحيث يستطيع الناس ممارستها بكل سلاسة واطمئنان⁽¹⁾، وله تغريدة في تويتر يقول فيها: (مع الانتشار العالمي السريع لكورونا ألا تحتاج الجوامع في صلاة الجمعة إلى اتخاذ إجراءات وقائية ضد أي انتشار محتمل لهذا الوباء)⁽²⁾، أي أنه يدعو إلى إيجاد آليات وإجراءات احترازية في الجوامع لاستمرار الصلاة فيها، وذلك مراعاة لقيمة الدين، كما صرح بذلك في بعض تغريداته⁽³⁾.

أخيراً، ما لم يبحث الخطاب الديني عن مناهج معرفية جديدة تتماشى مع العصر؛ فلن يصمد أمام تحديات العصر والمستقبل، بل قد يصاب

(1) انظر: العدوي؛ خميس، الخطاب الديني في ظل جائحة كورونا، صالون الأرباء، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=WCaU2iBoOGk>، تاريخ التصفح: 2020/6/1م.

(2) انظر: العدوي؛ خميس، تويتر، @Kadwi69، تاريخ التغريدة: 2020/3/6م، تاريخ التصفح: 2020/6/7م.

(3) المرجع السابق، تاريخ التغريدة: 2020/5/29م، تاريخ التصفح: 2020/6/7م.

بالضُمور والفتور والانكماش، كما هو الواقع مع جائحة كورونا (كوفيد19)، فبسبب اعتماده على آليات ومناهج قديمة لم يستطع الخطاب الديني إيجاد آليات جديدة في التعامل مع الجائحة، واكتفى بتوقف العبادات الاجتماعية كالعمرة وصلاة الجمعة والجماعة، وهذا ما لا نريده لعبادتنا في المساجد، فهي بيوت الله تعالى تحافظ على العبادات الجماعية كما تحافظ على الجانب العاطفي في الدين، ولها مركزها في التثقيف الديني.

ومع تنوع الخطاب الديني أثناء جائحة كوفيد19 إلا أنه يشترك في الشكلية الدينية، وإعادة خطاباتها على مناهج أمة قد خلت لها ما كسبت، هذا الخطاب بهذه الشكلية والتدوير ضرره أكبر من نفعه، وقد يؤدي إلى نتائج وخيمة، قد يُبعد الشباب؛ خاصة المثقفين والقراء عن قبوله أو التفاعل معه تفاعلاً إيجابياً، لكونهم يملكون معرفة تختلف عن المعرفة التقليدية، كما أن لديهم فكراً نقدياً وفق ثقافة العصر، بالإضافة إلى احتكاكهم بتنوع ثقافي ومعرفي متغير، مع سهولة آلية الوصول إلى المعلومة بسبب وسائل التقنية الحديثة.

المراجع

1. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002م.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م.
3. الجنائني؛ أبو زكريا يحيى بن أبي الخير، كتاب الوضع، علق عليه: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ط6.
4. الخليلي؛ أحمد بن حمد، فيروس كورونا المستجد (كوفيد19) والأوضاع الراهنة، رابط الكتاب:
<https://www.youtube.com/watch?v=i4OpAID1PCM>
5. الخليلي؛ أحمد بن حمد، الحساب الرسمي للمفتي العام لسلطنة عمان، تويتر @AhmedHAIKhalili
6. الخروصي؛ كهلان بن نبهان، حساب سؤال أهل الذكر، تويتر @aldhiker.
7. الرازي؛ محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
8. الزدجالي؛ سعود بن عبدالله، دراسات تداولية في أصول الفقه، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.
9. السالمي؛ عبدالله بن حميد، طلعة الشمس شرح شمس الأصول، تحقيق: عمر حسن القيام، مكتبة الإمام السالمي، بدبد، سلطنة عمان، 2010م.

- 10 . الشحري؛ عبدالله، تويتر @alshahri_aa .
- 11 . العدوي؛ خميس بن راشد، الخطاب الديني في ظل جائحة كورونا، حلقة نقاشية، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، برنامج زووم، الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=WCaU2iBoOGk>
- 12 . العدوي؛ خميس، تويتر @Kadwi69 .
- 13 . الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1998م.
- 14 . الكلمة الطيبة، تويتر @Kaleematayba .
- 15 . المصطفى، طلال، بعض الخطاب العالمي الذي أوجده فيروس كورونا، مقالة، مركز محرمون للدراسات المعاصرة، الرابط:
<https://2u.pw/OzcxU> .
- 16 . بسيوني، محمد، سياسة الأمل: اتجاهات دعم الخطاب الديني الرسمي لمكافحة كورونا، مقالة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الرابط: <https://2u.pw/x10q3> .
- 17 . وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، تويتر @meraoman .

المحور الفلسفي

ما الذي ينتظرنا بعد هذه الجائحة؟⁽¹⁾

محمد العجمي

كاتب في مجال الفلسفة

• مقدمة

ما إن يُطرح مثل هذا السؤال؛ حتى يتبادر إلى الذهن مجموعة من الناس يجتمعون بطريقة وأخرى؛ في ظل قلق مزعج بسبب تهديد مستمر، ويتصوّرون أن أغلب الطرق من حولهم مسدودة؛ ما خلا طريق واحد لا غير؛ يجب أن يسلكه الجميع مدفوعين بغريزة البقاء. هناك مفارقة عجيبة في هذا التصور؛ يُلفت إليها الفيلسوف الإيطالي أغامبين في معرض تعليقه على جائحة كوفيد 19، حيث يؤكد على أن الثقة وعدم الثقة يجتمعان في نفس الوقت في الوضع الاستثنائي. الخوف الفردي يستحيل إلى اطمئنان جماعي، ولكنه يظل ينخر باستمرار في هذا الاطمئنان⁽²⁾. هذه المفارقة هي ما تصنع الهشاشة

(1) المحور يقرأ البُعد الفلسفي منذ بداية ظهور كوفيد 19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى أكتوبر 2020م.

(2) Giorgio Agamben, Biosecurity and Politics, A translation of Agamben's blog, 11 May 2020. (url: <https://d-dean.medium.com/biosecurity-and-politics-giorgio-agamben-396f9ab3b6f4>)

الداخلية التي يشير إليها أغمامين؛ وهو يربط عمق الخوف من جائحة فيروس كورونا (كوفيد19) بتواضع الخيارات التي أمامنا، التي تدفعنا دفعًا للتضامن، والتفكير معًا؛ كيف ننجو من هذه الجائحة؟

نستطيع هنا أن نتخيل مستويات من النظر لاستكشاف واقع هذه النجاة التي نحن مشغولون بالتفكير فيها، وهذه المستويات تتطلب عدة أدوات للتفكير والتحليل. لا ينفك النوع البشري عن طرح مثل هذا السؤال في الكثير من أحواله؛ خصوصًا في المنعطفات التي تأتي على شكل كوارث وأوضاع استثنائية تعصف بالجميع. والنجاة هنا تعني سلسلة القرارات التي نتخذها كجماعة، وتكون محصلتها تجاوز المنعطف والظرف الاستثنائي بأقل خسائر ممكنة. في هذا المحور، ما أروم فعله هو محاولة استطلاع خمسة تصوّرات مفاهيمية، تعبّر عن اهتمام العمانيين بالسؤال عن النجاة من الجائحة، وفي الجملة ستمثّل هذه التصوّرات المفهوم التداولي العام للنجاة من الكارثة في سياق المشهد العماني، معتمداً في هذا الرصد على تحليل عيّنة قمت بانتقائها عشوائياً بحسب وصولي إليها أولاً. المادة التي سأفحصها هي المتداولة حول الجائحة في 43 حساباً نشطاً في التويتر، و27 مدوّناً في الفيسبوك، بالإضافة إلى المواد التي نشرتها ثلاثة صحف عمانية هي: «عُمان» و«الوطن» و«الرؤية»، والتي بلغ عددها 165 مادة، تنوّعت بين البيانات الحكومية، وتقارير الفعاليات العامة حول الجائحة، والأخبار اليومية ذات الصلة، ومقالات الآراء، والتحليلات التي يكتبها الكتاب العمانيون، وكذلك بعض النصوص الشعرية المنشورة حول الحادثة. كل

ذلك خلال الفترة من بداية مارس ولغاية نهاية أكتوبر 2020م.

التصورات المفاهيمية الخمسة التي سأركز عليها، وأحاول البحث عنها بشكل وآخر في عينة الفحص، هي: القيم الجديدة لمرحلة ما بعد الجائحة، والعلاقة بين الموت والحب، ومعاني العودة إلى الحياة الطبيعية، وفكرة نهاية العالم، وأخيراً، التفاعل مع السياسات والمبادرات. هذه التصورات الخمسة تشكل في مجموعها أشكالا للتفاعل مع فكرة النجاة من الجائحة.

ففي الأول، ستغلب النظرة العملية العقلانية في مفهوم النجاة، والتي ستعني الاشتغال مقدماً بالقيم التي ستغيّرُها الجائحة داخل المجتمع، وبالتالي الاستعداد لوضع اجتماعي جديد؛ يجعل فكرة النجاة في قلب الممارسات القيمة الجديدة، بحيث تصبح القيم الجديدة هي محتوى النجاة التي نتحدث عنها.

التصور المفاهيمي الثاني، سيكون عن العلاقة بين الموت والحب، والمعنى فيه هو لفحص مدى حضور الجانب الوجودي والشعوري في التعلق بين الفقد والموت والحب؛ على الأقل في الكتابات الشرية والشعرية للأدباء والكتّاب العمانيين، إلى أي مدى ترتبط الكارثة في المخيال العام بإعادة الولادة والشحن للحياة؟ وهل فكرة أن الحب كحياة يكمن في كل فقد وخسارة نمّر بها؛ حاضرة في الذهنية العامة خلال هذه الانعطافة من تاريخ العمانيين؟

في التصور الثالث، أحاول رصد أي معنى نعطيه لفكرة العودة إلى الحياة الطبيعية؛ ماذا تعني هنا الحياة الطبيعية؟ ما هي فكرتها؟ ما مجالاتها؟ وما الذي يتمناه الناس هنا تحديداً عندما يتحدثون عن العودة؟

أما التصرّو الرابع، فهو حول الفكرة التشاركية التي تعني النهاية؛ نهاية كل شيء. فهل هذه الديستوبيا حاضرة في المتداول العماني؟ وفي أي شكل تحضر؛ أدبي؟ فني؟ علمي؟ وماذا تعني في جملتها بالنسبة لفكرة النجاة.

التصرّو الخامس، عن التفاعل مع السياسات والمبادرات، وهنا أحاول رصد كيف تفاعل العمانيون مع السياسات والمبادرات التي تقودها جهات رسمية أو غير رسمية لتجاوز الآثار السلبية للجائحة.

• أولاً: القيم الجديدة لما بعد الجائحة

يمثل التفكير في القيم الجديدة؛ بحسب أهم أشكال التفكير العملي عند محاولة إسقاط الحاضر على المستقبل⁽¹⁾، فهل ما بين أيدينا من قيم في العمل والتعاون والتواصل والثقة والتسليّة والعناية والتضامن؛ ستستمر في عالم ما بعد الجائحة؟ أم أن هناك قيمًا جديدة ستظهر، ويجب بالتالي أن نستعد لها ونتكيّف معها؟ قدرتنا على التنبؤ بهذه القيم العملية الجديدة، وبالتالي التكيّف معها؛ هي في النهاية أحد المعاني للنجاة التي نتطلّع إليها. وقد استطعت أن أحدد ست قيم رئيسية تم تداولها في وسائل الاتصال الاجتماعي والصحف المحلية، في صورة تفكير عملي عقلاي يتبناه الكثير من الكتاب والمدوّنين في وسائل الاتصال الاجتماعي. وفيما يلي هذه القيم مع عرض لكيفية ورودها في عينة الفحص:

1. المحلية: الثقة في القدرات الذاتية. السياحة المحلية. إصلاح سلاسل

(1) Slavoj Žižek, Pandemic! OR Books, New York 2020, p46

التوريد الداخلية. انسيابية الإجراءات وتقليل البيروقراطية. الوقت لا يسمح بالبطء. العالم يقع منا على مسافة. وهناك ثقب قاتل في آليات العولمة يجب أن نحذر منه.

2. الثقة في الحكومة: مزيد من الثقة بين الشعب والحكومة. مزيد من الإيمان بوحدة مصير الوطن؛ إما أن ننجو معاً، أو نسقط معاً. مزيد من المطالب بتدخل الحكومة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. مزيد من القبول للرقابة الرسمية على الواقع.

3. العناية بالذات: مزيد من الوعي والحرص والتفكير في الصحة والسلامة، وفي الغذاء والتواصل الاجتماعي والترفيه. المزيد من الرياضات الفردية كالمشي والجري. التفكير في التكامل مع التخطيط الحضري والقيم الجديدة المتعلقة بالصحة العامة والفردية.

4. تعمق أهمية الإنترنت ووسائل الاتصال الاجتماعي: مزيد من التطبيقات والخدمات الرقمية. مزيد من الثقة في التقنية التي عوضت الفاقد في الاتصال المباشر. المزيد من العمل المنزلي. المزيد من التسوق والتسويق الإلكتروني. المزيد من التعلم والتعليم الإلكتروني. المزيد من الاجتماعات «عن بُعد». التوصل إلى المنازل.

5. التباعد الاجتماعي: تقليل اللمس، المزيد من المستشعرات. تقليل الاحتفالات الكبيرة. تقليل الازدحام في المقاهي والمطاعم والمولات ومواقع العمل والشواطئ. اختفاء الأطفال من الفضاء العام. لوم المخالفين للتعليمات والقرارات الرسمية.

6. المشاركة والتضامن: مزيد من التضحية من أجل الصالح العام. التعاون لمساعدة أكثر الناس تضرراً. التعاون مع الطاقم الصحي بالالتزام باشتراطات السلامة. دعم المبادرات لتجاوز الآثار السلبية للجائحة. مزيد من التكاتف بين الحكومة والشعب.

7. الإصلاح الاقتصادي والإداري: دعم قرارات الإصلاح المالي والسياسات الرقابية. رفق المؤسسات الحكومية بالمزيد من الأفكار والنقد. حضور فكرة الاستدامة في الخدمات العامة والتشجيع عليها. الكثير من مبادرات العمل المستقل.

كان من الواضح جداً أن هناك وعياً بوضع استثنائي يمرّ به الوطن، ويستدعي بالتالي طرائق تفكير جديدة، والاستعداد لأوضاع معيشية مختلفة؛ كل ذلك في ظل تهاول عام بأن القادم سيكون أفضل. غير أن هذا الوعي ظل محدوداً ضمن الحاجات الأساسية من المعيشة، وأيضاً ضمن النطاق المحلي. حضور القيم العالمية الجديدة كان متواضعاً في الفضاء العماني. التخطيط الحضري الذي بات من الضروري أن يستجيب للمتغيرات في قيم الصحة الشخصية، وقيم العمل الجديدة. كذلك الحديث عن إصلاح سلاسل القيمة في الصناعة والتوريد، وما يتبعه من نهاية بعض الوظائف واستحداث وظائف جديدة. الجائحة كذلك دفعت بالحديث عن التغيير المناخي إلى الواجهة من جديد، وهذا سيشمل الحركة والتنقل داخل المدينة ووسائل النقل والتنقل بالدراجات. ارتفاع أهمية الاتصالات خلال الجائحة دفع بالكثير من الشعوب للمطالبة بأن

تكون هذه الاتصالات من الحقوق الأساسية للناس، خصوصاً مع تأثيره عليهم في طرائق التعليم والترفيه والتواصل.

• ثانياً: العلاقة بين الموت والحب

هناك تعالق رمزي بين الموت والحب؛ يجعل كل واحد منهما شكلاً للآخر. كل واحد منهما يمثل انعطافة شديدة في الحياة. ولعلّ أفضل من عبّر عن ذلك هو ماركيز في «الحب في زمن الكوليرا»؛ عندما أكّد هذا التعالق الوجودي الذي يجعل من الفقد والموت بيتاً للحب، والذي سيعيد الحياة من جديد إلى الواجهة. بل إن كلمة «كوليرا» نفسها في جذرها الأسباني تعني أيضاً الرغبة الشديدة، وقد استفاد ماركيز من ذلك ليُجعل الكوليرا تعبيراً عن المرض وعن الرغبة في نفس الوقت⁽¹⁾. يصبح الحب هنا كاستئناف للحياة، يتجلى ذلك بقوة في العلاقة فيما بين الأفراد، ولكنه يتجلى أيضاً في العلاقة بين الإنسان وأرضه أو وطنه، فما يصيب الوطن من أزمات وكوارث وفشل؛ ينعكس تلقائياً على أبنائه. فالانعطافة التي يمرّ بها الوطن بسبب الفقد والخسارة تتحوّل إلى وقود من الحب يوقظ كل غرائز الحياة، لإعادة كل ما خسره الوطن بسبب الجائحة. حاولت هنا أن أستطلع كل ما يمكن أن يشير إلى هذه العلاقة في عينه الفحص. بطبيعة الحال، كلمة الموت هنا ستشمل ما يشير إليها من مرادفات؛

(1) Michael A. Peters (2020): Love and social distancing in the time of Covid-19: The philosophy and literature of pandemics, Educational Philosophy and Theory, DOI: 10.1080/00131857.2020.1750091.

كالفقد والخسارة والإخفاق. أستطيع أن ألخص ما وجدته في الآتي:

- معظم الطرق للعلاقة بين الموت والحب جاء على شكل أسئلة أخلاقية، تركّز بشكل أساس على عدم مشروعية الاستسلام، وضرورة تجاوز لحظة الموت أو الفقد بالثقة بالله والتفاؤل بالقدام. أي بالتناول العملي المنطقي لمسألة الموت. الحضور الشعري والفني كان متواضعا جداً. بالنسبة لي، هذا مؤثر على عدم تعمق الشعور بالخسارة وبتداخل مفهوم الفقد بمفاهيم أسبق حول المسؤولية الأخلاقية والأزمة ومن هو صاحب الصوت المسموع.
- سؤال اللوم كان حاضرًا أيضًا؛ من المسؤول عن الإخفاقات؟ السؤال أيضًا أخلاقي، ما يعني أن الوعي العام بمسألة الموت الناتجة عن الجائحة؛ لم يكن معزولاً عن الظرف العام السابق للجائحة، خصوصاً الأداء الاقتصادي للحكومة. هذا بالطبع يفتح الباب على إشكالات بحثية هنا. لأن نطاق البحث يصبح أوسع، وهذا ما يجعلني غير قادر على تناول سؤال اللوم بشكل أعمق.
- التخليق وإعادة صياغة الموت في صور فنية وإبداعية مبتكرة؛ هو نوع من التفاعل الدالّ على نضج العلاقة بين الموت والحب في الوجدان العام. أحياناً يكون على شكل سخرية فنية من الموت أو الخسارة أو الفقد. هذا الجانب كان مفقوداً تماماً ضمن عيّنة الرصد. وفي رأيي، هذا مؤثر على حساسية مسألة الموت، بحيث تبقى المخيلة عاجزة عن بعث معاني وتصوّرات جديدة وضخّها داخل المجتمع، ما يعني أننا

كمجتمع ما زلنا نربط بين الموت والسياسة؛ بطريقة تجعلنا نلقي بمسؤولية الموت بالمستوى السطحي من السياسات والتفكير الأخلاقي والقانوني.

- حظيت فكرة الموت كفرصة باهتمام ملحوظ إلى حدٍ ما، وجميع الإشارات إليها جاءت في سياق الدعوة والحث، وليس استغلالاً فعلياً للفكرة. وإن كان ما يتم الإشارة إليه في كثير من الأحيان مرتبط بمبادرات على أرض الواقع، خصوصاً في مجال إيجاد فرص عمل أو تسهيلات للمسرحيين.

• ثالثاً: معاني العودة إلى الحياة الطبيعية

لوهلة سيبدو هذا السؤال على النقيض من المفهوم الأول عن القيم الجديدة، فما دمنّا نتحدث عن قيم جديدة وحياة مختلفة؛ فلن يكون هناك شيء يمكن أن نسميه حياة طبيعية قادمة. ولكن ما دفعني للتركيز على ذلك هو أمر آخر، فالعودة التي يتحدث عنها الكثيرون تعني ضمناً تملل الناس من استمرار ظروف الإغلاق والتباعد وتقليل الحركة، أو أن هناك اعتقاداً بحدوث تراجع للوراء، وانتكاسة أدت إلى نتائج سلبية كثيرة، وبالتالي يصبح من الطبيعي جداً السؤال عن العودة إلى الحياة الطبيعية. كثرة الإشارة إلى ذلك؛ تتطلب فحص معنى هذه العودة. فهل المقصود بها فعلاً عودة الوظائف والأجور مثلاً كما كانت، وفتح الحدود بنفس السياسات السابقة، وعودة الناس إلى ممارسة هواياتهم وعاداتهم في الدين والتسوق والتسليّة والعائلة

تمامًا كما كانوا في السابق؟ أم أن هناك إدراكًا ووعيًا بأننا ندخل مرحلة تاريخية جديدة بمتغيّرات جديدة ويجب أن نستعد لها؟

عبارة «الحياة الطبيعية» هنا مضطربة مفاهيميًا؛ إذ لا يوجد محدد واضح لها في المتداول اليومي، فلا يكاد يوجد نمط واضح في استعمالها. فهي عودة الوظائف لمن خسر وظيفته، وفتح الحدود لمن تعطلت لديه سلسلة التوريد أو حركة عمّاله، وعودة الحركة اليومية لمن تأثرت أعماله وتجارته، وعودة الزيارات واللقاءات مع الأقارب والأصدقاء كما كانت. وهكذا لكل شخص مفهومه الخاص عن الحياة الطبيعية، غير أن هناك كسلاً عامًا يمكن أن أشير إليه؛ تجاه تحديد رؤية محددة لمعنى المستقبل الذي نريد أن نكون فيه. فالاستعمال لا يغادر منطقة التراجع للوراء، وبالتالي يأتي السؤال: متى ستعود الأمور إلى حيث كانت. ولكن ما وراء الواقع الجديد القادم؛ ليس متداولًا عمومًا؛ إلا ما ندر. يمكن تفسير ذلك على أكثر من وجه، ولكن لأن هذه الظروف الاستثنائية تمثل فرصة للكثير من الأمم والشعوب لاستباق الفرص وصنع المستقبل المطلوب، فتصبح الحاجة ملحة لتثوير مفهوم غير اعتيادي عن العادة وعن الحياة الطبيعية.

يمكن هنا أن أشير إلى بضع ملاحظات يمكننا التدخّل من خلالها؛ بغرض إعادة التفكير في الاستعمال اليومي لعبارة «الحياة الطبيعية»:

- كوفيد19 اختبر الحدود القصوى لأشياء كثيرة، كالتعاون وفكرة الحدود والاعتمادية والضعف والهشاشة. فمسألة العودة بعد كل ذلك إلى ما كنا عليه سابقًا؛ تصبح تجاوزية. بمعنى أنها تحصيل حاصل. فالكثير من القرارات

الجريئة التي أتخذت؛ ليست لفترة الجائحة فحسب، بل صدرت ونفذت لتبقى لسنوات كثيرة تالية. وهناك أخطاء كثيرة وقعت في الماضي، وكانت الجائحة الفرصة المناسبة لمعالجتها. عندما أقول «الحدود القصوى»؛ فأنا أتحدث عن آخر الاحتمالات وأسوأ السيناريوهات، وبالتالي كل ما دون ذلك يصبح واردةً وممكنًا. فما كنا نظرده إلى أبعد مكان منا؛ قفز فجأة ليصبح الأقرب إلينا؛ كإغلاق المساجد مثلاً، فما الذي بقي يمكن أن نستبعده وقوعه؟! هذه الحدود القصوى التي اختبارناها تستدعي منا التفكير جديدًا بواقع جديد يجب أن نصنعه بأنفسنا، قبل أن يصنعه أحد ما لنا.

- هناك إحساس عام بعدم الأمان، وضعف في الثقة في قدراتنا الذاتية على تجاوز الأزمة، وبالتالي تشكيك في العودة إلى ما كنا عليه سابقًا. يمكن تخمينه من الانتظار السلبي للعودة إلى الحياة الطبيعية. ومرة أخرى، هذا الإحساس يخون اللحظة القادمة. لأن الانتقال إلى الأفضل يستدعي الاعتراف بصعوبة الظروف التي أوصلتنا إليها هذه الجائحة، ليتسنى لنا التفكير جديدًا بضرورة التضامن والتعاون لصنع الواقع الجديد. كلمة من قبيل «برّ الأمان» هي افتراضية في المقام الأول، إذ لا يوجد برّ أمان في الأصل، بل هناك مستقبل أفضل يجب أن نبنيه الآن.

- يوجد وعي خجول؛ مبثوث هنا وهناك، باستحالة العودة إلى الحياة الطبيعية. خصوصًا عندما نعرف مثلاً أن قيم العمل تغيرت لصالح قيم جديدة، كالعامل المؤقت، وكثرة الوظائف المؤقتة أو عقود العمل بالباطن أو زيادة العمّال تحت الطلب. الوظائف المستقرة الأبدية باتت

تتناقص وأقل من السابق، والشركات جرّبت هذا الآن وبالتأكيد ستفضله مستقبلاً. التاريخ يعلمنا أن القرارات والاختيارات التي نتخذها خلال الكوارث والجوائح يبقى أثرها لعقود لاحقة. هذا الوعي الخجول مما يجب تعميقه أكثر. فالصدمة قد وقعت، وما بقي هو أن نتأكد أننا تعلمنا الدرس وبدأنا نأخذ مواقعنا القديمة؛ ليس حيث كنا، بل حيث كانت همّتنا وحماسنا السابق.

• رابعاً: فكرة نهاية العالم

ترد هذه الفكرة في سياقها التشاؤمي العام الذي يتحدث بلوغ النهاية، ووقوع الأسوأ ولا يوجد ما نستطيع فعله أكثر من الاستسلام، فالأمور بلغت من السوء حدًا لا يمكن تخيل وجود أي حل أو منفذ للحل ولا حتى الأمل. بطبيعة الحال، هذه الفكرة دائماً لا ترد إلا في سياقات أدبية وفنية سينمائية. وقد عادت عالمياً للواجهة بأكثر من شكل؛ مع بدء هذه الجائحة. هناك الكثيرون ممن يطرح أن هذا هو قدر الرأسمالية الأخير؛ تحويل البشر إلى مجموعة من المسوخ «الزومبي»، الذين فقدوا أي حس إنساني، وباتوا مستلبين تماماً لغرائزهم، وللأنظمة الفوقية التي تطحنهم، وتحرص على بقائهم راصخين في وعي ضيق للغاية لا يتعدى دائرة حاجاتهم الأساسية؛ فكرة الآلة التي يصنعها الإنسان لتتحكم به في نهاية المطاف. هذا الطرح يعود مجدداً، واستعمالي له هنا؛ لمعرفة إلى أي مدى التشاؤم بالأسوأ حاضر في الذهنية العمانية، وهذا في رأيي مفيد في تقدير مدى الوعي بهذا

السيء القادم، الذي يجب أن نحذر من الوصول إليه، وتفاديه، أو الاستعداد له في أقل تقدير.

جاء استعمالها للفكرة على حذر؛ على اعتبار أن التثاؤم ليست قيمة جادة في الواقع الخليجي لحدّ الآن⁽¹⁾. وبالتالي، إلى أي مدى يمكن استعمالها في قياس الوعي بالواقع الجديد للنجاة. كما أن فكرة نهاية العالم؛ تمثل موضوعاً لمقاومة التحكّم في الواقع، وهذا يتعدّى دائرة وطن أو إقليم؛ لأن التحكّم موضوع عالمي؛ أنظمة ومؤسسات دولية تفرض أجندتها على الشعوب والدول. وهذا خارج نطاق اهتمامي في هذا المحور. وما أحاول رصده في واقع الحالي هو في أي سياق يمكن تصنيف التثاؤم في الفضاء العماني. هذا سيعطي مؤشراً بحجم الوعي بخطورة الوضع الحالي، وبالتالي، بالتحذير من الأسوأ إذا لم يتم نعيد النظر في جملة من السياسات والعادات التي تحكّم واقعنا اليوم.

يكاد يكون التفاؤل السمة الغالبة عند العمانيين بالمقارنة مع التثاؤم⁽²⁾. وقد كان جلياً ذلك في عينة الفحص في هذا المحور، إذ يكاد لا توجد مادة واحدة في الصحف المحلية الثلاث أوردت آراء أو كتابات تشاؤمية، وما خلا بعض الحسابات بوسائل الاتصال الاجتماعي؛ فليس من السهل رصد هذا التثاؤم مكتوباً؛ حتى على الرغم أنه حديث شبه يومي فيما بين الناس.

(1) مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث، تصنيف CSRGULF لأكثر الشعوب العربية تفاؤلاً في عام 2020م.

(2) الأنصاري؛ بدر محمد. قياس التفاؤل والتثاؤم لدى طلبة الجامعة.. دراسة ثقافية مقارنة بين الطلبة الكويتيين والعمانيين، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج 9، ع 4، ديسمبر 2008م.

بطبيعة الحال، من باب أولى لن يكون هناك أي حديث عن فكرة نهاية العالم أو المجتمع الديستوبي. لا أريد أن أخوض في تفسير ذلك، ولكن ما يهمني هنا هو أن هناك معرفة عن أية نجاة نتحدث ونحن نتفاعل مع جائحة بحكم فيروس كورونا كوفيد19.

ربما سأعترف هنا بأنني أرى في التشاؤم قوّة خلاقة تضع الإنسان على حافة الخطر، وبالتالي، يجب أن يتوقف عن الأحلام الوردية، ويتعامل مع الواقع باعتباره كارثياً إلى أبعد مدى ممكن، لذلك يجب أن نستعد للأسوأ، والتفكير جدياً في النجاة؛ ليست بالعودة إلى الحياة الطبيعية؛ بل بواقع جديد يجب أن نتعامل معه بأساليب وسياسات وعادات مختلفة. استفزاز غرائز البقاء هو ما يجعلها متوتّبة ومصرّة على التمسك بالحياة، وبالتالي، إيجاد أكبر عدد من الحلول الممكنة لاختراق الإخفاقات القائمة. وللوصول إلى ذلك؛ لا بدّ من جرعات من التشاؤم تتخلل الواقع اليومي لتثير الهمم نحو بناء واقع أفضل. طبعاً، هذا يجب ألا يجعلنا نغفل عن الجوانب المظلمة في التشاؤم، ولكن إلى أن نتجاوز التخدير الذي يبثه محتوى التفاؤل؛ فالأفضل لنا أن نشاءم. فالتشاؤم يعمّق الحاجة إلى الاعتراف بالأخطاء والبدء في التفكير جدياً في معالجتها.

• خامساً: التفاعل مع السياسات والمبادرات

الغرض من رصد هذا التفاعل هو لتقدير عمق الجانب العملي في فكرة النجاة؛ وإلى أي مدى يوجد شعور حقيقي بأن مثل هذه المبادرات هي في

الأصل محاولات لصنع الواقع الجديد الذي نسميه «برّ الأمان» أو «النجاة». وهنا أحاول أن أستطلع أية استجابات مباشرة أو غير مباشرة في عينة الفحص لأسئلة من قبيل: هل أنت مستعد لتنفيذ التوجيهات الحكومية لمواجهة تبعات انتشار فيروس كوفيد19؟ هل ستبرع لصالح أي صندوق حكومي أو مبادرة رسمية لمواجهة تداعيات الوباء العالمي؟ هل أنت مستعد للتضحية براحتك ورفاهيتك وعاداتك المحببة من أجل مصلحة الجميع؟

ومن خلال تتبع الردود والتعليقات والتغريدات المتصلة بشيء من هذه الأسئلة، فقد وجدت أنه يمكنني حصرها في الأنماط الآتية:

1. لن أتردد في المساهمة بما أستطيع لدعم الحكومة. صحيح أن المثبطات كثيرة والفساد منتشر، ولكن لو تأسس صندوق لدعم الحكومة في مواجهة أزمة انهيار أسعار النفط وأزمة فيروس كوفيد19؛ فهذا في النهاية يصب في المصلحة العامة. سأدعم هذا الصندوق.
2. أو من بأن التضحية عموماً لا بد أن تكون جزءاً من حلّ ما. لا يمكن أن تكون هي المشكلة. يعني أي مساهمة أستطيع تقديمها ستكون حلاً لشيء ما، فهي خير في كل الأحوال.
3. أدفع جميع التراماتي من فواتير ورسوم وضرائب ومساهمات مفروضة.
4. مواجهة الفساد ليس بالأنيّة وتبادل الاتهامات، بل بالمشاركة الفاعلة. ما إن أقدم التضحية لأجل الوطن فسيكون لي الحق في الكلام والمطالبة بإجراءات صارمة. طالما لم أقدم شيئاً ولا أفعل سوى الشكوى والتذمّر وانتقاد الفاسدين فلن نتقدم. نعم سأضحّي بما

- أستطيع، وفي نفس الوقت سأطالب بالمزيد من الصرامة المالية والإدارية.
5. مستعد للتطوع والتنازل عن بعضي لصالح الحكومة؛ بشرط أن أتأكد من آليات صرف وتوجيه ما أدفعه للخير العام للناس. لا أثق في الإجراءات الحالية.
6. هل توجد خدمات تستحق؟ هل توجد عدالة حقيقية في الفرص والوظائف والخدمات؟ ليتبرع أولئك الذي جمعوا الثروات الهائلة في السابق.
7. أكثر ما أستطيع فعله هو أن أحافظ على البيئة، أظن أنني أقدم الكثير لوطني عندما أقلل من استعمال البلاستيك وأعيد تدوير النفايات وأرشد استعمال الكهرباء والماء.
8. معظم مشترياتي من المنتجات المحلية، وأدعم المنتج الوطني. معظم رحلاتي داخل الوطن. أحافظ على مكتسبات الوطن وأرّج له جيداً بالخارج. تهمني سمعة وطني كثيراً، وأسعى ليكون اسمه عاليًا عبر الالتزام بالقيم والأخلاق المستمدة من عمق ثقافته.
- من الواضح جداً أن التفاعل مع السياسات والمبادرات الرسمية وغير رسمية يتطلب قراراً أخلاقياً بالدرجة الأولى، ولهذا هناك استقطاب حقيقي؛ ربما يعبر عن مستوى المسؤولية التي يتحملها الأفراد تجاه الوطن. المتغيرات هنا كثيرة جداً ومتشابكة، بحيث لا نستطيع أن نفضل أحداً على غيره. يميل الكثيرون لسياسة فتح الملفات ووضع كل شيء على الطاولة قبل أن يتخذ

قراراً بأن يبدي تفاعلاً إيجابياً مع المبادرات التطوعية ودعم جهود مواجهة تبعات الجائحة. بينما يميل آخرون للتغاضي قليلاً عن الماضي، والبدء أولاً من حل المشكلة القائمة فعلاً، حتى إذا انتهت أو ضعف خطرهما يمكن أن نفتح الملفات القديمة.

النقاش العام الذي يمكن ملاحظته ضمن المتداول يمكن إيجازه في المبررات الآتية:

1. تركيز الجهود لحل مشكلة واضحة وطارئة جداً أسهل بكثير من تشتيتها لحل سلسلة معقدة من المشاكل التاريخية المترامية، والتي تتطلب وقتاً طويلاً جداً. صحيح أن معالجة الجذور أهم وأعمق من معالجة المشاكل التي تطفو على السطح، ولكن عندما يكون التهديد مباشراً، فلن يتاح لك الوقت للوصول إلى جذور الأشياء.
2. كلمة «الحكومة» تشير إلى كيان مؤسسي يتكوّن في النهاية من أفراد، فيهم المخلص والصادق كما فيهم الفاسد والمنتفع. حشر الجميع في زاوية واحدة لن يفعل سوى أن يستمر الفاسد ويتوارى المخلص. المطلوب هو تقليل الأخطاء وليست مراكمتها، وبالقطيعة التامة لا يمكن معالجة شيء.
3. للوهلة الأولى يبدو فعلاً أن تحميل الأفراد مسؤولية إخفاقات مؤسسية مترامية؛ أمر فيه حيف كبير، فلماذا يتحمّل الانسان البسيط أخطاء لم يرتكبها ولم ينله بسببها سوى الحيف والبؤس. ولكن في المقابل، هل يمكن أن نتقاذف مسؤولية رفع الألم عن الناس؟ أليست هي مسؤولية جماعية؟

4. الطريقة المركزية في الإدارة لم تسمح خلال الفترات السابقة بتكوين فعاليات شعبية تراكم التجربة لتحمل مسؤولية إدارة نشاط أو ممارسة مما يفعله الناس يوميًا، وهنا الحديث عن العمل النقابي والأهلي المستقل. وخلاصة ذلك، فإن عينة الفحص أظهرت تباينًا واضحًا في ردود الأفعال تجاه المبادرات التطوعية، وهذا في رأيي يعطي مؤشرًا عن وجود انفصال ما بين الشعب وبين هذه المبادرات التي تستهدفه بالدرجة الأولى؛ خصوصًا المبادرات الرسمية. قد يكون من المهم البحث وراء سبب ذلك، ولكنه ليس هدفًا لي في هذا المحور.

وأجد في الختام أنه كان بالإمكان أن نحصل على نتائج أكثر دقة فيما لو أدخلنا مستويات أخرى من الفضاء العام ضمن عينة الفحص، بحيث يشمل محتوى الفيديو الذي ييثر، والتعليقات على المواضيع المنشورة في الشبكات الاجتماعية، والوسوم التي تصدرت المشهد خلال الجائحة، ومنصات اجتماعية أخرى غير التويتر والفيسبوك. كما أن الكثير من الأسئلة التي طرحها هذا المحور ما تزال مفتوحة على المزيد من التفاعل بحيث يمكن لباحثين آخرين استعمال مناهج بحثية أكثر صرامة في تحليل المحتوى المكتوب والمتداول عمومًا.

المراجع

1. الأنصاري؛ بدر محمد، قياس التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الجامعة: دراسة ثقافية مقارنة بين الطلبة الكويتيين والعمانيين، مجلة العلوم التربوية والنفسية. مج.9، ع.4، ديسمبر 2008م.
2. مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث، تصنيف CSGULF لأكثر الشعوب العربية تفاؤلاً في عام 2020م.
3. Giorgio Agamben, Biosecurity and Politics, A translation of Agamben's blog, 11 May 2020. (url: <https://d-dean.medium.com/biosecurity-and-politics-giorgio-agamben-396f9ab3b6f4>)
4. Slavoj Žižek , Pandemic! OR Books, New York 2020, p46
5. Michael A. Peters (2020): Love and social distancing in the time of Covid-19: The philosophy and literature of pandemics, Educational Philosophy and Theory, DOI: 10.1080/00131857.2020.1750091

المحور التاريخي

الأوبئة والأمراض المعدية منذ القرن السادس عشر الميلادي حتى منتصف القرن العشرين⁽¹⁾

د. ناصر بن سيف السعدي

باحث في مجال التاريخ

• مقدمة

إن دراسة تاريخ الأوبئة في عُمان ورصد سنوات نزولها، والبحث في انعكاساتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ليس بالأمر الهين، فتاريخ الأوبئة والكوارث الطبيعية عموماً من القضايا التي لم تَلْ توثيقاً وعناية من قبل المؤرخين العمانيين، وكل ما وصل إلينا هو إشارات عابرة، حملتها ثانياً النصوص التاريخية، بشتى أشكالها؛ الفقهية والأدبية، أو تقييدات وردت على هوامش المخطوطات، ورافق هذه الندرة أيضاً انعدام إشارات صريحة قبل القرن الثامن عشر الميلادي، باستثناء نصوص ضمنية، لا يفهم منها عدا أنها كانت تنزل وتظهر في عُمان. ولكن بحلول القرن الثامن عشر الميلادي تغيرت

(1) المحور يدرس تاريخ منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى نوفمبر 2020م.

الحال نوعاً ما، وبدأت المعلومات حول الأوبئة والأمراض المعدية تتوالى شيئاً فشيئاً في نصوص التراث العماني، كما سوف نرى بين ثنايا هذا البحث. هذا المحور يلقي الضوء على تاريخ الأوبئة والأمراض التي ظهرت في عمان، وآثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك بناء على ما يتوفر من معلومات وإشارات في المصادر العمانية والأجنبية، على أمل أن تكون هذه العجالة مدخلاً لدراسات قادمة في هذا المجال.

• أولاً: طبيعة الأوبئة ومسمياتها

عرّف الخليل بن أحمد الفراهيدي الوباء بأنه كل مرض عام، والوباء أيضاً يرد باسم الطاعون، إذ يقول في ذلك: (الوباء: الطاعون، وهو كلّ مَرَضٍ عامٍّ، كأن يقال: أصاب أهل الكورة وباءً شديداً، وأرضٌ وبئةٌ؛ إذا كثر مَرَضُها... وقد وبُوت... إذا كُثرت أمراضها). وتشير معاجم اللغة عموماً إلى أن مفردة الوباء تستعمل في الإشارة إلى الأمراض المعدية، وذات المفردة استعملت أيضاً في الوثائق والمراسلات والنصوص التي وثقت تاريخ الأمراض المعدية. وإلى جانب مفردة الوباء ترد مفردة الطاعون كما أشرنا، فالمؤرخ ابن رزيق عندما كتب عن المرض المعدي الذي نزل عام 1821م، قال ما نصه: (في هذه السنة؛ وهي سنة الست والثلاثين والمائتين والألف - 1821م - وقع الطاعون بعمان)، وإضافة إلى المفردتين السابقتين، يرد أيضاً اسم الجدري، وهو أيضاً من الأمراض المعدية، إلا أن طبيعته معلومة. ومع ذلك، فبعض النصوص تستعمله في

الإشارة إلى الأمراض المعدية أيضًا.

وهذه المفردات الثلاث: الوباء والطاعون والجذري؛ ترد في النصوص العمانية بصرف النظر عن طبيعة المرض وأعراضه وصفاته. أما بالنسبة للمصادر الأجنبية التي وثقت الأوبئة في عمان وعموم شبه الجزيرة العربية؛ فتستعمل أسماء أخرى، فمثلاً المرض الذي أشارت إليه النصوص العمانية على أنه طاعون، وصفته التقارير الأجنبية بأنه كوليرا. وبصرف النظر عن الأسماء المستعملة؛ فما يهمنا في هذه العجالة إلقاء الضوء على نماذج من تلك الأمراض المعدية التي ظهرت في عمان.

بالنسبة لطبيعة الأمراض المعدية وصفاتها وأعراضها؛ فقد نقلت لنا بعض النصوص جزءاً منها، فالمؤرخ ابن رزيق في كتابه «الفتح المبين»، يصف الوباء الذي نزل في عام 1821م، بما نصه: (هو طاعون يصهر بطن الإنسان، فيخرج القلاء من فمه، والسلح من دبره، حتى يموت من أصابه ذلك الداء في الحال، ومنهم من يموت بعد يومين أو ثلاثة أيام، ولم يسلم منه إلا القليل). ويقول ابن رزيق في نص آخر أيضاً؛ ينسبه لراشد بن خميس البوسعيدي، جاء فيه: (وصفته -الوباء- يأتي بالبطن، فيخطر منه بطنه ويكثر زوعه، ويكون عليه لهيب في جميع جسده كهيئة اللديغ - يقصد كالرجل الذي تلدغه الحية - فمنهم من يعيش يوماً، ومنهم يومين، ومنهم ساعة، ومنهم يبرأ، وأقام -مكث- إلى قدر شهر، إلى أن رجعت الشمس ثم هانت شدته).

أما الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي، فقد وصف أعراض وطبيعة هذا

الوباء، بأنه وباء سريع الإهلاك، إذ يقول: (وهي علة قريبة الشبه بالطاعون في سرعة الهلاك، وتنتقل إلى بعضهم بعضا بالرائحة، ومن احتسى عنها من البلدان بعضهم نفعهم الاحتماء، وهي علة حارة نارية سُمِّيَّة، تتولد بفساد الهواء بعفونة نارية، أو من جيف كثيرة في مكان عفن حار يابس سُمِّي، فتدخل في قلب الإنسان بالاستنشاق من الأنف، فإن كان القلب حارًا مثلها أهلكته في الحال، وإن كان باردًا قليلاً منحرف الطبع أقامت فيه يوماً أو يومين أو ثلاثاً وأهلكته، وغالبها لا تزيد على الثلاثة الأيام، وإن كان أقرب إلى الاعتدال في البرودة أقامت فيه ثلاثاً أو أقل، حتى إلى نصف يوم، ثم يجد العافية، وإن كان معتدل البرودة لم تؤثر فيه... ومن عجائب أمرها.. أنها مع قوة حرارتها وناريتها وعفونتها وسميتها؛ مَنْ دخلت فيه لا تجده إلا بارد الجسد، وهي مع قوتها في الحرارة تصهر ما في البطن في الحال، فتخرجه من أعلاه من الفم، ومن الأسفل موضع الحدث، منتن الرائحة رقيقاً شديد التوتونة، وذلك لسرعة إفسادها للقلب، وشدة حب تعلقها به، كالذي يقرب من الموت الذي به تذهب حرارة الحياة، ليبرد بذهابها منه الجسد).

ولم تكتف النصوص والإشارات على وصف طبيعة الوباء وأعراضه، إنما قدمت معلومات حول آثاره الاجتماعية، ومناطق انتشاره، سواء داخل عمان أو خارجها، بالإضافة إلى تقديرات حول عدد الوفيات بسبب تلك الأوبئة.

• ثانيًا: سنين نزول الأوبئة (الطاعون، الجدري، الكوليرا)

تعددت السنين التي نزلت فيها الأوبئة في عمان، إلا أن الإشارات لتاريخ الأوبئة قبل القرن السادس عشر الميلادي، يكتنفها بعض الغموض والندرة، وتم ذكرها عرضًا في سياق نقاشات فقهية، دون الإشارة صراحة إن كان المرض واقعًا، أم مجرد نقاش افتراضي، مما يعني صعوبة الجزم بسنوات نزولها، وبناءً على هذا الغموض، سيركز هذا المحور على تقديم تسلسل زمني لبعض الأوبئة التي نزلت على عمان، وذلك فيما يلي:

1. سنة 1508م:

في هذا التاريخ، ذكر أقدم الأوبئة التي وردت في النصوص بإشارة صريحة، وإنه نزل في عمان وبعض المناطق المجاورة، وقد جاءت الإشارة إليه في نص برتغالي، ولكن لم يقدم النص معلومات وافية، إنما كانت إشارة مقتضبة وتعلق بانتشاره بين الجنود البرتغاليين، وهذا الوباء ظهر بعد سنة من وصول البرتغاليين إلى عمان، واحتلال سواحلها، وما فعلوه في أهلها من القبيح الذي لا يوصف.

2. سنة 1624م:

في هذه السنة، وردت إشارة أخرى في الوثائق البرتغالية حول نزول الوباء في عمان، ولكن هي الأخرى لم تقدم تفاصيل، وكل ما ورد مجرد إشارة عابرة، وإن الوباء انتشر بين الجنود البرتغاليين.

3. سنة 1648م:

في هذه السنة، وردت إشارة ثالثة إلى الأوبئة في الوثائق البرتغالية، بيد أن هذا الوباء في السنة المذكورة نال عناية أكثر من الحالتين السابقتين، فالنصوص البرتغالية قدمت تفاصيل لا بأس بها عن الوباء، وآثاره على الجنود البرتغاليين وسكان مسقط تحديداً، فقد أشارت أنه كان يحصد كل يوم 50 نفساً في مسقط. وفي وثيقة أخرى قدرت عدد الوفيات التي تسبب بها هذا الوباء من أهالي مسقط بحوالي 4000 شخص. وهذا الاهتمام يعود في الأساس إلى أسباب سياسية، إذ تزامن نزول المرض في عمان مع اشتداد المقاومة العمانية ضد الاحتلال البرتغالي، ثم طردهم نهائياً من عمان. فكان اعتناء النصوص البرتغالية ونصوص الرحالة أيضاً بهذا الوباء؛ هدفه تبرير الهزيمة النكراء التي تعرض لها البرتغاليون، واعتبره بعض الكتّاب الأجانب أنه سبب في تحرير مسقط من يد البرتغاليين.

4. النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي:

هذه الإشارة من أوائل الإشارات في المصادر العمانية -حسب علم الباحث- تفيد بنزول مرض الجدري، وبتاريخ تقريبي في عمان، وذلك في نص ينسب للشيخ سعيد بن بشير الصباحي (ت: 1737م) وهو من علماء دولة اليعاربة، وقد خرج الصباحي إلى الحج، وأثناء عودته من مكة عبر ميناء جدة ثم موانئ اليمن، وتحديداً ميناء مخا، تأخرت السفينة هنالك شهراً، وقال: إن سبب التأخير نزول مرض الجدري. إلا أن الصباحي لم يشير صراحة إلى أن هذا المرض نزل في عمان أم لا؟ ومع ذلك، فهنالك إشارات في النصوص

الفقهية تشير إلى نزول الجدري في عمان خلال فترات عديدة في عهد العيارية، إلا أنها معلومات ضمنية وتفتقر للصراحة والمعلومة الوافية. ولكن بالعودة إلى المصادر العربية وتحديدًا المصادر اليمنية، نجد البعض منها يحمل إشارة إلى وباء نزل في شهر الحج سنة 1076هـ/ 1666م إذ جاء ما نصه: (وحصل مرض وموت بيندر المخا في هذه الأيام) أي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة. وبسبب الفارق الزمني لا يبدو أن التاريخ الأخير هو الذي يشير إليه الصبحي.

5. سنة 1792م:

في هذه السنة نزل وباء الجدري، وأشار إليه المؤرخ ابن رزيق أن المرض نزل في مدينة مسقط، وحتى هذه الإشارة غامضة، ولم تعط تفاصيل واضحة، إن كان المرض اختص مسقط دون غيرها، أم أنه أصاب بعض المناطق العمانية؟ وهذا الغموض يعود أساسًا إلى أن ذكر المرض ورد عرضًا، ولم يكن ابن رزيق هدفه الحديث عنه، وإنما جاء في سياق الحديث عن وفاة السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد (ت: 1792م)، وأن وفاته كانت بسبب مرض الجدري.

6. سنة 1811م:

جاءت الإشارة إلى وباء هذه السنة في سياق الحديث عن بعض الأحداث السياسية، وتحديدًا أثناء وصول قوات مطلق المطيري إلى صحار، إذ يقول المؤرخ ابن رزيق حين دخل مطلق إلى صحار: (وكان يومئذ السيد عزان بن قيس مجدورًا لا يقدر على القيام،... وقع بصحار وأهلها وباء شديد من جدري وغيره، فمات منها خلق كثير). ويتضح من هذا النص أن الوباء لم يكن

نوعًا واحدًا، إنما أمراض عديدة.

وهذا ما تؤكدُه نصوص أخرى، إذ أشارت أنه خلال العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ظهرت العديد من الأوبئة، وفي سنوات وأماكن متفرقة من شبه الجزيرة العربية، إذ ينقل الشيخ خميس بن راشد العبري عن جده ووالده قائلاً: (قد حكى لي: أن جدي قصد الحج، فنزلت به هذه العلة، فاعتكف عليه الموسم، والناس رجعوا من حجهم بسرعة في ستة أشهر، وجدي مكث ستة أشهر... فذهب ما في يده وقل ما عنده... وكذلك.. أبي لزمه فرض الحج... فنزل الجدري).

7. سنة 1821م:

في هذه السنة، نزل وباء عُرف في المصادر الأجنبية بالكليرا، وهو من أكثر الأوبئة التي نالت اهتمامًا وتوثيقًا في المصادر العمانية، ولعل سبب الاهتمام به يعود إلى تأثيره الواسع في عمان وغيرها. ويتضح ذلك من جغرافية النصوص التي وثقت الوباء، فالنصوص التي وصلت إلينا ينتمي أصحابها إلى مناطق متفرقة من عمان، مثل: الشرقية، ووادي بني خروص، ومسقط. بل إن النصوص تشير صراحة إلى التوزع الجغرافي لانتشاره في عمان وخارجها، ولم تستثن منه منطقة عمانية عدا الجبال والصحراء النازحة، وإضافة إلى ذلك قدمت النصوص وصفاً دقيقاً لهذا الوباء من حيث: عدد الوفيات، وأعراضه، والمناطق التي نزل فيها. ولتعدد النصوص التي ذكرت الوباء، سأفرد لكل نص مساحة خاصة فيما يلي:

- نص لراشد بن خميس البوسعيدي يقول فيه: (صحَّح في عمان ألم... في شهر رمضان سنة 1236هـ، بدأ ببندر مسكد، قبل رجوع الشمس أرجو للشتاء بشهر ونصف، يزيد قليل من الأيام، ينقص قليلاً، ودار في أكبر بلدان عمان إلا ما شاء الله من بلدان الخوارج قليلة الأهل -يقصد البلدان النائية- ومات منه خلق كثير بالآلاف، قدّر من البلد الكبير إلى ألف وخمسمائة نفس، مثل: مدن نزوى وسمائل وبهلا والرستاق وبنادر الباطنة وجعلان). وقد ظل هذا الوباء كما يقول النص قدر شهر كامل ثم ارتفع، إذ يقول: (وأقام -مكث- إلى قدر شهر، إلى أن رجعت الشمس ثم هانت شدته، وأقام إلى قدر رأس شهر شوال، وارتفع بحمد الله ومنه على عباده، ويقضي ويحكم في عباده ما يرى).
- تقييد لسالم بن سيف الغنيمي، يقول فيه: (وقع بعمان آفة، وفيها موت كثير، وحلّ في أهل البلد وأهل الجبال وسلم البدوي والشاوي) ثم يصف أعراض المرض، ويقول: (وصفة موته زوع بطن، ما أحد علا أحد من كثرة الموت).
- قصيدة للشيخ عامر بن علي العبادي، أشار فيها إلى أن الوباء غاب عن عمان عشر سنوات، ثم رجع مرة أخرى، ويقصد المرة الثانية سنة 1821م، ولعله يقصد بالمرة الأولى سنة 1811م، وفي المرة الثانية سار في الأمصار والأقطار، وقدّر من أصيب بالوباء في نزوى 900 نفس، وسلم منهم من الموت أقل من النصف (فبقت المنازل بعدهم خاوية وديارهم خالية)، إذ يقول:

تناسى عنهم عشرا وثنى
عليهم كرة أخرى يمور
إلى الأمصار والأقطار ويسرى
وخل عمان خالية عقور
وبالسودان حل إذا أوى
مع الأعراب عونك يا نصير

- تقييد يشير إلى أن الوباء عمَّ عمان كلها، إذ يقول: (وقع في عمان بتقدير الله عزَّ وجلَّ، وذلك سنة 1236هـ، وهو وقوع موت في عمان كلها من الجنوب إلى الصير).

- نص للشيخ ناصر بن جاعد الخروصي ورد في كتابه «الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم»، يقول فيه واصفًا الوباء: (وهي علة قريبة الشبه بالطاعون في سرعة الهلاك، وجاءت في عمان في شهر رمضان من شهور سنة 1236، وهلكت من الناس قريبًا من ثلث أهل عمان، ولم تزل كذلك تسري في كل سنة في أقطار الأرض، وأولها من بلدان النصارى، إلى الهندي، إلى عمان، إلى أرض الشامات، ومصر، وأرض العجم، وغيرهن من البلدان، وتنتقل إلى بعضهم بعض بالرائحة، ومن احتسى عنها من البلدان بعضهم نفعهم الاحتماء).

- نص للمؤرخ ابن رزيق، ونصه: (وفي هذه السنة.. وهي سنة 1236هـ وقع الطاعون بعمان، فعمَّها جميعًا، وكان هذا الطاعون الحادث غير الطاعون الذي يأتي على استامبول -إستنبول- الروم، والشام وبغداد والبصرة... فمات من عمان خلق لا يحصي عددهم غير الله، ووقع هذا الطاعون المذكور في الهند والسند

ومكران وبلدان الإنجليز والفرنسيين، فارس والكويت والبحرين والظاهرة وأرض تّوام).

وهذه النصوص والإشارات التي وثقت نزول الوباء المذكور -وهي نصوص معاصرة لنزول الوباء- ركزت على توثيق أعراضه وآثاره الاجتماعية التي تركها الوباء، وقدمت تقديرات لعدد الوفيات من جرّاء المرض. فالشيخ ناصر بن جاعد كما رأينا أشار إلى أنه من بلده مات أكثر من الثلث، بينما أشار العبادي أن نزوى وحدها أصاب المرض فيها 900 نفس، ومات منهم أكثر من النصف، أما راشد بن خميس البوسعيدي، أشار إلى أن عدد الإصابات في المدن الكبيرة مثل: نزوى وبهلا والريستاق ومسقط، بالآلاف، وكانت ما بين 500-1000، وحملت النصوص السابقة أيضًا توثيقًا لجغرافية انتشار المرض، سواء في عمان أو خارجها، وكان وباءً عالميًا، كما رأينا من بين ثنايا النصوص.

وقد اعتنت النصوص الأجنبية هي الأخرى بوباء سنة 1236هـ/ 1821م، ووصفته بأنه مرض الكوليرا، وقالت عنه: إنه أول وباء عام في القرن التاسع عشر الميلادي. وكان بدايته من الهند سنة 1817م، ثم نزل في عمان، وباقي مناطق شبه الجزيرة العربية عن طريق السفن القادمة من الهند. وتشير التقارير الأجنبية أن هذا المرض انتشر في السواحل أكثر من غيرها، بينما قلّ تأثيره في المناطق الداخلية بالمقارنة بالسواحل، ولكن هذا الكلام تخالفه النصوص العمانية، التي ذكرت أن المناطق الداخلية لم تسلم منه كذلك، كما هي الحال في نزوى والعوابي وغيرهما من البلدان. وقدمت أيضًا التقارير والنصوص

الأجنبية إحصائيات تقديرية عن عدد الوفيات، ولكنها تبقى تقديرات غير دقيقة، سواء ما ورد منها في النصوص العمانية أو الأجنبية، فالتقارير الأجنبية.. تقدر عدد الوفيات خلال عشرة أيام في مسقط وحدها بعشرة آلاف شخص، وتقدير آخر يقول: إن عدد الوفيات بلغ حوالي ستين ألفاً، وتقدير ثالث يذكر أن عدد الوفيات بلغ ثلث عدد السكان. وبصرف النظر عن دقة هذه الاحصائيات، إلا أن المؤكد أن الوباء كان له تأثير واسع على عمان وغيرها من البلدان، فقد ظل يفتك بالبشر مدة طويلة، حتى ارتفع نهائياً وتوقف انتشاره.

8. سنة 1834م:

لم تقدم المصادر العمانية معلومات وافية عن وباء تلك السنة، فقد ذكره الشيخ عامر بن علي العبادي عرضاً في إحدى قصائده. ولكن التقارير الأجنبية أشارت إلى أن وباء الكوليرا ظهر في أوروبا بين عامي 1831-1837م، وفي عام 1831م ظهر في الحجاز، ولعله أصاب بعض المناطق العمانية كما يفهم من إشارة العبادي، وفي سنة 1841م أيضاً تشير التقارير الأجنبية إلى أن وباء الكوليرا ظهر في منطقة بوشهر، وهي منطقة تقع شمال عمان على ساحل الخليج العربي.

9. سنة 1865م:

ورد خبر هذا الوباء في تقييد يوثق ميلاد طفل، دون معلومات تفصيلية في المصادر العمانية، إذ جاء في التقييد ما نصه: (وقد خلق الولد حمد بن سالم الكندي ليلة حادي من الثلاثاء من شهر صفر سنة 1282هـ [1865م] في السنة التي فيها الطعن). أما التقارير الأجنبية قدمت معلومات أكثر تفصيلاً للوباء،

وإنه نزل في مايو، وانتقل إلى عمان عن طريق السفن القادمة من شرق إفريقيا والهند، أما عدد الوفيات فتقول التقارير: إن وفيات مدينة مسقط وحدها بلغ حوالي 600 حالة، أما مدينة صور فقد كان عدد الوفيات مرتفعاً، إذ قدر بحوالي 1700 وفاة. وطاف هذا الوباء جزيرة العرب ولم يسلم منه إلا القليل، كما تشير التقارير الأجنبية. بل إنه لم يرتفع حتى سنة 1868م، فقد ذكر السالمي في عام 1868م نزل الوباء في جعلان بني بو علي. وفي الواقع منذ عام 1865م حتى نهاية القرن، ظلت الأوبئة تنتشر في عمان وبلاد الجزيرة العربية، ومن أهم السنوات: سنة 1871م، وسنة 1888م، وأما الوباء الذي نزل بين سنتي 1897-1899م، يقول عنه لوريمر: (عانت عمان من وباء حاد لداء الكوليرا، كان قد ورد من كراتشي عن طريق جوادر، وقد حصلت 700 حالة وفاة في مدينتي مسقط ومطرح وحدهما، ويعتقد أن الوفيات كانت بالغة في مناطق البلاد الداخلية، وجاوز عددها بالتأكيد 12 ألف نسمة).

10. الأوبئة خلال النصف الأول من القرن العشرين:

ظهرت الأوبئة؛ الكوليرا والطاعون والجذري في عمان ومناطق شبه الجزيرة العربية، في سنوات متقاربة خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، وقد وثقتها بعض النصوص العمانية والمراسلات الاجتماعية والتقارير الأجنبية، منهم؛ على سبيل المثال، لوريمر الذي يقول عن وباء سنة 1900م: (في يناير 1900م.. وعلى نطاق ضيق ظهر الطاعون في مطرح... وامتد إلى مدينة مسقط، واختفى في شهر مايو، بعد أن بلغ مجمل عدد الوفيات 434 بحسب التقدير الرسمي). وبعد أربع

سنوات ظهر وباء آخر، لا يقل فتكاً عن سابقه، إذ تشير التقديرات التي أوردتها التقارير الأجنبية؛ بأن عدد الوفيات 14 ألف في سمائل والرستاق وموانئ ساحل الباطنة. أما مسقط ومطرح، فكانت الحال أفضل، فقد بلغت الوفيات فيها 55 وفاة، وانخفاض عدد الوفيات في مدينتي مسقط ومطرح يعزى إلى التدابير الصحية التي فرضت بموجب نصيحة جراح الوكالة البريطانية في مسقط. وفي سنة 1904م ظهر مرض الجدري، وأصاب وادي المعاول وبلدان أخرى.

وبين سنتي 1910-1911م، أشارت تقارير الإرسالية الأمريكية في مسقط إلى نزول الوباء مرة أخرى. وفي سنة 1918م، ذكرت بعض الوثائق ما نصه: (الحمد لله حين سلمنا الله من هذا البلاء والوبال وهذه الأسقام... وهذا الأمر قد عمّ وطمّ على جميع الديار، في جميع الأقطار، على الطايعين له والفجار، وقد تواتر الأخبار أن الذين ماتوا من بلد نزوى فوق 600 نفس، فيهم السيد سعود بن سليمان بن محمد الكندي، وجملة من المعروفين وغير المعروفين، وعلى هذا السبيل.. كل بلاد غاب منها على قدرها والله المستعان...، والرستاق قد ماتوا منها ما أقل من 300 نفس، وقيل: إن الباطنة احتشرت، قد ماتوا منها أكابرها، ومعهم عدد لا يحصيهم إلا الواحد الأحد).

وبعد أربع سنوات، أي في سنة 1922م، وثّق لوباء آخر نزل في بعض المناطق العمانية، وتحديدًا بوادي دما بشرقية عمان، ومما جاء في التقييد ما نصه (في هذه السنة.. وقع بوادي دما وما حوله من البلدان المجاورة

طعن شديد فتاك، مكث حوالي ستة أشهر تقريباً، وتوفي منه الكثير من الناس مما لا يقل من أربعمائة نفس). أما في سنة 1924م، فقد أشارت بعض الوثائق إلى ظهور مرض الجدري في بلدة نخل.

وكما يتضح مما سبق أن الأوبئة والأمراض ظلت تنتشر في عمان، وفي سنوات عديدة وأحياناً متقاربة، ورغم ندرة التوثيق والمصادر؛ إلا أن الإشارات المتفرقة كافية لوحدها، لتقديم لمحة عامة عن طبيعتها وما خلفته من آثار اجتماعية وسياسية.

• ثالثاً: الآثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأوبئة

هنالك إشارات ذات أهمية - وإن كانت نادرة- تشير إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تركتها الأوبئة على الإنسان، فقد تطرقت الإشارات إلى الأوضاع الاقتصادية والتجارية وانقطاع الحركة بين موانئ المحيط الهندي وموانئ شبه الجزيرة العربية؛ بما فيها عمان إبان نزول الأوبئة، فعندما ظهر وباء الطاعون في بومباي عام 1897م (ركدت السوق ركوداً كبيراً). أما بالنسبة للآثار الاجتماعية والسياسية فقد كانت أحسن حالاً. وبناءً على ما توفر من معلومات لدى الباحث سوف يركز في هذا المحور على مناقشة الآثار الاجتماعية والسياسية للأوبئة:

1. وفيات العلماء والأدباء والأعيان بسبب الأوبئة

الأوبئة لا تفرق بين عالم أو أدبي أو إنسان بسيط، إلا أن الباحث هنا محكوم بما توفر لديه من مادة تاريخية، فالمصادر التاريخية كما هي عاداتها

متحيزة، وتعنتي في الغالب بتوثيق أسماء النخب الاجتماعية والثقافية، في حين تغض الطرف عن عامة الناس، وهذا التحيز فرض على الدراسة حديثها عن وفيات بعض الأعيان والعلماء ممن توفى بسبب الأوبئة والأمراض المعدية، منهم: الشاعر سيف بن ناصر المعولي، إذ يقول عنه ابن رزيق: (شاعر غابت أشعاره، وتوفى بداء الجدري). ومن العلماء الشيخ سعيد بن حمد الراشدي الذي توفى في وباء سنة 1897م، وللراشدي مؤلفات ومسائل ومداويل فقهية مع علماء عصره، وقد توفى أثناء خروجه إلى الحج، فلما وصل إلى مطرح أصيب بمرض الجدري، فتوفى متأثرًا به، ودفن في الموضع المعروفة بالعريانة من مطرح، وقد رثاه الإمام السالمي. وممن توفى من العلماء بالأوبئة أيضًا الشيخ سليمان بن محمد الكندي، وكانت وفاته في سنة 1918م، والشيخ سليمان قاضي وشاعرٌ، ولد في بلدة الحاجر بوادي حطاط، واصل تعليمه عند خاله الشيخ سعيد بن ناصر الكندي، وتلقى العلم في مسجد الخور، ثم أصبح مدرسًا في المسجد المذكور إلى بداية إمامة سالم بن راشد الخروصي، وعندما كشف السلطان فيصل علاقته بالإمام فصل من القضاء، فالتحق بالإمام سالم بن راشد الخروصي (ت: 1919م) عام 1914م، فتولى له القضاء في نزوى.

2. الآثار السياسية للأوبئة والأمراض المعدية

إن مناقشة تأثير الأوبئة على الأحوال السياسية أمر بالغ التعقيد، وذلك بسبب ندرة التوثيق في هذا المجال، ومع ذلك فهناك إشارات قدمت تلميحات ضمنية للآثار التي تركتها الأوبئة على الوقائع والمعطيات السياسية،

تتمثل في الهزائم العسكرية في الحروب، ووفيات السلاطين ورجال الدولة، وسوف نناقش آثار الأوبئة على الأوضاع السياسية فيما يلي:

- مقاومة الاحتلال البرتغالي ونزول الطاعون عام 1648م

يعود الاحتلال البرتغالي لعمان إلى عام 1507م، واستمر لأكثر من قرن، وبتنصيب ناصر بن مرشد اليعربي إمامًا لعمان عام 1624م، وتوحيد عمان تحت رايته، انطلقت المقاومة العمانية ضد المحتل، وتوفي الإمام ناصر ولم يبق للوجود البرتغالي في عمان مكان إلا في مسقط، وأكمل المهمة بعده الإمام سلطان بن سيف اليعربي وطرد البرتغاليين نهائيًا من عمان.

وخلال الستين الأخيرتين من الوجود البرتغالي؛ أشارت الوثائق البرتغالية إلى انتشار مرض الطاعون في مسقط، وألمحت إلى آثار الوباء على الجنود البرتغاليين وبعض حلفائهم، فقد تفشى الوباء بشكل مخيف في بلدة مسقط، وكان يحصد كل يوم خمسين نفسًا، وتوفي من أهالي مسقط حسب إحصائيات الوثائق البرتغالية 500 نفس، وهذا الوباء وما تركه من آثار؛ حاولت الوثائق البرتغالية ونصوص أجنبية أخرى أن تجعله السبب في هزيمة البرتغاليين أواخر عام 1849م.

ومن وجهة نظر الباحث، هذا التعليل ليس دقيقًا، وإن كان لا ننفي أثر الوباء تمامًا، ولكنه لم يكن السبب المباشر، وذلك لعدة أسباب؛ أولاً: الوباء أشارت إليه الوثائق أنه نزل في سنة 1648م؛ أي قبل حوالي ستين تقريبًا من هزيمة البرتغاليين وطردهم من مسقط. ثانيًا: الوباء انتشر في عمان، ولم يفرق بين برتغالي وعماني. وكما انتشر بين الجنود البرتغاليين، فمن البديهي أن ينتشر أيضًا بين القوات العمانية. وثالثًا: يبدو من خلال

سياق الأحداث إن تحرك الجيش العماني من نزوى إلى مسقط ومحاصرتها، تم بعد ارتفاع الوباء، فمن المستبعد جداً أن يرسل الإمام سلطان بن سيف اليعربي قواته إلى مسقط ويحاصرها أشهرًا عديدة وهو يعلم أنها مدينة موبوءة. وهذه المعطيات تؤكد أن الوباء لم يكن سبباً رئيساً في هزيمة البرتغاليين، إنما الرغبة العمانية في تطهير بلادهم من البرتغاليين كانت السبب الأقوى، وإن ساعدتهم الظروف على ذلك.

- وفيات رجال السياسة

أقدم نص -اطلع عليه الباحث- أشار إلى وفاة شخصية سياسية بسبب الأوبئة كتب في القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن الوفاة حدثت عام 1792م، فقد ذكر ابن رزيق أن السيد حمد بن الإمام أحمد الذي أناب عن والده في إدارة الحكم، قد توفي بداء الجدري، إذ يقول ابن رزيق ما نصه: (فلما أراد -السيد حمد- أن يمضي من مسقط إلى بركاء...، وبلغ سيح الحرمل بمن معه من الرجال اشتكى الحمى...، وظهر بجسده جدري كثير، فكتب إلى أبيه سعيد بوصوله إلى مسقط، فلما وصل وجد ولده حمداً في ألم شديد من الجدري، واحترق المركب الرحماني في ليلة اليوم الذي وصل فيه أبوه). وكانت وفاة السيد حمد في لحظة سياسية حرجة، فقد كان عمه السيد سلطان بن الإمام يحاول ملك مسقط، كما أن السيد حمد قبيل وفاته كان يعد العدة لأمر مهم، إذ يقول المؤرخ ابن رزيق عن ذلك ما نصه: (أمر السيد حمد بجمع عساكر كثيرة من عمان، ولم يخبر أحداً بمراده، وأمر بإقامة الجيش في بركاء، وهو يومئذ بمسقط، فلما تم جمعه ببركاء، توهم أهل الحزم أنه يريد بذلك الجيش حربهم، وظن قيس أن يريد به حرب صحار، وتوهم آخرون أن يريد به حرب أبيه ليخرجه

من حصن الرستاق، وتوهم آخرون أنه يريد أن يحارب بهم ممباسة). إلا أنه توفي قبل أن يظهر للناس مراده، فكانت الوفاة سبباً في وصول السيد سلطان بن الإمام إلى الحكم، والذي كان يحاول إخراج حمد بن مسقط، وهاجمها أكثر من مرة في حياة السيد حمد، إلا أنه عجز عن الاستيلاء عليها، وبوفاة السيد حمد مهد له الطريق نحو الاستيلاء على السلطة والملك في مسقط.

ولم يكن السيد حمد الوحيد الذي توفي بالجدري، فقد توفي غيره من السلاطين، منهم السيد سالم بن ثويني سنة 1874م، الذي عزل من الحكم قبل وفاته بست سنوات، من قبل الإمام عزان بن قيس، والأخير انتهى حكمه على يد السيد تركي بن سعيد عام 1871م، ورغم ضعف آمال السيد سالم بن ثويني في العودة إلى الحكم مرة أخرى، إلا أن السيد تركي ظل يرى فيه خطراً يهدد حكمه وسلطانه، ورفض عودته إلى عمان، ففرضت عليه الإقامة الجبرية في الهند، وفيها أصابه مرض الجدري، فكان سبباً في وفاته سنة 1874م.

وممن توفي بمرض الجدري أيضاً السلطان تركي بن سعيد عام 1888م، وبالرغم من تعدد الأخطار السياسية التي واجهته، والمتمثلة في معارضة بعض أفراد أسرته، وثورات قبلية شرسة، إلا أن وفاته لم تقلب الموازين السياسية، ولم تحقق أي نصر لمعارضيه، فقد انتقل الحكم بعده إلى ابنه السلطان فيصل، وبطريقة سلمية دون مشاكل سياسية تذكر.

وكما فتكت الأوبئة ببعض السلاطين، أيضاً طال الأمر بعض الولاة، منهم والي إزكي سعود بن حميد البوسعيدي، وتوفي بسبب الوباء الذي نزل في سنة 1918م، وكان قبل وفاته قد ترك منصب الولاية.

- مقاومة هجمات الدولة السعودية الأولى

تعرضت عمان منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لهجمات الدولة السعودية الأولى، وكانت وابلًا واصبًا على عمان بتعبير الشيخ نور الدين السالمي، واستمرت لأكثر من عقدين من عقود القرن التاسع عشر الميلادي، وهو أكثر القرون أوبئة. ومع ذلك، فالمصادر لم تشر صراحة إلى أثر تلك الأوبئة على مقاومة العمانيين لتلك الهجمات، إلا أن منطق الأشياء يفرض أن يكون لها تأثير، فالوفيات كانت هائلة، وهذا يعني فقدان المناطق العمانية لرجالها وحمايتها، كما أن المرض أحيانًا يمنع القادة والرجال عن الخروج للحروب، وقد أشار ابن رزيق إلى هذا الأمر صراحة، فعندما غزت قوات الدولة السعودية الأولى تزامن ذلك مع نزول بعض الأوبئة فيها، وفتكت بأهلها، حتى أقعدت السيد عزان بن قيس بن الإمام أحمد عن قيادة أهل صحار لمقاومة القوات الغازية، إذا يقول ابن رزيق: (وكان يومئذ السيد عزان بن قيس مجدورًا لا يقدر على القيام...، وقع بصحار وأهلها وباء شديد من جدري وغيره، فمات منها خلق كثير).

- منع أهل جعلان من نصرة السيد سالم

تولى السيد سالم بن ثويني الحكم عام 1866م، بعد أن اغتال والده في صحار، إلا أن الحكم لم يستقر له، فقد سقط حكمه بعد أقل من سنتين، حين قاد مجموعة من العلماء بقيادة الشيخين سعيد بن خلفان الخليلي وصالح بن علي الحارثي ثورة عسكرية بالتحالف مع عزان بن قيس حاكم الرستاق في ذلك الوقت، وانتقلت الثورة إلى مسقط وحاصروا السيد سالم بن ثويني عام

1868م، وحاول السلطان الاستعانة بحلفائه من القبائل، تحديداً قبيلة بني بو علي، إلا أن القبيلة هذه لم تستطع نصرته، والسبب كما يقول الشيخ نور الدين السالمي نصّاً: (وكان السلطان قد تجند -بقبيلة- بنو بو علي، فوقع الطاعون في بني بو علي...، فشغلهم عن نصره سلطانهم). وفعلاً لم يأت أحد منهم لنصرة السيد سالم في مسقط، وسقط حكمه سريعاً، وتم تنصيب عزان بن قيس إماماً.

هذا النص تكمن أهميته في ناحيتين: أولاً يشير صراحة إلى أن الوباء منع أنصار السيد سالم بن ثويني من نصرته، وبالتالي عجل بانتهاه حكمه سريعاً، ومع ذلك فقد لا يكون الوباء السبب الوحيد، إلا أنه كان أحد أهم الأسباب. ثانياً: النص يمثل نموذجاً يفهم من خلاله أثر الأوبئة على الأحوال السياسية في عُمان، وكيف تتغير مساراتها من حال إلى حال.

- الحرب على قبيلة بني بو علي عام 1821م

بين سنتي 1820-1821م، سُنت حرب على قبيلة بني بو علي من قِبَل بريطانيا والسيد سعيد بن سلطان، ووقعت الهزيمة على بريطانيا ومن معها في السنة الأولى؛ أي عام 1820م، فأججت تلك الهزيمة مشاعر البريطانيين، وقرروا شن حملة أخرى في السنة التالية؛ أي في سنة 1821م، وانتصرت هذه الحملة على القبيلة، وقتل من بني بو علي الكثير، وأسر من بقى منهم، ودمرت مزارعهم وأفلاجهم، وهذه الحرب كانت قبل أشهر قليلة من نزول وباء الطاعون، الذي فتك بأهل عُمان عامة، إذ يقول خميس بن راشد البوسعيدي واصفاً الأمر: (وقبل هذا الألم -يقصد الطاعون- أتى الإفرنج -بريطانيا- لبلد

جعلان في هذه السنة -1821م- لبني بوعلي، وقتلوا منهم كثره خلق، وأسروا منهم كذلك). وهذا الوباء وإن لم يكن في لحظة الحرب، ولم يؤثر على مسارها ولا نتائجها، إلا أنه زاد من مآسي القبيلة التي عانت من فقدان رجالها، وتدمير بلدانها، وفقدان مزارعهم.

• رابعاً: طرق مواجهة الأوبئة في عمان وأنواع العلاج

فرضت الأوبئة والأمراض على أهل عمان إيجاد وسائل وطرق لمواجهةها والتخفيف من آثارها، وفي هذا المحور تحاول الدراسة تقديم إطلالة على تلك الوسائل والطرق.

1. منع المساعرة:

«المساعرة» مفردة عمانية، وردت في نصوص عديدة، وذات دلالات متباينة، ففي بعض النصوص وردت في سياقات تتحدث عن نزول الأوبئة، وفي نصوص أخرى وردت بمعنى التنقل من مكان إلى آخر، كأن يقال: فلان يساعر بين مسقط وإبراء؛ أي يتاجر. فهو ينتقل من مكان إلى آخر لغرض التجارة، وقد يكون لغرض آخر. وأما قطع المساعرة أو منعها؛ فيعني منع الحركة، أو منع الدخول إلى البلدان والقرى والخروج منها، وقد جاءت هذه المفردة في أكثر من نص في نصوص النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، أثناء نزول الأوبئة والأمراض المعدية، منها على سبيل المثال، في مسألة فقهية رفعت للإمام محمد بن عبدالله الخليلي (ت: 1954م) جاء فيها: (وعن قطع المساعرة عن البلدان؛ بسبب هذه الأمراض الوبائية، إذا تخوّف أهل البلد منها، هل يجوز

ذلك؟ وإذا جاز، هل لأهل البلد أن يجعلوا لمن يقوم بالمنع أجره من خابورة الفلج الموقوفة؟).

يتضح من معنى المسألة الفقهية أن المساعدة يقصد بها منع الحركة أثناء نزول الأوبئة؛ أي عزل المناطق والبلدان بعضها عن بعض، وحتى يكون المنع ذا جدوى؛ كان أهل البلدان يقيمون نقاط حراسة ومراقبة على مداخل البلدان، وكان الرجال الذين يقومون بهذه المهمة؛ يتقاضون أجرًا مقابل ذلك، وكان الأجر يقتص من أموال الأفلاج، أو الأوقاف التي خصصت لمصالح ومنافع البلاد، وهذا ما يشير إليه النص الآتي: (هل لأهل البلد أن يجعلوا لمن يقوم بالمنع أجره من خابورة الفلج الموقوفة؟).

وقطع المساعدة من أهم الوسائل الاحترازية التي استعملت في عُمان لمواجهة الأوبئة، وبالرغم من أهمية هذه الإجراءات؛ إلا أنها أثارت جدلاً ونقاشاً فقهياً، فقد تباينت آراء محمد بن شيخان السالمي ونور الدين السالمي، حول قضية منع الحركة والتنقل بين البلدان أثناء نزول الأوبئة، فقد ذهب ابن شيخان إلى منع الحركة في الطرق المؤدية إلى المضبيبي، بينما رفضه نور الدين، فكتب ابن شيخان رسالة يشرح فيها موقفه من قطع الطرق ومنع الحركة، ومما جاء فيها: (فاعلم أخانا.. أن هذا الأمر اتفقنا عليه جمعياً، وكلنا ما بين داخل فيه، وراضٍ به، وهو صادر من أهل البلد والمطاوعة، وعندنا أن ذلك جائز، لحماية البلد، وحفظ الأجسام من معاداة هذه الأسقام، مع اشتهاًر هذا الألم بأنه يعدي، ومع طوفانه بالأمكنة البعيدة التي مقاصدها إلى هذه الديار، وما قطعوا المساعدة لأجل قطع منافع الناس، ولا منعوا طالب الحق،

وما حوالي هذه الدار من البلدان كاف في قضاء حوائجهم، وإمداد مساعيهم، وفرارهم من ذلك كالفرار من المهالك، والفرار من المجذوم المأمور به، لا فرار من القضاء والقدر، فما قدره الله كائن، وما لم يقدره لم يكن، هذا اعتقادنا، والناس أملك بدارهم إن لم تتعين ضرورة الغير إليها، وهذا الألم يكمن كمونه مع الوافدين الأصحاء وغيرهم، فيصرون سبباً في انتشاره في البلاد، فإن الشيخ سالم بن خميس وسليمان بن مؤمن سافرا إلى بلد سرور، وفيها هذا الألم، وانتشر فيها، ومات خلق كثير فيها بسببه، فانظر في هذا أخي، فهذا الذي رأيناه، واجتهدنا بنظرنا). هذه الحجج التي قدمها ابن شيخان لم تقنع نور الدين السالمي، وظل يطالب أهل المضییي بفتح الطرق وعدم منع التنقل، ولكن ابن شيخان ظل على موقفه هو الآخر. وهذا التباين في المواقف، يعود في الأساس إلى الرغبة في الموازنة بين الآثار الاقتصادية التي قد تتج عن منع الحركة، على أهل الأموال والتجار، وانقطاع موارد الرزق للكثير من الناس بسبب المنع، وبين الآثار الصحية والحفاظ على سلامة أرواح الناس.

2. الحجر الصحي:

الحجر الصحي من التدابير الاحترازية التي أتخذها أهل عمان أيضاً، بهدف الحد من تفاقم العدوى، ويكاد يكون في كل بلدة عمانية مكان خصص للعزل الصحي، وفي الغالب يقع خارج البلدة، وخصصت كذلك أموال تنفق على حاجات هؤلاء المعزولين، وهي عبارة عن أوقاف يوقفها أهل الخير، ومن الأمثلة على ذلك المال الموقوف لمرضى الجذام في سمائل.

ولكون هذه الأوبئة في الغالب مصدرها خارجي، وتحديداً السفن القادمة

من الهند، فقد عمدت السلطة إلى اتخاذ تدابير صحية أثناء ظهور الأمراض المعدية، إما بمنع السفن من النزول في الموانئ، أو إخضاع ركبها للعزل والحجر الصحي، وهذا الإجراء كان معمولاً به في ميناء مسقط. ففي عام 1897م شكلت لجنة من موظفين بريطانيين وممثلين عن السلطان فيصل بن تركي، مهمتها الإشراف على عملية الحجر الصحي للسفن القادمة من بومباي وكراشي، فقد منع نزول السفن والركاب والسلع للميناء، واستثني من هذا المنع البريد، بل إن السلطان فيصل بن تركي (ت: 1913م) شدد على الأمر، ومنع الصعود إلى متن السفن القادمة من الهند، وخصص لهم فيما بعد مكاناً للحجر الصحي، وهي بلدة تسمى حرمول، تقع على بعد كليومترين من بلدة مسقط، ولا يسمح لهم بالخروج إلا بعد انتهاء فترة الحجر؛ وهي تسع أيام.

3. الأدوية وعلاج الأوبئة:

مسألة الأدوية وأنواع العلاج الذي يستعمل لمواجهة الأوبئة التي نزلت عبر تاريخ الأمم والشعوب عامة، وعبر تاريخ عمان خاصة، من المسائل التي تحتاج إلى بحث دقيق، ومن باحث مختص. وهذه الدراسة تحاول تقديم توثيق عام للإشارات التي وردت في النصوص العمانية حول أنواع الأدوية التي استعملت لمعالجة تلك الأمراض.

في عام 1821م، عندما نزل الوباء بعمان، وفتك بكثيرين من أهلها، يذكر الشيخ ناصر بن أبي نهبان أنهم لم يجدوا له علاجاً، حتى ارتفع من تلقاء نفسه، ثم يقول دون جزم: (وأنفع ما رأيناه فيها أن يداوم وضع الكافور على أنفه، فكل من وضع الكافور في أنفه وذهب إليهم ليغسلهم

ويقبرهم لم يصبه، ولكن وجدنا نفع هذا بعدما ارتحل من بلداننا ما يزيد على الثلث، وأما بقية الأدوية.. فتارة هذا ينفع وهو حار، وتارة هذا ينفع وهو بارد، وتارة لا ينفع هذا ولا هذا، وذلك.. أن أصل الشفاء ليس السبب فيه ذلك الدواء، وإنما هو لما ذكرناه في اعتدال البرودة في القلب). وفي نص آخر، يشير إلى نوع الدواء الذي استعمل لمواجهة الأوبئة، جاء: (واتخذوا له دواء.. سهم سعتر وسهم لبان وسهم كبريت وسهم هيل، وسهم أو سهمين فلفل أحمر وفلفل أسود، وهم ملح، ويمج [يخلط] باللومي، وقبل أن يأتي هذا الألم صاحبه يكن [يخفى] ويجعل عليه لحف ويسقى الدواء الموصوف. والله أعلم بصحة ذلك). وحتى هذا الدواء لم يجزم بفاعليته.

أما الشيخ خميس بن راشد العبري، فقد أشار بشكل عابر إلى أن بعض الناس في عمان، استعملوا حليب البقر لمعالجة مرض الجدري، اذ يقول: (وأما اللواتيا والبانيان.. فيشربون حليب البقر مع ابتداء الحمى لا غيره). وفي عام 1899م، حاولت السلطات البريطانية تعزيز الخدمات الصحية في مسقط، إلا أن السلطان فيصل بن تركي رفض استقبال اثنين من المساعدين الصحيين، ورفض أن يكون مسؤولاً عن مرتبتهما، وبسبب هذا الرفض لم يتتفع أحد من خدماتهما حتى غادرا مسقط، إلا أن اشتداد الوباء في مسقط ومطرح اضطر السلطان إلى الاستعانة بطبيين من الهند، ثم إن السلطان سعى إلى التعاون مع طيبب الوكالة السياسية البريطانية. وفي الواقع، إن النصوص التي تطرقت إلى الأدوية التي استعملت

لعلاج مرض الأوبئة غير وافية، فهي لا تقدم معلومات كافية، ولم تشر إذا كانت الأدوية فاعلة وقللت من الإصابات، أم أنها مجرد محاولات لمواجهة الوباء، بدلاً من الاستسلام له، والبحث عن أمل في علاجه ليس إلا.

وأخيراً، إن دراسة تاريخ الأوبئة والأمراض عمومًا في عمان، من المجالات التي لم تنل حقتها من البحث والدراسة، ونأمل من هذه العجالة أن تشكل مدخلاً للباحثين، وتسهم في دفع الدارسين نحو البحث في تاريخ الأمراض والأوبئة.

المصادر

1. ابن رزيق؛ حميد بن محمد، الصحيفة العدنانية، مخطوط صور، مركز الدراسات العمانية، جامعة السلطان قابوس.
2. ابن رزيق؛ حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1415هـ/ 1995م.
3. البوسعيدي؛ مهنا بن خلفان، لباب الآثار الواردة على الأولين والمتأخرين الأختيار، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 1406هـ/ 1986م.
4. الحارثي؛ محمد بن عبدالله، موسوعة عمان الوثائق السرية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م.
5. الخليلي؛ محمد بن عبدالله، الفتح الجليل في أجوبة الإمام أبي الخليل، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، المطبعة العمومية، 1965م.
6. الخروصي؛ ناصر بن جاعد، الإخلاص بنور العلم والإخلاص من الظلم، مخطوط، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط، رقم: 481.
7. السعدي؛ فهد بن علي، فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمد بن عبدالله بن حمد البوسعيدي، مسقط، ذاكرة عمان، 2020م.
8. السالمي؛ عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، مسقط، 1417هـ/ 1997م.
9. السالمي؛ محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، بيروت، دار الجيل، 1419هـ/ 1998م.
10. السالمي؛ عبدالله بن حميد، جوابات السالمي، تنسيق: عبدالستار أبو غدة، ط3، بديّة، مكتبة السالمي، 1422هـ/ 2001م.
11. السعدي؛ فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية.. قسم

- المشرق، مسقط، مكتبة الجيل الواعد، 1428هـ/ 2007م.
12. الشعبي؛ عامر بن سليمان، ديوان الشعبي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، بدون تاريخ.
13. الشيباني؛ سلطان بن مبارك، التراث نظرة نقدية وقراءات في جديد التراث العماني.. مخطوطه ومطبوعه، مسقط، ذاكرة عمان، 2014م.
14. الطوقي؛ خالد، تاريخ المضيبي رحلة في سبعين عامًا، المضيبي، مكتبة وتسجيلات روائع نور الاستقامة، 2020م.
15. العبادي؛ عامر بن علي بن مسعود، ديوان أنوار الأسرار ومنازل الأذكار، ط 1، مسقط، مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي، 1417هـ/ 1996م.
16. العبري؛ خميس بن راشد، شفاء القلوب من داء الكروب، ج 1، ط 1، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط، 2010م.
17. فليب؛ وندل، عمان تاريخ له جذور، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 2012م.
18. القاسم؛ يحيى بن الحسين، يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، 1995م.
19. لوريمر؛ ج. ج، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، الجزء الأول، المجلد العاشر، جامعة السلطان قابوس، مسقط.
20. Portugal in the sea of Oman religion and politics research on documents, edited by Abdulrahman al-salimi and Michael Jansen, Georg olms verlag hildesheim-Zurich-new york:2018, vol 1, 23.

المحور الشعري

كورونا (كوفيد19) والشعر⁽¹⁾

د. مبارك الجابري

ناقد وباحث

(1)

أختار ابتداءً أن أتبع دالّي «كورونا» و«الشعر» بعلامة التعجب؛ ذلك أنني أسائل ضرورة هذه العلاقة التي يفترضها كثير منا في تعاطيهم مع الشعر، ليس بمحاولة ربطه مع هذا الوباء الحادث فحسب؛ وإنما بمحاولة قراءته بكل طارئ من الطوارئ الكبرى يمس الحياة البشرية، كالجوائح والحروب والثورات، ليس لأن علاقة مثل هذه ليست موجودة مطلقاً، وإنما لأن ضرورة وجودها هي ما ينبغي أن نشك فيه؛ إذ لا يفتأ كثير من الذين لهم علاقة بالأدب عن مساءلة الشعر عند كل حالة عن مدى استجابته لها، يطلبون بذلك في الشعر ما يطلبونه في غيره من الخطابات الأدبية وغير الأدبية، جازمين ابتداءً أنه خطاب يقول الحياة كما يقوله غيره، وإن بكيفية مختلفة تتعارف عليها عادة بـ«الشعرية»، مفترضين ربما أنه إن كان ذلك حاصلًا فيما يدرج في الحياة على

(1) المحور يقرأ الشعر منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى أغسطس 2020م.

هياة الاعتياد، كالحب والكره، والفرح والحزن، والفقد والموت، وما إلى ذلك مما هو سائر ذكره في مختلف الخطابات الأدبية؛ فإنه فيما يحلّ على غير الاعتياد «أولى»، شأن الأوبئة والجوائح، تلك التي يتفشى قولها في مختلف الخطابات كتفشيها هي بين الناس، حتى كأننا أمام جملة نشرات إخبارية يعرض كلٌّ منها الخبر من زاوية تناسب الأيديولوجيا الخطابية التي يتتمي إليها!

ربما يفترض هؤلاء أن الاعتيادي الذي تمكّن الشاعر من مقارنته بتكثيفه وتعميق سطحته، كالمشاعر الإنسانية الطبيعية والأحداث التي لا يخلو منها دهر، دالٌّ بالضرورة على أن المُعطى الاستثنائي محفّز للشعر، ومنجمٌ وافرٌ للأعماق البشرية التي يروم الشاعر سبرها، شأن هذا الوباء الذي ما زالت البشرية منذ مطلع يناير 2020م تعيشه ككابوس ممتد، أو كفتازيا مسّت كل مفاصل الحياة.

هل هو افتراض في محلّه؟ أو أننا بذلك نطلب في الشعر ما لا يمكن أن يُطلب فيه؟ وإن كان لا يمكن أن يطلب فيه فلمَ ذاك؟ أليس الشعر في المحصلة نتاجًا ينبت من الأرض؛ أرض البشر بما فيها من ألم وأمل؟ أسئلة لها مبررها ونحن نسمع ونقرأ كل يوم عشرات الخطابات التي تتناول الوباء، فكرية وصحية ودينية واقتصادية وسياسية، بل وأدبية، بما هو الأدب مفهوم عام لكل خطاب جماليّ، لا يحضر فيها الشعر إلا نادرًا، وإن استطعنا أن ننحي الفن الروائي عن هكذا حضور «فوري» بوصفه فنًا يحتاج إلى طول صناعة وروية فكر؛ فإن كثيرًا من الشعر فيما أحسب ليس كذلك، إن شئنا أن ننظر إلى المنتج

منه، لا إلى التنظير لعملية إنتاجه التي كثر فيها مطّ القول بين الارتجال والصناعة.

تصدر كل يوم عشرات الدراسات الفكرية والفلسفية والصحية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية بما استجدّ من نتائج علمية مدروسة حول علاقتنا نحن البشر بهذا الوباء، وهي دراسات أخذت وتأخذ حيزها الوقتي اللازم طيلة هذا الزمن الممتد منذ يناير 2020م، فلم يكن هذا الزمن قصيراً ليقول الإنسان كثيراً مما يريد قوله حول علاقته بهذا الوباء، وقد تطوّرت خبرة البشرية معه تطوّراً كمياً ونوعياً متسارعاً طيلة الأشهر الماضية، بل لا نكاد في يوم إلا ونقف على خبرة بشرية جديدة تهذبّ علاقتنا به، مما يوفرّ معطيات كثيرة يمكن أن يتناولها الخطاب الجمالي على اختلاف أنواعه، فأين الشعر من كل هذا؟ وإن كان هذا شأن التناج البشري الذي يستهلك ما يستهلكه من وقت ومال وجهد فما بال الشعر الذي يكون أحياناً وليد ساعته؟

واقعاً، ليس هذا المشكل معاصراً كما يحبّ بعضهم أن يبرر، جرياً على نسقه في قراءة كلّ معاصر بشكل مأزوم يرى كل خير في كل عصر وفي كل مكان إلا في عصره ومكانه؛ فإذا قارنا بين ما قيل من الشعر في أوبئة تاريخية مسّت العالم، وبين ما دوّن عنها في كتب التاريخ وغيرها من أشكال النثر الأخرى؛ لوجدنا اختلافاً كبيراً على مستوى الكم والنوع، يميل بصورة واضحة إلى غير جهة الشعر، يمكن لأجل تبيّن مثل هذا الرجوع في تاريخنا العربي مثلاً إلى ما

قاله الشعراء العرب في الطاعون⁽¹⁾؛ وما كتبه عنه مؤرخون مثل ابن خلدون (ت: 808هـ) في «تاريخه»، والمقريزي (ت: 845هـ) في «إمتاع الأسماع»، و«السلوك لمعرفة دول الملوك»، و«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، سواء أكان من جهة تكرار ذكره؛ أم كان من جهة وصف ما تعلّق به. فابن خلدون مثلاً يورده في أربعة وثلاثين موضعاً، واصفاً أحوال الناس حال وقوعه، وهو ما نستطيع تبيينه عند المقريزي في كتبه الثلاثة المذكورة بتكرار يفوق ما ورد عند سابقه؛ ذاك أن التأريخ معني بوصف أحوال الناس ومعيشتهم، فتطلب فيه هذه الحوادث بوصفه موضعاً أصيلاً لتأريخها، وليس ذاك شأن الشعر الذي لا يعنى ضرورةً بالتأريخ.

وإن كان مطلب الأوبئة في الثقافة العربية القديمة يُبحث عنه في كتب التاريخ بصورة أصيلة؛ فمن الواضح اليوم أن تعدد الاختصاصات جعله مطلباً يمكن العثور عليه في مدونات مختلفة، لا تخطئها عين الباحث، بل ولا عين غيره، في فضاءٍ معلوماتي مفتوح على مصراعيه، وبخاصة في وضع معاصر غدا فيه الإنسان أكثر قدرة على الاشتغال بما يدور خارج بيته، بل خارج إقليم وطنه، سواء أكان ذلك لما لديه من مكنة وقت؛ أم لما لديه من مكنة أدوات، تتيحان له ما لم تكن الحياة القديمة تتيحه لأسلافه من اطلاع ومعرفة؛ ولذا نلفي روحاً واحدةً للعالم، إن شئنا استعمال لغة هيغل، يمكن لحظها بصورة واضحة عند كل طارئ، تقول الإنسان بما هو إنسان، لا بما هو ابن جغرافيا بعينها. فأين

(1) يرجع مثلاً إلى مقال مفيد في هذا: الهاشمي؛ نور الدين، الشعر في زمن الطاعون، مجلة نزوى، ع (102)، يوليو 2020م.

الشعر من كل هذا؟ أو ليس الشعر خطاباً يقوم أساساً على هذا التسامي الإنساني لمحض الإنسانية؟

يبدو هذا المشكل زلماً جداً على النظر؛ إن قاربناه من هذه الزاوية التي تفتش عن الشعر عند كل ما يمس إنسانيتنا في هشاشتها أو قوتها؛ ذاك أننا حيث ندلف إلى الشعر بوصفه خطاباً للجماعة البشرية، بعيداً عن أصل فرديته التي جُبل عليها، تلك الفردية التي اقتحمت الجماعة حماها في عصور سالفه، قبل أن تغدو اليوم محصنة بترسانة هائلة من التنظيرات، إن عالمياً أو عربياً.

تخلق فردية النص الشعري له ذاتيته؛ لتعطيه الحق كله في تخطي موضوعية العالم حوله، وهي الموضوعية التي نسائل بها الخطابات الأخرى في تعاطيها مع الواقع، سواء في تعاطيها مع مادية هذا الواقع؛ أم في تعاطيها مع جماعيتها، بيد أن قيمة الاستعمال التي نحدد بها مكانة الخطابات الموضوعية لا يمكن أن تكون هي نفسها التي يمكن لنا بها أن نحدد مكانة الشعر، لا من جهة علاقة الكلمة فيه بالمادة، ولا من جهة طريقة تعبيره عن الجماعة.

لا تعكس الكلمة في الشعر مادة الواقع، إنها تخلقه، ليس بالصورة المثالية التي يقترحها بعض الطوباويين للشعر، بوصفه تعالياً مبتوت الصلة بالواقع، وإنما بالصورة التي يكون بها الشعر إدراكاً مختلفاً للواقع، يتعالى على العادي من إدراكنا؛ ليجعلنا في حضرة المختلف مما نعيش أو نأمل في عالمنا الأرضي، يُعمق نظراً في الواقع لنرى لا ماديته التي نحياها بصورة آلية، وإنما لنرى أنفسنا ونحن نستعيد إنسانيتنا في علاقتنا معه.

لا يقول الشعر هذا المختلف إلا عبر فردية الشاعر، أي عبر تجاوزه لمعطى

حياة الجماعة وإكراهات وعيها القائم؛ لأنه بذلك وحده يمكنه أن يجتاز جسر العاديّ إلى غير العادي، المشاهد إلى غير المشاهد؛ فالقصيدة العظيمة حركة، لا سكون، وليس مقياس عظمتها في مدى عكسها أو تصويرها لمختلف الأشياء والمظاهر «الواقعية»، بل في مدى إسهامها بإضافة جديد إلى هذا العالم⁽¹⁾؛ وحيثُ تحديدًا تستحيل النبوة الذاتية للشعر إلى «الموضوعيّة»، لا الموضوعية التي ندرك بها العلمي من الكلام، وإنما الموضوعية التي نطلب بها القيم الإنسانية التي نريد، بالصورة التي تحفّز في ذائقنا لذة التلقّي، وتغذّي حاجتنا الدائمة إلى الجمال.

ولذا، تجد الجماعة في قول الشاعر فرحه فرحها، وفي قوله حزنه حزنها، وهكذا باقي المشاعر الإنسانية، لا على جهة شاعر القبيلة، وإنما بشيء من التحفّظ العلمي - على جهة «رؤية العالم World Vision» التي يحدّثنا عنها لوسيان غولدمان (Lucien Goldman)⁽²⁾؛ إذ الشاعر حيثُ كفيّل بنسج شتات وعي الجماعة، كما هو كفيّل بالتعبير عن الوعي الذي تطلب.

لا يقول الشعر، وفق هذا، الجماعة البشرية إلا عبر قوله لفردية الشاعر؛ فتكون ذات الشاعر ذاتًا جماعية، أو ذاتًا عابرة من الفردي إلى الجماعيّ إن

(1) أدونيس، زمن الشعر، ص152، ط6، دار الساقي، بيروت، 2005م.

(2) Any Great literary or artistic work is the expression of a world vision. This vision is the product of a collective group consciousness which reaches its highest expression in the mind of a poet or a thinker.

Lucien Goldman, THE HIDDEN GOD, TR. Philip Thody, New Jersey, Routlrdge, 1977. P.19 .

شئنا العودة مرة أخرى إلى تعبيرات غولدمان، حيث الشعر في معنى من معانيه قولاً للمشتركات الإنسانية، تلك المشتركات التي يستخلص الشاعر عمقها من سطحيّة العاديّ؛ فيكون بذلك (المتعدّد الذي يتفرد، دوّمًا، في الرحيل نحو الأقصى، لغة معرفة لا ندرکہا إلا بالمجاهدة)⁽¹⁾، مجاهدة أن نتجاوز ما ألفنا إلى غيره.

لكل هذا، أولاً: لا ينبغي أن نطلب في الشعر ما نطلبه في غيره من الكلام، وثانياً: لأن للشعر، كما للفن، مهمّة تعويضيّة، تردم الفجوات التي تخلقها في حياتنا ماديّة واقعا؛ إنه يؤثّر بالجميل بشاعة الواقع؛ لما يخلقه في أنفسنا من شعور بالجمال، وهو حين يفعل ذلك لا يعكس الواقع ولا يستنسخه؛ وإلا لاستحال محض اجترار يعمّق آلام البشرية، لكنه يحيل بطريقته هذه البشاعة إلى جمال، كالشأن الذي يجعلنا نرى في «لوحة غير نيكا» لبيكاسو جمالاً لا يمكن أن نراه في مشهد قصف النازيين والفاشيين لهذه المدينة، أو كالشأن الذي يجعلنا نظرب للمتنبّي وهو يشيد بالسيف مسلولاً للذبح، متقاطعا في المعنى مع وصفه سيف الدولة:

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً
ولا فيه مراتب ولا منه عاصمٌ
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلی
وراجيك والإسلام أنك سالم

(1) محمد بنيس، الحق في الشعر، ص 25، ط 1، دار توبقال، الدار البيضاء، 2007م.

على هيئة لا يمكن لإنسان سويّ الإنسانية أن يطرب لها وهو يرى المشهد حقيقة.

نقرأ للشاعر والفيلسوف الألماني فريدريش شيللر: (إن اللعب بالذات هو ما يجعل الفن قادراً على أداء عمله الجديّ على أفضل وجه. فالفن لا يستطيع أن يكون ذا تأثير نافع على الأخلاق إلا عندما يكون قد أنجز أرقى تأثيره الإستيطقي، لكنه لا يستطيع أن ينجز تأثيره الإستيطقي الأرقى إلا من خلال ممارسته لحريته كاملة)⁽¹⁾؛ هذه الإستيطقا إذا ما نطلبه تحديداً في الشعر، كما في غيره من وجوه الفن، فإن عرض لنا هذا الشعر تجربة من تجارب البشرية فهو يعرضها بعيداً عن هيأتها التي نألف، إنه يعرضها لاعباً، أي حرّاً محلّقاً، لا يقولها هي بقدر ما يقول جماليته التي تعوّض نقصها، بل إننا قد نلفي الشعر، والفن عموماً، صاداً عن مقارنة كثير من تجارب البشرية؛ لسبب أولي، أنه ليس معنياً دوماً بالتجارب البشرية التي نحيها مجزأة، بقدر اعتناؤه بالمجمل الذي يتعالى على الزمان والمكان، ليس معنياً بالتاريخي بقدر اعتناؤه بالخالد؛ ولذا، غالباً ما نلفي في الشعر حضوراً لهذا الخالد في صور قيم كبرى لا تتغيّر بتعاقب الأزمنة ولا باختلاف الأمكنة، شأن الحب والشوق مثلاً وهما يتكرران متجددين فيه منذ النصوص الأولى التي نعرفها من الشعر، أو شأن الأسئلة الكبرى عن الوجود التي ما تزال تشغل الإنسان المعاصر كما شغلت أسلافه وهم ينظرون إلى النجوم ملتحمين بالسماء في الغابات والصحاري.

(1) شيللر؛ فريدريش، مقالات فلسفية.. في المسرح والشعر ومسائل تتعلق بالإستيطقا، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، ص 19، ط 1، 2017م.

الوباء عابر، بيد أن الموت مقيم؛ ولذا، نلغي مقارنة الموت حاضرة منذ الإلياذة والأوديسة حتى اليوم. لا يعني ذلك ألا يكون الوباء؛ أي وباء موضوعاً للشعر؛ ففي شعرنا العربي كما في شعر غيرنا شواهد عديدة، وإنما يعني أن مقارنة الأوبئة تكون في الشعر بما هي عبور للقصيدة من هذا الجزئي إلى السؤال الخالد للإنسان عن الفقد والموت، كما يكون حديث عنتره عن عبلة في شعره عبوراً إلى سؤال الحب، وفتح عمورية عبوراً إلى سؤال المعجد، وبردة البوصيري عبوراً إلى سؤال الوجود، والملك لير عبوراً إلى سؤال الحكمة.

وحيثنا، فإن مقارنة الوباء في الشعر ليست ممتعة، ولكننا سنلاحظ سريعاً من هكذا نظر أنه من الصعب الزعم أن حضوره في الشعر قريب من حضور غيره من تجارب بشرية ما يفتأ الشعر يكرر مقاربتها بصورة لا نهائية، وفق هيئات مدهشة تجعلنا نجلّ هذه القدرة لدى الإنسان، أو فلنقل لدى الشعراء، على الكشف وإعادة الكشف عما كرر كشفه مراراً! هي ملحوظة يمكن أن توفر مدخلاً مهمّاً للمؤرخ الأدبي والناقد، وللباحث النفسي أو السوسولوجي، وإن كنت لم أنو لهذا المحور أن يكون متسعاً لبحث مثل هذا السؤال الذي سيحتاج إلى قدر كبير من الوقت والجهد؛ فمن المناسب أن أسجل هنا ملحوظة أرجو أن يتسع لها هذا الأفق يوماً، وهي أن مدار إستيقا الشعر هو المستقرُّ من التجارب الإنسانية، لا العابر منها، عكس التاريخ المعني بتسجيل كل مؤثر في حياة البشر أو الدول، فالحب والموت والحرب وما إلى ذلك من موضوعات الشعر هي تجارب مستقرة في حياة البشر، بما هي تكرار يتجدد عبر مظاهر مختلفة، لا تكون الأوبئة بإزائها إلا نادرة، كسراً عابراً لرتم

الحياة، لا يلبث بعده أن يلتئم مرة أخرى، كشأن ذكر المرض الذي لم تحتفظ لنا المدونة الشعرية إلا بالنادر منه مقارنة بغيره مما ذكرت، وهو ما نجد ضده مثلاً في الموت الذي يحوز على حضور كمي وافر، بوصفه نهاية مؤكدة للحياة وفقدًا مستمرًا، لا يرجى له التئام، وما نجد ضده حتى في قصائد الفقد التي لا يؤجج وهج شاعريتها إلا الإحساس باستحالة اللقاء مرة أخرى، أي بما هي شعور بفقد دائم، لا عابر.

بين العبور والاستقرار مساحة واسعة لقراءة هذه الندرة لحضور شعر الوفاء في ثقافتنا العربية، وإن كان ذلك يحتاج إلى مزيد بحث؛ فإنه معطى أولي تسنده مدونة شعرية ممتدة عبر التاريخ، وهو ما نلمسه اليوم بسهولة ونحن نسعى إلى تتبع الشعر الذي حاول مقارنة وباء كوفيد19 في المدونة الشعرية العمانية.

(2)

نألف أن تضم المجموعة الشعرية الواحدة للشاعر نصوصًا يصل الفارق الزمني بين بعضها وبعضها الآخر إلى سنوات عديدة، ينتجها الشاعر في أزمنة مختلفة، معطياً نفسه حيزاً زمنياً لإنضاج التجربة وتشذيبها، وقد مثلت الملتقيات الشعرية والأسيات والصحف والمجلات نافذة أولى للنص إلى المتلقي قبل ضمه إلى مجموعة شعرية مكتملة؛ وبين هذه النافذة الأولى والظهور الأخير ضمن المجموعة مساحة واسعة لتعديل النص، تجعله أكثر تلبساً بـ«الشعرية» التي يريد لها منتج، معلناً بذلك للمتلقي أنه وصل إليه في صورته النهائية.

أما اليوم، فقد وفرت وسائل التواصل الاجتماعي نوافذ أخرى للشاعر والمتلقي، أكثر فاعلية من حيث اتساع دائرة المتلقين، ومن حيث قدرة الشاعر على التفاعل السريع مع ما يلفته من تجارب الحياة؛ لينجز نصّه وينشره في صورة أولى قد يعدّلها بعد حين قبل نشرها ورقياً، فسوّل له ذلك أحياناً أن ينشر نصوصاً دون أن يشدّبها من علائق اليوميّ، بل إننا نطالع اليوم في هذه الوسائل نصوصاً لم يراجع أصحابها صحتها اللغوية والإملائية، متلبسين بهذا الهياج العام للنشر الفوري الذي يندلق به الفضاء الأزرق.

وإذا وازناً بين ما ذكرته أعلاه من قلة تفاعل الشعر مع الأوبئة، وبين ما نشر وينشر على هذه الوسائل من نصوص لها علاقة بهذا الوباء فقد يبدو الأمر مربكاً؛ بيد أنه لا بدّ من الإشارة إلى أن ما نشر وينشر ما يزال دون الوصول إلى تراكم كميّ مواز لما يتوفر لدينا من حسابات للشعراء العمانيين في تويتر مثلاً؛ وإن كان ليس لزاماً على كل شاعر أن يخوض في تدبيح نصوص لها علاقة بالوباء؛ فإن قلة هذه النصوص وفقاً لهذه الموازنة المفترضة مؤشّر أولي على البون بين فداحة ما أحدثه الوباء في العالم المعاصر، وما أنتج من خطابات تتصل بمجالات عديدة، وبين ما أنتج من الشعر متصلًا به.

في المقابل، إذا شئنا النظر إلى كل منشور تحت لافتة الشعر بأنه شعر فعلاً؛ فلا بدّ من القول إن سهولة النشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي تفاعلاً مع مستجدّات الواقع جعل بعض الشعراء لا يتعفّفون عن الخوض في كل سانحة، فتتج عن ذلك لدى بعضهم نصوص ليس لها من الشعر حظ سوى في لبوسه الموقّع أو «المسطّر»، معتمدين على أحد مسارين ما يزالان مطيتين لكل مدع

ليس له من الشعر عدا اللقب الذي يُضفى بالمجان اليوم في صحفنا ومجلاتنا، كما في دور النشر عندنا: أما أولهما فهو مسار النظم الذي ألفنا وجوده وثورة النقاد العرب القدماء عليه؛ وأما ثانيهما فهو المسار النقيض الذي دلف إلى الشعر العربي عند جائحة «قصيدة النثر»، حين أصبح كل نص يُكتب مجزاً على أسطر غير متساوية شعراً، وما أكثر الأمرين فيما نقرؤه بشكل شبه يومي في هذه الوسائل التي ميّعت كل شيء تقريباً!

تلك صورة لا أحسبها تغيب على من يتتبع المنشور من الشعر العماني في مساحة تويتر، يؤججها ضعف في التناول النقدي، وتفشٍ للغة تعلّي قيم المجاملة على حساب قيم الرصانة النقدية، وذلك شأن ليس هنا محل نقاشه. بيد أن هذه المساحة المفتوحة والحرّة لتويتر أتاحت للظهور أيضاً لنصوص تقارب الوباء بشعرية تتشمل الكلمة من واقعها العادي، كما تتشمل إحساسنا بهذا الوباء من محض الألم إلى أفق مفتوح من اللذة التي يخلقها جمال اللغة، وقد حاولتُ ابتداءً أن أتبع كل ما كتب في حسابات الشعراء العمانيين من نصوص تقارب الوباء؛ فوجدت نزوعاً كبيراً نحو كل جهة إلا جهة الشعر، نظماً ونثراً؛ ولذا، عدلت عن هذه المهمة الشاقة نفسياً إلى تخيير ما هو أولى بالشعر، فانتخبت منها ثلاثة نصوص أحسب أنها تمثّل نماذج مهمّة لمقاربة الوباء شعرياً.

عامّةً، أخذت النصوص الشعرية العمانية المقاربة للوباء تتراكم منذ مارس 2020م، أي بعد قرابة شهرين إلى ثلاثة أشهر منذ بدء تفشي الوباء عالمياً؛ إذ أسهم بروز الخطاب الرسمي المؤسسي المتعلق بالوباء في خلق مزاج عام

على مساحة تويتر العمانية، مؤثراً في الشعراء كما في غيرهم من متعاطي النشر على هذه المساحة، وكان الشاعر هلال الحجري أحد أبرز الذين تفاعلوا مع هذا شعرياً عبر عدة تغريدات؛ فترجم قصيدة للشاعر البريطاني جون كيتس نشرها بتاريخ 22 مارس أهداها «لكل من فقد عزيزاً عليه في هذه المحنة العالمية «كورونا»»، ونشر في: 22 أبريل ترجمته لقصيدة للشاعر البريطاني سايمن أرميتج Simon Armitage عنوانها «الحجر المنزلي» Lockdown نشرت في الغارديان بتاريخ 21 مارس كما يورد، في حين أنه نشر في 20 مارس نصه الآتي -مرفقاً بصورة ورد- دون عنوان:

بياضاً لقلبك أيها العالم

فرغم البؤس والألم

وجشع المرابين والأباطرة

ثمة آفاقٌ للنور

نراها في زهرة

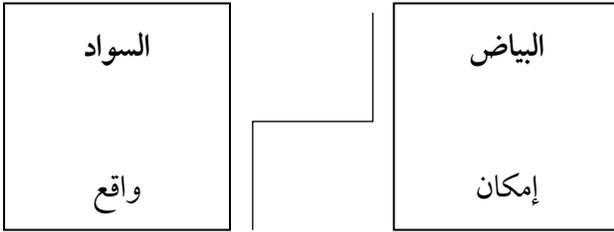
أو ابتسامَةٍ

أو دمعة.

يتسق قصر النص مع كثيرٍ من نصوص الحجري المنشورة في ديوانيه: «هذا الليل لي»؛ 2006م، و«كطائر جبلي يرقب انهيار العالم»؛ 2013م، ويتخذ الإيقاعية البطيئة لقصيدة الشر أساساً أوّل لإيجاد حال التأمل التي يريد منها تسويغ مفتحه «بياضاً»؛ إذ يفتح بهذا الدال تركيباً دُعائياً موجّهاً إلى عالم ينظمر بكل ما هو نقيض للبياض، بوصف البياض رمزاً للجمال والنقاء والشفاء

وجملة أخرى من المدلولات الشبيهة، ثم إنه يجعله ليس للعالم في مسحته الخارجية البيئية، وإنما لقلبه بما هو أصله الذي تنجلي فيه حقيقته، ويرر ذلك بالمقارنة بين النقيضين: نقيض ظاهر يمكن لنا أن نرمر إليه بالصفة الضد للبياض: السواد، متمثلاً في البؤس والألم، وجشع المرابين والأباطرة الذي يُتج فيما يبدو ذاك البؤس والألم، وبين البياض الذي يبثه النور عبر الزهرة والابتسامة والدمعة، ولكن ليس بوصف النور تحقّقاً حاصلاً، مثله مثل البؤس والألم، وإنما بوصفه إمكاناً يوجد في قلب هذا العالم المدعو له بالبياض.

يقدم النص بين البياض و«السواد» مقارنتين إذًا، مقارنة أولى تنبني على أساس الواقع والإمكان، بوصف البياض إمكاناً، والسواد واقعاً، ومقارنة ثانية بوصف السواد تجلياً لجشع المادة وسطوتها الطاغية على أيدي من يملكون زمام التحكم في مصائر الناس، وبوصف البياض كموتاً في المشاعر الصادقة للإنسان؛ باسمًا أو حزنيًا، كما هو شأن الزهرة، تلك العلامة المقترنة دومًا بالمشاعر:



تأتي ألفاظ «السواد» معرّفة تارة ب(ال) في «البؤس والألم»؛ لكونهما معهودين على لغة النحويين، أي بما هما واقع مشاهد يعهده هذا العالم لكثرة شيوعه، وتارة بالإضافة في «جشع المرابين والأباطرة»؛ لكون الجشع صفة

تتأتى في العالم من مصادر عدة، بيد أن جشع الفقير الذي يظفر فجأة بمحفظة نقوده؛ ليس كشجع «المرابين والأباطرة» الذي يمس العالم برمته بؤسًا وألمًا؛ ولذا يكون تعريف الجشع المولّد للبؤس والألم بالإضافة إلى هاتين الطائفتين خروجًا من العموم إلى الخصوص المراد بالمعنى في النص.

في حين أن ألفاظ «البياض» تُعرض منكّرة: «أفاقٌ.. زهرة.. ابتسامة.. دمعة»، ليس على سبيل عدم المعرفة بها، وإنما على سبيل شيوعها الممكن، بما هي تعدّد يسوّغ انتظار البياض، يجد مكتته في كل زهرة، وفي كل ابتسامة، وفي كل دمعة، في مقابل نقيض ليس له وجود سوى من مصدر واحد؛ وحينئذٍ، فإن بين التعدد المختزن لهذا الإمكان، وبين الواقع المفروض على العالم، صراعًا يرجو النص ظفر العالم فيه ببياضه.

لا يصرّح النص بنهاية سردية هذا الصراع، ولكنه يؤشر عليها بهذا اللعب على الكلمات عبر التعريف والتكبير، كما اللعب على التوقيع الذي يحدثه توزيع الكلمات على الأسطر، حيث الجرس اللفظي الذي يملأ الفم ويبرز التنبير عند التوقف على الألفاظ المنونة المعنوية بالبياض: «زهرة.. ابتسامة.. دمعة»، معطياً كل لفظ بروزاً صوتياً وبصرياً.

ولا يصرّح هذا النص أيضًا بأنه يقارب الوباء، ولكن وقت نشره، وما به من مؤشرات الشكل والمضمون معًا تجعل للمتلقي الحق في مقاربة كالتى أوردت إمكانياتها أعلاه، وبخاصة سياق نشره في الحساب الذي تليه فيه الترجمة التي أشرت إليها مهداة (لكل من فقد عزيزًا عليه في هذه المحنة العالمية «كورونا»).

نقرأ أيضًا لمحمود حمد نصه المنشور بتاريخ 17 مارس على حسابه:

ليستبقُ الآن
هذا الغريبُ إلى الماء
والحب والعافيةُ
ولدنا مرارًا بمليون ميتةُ
أيسألنا جوعنا للرفات
المحدق في ما سيقمى حاسرا
من أحبتنا المتعينُ
سلام على الخوف في قعر أحلامنا
المرهقةُ

سنسأله أن يكون حريصًا على ما تركنا هنا للحنينُ

يحدّد محمود المسار التأويلي الذي سيستخذه أفق التلقي بإيراده علامة «كرونا» عقب ختام النص، مانعًا بذلك احتمال أن يتخذ التأويل مسارًا آخر لملء بياضات النص، وهو شأن متكرر لدى الشاعر، تارة باختيار صورة تحدد مسار التأويل، وتارة أخرى بمثل هذه العنونة التي تعقب نهاية النص، وتارة أخرى بهما معًا، وكلا الطريقتين توفّران مداخل موطئة للنصوص، تحدد أفق التلقي المتوقع، وتناسب مع جزء من الفلسفة التي تقوم عليها وسائل التواصل الاجتماعي؛ بما هي أدوات اتصال مع عموم الناس. بيد أنه يورد مثل هذه العلامات بعد ختام النصوص، لا على النسق المعهود في كتابة العنوانات، جاعلاً بذلك للنص مكنة أن يفتح أفق تلقيه الممكن عند كل قارئ، قبل الوصول إلى ما يحدد هذا الأفق ويكشف عن مساره الأساس.

يرد هذا النص مرفقاً أيضاً بصورة للشاعر بصحبة شخص آخر على بعد مترين تقريباً، تَبين فيها الملامح مضببة ومعتمة، وبخاصة ملامح رفيق الشاعر في الصورة، وسط مساحة يملؤها مشهد قليل الإضاءة لمنحدر جبلي، وفق نسق معتاد لدى الشاعر لنشر صورته في خلوات طبيعية كهذه، مع فارق وجود رفيق لهذه الخلوة في صورة هذا النص؛ يؤنس الوحشة التي يحدثها النص بسرديته، كما تحدثها الصورة بضباية إضاءتها.

يؤجج النص منذ افتتاحه مشهد التفشي الذي يُعرف للوباء = الغريب، فيجعله في تسابق مع الزمن للوصول إلى ثلاث علامات للحياة: الماء، والحب، والعافية؛ ليقضي عليها في سعيه إلى القضاء على الحياة، وفقاً لما يمكن أن نفهمه من سياق ورود هذا الدال «الغريب»، وتشحذ التفعيلة المقطوعة في السطر الأول والتي تجد تمامها في السطر الثاني سرعة دال الاستباق؛ مساندة الغريب في وصوله إلى مراده المحتّم؛ لجرأة الاعتياد التي يصرّح بها النص في سطره الرابع؛ حيث اعتياد غياب علامات الحياة أو بعضها «مليون ميتة».

يعرض النص هذه السرعة للقضاء على علامات الحياة في مشهد استباق يفرض على ذهن المتلقي تصوّر متسابقين عدة، ليس «الغريب» إلا واحداً منهم، ويجعل له صفة الغربة ليكون طارئاً جديداً على هذا المشهد الجنائزي الذي اعتاد فيه الإنسان على تعدد أسباب الموت، بما هو الموت ميلاد آخر. هنا تحديداً يُحسن النص مزج الحياة بالموت، حيث يجعل لكل موت ولادة جديدة تعقبه، ويكرّس هذا المزج حين

يوحّد نهاية (الهاء الساكنة) بين «العافية» و«ميتة»، متعمّداً رسم علامة السكون في كلا اللفظين منعاً لأي تحريك ممكن، بوصف اللفظ الأول علامة جليّة للحياة، في حين أن اللفظ الثاني علامة أصليّة للموت.

يستمر عرض هذا التوحد بين غاية الغريب «الموت» والحياة عبر تنامي النص؛ إذ ينسب الجوع إلى الرفات إلى جماعة المتكلمين «جوعنا»، وكأن التسابق إلى القضاء على علامات الحياة يحدث بين هذا الغريب والمتكلمين الذين ينطق الشاعر باسمهم، محاولاً بهذه المفارقة أن ييني بيأصاً يغذي تأويل النص، مخرجاً عاديّة معاداة الوباء القائم إلى فعل شبيه بالمشاركة له في غايته؛ وحينئذٍ، تبرز شعريّة ألم الفقد؛ إذ يتحوّل اعتياد الفقد = الموت إلى جوع يتنظر مزيداً من فقد الأحبة، حتى يصل تنامي النص إلى التصريح المباشر بالمعنى عبر الموقف من الغريب في أسطره الثلاثة الأخيرة، ووفقاً لهذا المسار في القراءة؛ فإن النص ينقلنا تدريجياً من انفتاح أفق التأويل إلى تحديده، وصولاً إلى الإعلان عن المسار التأويلي المفترض للنص في عنوانه الوارد بعد الختام.

يؤكد النص عاديّة فعل هذا الغريب مراراً منذ مشهد التسابق الذي يستفتح به، مروراً بالاشتراك الذي يوهم به بين فعله وفعل جماعة المتكلمين في لفظ «جوعنا»، وصولاً إلى السلام المدعو به للأحلام المرهقة من الخوف؛ فيجعل هذا الواقع المشاهد ضداً للأحلام؛ أي عاديّة الموت والفقد في مقابل حلم بالنيقوض لا يأتي؛ ولذا يختم بالتنازل عن الحلم في مقابل أن يترك هذا الواقع المتجدد مع مجيء الغريب للإنسان ما يبقى بعد الفقد: الحنين، موحّداً بين قافية «الحنين» و«المتعبين»؛ بما هما اشتراك في المأل النفسي؛ إذ الحنين حنينٌ

إلى الأحبة المتعبين، كما هو تعب في حد ذاته، تعب يتجدد ويمتد بامتداد الصوت حين نطق قافية الياء والنون. وحينئذ، ندلف بهذه المحمولات من النص إلى الصورة المرفقة به؛ لنلفي احتماء بالرفيق من هذه الغربة الروحية التي يحدثها الغريب بفعله.

نقرأ أيضًا في سياق مقارنة الوباء بتويتير نصوصًا عديدة للشاعر إبراهيم سعيد، ينشرها بارتباط مع الحوادث ارتباطًا يربك أحيانًا ما يستطيع به المتلقي التفرقة بين الشعر والنثر، بخاصة أنه يكتب قصيدة النثر، فيلجأ بعض القراء إلى اعتماد طريقة توزيع الكتابة على الأسطر لتلقي النص بوصفه شعرًا أو نثرًا، ويمكن لحظ مثل هذا في النماذج الآتية:

فقد نشر بتاريخ 26 مارس بعد وقت قليل من بدء تفشي الوباء في عُمان:

درس بليغ من الطبيعة للإنسان

بلا كلمات

وفي: 11 أبريل بعد اتخاذ كثير من الدول تدابير إغلاق لمنع تفشي الوباء:

لم تقف الأرض

لكن هذا هو العام

الذي وقف فيه

العالم.

وهما نصّان سيدخل إليهما القارئ غالبًا بوصفهما شعرًا بسبب هذا التقطيع الشكلي؛ في حين أنه غالبًا ما سيقرأ النص الآتي المنشور في: 9 أبريل بوصفه نثرًا:

جاء الزمن الذي يُحمد فيه النأي وتمتدح العزلة كما قيل البعد سعد والخلاء جنة.

ومشكل عدم التفرقة إلا اعتماداً على التقطيع الشكلي هو مشكل عام في تلقي الشعر، وبخاصة في العالم العربي منذ انطلاق دعوة «قصيدة الشر»، وليس بالإمكان تجاوزه إلا وفق قراءة تقرأ الشعرية في الشكل والمضمون معاً، وليس هنا محل نقاش هذا⁽¹⁾؛ بيد أنني أثرت الإشارة إليه لسياق وروده عند الشاعر هنا آملاً أن يثير شغفاً ما لدى قارئ عابر.

نشر إبراهيم سعيد نصّاً طويلاً في: 9 مايو بسلسلة تغريدات تحت عنوان «الممرضات»، يعرض فيه بكل مقطع زاوية للنظر إلى العمل الذي تقوم به الممرضات، في سياق خطابي عام تفتش فيه تبجيل عمل ما سمي بـ«الخط الدفاعي الأول» في وجه الجائحة، ولأن النص طويل، ويقدم كل مقطع منه تقريباً صورة شعرية تامة؛ فإنني أقتصر على إيراد مقطعين يتشلان التلقي من مجرد التشبيهات المعتادة لعمل الممرضات إلى إضاءة جانب مهم من عملهن:

(1) في الواقع.. ليس هذا المشكل محصوراً في القراء العاديين، بل إنه ينطبق على المتخصصين أيضاً، ومن المفيد هنا أن أورد الاقتباس الآتي من تيري إيغلتن: (لقد رأينا أن تقسيم النص إلى أسطر على الصفحة هو تلميح لاعتباره كتابة خيالية، ولكن يجب أن نتعلم أيضاً أن نعطي اهتماماً خاصاً للغة نفسها – لنعيش تجربة الكلمات والأحداث المادية، بدلاً من التحديق فيها بحثاً عن المعنى. بيد أنه في معظم الشعر ليس الأمر مسألة عيش تجربة مع الكلمة بدلاً من المعنى، وإنما الاستجابة لكل منهما معاً، أو استشعار بعض الروابط الداخلية بين الاثنين). تيري إيغلتن، كيف نقرأ القصيدة، ترجمة: باسل المسالمة، ص 86، ط 1، دار تكوين، دمشق، 2018م.

لطفهن في الألام
محاولتهن المخلصة
من أجل الحياة
تحت ضغط القرارات الإدارية
وكيلاتنا أمام برود المباحض الجراحية
وشفيعاتنا في مذبح غرف العمليات.
يتحطمن هناك
في الأركان القصبة
وهن يجاهدن
لتحقيق آمال المرضى
كأنهن ملائكة رحمة
في مبنى الجحيم.

بيدأ المقطع الأول هنا بجملتين معتادتين في وصف عمل الممرضات؛ بيد أنه يتشمل الصورتين من عاديتهما حين يفاجئ القارئ بصراحة أن هاتين الصورتين هما وجه مقاومة تتجاوز مجرد المرض الذي اعتدنا أن نحصر عمل الممرضات فيه، إلى مقاومة ضغط القرارات الإدارية التي تمس حياة المريض، بما هي قرارات تقدم نقيضاً للعمل المخلص الذي تقوم به الممرضات من أجل الحياة كما يقدمه النص، ولئن كان النص بمثل هذه الصراحة في المعنى يضحى بما نألفه في نقل العادي من الكلام إلى غير العادي عبر الاستعارة؛ فإنه يتوسل هنا بعدم عادية المعنى، ثم يتخذ من السطرين

الأخيرين من المقطع سبيلاً لعودة طريق ابتناء الشعرية بالصورة. يجعل المقطع للممرضات إذن فعلين يعبران عن «لطفهن في الآلام»، فعلاً يتوجه إلى مقاومة المرض، وفعلاً يتوجه إلى مقاومة تشييء الإنسان، ويقدم الفعلين بوصفهما سعيًا منهن إلى إبقاء الحياة، مكرّساً بذلك النظر إلى عملهن بتجاوز مجرد الاقتصار على أداء مهنة، إلى أداء الإنسانية في واحدة من تجلياتها الواضحة في مواجهة الآلية التي ينجرف إليها الإنسان بفعل الروتين، وهو ما يؤججه المقطع اللاحق واصفاً الألم النفسي في سبيل تحقيق آمال المرضى. في كتابة مفترضة للمقطع الأول يمكن لنا أن نورد الأسطر الثلاثة الأولى هكذا:

لطفهن في الآلام

محاولتهن المخلصة من أجل الحياة

بيد أن الشاعر يختار تقديم هذه الأسطر الثلاثة بامتلاء سطري قصير، مفرّقاً بين ما يقدّمه النص في وصف العمل الإنساني، وما يعرضه لاحقاً عن القرارات الإدارية، فيجعلنا نستوعب المحمول في الأسطر الثلاثة الأولى بالسرعة التي تبين أنه عمل إنساني أساس لهن يؤدّينه بتلقائية، في مقابل امتلاء سطري طويل لضغط القرارات الإدارية، مؤشراً بذلك على طول محمول هذه القرارات، وهو ما يكرّسه بالسطرين الأخيرين من المقطع حين يعرض الصراع الطويل بين عملهن الإنساني وتجليّات القرارات الإدارية، ثم يعود إلى الامتلاء السطري القصير حين يذكر مرة أخرى عملهن الإنساني في المقطع الثاني.

وعلى الرغم من أننا أمام نص كتب بصيغة «قصيدة النثر» التي يحلو للبعض

أن يمارس بها توزيع الكلمات واختيارها اعتباراً؛ فإنه يمكننا في هذين المقطعين تتبع بعض النهايات التي اختيرت بعناية، من نحو المدود التي تبين عن طول في المحمول: «الآلام، الحياة، العمليات، المرضى، الجحيم»؛ إذ إن كل لفظ من نهايات الأسطر هذه يقدم محمولاً يتسم بالطول: أي طولاً في النطق به، وطولاً فيما يحمله من دلالة معاناة الألم، أو إخلاص للحياة، أو ألم العمليات، أو ألم المرض، أو عذاب جحيم المستشفى. كما يمكن لحظ الجزم الذي يتحقق بقطع الصوت الذي تحتمه النهايات الآتية: «الإدارية، الجراحية، القصية»، حيث في كل لفظ منها معنى للجزم القاطع؛ إذ القرارات الإدارية جازمة التنفيذ، كما أن المباضع الجراحية جازمة الفعل، والأركان القصية جازمة التحطيم لنفوس الممرضات.

تلك نماذج ثلاثة من الشعر الذي نشره الشعراء العمانيون على حساباتهم بتويتر، وعلى الرغم من كونها لا تمثل كل المنشور بطبيعة الحال؛ فإنها تؤشر إلى افتراض يمكن تتبع وروده في عديد من النصوص الشعرية المنشورة هناك، وهو أن الوباء لا يعرض في كثير منها بوصفه عدواً، ضمن سرديّة تفترض مقاومة له، وإنما يسعى الشعر إلى مقارنة المشاعر الإنسانية التي صحبت تفشيه، كمشاعر العزلة امتداداً أو شكوى، والحنين والفقد، والبحث عن الجمال وسط الحطام النفسي الذي يخلفه، وغير ذلك؛ في حين أن نظماً كثيراً قارب هذا الوباء مباشرة، واعظاً أو ناصحاً أو باكياً، بل إن بعض النظم وجد له طريقاً أوسع للانتشار لما يوفره من توقيع صوتي تقليدي، ومباشرة للمعنى تلبى احتياج المتلقي.

المحور السردي

عزاء الأدب⁽¹⁾

أ. زوينة سالم

روائية وقاصة

• الأدب يقدم العزاء

القصة ستظل دائماً الإبرة الناعمة التي نخيط بها أيامنا حين تواجهنا المآسي، من منا لم يبحث عن عالم مواز يمكنه أن يعيش فيه قصة مختلفة عن قصته الحقيقية، يقال إن القصص تضمدر روح الإنسان وتهدئ روح قلبه، وتهدهد مخاوفه وتجيب عن أسئلته -ليست هذه الحاضرة فقط بل تلك الغائبة أيضاً- في ظل عجزه عن صياغتها. إذا كان التاريخ يوضح تأثير الأوبئة على مجتمعات بأكملها؛ فإن الأدب يمنحنا رؤية أكثر حميمية، ولأن المحور عن السرد فقد اخترت له عنوان «عزاء الأدب» وهو عنوان قريب الشبه بعنوان كتاب فلسفي، أجد أنه من المناسبة توطئته بقصة ألهمتني لكتابتها، وهذا ربما اعتراف ضمني إننا بطبيعتنا نفضل القصص على الكثير من كلامنا.

القصة باختصار -أرجو ألا يخل بالمعنى- تقول: إنه بينما كان بوثيوس

(1) المحور يقرأ السرد منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى 1

يوليو 2020م.

(وهو سياسي بارز، وفيلسوف وكاتب) في سجنه معذبًا ومستوحشًا، محاطًا بمشاعر الظلم والخذلان، منتظرًا الموت ظلمًا بتهمة الخيانة العظمى لوطنه، كتب تحفته الأدبية «عزاء الفلسفة»، فأصبحت من أكثر الكتب الفلسفية شعبية وتأثيرًا، كتبها بحثًا عن عزاء يجعله يتقبل انقلاب حظه، وتغيّر مصيره من رجل دولة رفيع المستوى إلى سجين، الحقيقة. أنه كان يحاور نفسه، ولكنه وثق تلك الحوارات وكأنها تدور بينه وبينه امرأة ملائكية الصفات، وجميلة بشكل لا يوصف، تزوره شخصيًا في زنزانته، لتحاوره وتخفف أحزانه وتهديء مخاوفه من الموت ظلمًا، وهي تجسيد للفلسفة «سيدة فلسفة»، يصفها الكاتب بأنها سيدة عظيمة تمتاز بوجه مهيب وعينين لامعتين وطول شاقق، ترتدي ثيابًا أنيقة لا تبلى، تحمل بيدها اليمنى كتبًا، بينما تحمل بيدها اليسرى صولجانًا.

تطرد السيدة فلسفة جنيات الشعر واللهو عن سريره، فهن (لا يمكنهن تقديم الدواء لأحزانه، سيغذيته فقط بسمّهن الحلو، إنهن يقتلن حصاد العقل المثمر بأشواك العواطف العقيمة، إنهن لا يحررن عقول الرجال من الأمراض، لكنهن يعوّدونهم عليها فقط). أما فلسفة فهي تجلس على طرف سريره، وتمسح صدره بلطف، وتجفف عينيه المليئة بالدموع بطية من رداؤها، تساعده في تبديد غيوم الكآبة، وستأخذ على عاتقها تعليمه طبيعة الحظ والسعادة، الخير والشر، القدر والإرادة الحرة، ومواساته ليدرك العزاء الحقيقي الذي يمكن أن يقدمه له البحث الفلسفي المجرد، فالفلسفة ولزم من طويل من أفلاطون إلى بوثيوس مرورًا بالرواقيين، كانت بمثابة مسكن للآلام البشرية. ما يميز العمل أن بوثيوس كتبه بطريقة مختلفة تمامًا عن أعماله السابقة (قبل

دخوله في محنة السجن وانتظار الموت)، قام فيه الكاتب بمزج الفلسفة والأدب في قدر واحد.

قبل الاطلاع على العمل تبادر إلى ذهني أنه عمل فلسفي محض، ولكن عندما قرأت بعض المقاطع منه وطريقة كتابته، وجدني أمام نص يحتوي على سرد مزخرف، رواية ذاتية كتبت بلغة شاعرية وأسلوب حوارى بينه وبين السيدة فلسفة، تناوب فيه الثر والشعر، إذ تتداخل فيه النصوص الشعرية بالتأملات الفلسفية، دعاني الأمر للتفكير أنه عندما يواجه الإنسان الكوارث في حياته قد لا تكفيه تأملاته العقلية للخروج من مأزق وجوده، هو يحتاج إلى ما هو أبعد من تفكيره المنطقي وتحليلاته العقلية، ليرتاح قليلاً من أفكاره المحبطة تحديداً، إلى الخيال الأدبي بكل جماله وأعماقه الخلابة، لهذا فمن المرجح أن يجد الإنسان العزاء في الأدب أكثر مما قد يجده في الفلسفة، فلغة الأدب يمكنها مخاطبة التفكير والحواس والوجدان، وليس التفكير فقط كما تفعل لغة المنطق والفلسفة، وأعتقد أننا بخطاب عقلائي نصل إلى ممالك العقل، ولكن بخطاب الأدب ومراكب الخيال نصل إلى ما هو أبعد بكثير من العقل والواقع، بل إلى أعمق منطقة مجهولة في الإنسان. وهذا يجعل مهمة تقديم العزاء للإنسان أقرب إلى طبيعة الأدب من أي إنتاج إنساني آخر.

الأدب مثل السيدة فلسفة البهية التي تخيلها بوثيوس لتجيب على تساؤلاته ومخاوفه وتخفف أحزانه، لكن المشهد اليوم لم يعد زنزانة فيها سجين على مشارف تنفيذ حكم إعدامه، بل غرفة فيها إنسان حبيس الخوف من العدوى، بالتأكيد ككل السجناء والخائفين سيبحث عن أي شيء يمكن أن يخفف عنه

حدة الخوف والقلق من آتٍ لا يمكن التنبؤ به أو الوثوق فيه. التواصل مع الآخرين والتسكع في طرقات الإنترنت المفتوحة قد يمرر الوقت للبعض ويمنح بعض السلوى، وعلى الرغم أن الفلسفة الحديثة قد تخلت عن تقديم العزاء، إلا أنها ستظل التعازي المحتملة التي يمكن أن يمنحنا إياها الأدب دائماً هي الأعمق والأجمل والأكثر بقاء في الروح، لأنها ببساطة تستطيع أن تداوي قلق الإنسان، وتقدم له الفلسفة والمتعة الأدبية في رواية واحدة، سيظل باستطاعة الأدب دائماً تقديم العزاء للإنسان على كل الآلام والمعاناة وخيبة الأمل واللاجدوى، وكل الإحباطات التي تأتي عادة في حقبة الجوائح والأوبئة.

في أوقات الأزمات تظهر أهمية السرد كأكثر الأشكال الأدبية التي يمكن أن تعيد تشكيل وترتيب الأحداث بطريقة تعيننا على الخروج من واقع مربك، وتمنحنا الضوء لرؤية المعنى الخفي لمعاناة البشر، المعنى الغائب عنا في الواقع يمكن أن يكون موجوداً في عالم آخر، هو عالم قصصنا الخيالية، كما تساعدنا على التعرف على أنفسنا بشكل نقي -خصوصاً- ونحن نواجه تجربة استثنائية، قد تشعرنا أننا أصبحنا غرباء حتى أنفسنا، كما قال المفكر الكندي تشارلز تايلور: (نحن نفهم أنفسنا بشكل لا مفر منه في السرد).

كم من المرات قد يشعر أحدنا أن قصة ما تدور عنه شخصياً، رغم أنها لا تمت له بصلة، وكما مرة ساعدتنا قصص جيدة في الاقتراب من أنفسنا وعبور مواقف صعبة في حياتنا، بالتأكيد القصص لا تقدم علاجاً نهائياً، لكن من يستطيع أن ينكر قدرتها على إضاءة القناديل المطفأة، وبناء الجسور الجديدة،

وهدم سياج العزلة التي تفرضها علينا الأوبئة.

• عندما يلهم الوباء الأدباء

(لطالما أحببت الأوبئة).. هذا ما صرح به غابرييل غارسيا ماركيز في مقابلة مع جريدة لوموند عام 1995م، لأنها تزيد من حجم كل المشاعر الإنسانية المرتبطة بالخوف. وبالفعل، عندما نقرأ رواياته فإننا نجد الأوبئة حاضرة في الرواية كخلفية للأحداث ومحرك للحبكة، فنجد «الطاعون» في «لامالا هورا» (في ساعة الشر)؛ 1961م، و«وباء الأرق والنسيان» في «مائة عام من العزلة»؛ 1967م، و«الكوليرا» في «الحب في زمن الكوليرا»؛ 1985م. وكما يبدو، فإن الأدب يزدهر تحت الظل الطويل للوباء التي تجذب القوة الإبداعية للكتاب، نظرًا لأهمية فكرة الوباء وقوة حملاتها الرمزية، سواء أكانت أوبئة حقيقية مثل: الطاعون والكوليرا والإنفلونزا، أو أوبئة متخيلة مثل: وباء العمى الأبيض والأرق والنسيان.

الأوبئة والكوارث مصدر إلهام، احتل مكانة مهمة في النصوص الأدبية، حيث أمدت الأدب بعشرات النصوص الأدبية الخالدة، أحياناً كمجاز أخلاقي أو كروية مخيفة للمستقبل، وليس مستغرباً ذلك. فبالإضافة إلى ماركيز هناك كتاب آخرون ممن حازوا جائزة نوبل للآداب تناولوا أيضاً موضوع الوباء في رواياتهم التي تعد من العلامات الأدبية البارزة في عالم الروايات، وهم: ألبرت كامو صاحب رواية «الطاعون»، ونجيب محفوظ صاحب رواية «الحرافيش»، وخوسيه ساراماغو صاحب رواية «العمى»، وسيفتانا ألكسيفيتش صاحبة «صلاة تشرنوبل».

ما يدعوني للقول إن النصوص العظيمة تتشكل من رماد الأوبئة أو الحروب في أبهى الصور، فبالرغم مما خلفته تلك الكوارث من خراب على مختلف الأصعدة؛ إلا أنها على الجانب الآخر تهبنا معجزة رؤية ما غيبته عنا الحياة العادية، هي مثل عدسة مكبرة تكشف عن خفايا الإنسان، بأفضل وأسوأ ما فيه، وأقوى وأضعف مواقفه، وعظمته وهشاشته. ببساطة، تجعلنا نعيد النظر في أحكامنا على الحياة وعلى أنفسنا، مما يجعلها أرضية صلبة وخلفية مهمة لطرح تساؤلات عميقة، تفرض نفسها في أوقات الكوارث والأزمات، وخلفية من خلالها يمكن مناقشة أفكار عميقة ومشاعر إنسانية ملحة، ونطرح تساؤلات قديمة حول الخير والشر والحب وجوهر الإنسان. (إذا كان التاريخ يوضح تأثير الأوبئة على مجتمعات بأكملها؛ فإن الأدب يمنحنا رؤية أكثر حميمية) يقول المفكر الأمريكي الدكتور تايلر ستوفال.

وهكذا، نجد هذه العلاقة المتبادلة بين الأوبئة والأدب، فبينما تلهب الأوبئة خيال الأدباء وتقدم لهم مواد ومواضع جديدة تمكنهم تقديم نصوص استثنائية. وفي هذا السياق، من المناسب ذكر أن ظهور الإيدز (الناجم عن فيروس نقص المناعة البشرية) في الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي؛ تحديداً عام 1981م، الذي صنّف أيضاً بأنه وباء، ساهم بدوره في ازدهار الأدبيات التي اتخذت الهجمة الفيروسية على الإنسان موضوعاً لها، فخلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، كتبت مئات الروايات والأفلام في المشهد الأدبي الأمريكي والأوروبي والعالمية، التي ركزت على موضوع مرض نقص المناعة، من خلاله ناقشت الحب والسعادة، والحياة والموت، والخوف المجتمعي،

والعلاقات الاجتماعية، وبشكل عام العلاقات بين البشر. إذاً، فالخطاب السردى يأخذ على عاتقه مهمة تسجيل ذاكرة الأحداث بطريقة الخاصة، وترتيب فوضى الواقع وتنظيمه بحبكة سردية أكثر تماسكاً، فبفضل الروايات العظيمة يمكن للإنسانية أن تعيد تنسيق فوضى الأحداث في سياق جديد، يمكن أن يكون له معنى أكثر وضوحاً في أرواحنا، ويستطيع أيضاً أن يقدم بعض الإجابات الشافية للأسئلة العظيمة التي تفرض نفسها خلال الأزمات الكبرى، بالتأكيد هو لا يقدم إجابات طيبة أو يقينية، ولكنه يستطيع أن يأخذنا إلى أعماق البشر الذين يواجهون لأول مرة حياة لا يعرفونها، يسودها الخوف وضبابية الرؤية، يمنحنا بصيرة لمشاهدة قوتهم وضعفهم ومخاوفهم، وكيف أثرت الأزمة على وجودهم وعلى علاقاتهم بالله وبالآخرين، ونظرتهم للمستقبل في ظل الخوف من المجهول وانعدام اليقين.

باختصار، كما وصف المفكر الأمريكي الدكتور تايلر ستوفال: (إذا كان التاريخ يوضح تأثير الأوبئة على مجتمعات بأكملها؛ فإن الأدب يمنحنا رؤية أكثر حميمية.. يأخذنا الأدب إلى ما وراء إحصائيات الوفيات العالمية ودرجة الانتشار، فيظهر لنا كيف أثرت الأزمة على حياة الأفراد المصابين، وكذلك أصدقاؤهم وعائلاتهم وجيرانهم).

بشكل عام، فإن الوباء يرتبط بالحكاية بأبسط أشكالها وأكثرها تعقيداً، فالحكاية تنقل الأخبار والمخاوف، كما أنها تلهي عنها أيضاً، سواء الحكايات المتناقلة شفهيًا أو الحكايات المكتوبة على هيئة أخبار وتقارير رسمية، فمنذ اللحظات الأولى التي يتم فيها تناقل خبر الوباء؛ فإن الحكايات

هي سيدة الكلام خلال أزمته الأوبئة، فالإنسان يجد في الحكايات الخلاص الذي لا يمكن أن يحققه في الواقع، أو على أقل تقدير قد يجد فيها السلوى، وفي زمن كورونا (كوفيد19) بدأت الحكاية من الصين، فانتشرت كما ينتشر الفيروس بلا رحمة حكايات حقيقية أو مختلقة، إشاعات أو دعايات، لا تخلو من الغموض والإثارة وفقدان اليقين حول مدى كونها واقعاً أو خيالاً، حقيقة أو افتراءً، ولكن هذا كله لم يمنع تناقلها، لأن الإنسان بطبعته يحب الحكاية، ففي سعادته تشعره الحكايات بالانتشاء، وفي حزنه تقدم له العزاء والسلوان.

• رسائل كامو إلى زمن كورونا

الأهمية الكبرى للروايات أعاد اليوم إلى الواجهة الأعمال الأدبية العظيمة، التي استلهمت من الأوبئة قصصها أو استعارت الوباء لتوصل رسالة للإنسانية، ولا عجب أن يتصدر «الطاعون» لألبرت كامو الذي يعود تاريخ طبعته الأولى إلى عام 1947م، قائمة أكثر الكتب مبيعاً في عام 2020م في جميع أنحاء العالم، وهذا يعكس بشكل غريب الحياة التي عرفها العالم خلال جائحة كورونا (كوفيد19)، ويشرح حالة الإنسان في مواجهة الوباء والأزمة الوجودية التي يشكلها المرض.

إن كامو لم يصور فقط معاناة الناس، ولكنه درس أيضاً الأبعاد العاطفية والاجتماعية للوباء، كما أن الرواية فيها ما يمكن وصفه بالنهج المتفائل نسبياً، ودعوة للتمسك بالأمل في أحلك الظروف، أو كما وصفها الكاتب الأيرلندي

كونور كروز أوبراين بأنها «موعظة الأمل»، تخبرهم أن الحياة تستحق النضال والتضامن، بصرف النظر عن نتيجة هذا النضال أكان مكسباً أم خسارة، وهذا التضامن والإيثار هو سبيلنا الوحيد للحصول على الأمل والمعنى لاجتياح الوباء لنا.

وهذا ما جعلني أختارها في هذه المقال كنموذج روائي على أدب الوباء، وما يمكن أن يضيفه للإنسانية وهي تمر في ظروف استثنائية، على الرغم أن العمل تمت قراءته جزئياً باعتباره رمزاً للمحنة فرنسا تحت الاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنه من الروايات التي (يمكن قراءتها على عدة مستويات) كما صرح المؤلف بنفسه، فيمكن قراءتها من منظور رمزي فلسفي عدمي وعشبي، وتمثيل أدبي لأسطورة سيزيف، أو سياسي باعتبار الطاعون رمزاً للفاشية والديكتاتوريات الظالمة، أو من وجهة نظر أدب الأوبئة؛ أي بالمعنى الحرفي للوباء وما يكشفه لنا من أمور لم تكن متوقعة.

الرواية، باختصار، تدور في مدينة وهران الجزائرية، في الأحياء ذات الأكثرية الأوروبية، حيث إن العرب لا يظهرون في القصة، يدور السرد المركزي حول ردود فعل المجتمع بكل شرائحه تجاه تفشي الطاعون، وهو طاعون متخيل؛ بمعنى أنه لم يحدث فعلاً في وهران ذلك العام. افتتح الرواية برنارد ريو بطل الرواية الفرنسي في أحد أيام الربيع في وهران الربيعية، عندما يجد فأراً ميتاً على عتبة بابه، لكنه لا يجد الوقت ليلتفت للأمر، بسبب اشتغاله بمرض زوجته وسفرها المرتقب، مع مرور الأيام تستمر الفئران في النفوق، ومع هذا فإن الصحف لا تذكر حقيقة ما يحدث، والحكومة تعاني من بطء في

ردود الفعل، والتقليل من حجم الخطر المتوقع، فترفض الأخذ بنصيحة الأطباء بالتعجيل في اتخاذ التدابير الصحية الضرورية، لاحتواء المرض قبل انتشاره، فيستمر نفوق آلاف الفئران، تلاها القطط والكلاب، وأخيراً يبدأ المرض في إصابة البشر، فيتم عزل المدينة لتتحول إلى سجن كبير، في الأيام الأولى من الوباء يرفض الناس تصديق ما يحدث، فيعاملونه كأنه حلم سيء، تماماً كما حدث مع بدايات تفشي فيروس كوفيد19، ولكن عندما تأكد لهم أنه الوباء؛ بدأ كل واحد يهتم بالنجاة بنفسه دون الاهتمام بالآخرين.

في الجزء الثاني، يصبح الطاعون هَمَّ الجميع، يشكل تارو فرقاً صحية تطوعية، يتطوع فيها العديد من الناس للتحويل في مواجهة الوباء من الشكل الفردي إلى التضامن المجتمعي، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن شخصية جان تارو هي الشخصية الأكثر لفتاً للانتباه، والتي في تقديري وُجِدَت لتحدث بلسان كامو الفيلسوف، وتمثل أسطورة سيزيف بجدارة، يمكن وصفه بالقديس العلماني في الرواية مقابل القديس اليسوعي، فعلى الرغم من كونه غريباً ويفتقر للتدريب الطبي المهني، إلا أنه بدافع الشعور بالمسؤولية الشخصية يفعل ما يمليه عليه ضميره، وهو النضال ضد الوباء بدون التفكير في النتائج.

في الجزء الثالث، يلتهم وحش الطاعون كل شيء، الصيف الحار زاد من وحشية الطاعون، فقتل الكثيرين، حتى امتلأت المقابر ولم يعد هناك مكان لدفن الجثث، لتحرق وسط تضخم مخاوف الناس، وكأن للموت الجماعي معنى آخر يختلف عن معنى الموت الفردي. والمفارقة، أن زيادة الموت

البيولوجي أدت أيضًا لارتفاع الموت الأخلاقي للبعض، كالجشع واستغلال تجار المصائب الناس، لأجل تحقيق المزيد من الثراء بفضل السوق السوداء. في الجزء الرابع، يقرر الطبيب تجربة المصل على الطفل جاك، والنتيجة يموت الطفل تاركًا الكبار في جحيم اليأس واللاجدوى، وعبثية الأسئلة الكبيرة مثل: كيف يمكن أن يكون هناك إله جيد في عالم يعاني فيه الأطفال؟ تتفاوت وجهات النظر بين الإيمان المطلق بالله والرفض المطلق لوجوده. في ظل المعاناة والعجز؛ يرى دكتور ريو الذي لا يؤمن بالله أن طريق الخلاص بين يديه، والسماء لن تمطرهم بالخلاص. أما الكاهن؛ فإن موت الطفل يقع مثل مطرقة ثقيلة على كل أفكاره، فيتناثر إيمانه بين المتناقضات، ولكنه يستسلم لإرادة الله بإيمان كامل بأنه (قد نحتاج إلى حب ما لا نفهمه).

في القسم الأخير، يغلط كامو الرواية بطريقة أكثر تفاقؤًا مما هو معروف عنه، عندما يتمكن الطبيب كاسل من إنتاج مصل جديد ويجربه على مريض آخر، فيحقق له الشفاء، ليبدأ شبح الوباء بالتلاشي تدريجيًا، فيتم إلغاء الحجر الصحي، ويتدفق السكان متشدين إلى الشوارع كأنهم كلهم ينتمون لأسرة واحدة هي الإنسانية، وتغيب الفروق الطبقيّة، فقد عرفوا (الآن.. أنه إذا كان هناك شيء واحد يمكن للمرء دائمًا أن يتوق إليه ويصل إليه أحيانًا، فهو حب الإنسان). والتضامن هو السبيل الوحيد لإنقاذ الإنسان، ولكن هذا الخلاص قد لا يكون نهائيًا، وهو ربما مجرد منطقة عبور من وباء إلى وباء آخر، فالطاعون لا ينضب، وكذلك فيروسات كورونا، فهي تهدد بالعودة في موجة جديدة في الشتاء (بكتيريا الطاعون لا تموت ولا تزول أبدًا، وأنها يمكن أن تبقى

عشرات السنين نائمة في قطع الأثاث والغسيل، تنتظر بطول أناة في الغرف والأقبية وصناديق الأمتعة والمناديل والورق، وقد يجيء يوم، لبلية البشر وعبرتهم، يوقظ فيه الطاعون جردانه ويرسلهم كي يموتوا في مدينة هائلة).

بالنسبة لهؤلاء الذين يقرأون الكتب؛ ستكون دهشتهم فائقة وهم يقرأون الحاضر من رواية كتبت قبل أكثر من سبعين سنة، سيشعرون أن طاعون كامو يمكن أن يمسك بيدنا في أحلك الظروف، ويهمس لنا برسائل يمكن أن تعطينا بارقة أمل، بالرغم من أن كامو بكل نباهته معروف بآسسه من الحياة البشرية في هذا العالم، إلا أنه استطاع أن يخفي رسائل الأمل المشفرة في طاعونه.

الرسالة الأولى: التفكير بأن الوباء هو عقاب سماوي لن يجعلنا أكثر حكمة في مواجهته، ولن يجعلنا أقوى إيماناً بالله، هل كورونا (كوفيد19) غضب الله على البشرية وعقابه لهم؟ لا يوجد أحد لم يفكر في هذا الأمر، أو على أقل تقدير يقرأ عنه في الصحف والمواقع، ولكن هل الإجابة كفيلة بوضع حد للمرض، يبعث الأمل في الحياة، بزيادة الإيمان بالله. عندما تنزل المصائب والأوبئة في أرض تنزل معه التفسيات والجدال والحكايات الموبوءة باللعنات، أعاد كامو كتابة الجدل الدائر بين الدين والطب بطريقته الخاصة موضعاً وجهات النظر المختلفة، في حين يصر الكاهن بأن الطاعون عقاب سماوي، والخلاص سيأتي أيضاً من السماء، وطاعة الله ستشفي أي ألم، ويدعو الناس للاستسلام للإرادة الإلهية، يؤكد الطبيب ريو أن مواجهة الوباء تكمن في وضع التكهنات جانباً والتركيز على ما هو حقيقي، (إن الأوبئة موجودة على هذه الأرض وهناك ضحايا، والأمر متروك لنا، قدر الإمكان، ألا

نتكاتف مع الأوبئة). ويستمر في البحث عن الأسباب الطبية للطاعون وحث زملائه على إيجاد ترياق. مع اجتياح كورونا (كوفيد19) العالم؛ ارتفعت الكثير من الأصوات التي تندد بالبشرية، وتعتبرها المسؤول الأول عن الجائحة، وما كوفيد19 إلا جند من جنود الله، تعاقب الإنسان على طغيانه في الأرض، والحل هو التوبة والعودة إلى الله، لدرجة أن البعض اقترح علاجات لا تمت للطب بصلة.

وتجدد الإشارة هنا إلى أن طه حسين أشار أيضًا إلى هذه العلاقة المربكة بين الدين والعلم في مواجهة الأوبئة في كتابه «الأيام»، واصفًا هذا الأمر بقوله: (وتبدو المفارقة واضحة بين سيدنا الذي يكثر من عمل «الحُجُب» كتعويذة لحفظ الإنسان، وبين مصلحة الصحة والأطباء الذين يعتمدون وسائل الطب الحديث، بينما ظل عامة الناس في هلع دائم من انتشار الموت، الذي أدى إلى هوان الحياة عليهم، فكان سؤال الأم عمّن سوف تنزل النازلة به إرهاسًا بموت ذلك الابن النجيب).

الرسالة الثانية عن القيمة الحقيقية للإنسان، وما يجعل للحياة معنى رغم المعاناة؛ (عظمة الإنسان تكمن في قدرته على الحب، وليس في طموحه الشخصي)، ويمكن أن تكون فرصًا لتطوير مسؤوليتنا الأخلاقية وشجاعتنا، فأسوأ الأوبئة ليست البيولوجية بل الأخلاقية المتمثلة في الأنانية المفرطة وانعدام التضامن، ولكن هذا ليس كل شيء، فالأوبئة قادرة أيضًا على إظهار بطولات الناس العاديين حين يقومون بأعمال فائقة (ما يصح في كل شرور العالم يصح في الطاعون أيضًا، إنه يساعد الرجال على النهوض فوق أنفسهم)

ومساعدة بعضهم البعض. الجانب المشرق من الأوبئة ظهور هؤلاء الناس الذين قد يضحون بسلامتهم من أجل إنقاذ ورعاية الآخرين، كما عبر الطبيب ريو (هناك المزيد من الأشياء التي تستحق الإعجاب في الرجال أكثر من تلك التي تدعو للاحتقار).

الرسالة الثالثة عن الألم والمعرفة (لا يوجد شيء جميل في الألم، لكنه بلا شك يفتح أعيننا، ويجبرنا على التفكير والمعرفة الجديدة)، توقع المرض والموت يحرم الإنسان من إحساسه الزائف بالأمان، يضعه أمام الأسئلة الأساسية التي يتجنبها أو يؤجلها عادةً، والحجر الصحي ومشاعر النفي التي تزايد طول العزل، وتوقف الحياة التي عرفها الناس قبل الوباء، (ربما مع الحجر سيكون لدينا بعض الوقت للتفكير فيما هو حقيقي، وما هو مهم، وأن نصبح أكثر إنسانية)، ما فعلته العزلة في طاعون كامو ليس مختلفًا كثيرًا عما فعلته العزلة في زمن كورونا (كوفيد19)، يجعلنا نتأمل الوقت البطيء الفارغ بشكل مختلف، وغيرتنا من الداخل، يحذرنا كامو (أن يأتي الطاعون ويختفي دون أن يتغير قلب البشر). نعم، سيكون من العبث أن تعبر الإنسانية جائحة كوفيد19 دون أن يفكر البشر، ولو بشكل بسيط، في إنهاء معاناة الجوعى واللاجئين والمهجرين.

الرسالة الرابعة: الحرص على أفراح صغيرة في الحياة اليومية خلال الوباء؛ تجعل الإنسان أكثر تقبلاً لعبء وجوده وسط المعاناة، فعندما تغرق المدينة بأكملها في الطاعون يجد الطبيب ريو وصديقه وقتًا للسباحة في البحر، تحت ضوء القمر ولألأة النجوم لفترة وجيزة دون التفكير في الطاعون، فتغمرهم

فرحة لا توصف، كافية لالتقاط أنفاسهم لمواجهات جديدة ضد الطاعون، بعد أن أدخل فيروس كوفيد19 الحياة في شلل، كثيرون تعلموا لأول مرة تقدير المتع البسيطة، التي لم يكونوا يلتفتون إليها عادة، مثل استنشاق الهواء النقي وروائح الأشياء الجميلة التي تشعرنا بألفة الأماكن.

• المستقبل وآفاقه: سرد ما بعد كورونا

- الأزمة الحالية هي فرصة لدفع حدود الإبداع

من المسلم به أن الأحداث المؤلمة مثل: الأوبئة والحروب تؤثر على كل ما سيأتي بعدها، على التاريخ والاقتصاد والسياسة والفلسفة، وسائر الإبداعات الإنسانية في الفن والأدب. تجدر الإشارة إلى أنه بعد الحرب العالمية الأولى مثلاً دخلت التقاليد الحداثية في الأدب، وشهدت الروايات تحولاً كبيراً، إذ ساهمت خيبة الأمل التي خلفتها الحرب في كسر الطرق التقليدية الرومانسية، والتحول إلى الحداثة، ومن خلال هذا التحول دخل الأدب روايات مختلفة في طرحها؛ مثل: «وداعاً للسلاح» لهمنجواي، و«السيدة دالاي» لفرجينيا ولف. كورونا (كوفيد19)، رغم كونها أوقفت الحياة التي عهدناها وقيدت حريات الناس، إلا أن الكتاب في مثل هذه الحالة يتحررون أكثر، يتحركون صوب أنفسهم، إلى حدائقهم الخلفية، تلك المساحة الخفية الشاسعة لأفكارهم وخيالهم، لا يملكون شيئاً للدفاع عن أنفسهم سوى أداة سحرية صغيرة، يمكنها تحويل الأزمات والجوائح إلى فرص لدفع حدود الإبداع. ولو عدنا للوراء، سنجد الكثير من الكتاب الذين قاوموا الوباء بمصل

الأدب، فشكسبير مثلاً تغلب على الوباء والعزل المنزلي بالإبداع، وكتب أفضل أعماله التراجيدية «الملك لير» و«ماكبث» و«أنتوني» «كليوباترا» وهو حبيس منزله، في خضم الطاعون في إنجلترا عام 1606م، كما تذكر المراجع التي تناولت سيرته.

العزلة والمعاناة يمكن أن تكونا مختبر الخيال لإنتاج الأعمال الإبداعية، فالتباعد الاجتماعي الذي فرضه الوباء على الناس تسبب في دخولنا جميعاً في عزلة قسرية، لا نستطيع أن ننكر بأن العزلة تعتبر شيئاً مخيفاً للناس العاديين، ولكنها وفقاً للنظرة الأدبية للعزلة تعتبر جزءاً أصيلاً من الكتابة، وحالة يحتاجها الكاتب لتعزيز الكتابة وازدهارها، وربما بحسب كافكا: (الكتابة.. هي العزلة المطلقة، الانحدار إلى الهاوية الباردة للنفس)، وهذا يبدو مرعباً جداً، ولكن ليس للكُتّاب، فعزلتهم نافذة سرية للهروب من سجن الأفكار المخيفة والمؤلمة، وممر أثيري لنصوص النجاة من الموت الفكري، حري بكل الكُتّاب إذاً أن يشمروا عن أقدامهم لأجل أعمال استثنائية.

إن هذا الوباء سيتمخض عنه العديد من الخطابات السردية بكل أنواعها، إلا أنه من الضروري أيضاً أن تكون استجابة الكُتّاب لهذه الجائحة حساسة وعميقة، والكتابة بحساسية فائقة تليق بحجم الجائحة والتحويلات التي أحدثتها في حياة الناس ونفوسهم، القيمة الحقيقية لهكذا عمل سردي قصة أو رواية ليس الإلهاء، بل التوثيق الحي والجميل والمقنع لزمن كورونا (كوفيد19)، الاندفاع في كتابة سطحية ومستعجلة عن حدث استثنائي ما زال مستمرًا لم تكتب له نهاية بعد؛ يتساوى مع عدم الكتابة، أو الكتابة المشوهة.

مع تفشي وباء كوفيد19 تغيرت الحياة التي عهدناها، ليست الحياة كما نعرفها في الخارج فقط، بل حتى الأفكار والأحلام التي تدور في رؤوسنا، واللغة التي نفكر بها، من المؤكد أن أي تغيير كبير يحدث في الحياة كفيل بإدخال تغيرات كثيرة على اللغة أيضًا، جائحة كورونا (كوفيد19) لم تؤثر على اقتصاد البلدان وصحتها فقط؛ بل أنتجت أيضًا عددًا كبيرًا من المفردات الجديدة، فلا وباء بدون لغة. وفي مفارقة عجيبة، فإن النقص الذي حصل في الخدمات والسلع قابله زيادة في اللغة، سواء في اللغة التي يحتاجها الناس للتعامل مع تلك المتغيرات داخل تفكيرهم أو بينهم، ولا عجب، فكما أصاب الفيروس حياتنا أصاب مفرداتنا أيضًا، وصنع لنا قاموسًا جديدًا، دخلت فيه الكثير من المفردات، سواء بنحت مصطلحات جديدة، أو إعادة كلمات قديمة لم تعد تستعمل إلى قيد الاستعمال؛ مثل: جائحة - كوفيد19 - التباعد الاجتماعي - الحجر الصحي - العزل المؤسسي - العزل الذاتي - المخالطين - تعقيم - تطهير - كمامة - أرعن كوفيد (Covidiot)؛ وهذه الأخيرة كلمة تشير إلى من يخترق قوانين الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي.

رغم كل شيء، فالتمهل في الكتابة أمر جاد، حتى لا تقع في فخ التفاهة، وفي تقديري فإن النصوص التي يمكن أن تتحمل الرواية بتفوق لحدث عظيم غير وجه العالم ما زال أمامها طريق طويل، وأكثر ما هو مطلوب اليوم هو التأمل المتمهل العميق، واصطياد كل التفاصيل الجديدة التي دخلت علينا مع الجائحة، وفرضت نفسها بسرعة مربكة على واقعنا الخارجي، للدرجة التي فقدت الأماكن والأشياء ألفتها المعهودة.

هذه التحولات لم يسلم منها عالمنا الداخلي، فهو أيضًا تغيّرت ملامحه، وتغيّرت معه طريقتنا في النظر إلى الأمور وتحسسها. بصيغة أخرى، نظرنا للأمور العادية تأثرت هي بعدسة الجائحة، ولم يعد أي شيء مثلما كان، هذا وصولاً إلى لغتنا التي دخل فيها الكثير من المفردات، التي لم نكن معتادين على استعمالها سابقاً، كل هذا التغيرات التي طرأت علينا بسرعة مربكة، ربما تجعل بعض الكُتّاب يشعرون بالعجز عن الكتابة، فهم حتى وقت كتابة هذا المحور ليس لديهم ما يكفي لأجل كتابة رواية جيدة، إذ لا يمكن الكتابة عن حدث بهذا الحجم من خلال التجربة الشخصية والخيال الخاص، فالأمر يتطلب الاستعانة بالعالم الحقيقي وتجارب الآخرين، ولكن هذا العجز لا ينبغي أن يكون سوى تمهيد لكتابة جادة، تتجاوز المشاعر والتجارب الشخصية إلى معاناة الآخرين. فالكُتّاب مع كل اختلافاتهم يشتركون في شيء واحد؛ هو أن الكتابة بالنسبة لهم هي طريق للانغماس في حياتهم الخاصة بعيداً عن الآخرين، ولا يمكن الاستغناء عنها.

- اتساع الفضاء السردي

تحت ظل الأوبئة تزدهر القصص أيضًا، وربما هذا السبب الوجيه لكي يعترف ماركيث بحبه للأوبئة رغم بشاعتها. مشهد الأثرياء وهم يحيطون أنفسهم بكل وسائل الصحة والسلامة في منازلهم الفاخرة، غير مباليين بالعالم الذي ينهار خارج قصورهم. مشهد رجل فقير يقوم بعمل يهدد حياته بعدوى الفيروس، ولكنه لا يبالي، ولسان حاله يقول: الموت من الجوع أسوأ من الموت من المرض. سيدة فقيرة تلتقط كمامة من الأرض لترتديها، تعبّر عن

الفقر والجهل في مشهد واحد يزن رواية طويلة. هجوم الناس على السلع في محاولة للحصول على أمان زائف؛ مشهد للجشع وعدم التضامن.

الأوبئة تفعل ما يمكن وصفه بلغة البناء، إضافة مواد خام جديدة واستثنائية لتشييد النُصب التذكارية الفارحة، وبلغة الأدب فهي تمنح الرواة لغة إضافية، وقصصاً جديدة، وفضاءً سردياً أكثر تنوعاً واتساعاً، والفضاء السردي في هذا السياق يشير إلى مساحة عالم القصة، أو مسرح الرواية، وهي البيئة المكانية المادية والنفسية والاجتماعية للرواية.

بالنسبة للبيئة المادية، فالجائحة فتحت لنا أبواب أماكن جديدة لم نكن معتادين عليها، أماكن داخل بيوتنا وخارجها، من المدهش أن البقاء في البيت كان بالنسبة للكثيرين تجربة فريدة، جعلتهم يتعلمون أشياء جديدة عن تلك البيوت، للدرجة التي يمكن اعتبارها مكاناً جديداً للبعض، أماكن الحجر الصحي سمعنا عنها الكثير، ولكننا لم نعرفها كمسرح لقصة إلا من خلال روايات قديمة. اليوم، هناك عشرات القصص التي يمكن أن تروى من خلال غرف العزل وغرف العناية المركزة، ووجوه الأطباء والممرضات المتعبة، والكمادات والعقاقير وروائح المطهرات، وطوابير الجوعى أمام المساجد، ومشهد الشوارع والمطارات الفارغة الذي نقلته عدسات المصورين، والمدارس المغلقة، والمدن التي صارت كأنها مسكونة بالأرواح فقط، وكل التفاصيل الحسية الأخرى لتفشي الوباء.

أما بالنسبة للبيئة النفسية، فهي تعبّر عن الجو النفسي الذي يحيط بالشخصيات والعمل الروائي. ومن جديد، فنحن اليوم نواجه غيمة رمادية من

الأفكار المحيرة، وسلسلة من المشاعر المختلطة، ضد هجمة المرض والموت، فالجائحة غيرت المشاعر والأفكار في لحظة وجد الإنسان نفسه يتنقل بسرعة هائلة من الثقة الهائلة في إنجازاته إلى اللايقين والتشكيك الكامل بكل شيء، حتى في اللمسة التي يتبادلها مع الآخرين، والهواء الذي يستنشقه، ومشاعره المتناقضة بين لعنة الخوف ومعجزة الأمل.

باختصار، اكتشف هشاشته أمام جبروت فيروس صغير، كل هذه التحولات تخلق على الورق شخصيات جديدة في رغباتها ومخاوفها، أملها ويأسها، سعادتها وتعاسفها، والكثير غيرها.

أما بالنسبة للفضاء الاجتماعي، وتمثله البيئة الثقافية والتاريخية والدينية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية، التي تعد مسرحاً خصباً للأحداث، فجائحة كورونا (كوفيد19) كغيرها من الكوارث أأمطت اللثام عن الوجه الحقيقي للمجتمعات، بكل حضارتها وثقافتها وأنظمتها الاجتماعية والسياسية ودياناتها، واستطاعت أن تسلط الضوء على الأوبئة الأخلاقية والسياسية والدينية، وكشف زلزالها الصامت بعض أعراضه، التي لم تكن ظاهرة قبله، مثل: العنصرية ضد المهاجرين والآسيويين والفقراء وكبار السن، رغم مفارقة أن الجائحة كسرت حواجز الطبقة في التنفسي، ولم تفرق بين غني أو فقير.

مما حصل انهيار الاقتصاد، وفقدان عدد كثير من الناس وظائفهم، وارتفاع سقف المعاناة، تغير طبيعة الالتزامات الاجتماعية والعادات وطرق الحياة، التي كنا نتعامل معها على أنها من المسلّمات وتلاشيها التدريجي، مع ظهور

عادات جديدة، يمكن أن نسميها عادات التباعد الاجتماعي، مثل: ضربة الكوع للمصافحة، وحضور الأعراس والتعزية الرقمية عبر الفيديو. إلى أي مدى يمكن للجائحة أن تعيد تشكيل قيم المجتمع وعاداته ومعتقداته ووعيه الجماعي؟ ما الوقت الحقيقي الذي يحتاجه المفكرون والكتّاب لاستكشاف مجتمع ما بعد كورونا (كوفيد19)؟ كيف يمكن للسرد أن يوظف التحولات الجديدة في الحكبة السردية؟ ما القصص التي قد نرويها؟ وكيف سنرويها؟ ما الجملة التي يمكن أن نستفتح بها الرواية؟ وما زاوية النظر التي من خلالها سنروي قصتنا؟

- أنواع الخطابات السردية

على قدر ما تثيره الأوبئة من قضايا فلسفية ودينية وأخلاقية عميقة جديدة وأفكار مختلطة؛ فإنها كذلك تضع أمام أعيننا العواقب المحتملة للوباء على الثقافة الأدبية نفسها، والتي تحدث عادة متأزرةً مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العميقة التي حدثت وستحدث في العالم، بالتأكيد هذا التغيير يعني بدوره تنوع الأساليب والمواضيع والقيمات الممكنة طرحها، فالأوبئة مادة قابلة للطرق بشكل لا نهائي، وروايات الأوبئة أصبحت نوعاً أدبياً في حد ذاته. ومن هذا المنطلق، فإن هناك أنواعاً كثيرة من الخطابات الممكنة في سرديات الأوبئة، وهي تعتمد على نوعين من الأوبئة: الأوبئة الواقعية؛ التي لها مرجع تاريخي وطبي معروف للناس مثل: الطاعون والكوليرا، والأوبئة المتخيلة؛ التي ليس لها مرجع واقعي، إنما تخيلها الكاتب مستعيناً بقدراته على الخيال.

كما تعتمد أيضًا على إعدادات الزمن؛ الماضي والحاضر والمستقبل، فهناك روايات مثلًا تعتمد على زمن الماضي، وهي بمثابة محاولة لفهم الماضي، وتحليل الحدث وآثاره، في حين تعتمد روايات أخرى الزمن الحاضر؛ زمن الوباء بكل ما فيه من عدم يقن أو وضوح للبداية والنهاية. وأخيرًا، تعتمد روايات أخرى على زمن مستقبلي ووباء متخيل، ماذا لو أنتشر وباء ما في العالم؟ هذه الأزمنة الثلاث تولد قصصًا مختلفة تمامًا وشكلًا سرديًا مختلفًا وواسع الاحتمالات، مثل: روايات الخيال العلمي، أو الرواية الطبية، أو الوثائقية، أو التاريخية، أو البوليسية، أو الرمزية، أو أدب المدينة الفاسدة.

ويظل الاختيار متروكًا للكاتب في المواضيع والأساليب والقوالب الأدبية التي يفضلها، وما يدخل في دائرة اهتمامه ويلح عليه ليكتب: سياسة، طب، مجتمع، فلسفة، دين... إلخ، أو ما يستفز خياله، فالخيال أحيانًا هو ما يفرض نفسه على الكاتب، فيجد نفسه ملاحظًا بالشخصيات التي تريد أن تجسد نفسها على الورق، تريد أن تحكي قصتها، المهم أن يملك الكاتب الشجاعة على التخيل والجرأة على السرد.

ومهما كانت طبيعة القصة، فإن كل القصص قابلة للسرد، سواء التي تدور في الصفوف الأمامية من الوباء، أو التي تدور في الصفوف الخلفية وخلف الكواليس، تلك التي تجعل الوباء هو المركز الذي تدور حوله الأحداث، أو تلك التي جعلته مجرد لوحة خلفية لتقديم موضوع مغاير؛ مثل: الحب والوحدة والتمرد وفقدان الهوية، وهذا ما يمكن ملاحظته من

خلال جولة سريعة في بعض روايات الأوبئة، خصوصًا في العصر الحديث.

وفي هذا السياق، يمكن الاستشهاد ببعض النماذج الروائية التي يمكنها أن تمثل أنواع الخطابات السردية الممكنة في أدب الأوبئة، مثل الرواية الوثائقية القائمة على تحليل الوباء بعد وقوعه، والتي تستخدم مادة تاريخية، لكن تقدمها بشكل أدبي يدعم وجهة نظر الراوي؛ مثل: رواية «صلاة تشيرنوبل» للكاتبة الصحفية البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش الحائزة على نوبل للآداب 2015، وهي مزيج بين التحقيق الصحفي والدراسة النفسية والرواية التاريخية، جمعتها المؤلفة على مدى عشر سنوات، بمقابلة أكثر من خمسمائة شخص شهدوا كارثة تشيرنوبل، بمن فيهم السياسيون والفيزيائيون وعلماء النفس ورجال الإطفاء والفلاحون والجنود والفنيون والعلماء والأطفال وعلماء البيئة، فأعطت صوتًا لأولئك الذين نجوا من كارثة تشيرنوبل، ولكن الحكومة لم تترك لهم مجالًا لرواية قصتهم، فقدمت من خلال قصصهم البعد الإنساني للكارثة. ثم تأتي فئة أخرى من الروايات الرمزية، التي يمكن أيضًا أن تدخل ضمن نطاق أدب المدينة الفاسدة أو ديستوبيا أيضًا، وهي تلك التي تجعل الوباء رمزًا لاضطراب كوني أو ديني أو اجتماعي، وعادة تدور هذه الروايات حول مجتمع متخيل يعيش فيه الناس حياة بائسة، غير إنسانية والوباء مجرد استعارة لطرح أفكار تتجاوز فكرة الوباء في حد ذاتها، إلى كشف سوءات المجتمع، مثل: رواية «العمى» لخوسيه ساراماغو 1995م،

التي تروي قصة وباء غامض متخيل وهو العمى الأبيض، المجهول السبب والشديد العدوى، مما يعني نهاية عالم الحضارة البصرية، التي يعيش فيها الناس بشكل مريح وغير مبالٍ، وبداية عالم فوضوي شاق.

عالم ساراماغو الفوضوي هذا هو رمز للوجه المظلم للإنسان وفقدانه للبصيرة، (لا أعتقد أننا أصبنا بالعمى، بل نحن عميان من البداية حتى لو كنا نرى...، لم نكن حقاً نرى). تبدأ القصة عندما يهاجم العمى سكان المدينة، بدون أن يفرق بين اللص والطبيب، المرأة والرجل، الطفل والكبير، والوحيدة التي تسلم منه هي زوجة الطبيب، و(ما أصعب أن يكون المرء مبصراً في مجتمع أعمى)، يعزل المصابون العميان في ملجأ قديم، لتختزل حياتهم إلى صراع قدر من أجل البقاء، يظهر فيها أسوأ ما في الإنسان؛ الجشع في خضم المأساة، وغياب التضامن، وقمع حكومات تفتقد البصيرة، وإجراءات غير فعالة، مثلما جاء العمى بدون سبب؛ فإنه تلاشى أيضاً بدون سبب واضح، وتبين في النهاية أن التضامن هو العلاج الوحيد الصحيح للأوبئة، و(ليس هناك أعمى أسوأ من أعمى يرى).

الوباء، كاستعارة وخلفية للأحداث؛ مثل «الحب في زمن الكوليرا» لغابرييل غارسيا ماركيز؛ 1985م، تدور الرواية حول قصة حب مزمنة ومؤلمة، الكوليرا.. ليست حدثاً مركزياً في الرواية، ولكنه محرك رئيسي للأحداث المهمة فيها، بدايةً من اللقاء الأول بين الحبيين إلى فراقهما، ثم التقائهما من جديد. اتخذ ماركيز الوباء خلفيةً للصراع بين القوى التقليدية والحديثة، وبين الحب وأهوال الكوليرا، في ذروة وباء مميت يزدهر الحب

أيضاً، لكن ليس أي حب، (فحب مستحيل سيحرقك من الداخل مثلما تحرق الكوليرا شجاعتك). في واحدة من أجمل النهايات في الأدب تنتهي الرواية بعزل الحبيين نفسيهما في جنتهم الصغيرة الطافية فوق نهر ماجدالينا، تحت راية صفراء تعلن أن المركب موبوءة بالكوليرا.

روايات الخيال العلمي التي تدور حول أوبئة الافتراضية؛ تعتمد كثيراً على الحقائق العلمية والنظريات والمبادئ، دعماً لإعداداتها وشخصياتها وموضوعاتها وحبكتها القصصية، وقد تأخذ الطابع البوليسي والغموض والمغامرات، أو الطابع الطبي، في قالب مشوق لا يخلو من فن التنبؤ بالمستقبل والتحذير منه، تتيح للقارئ متعة تجريب أسوأ الاحتمالات الوبائية بدون التورط فيها حقيقةً، مثل رواية الجيب «حول الطيور نتحدث» للكاتب أحمد خالد توفيق؛ 2010م، تتحدث هذه الرواية عن داء إنفلوانزا الطيور، وتدور الأحداث عن فرقة «ه»، التي يجب أن تقوم بعمل بحث كامل عن فيروس ظهر فجأة في مزرعة أحد الرجال في الكامبيرون. ليجد الفريق نفسه أمام حقيقة مروعة، أن صاحب المزرعة هو سبب المرض، لأنه يطعم دجاجه المخلفات. إذن.. البشر هم سبب الأوبئة، ويحذر الكاتب من كون (الوباء الحقيقي المرعب قادم من مكان ما في الصين أو هونغ كونج، حيث يُخفي كل فلاح صيني في حظيرته مختبراً خطيراً للتجارب البيولوجية).

• السرد العماني في زمن كورونا

- كيف سيبدو السرد العماني ما بعد الجائحة؟

أعتقد أن الكتابة الجيدة تسترعي القراءة الجيدة أيضًا، ومن المتوقع أن يكون كاتب السرد العماني كغيره من الكتاب مشغولاً الآن بقراءة الأحداث وتدوين الملاحظات لما يحدث ولما يشعر به كل يوم، في سبيل صناعة سجل يوثق فيه تجاربه الشخصية وتأملاته، والتجارب الجماعية وتداعياتها الاجتماعية والنفسية على الناس، وخلق مرجع مهم للرواية التي قد يكتبها يوماً ما.

بشكل عام، المشهد السردي في عمان لا يزال في حالة الترقب والصمت أكثر من البوح والنشر، ورغم تواصله مع بعض كتّاب السرد إلا أنهم أفصحوا أنهم لم يكتبوا شيئاً بعد، أو كما عبّرت القاصة زينة الكلبانية: (في ظل العزلة الاحترازية التي فرضها فيروس كورونا؛ ثمة مساحات خضراء لممارسة الكتابة والبدء في المشاريع المؤجلة التي تتطلب الانفراد بالذات).

رغم تمهل كتّاب القصص؛ لكن من المتوقع دخول كل المعطيات الحسية والنفسية والاجتماعية لفيروس كورونا (كوفيد19) التي تحدثنا عنها سابقاً في سرديات ما بعد كورونا، وهذا ما عبّر عنه القاص والكاتب سعيد الحاتمي أيضاً حين تحدث عن توقعات أدب ما بعد كورونا بقوله: (مثلما كانت ثيمات مختلفة تسيطر على نصوص الأدب العماني سابقاً على شاکلة الموت والخذلان والأساطير أحياناً، إلى آخره، يمكننا أن نجد نصوصاً في المستقبل طافحة بثيمة المرض والترقب والعزلة، بالتأكيد سنجد لفظ «كورونا» حاضراً وبقوة في النصوص ما بعد كورونا).

ولكنني وجدت نص للكاتب محمد الرحبي من نوع القصة القصيرة جداً بعنوان «كمامة»: (كنت أعرف أي قناع يرتدي.. هذه الأيام صار وجهه ملتبساً، وراء الكمامة لم أعد أعرف أي قناع يضع).

كتب سعيد السيابي قصة قصيرة جداً أيضاً تحت عنوان «وهم»: (بائعٌ محليٌّ بسيطٌ يضغط على علبه المعقّم، لعلّها تخرج كلّ ما فيها، يمارس ضغطه عليها مراراً، فلم يعد يملك إلاّ الماء ليبقي يديه نظيفتين. يصرُّ على تكرار ذلك أمام الزبائن ليقنعوا، فمبدأ النظافة يسوّقه لهم ليشتروا منه، فلا يستجيب له أحد من لا حول له ولا قوة، فقد خطفهم الغريب بمعقّمه). وأخرى بعنوان «لا أستطيع»: (نشرات الأخبار أرهقته الليلة الماضية، وباء عالمي يتششر كالسرطان، الحروب مشتعلة في أكثر من دولة. قرّر التسلّل للسري، وما هي إلاّ دقائق حتّى نهض من النوم مفزوعاً ولسانه يردّد: لا أستطيع التنفّس. لجأ للتلفاز، وجد «عاجل» موت جديد، وكلمة «لا» تتردّد بأيّ ذنب قُتل).

على الجانب الآخر، ازدادت الفعاليات الثقافية والفنية والأدبية والحوارات مع الفنانين والكتّاب والشعراء المقامة في منصات التواصل الاجتماعي. وفي هذا السياق نظم مجلس إشراقات ثقافية فعالية قراءات قصصية في أدب الوباء، اشتملت على قصص استلهمت من ظروف الجائحة، فقرأت الكاتبة ثمنة الجندل قصة بعنوان «أحضان مسمومة»، ركزت فيها على أهمية التباعد الاجتماعي وحاجة الإنسان إلى التضرع لله عزّ وجلّ لتجاوز هذه الأزمة.

وقرأت الكاتبة إشراق النهدي قصتها «الأماني في زمن كورونا»، تناولت فيها فكرة التعقيم والحجر المنزلي، جاء فيها: (يفكر شهاب مطرفاً رأسه بعمق في أمنيته، فيزعمها من روحه ويودعها في قلب اليقين، وهو يسحب نفساً عميقاً

ويهمس: يارب، الشير. يفتح جمال يديه وهو يقول بفرحة طفل: أيوه صح، شوف صورة الخنجر، صح صح. يندفع إليه ويحضنه باحتياح قائلاً: أيش تمنيت باباً؟ بيتسم شهاب وهو يقول: إذا خلصنا من كورونا وتحققت أمنيّتي بأخبرك، وعد. ويكملان اللعب باطمئنان).

ويجد بالذکر ظهور نصوص سردية توثيقية، وهي نوع من سرديات الوباء، عبارة عن سرد قصص واقعية لمصابين بفيروس كوفيد 19، لكنها كتبت بلغة أدبية أنيقة، على سبيل المثال قصة للصحفي المختار الهنائي بعنوان «شعر بأنه يحتضر» وهي تسرد تفاصيل إصابة شاب بالعدوى (في ليلة وضحاها.. قد تقلب الموازين على الإنسان، بين الرخاء والشدة، وبين الصحة والمرض، وما بينهما لحظات لا يمكن أن تُنسى... مرّت على صاحب القصة تلك الليلة طويلة جداً، وكأن الزمن قد توقف، والدقائق تمر عليه كساعات طويلة، بين الحمى والألم والإرهاق والانتظار حتى تشرق الشمس ويذهب لمقابلة الطبيب، لعله يجد نهاية للأوقات الصعبة التي يمر بها).

وقصة أخرى للصحفي سيف المعولي نشرت في «أثير» ضمن النوع نفسه من السرد التوثيقي أو الصحفي، تحت عنوان «توفي في تويتر»: (أن يكبر عمرُك رقمًا وأنت لم تعيش أيامه، أن تحسّ بزيادة عدّاد سنينك عامًا كاملاً دون أن يُقال لك: سنة سعيدة. أن تبقى أيامًا معلقًا فيها بين الحياة والموت، أن تجتمع داخلك مشاعرٌ متباينةٌ بين الخوف من المجهول، والاستغراب من وضعك الذي وصلت إليه، والغضب مما يُشاع عنك. وأخيرًا، الفخر بالأشخاص الذين ساعدوك. أن تكون كل ما ذُكر أعلاه؛ فأنت حقًا قصة تُستحق أن تُروى وتُشرّف في «أثير» بعيدًا عن أسماء الشخصيات والأماكن).

• الخاتمة

بالنسبة لي بكوني كاتبة للقصة بكل أنواعها؛ أشعر بحاجة شديدة إلى المزيد من التأمل، قبل الانسياق خلف شهوة الكتابة، التي يشعر بها الكاتب عادة عندما تواجهه أفكار ومواقف استثنائية غير مسبوقة، أجلت الكتابة ليس لأنني لا أجد الكلمات، ولكن لأنني أبحث عن الموضوع الذي يحمل بين طياته أجنحة تمكنه من التحليق والوصول إلى الآخرين، فلا معنى من كتابة سرد أي كان نوعه، بدون وجود الموضوع الذي يعطيه المعنى والصدى.

ملاحظة

تمت الاستعانة بالمواقع والصحف والكتب الرقمية في بعض أجزاء هذا المحور المتعلقة بالتعريفات والنصوص الأدبية.

المصادر

1. ألبرت كامو، رواية الطاعون، 1947م.
 2. بوثيوس، عزاء الفلسفة، ترجمة: عادل مصطفى، 2008م.
 3. خوسيه ساراماغو، العمى، 1995م.
 4. سفيتلانا ألكسيفيتش، صلاة تشيرنوبل، رواية، 2015م.
 5. غابرييل غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، 1985م.
 6. غابرييل غارسيا ماركيز، مقابلة، جريدة لوموند، 1995م.
- 7- themillions. com
- 8- wikipedia. org
- 9- ar. wikipedia. org

المحور السينمائي

السينما وجائحة كوفيد19⁽¹⁾

أ. محمد الكندي

مخرج سينمائي ومسرحي

لقد أَلقت جائحة كورونا (كوفيد19) بظلالها على العصب الأهم في جسم العالم، وهو الاقتصاد الذي تركز عليه كل مقومات الحياة، والذي بدونَه لن يستطيع العالم أن ينمو كما كان في فترة الرخاء الصحي، مع كل الإصابات التي مرت عليه، والذي بدوره أثر في أغلب مناحي الحياة، ومحركاتها المعتمدة عليه؛ التجارية والاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها. وبلا شك، إذا تعطل أحد هذه المحركات أثر تقائلياً على باقي المحركات، كونها ترتبط معها في علائق متشابكة، يصعب فكك بعضها عن بعض. وإذا ما جئنا إلى محرك الصناعة السينمائية؛ فهي حلقة ضمن تلك الحلقات المكتملة لها، التي هي بحق ركيزة أساسية في مجتمعات كثيرة، تمثل أساساً من الأسس الذي يمس مساً مباشراً عصب الاقتصاد والسياحة وإنعاش مواقع وأماكن التصوير. وبالمقابل، فإن الصناعة السينمائية تستوعب الكثير من الوظائف المهنية -

(1) المحور يدرس وضع السينما منذ بداية ظهور كوفيد19 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى 26 نوفمبر 2020م.

الكوادر البشرية- كما تستهلك الكثير من المعدات والأدوات الفنية، التي هي في تطور دائم، والطلب عليها لا يتوقف على مدار العام. فتأثر هذا القطاع يؤدي إلى ركود العديد من الأنشطة، التي تتطلب في تشغيلها أيضًا أشخاصًا يعملون في قطاعات التصوير والمونتاج والتمثيل والإخراج والإنتاج، الذي هو بدوره أحد أهم القطاعات المحركة لدوران الفعل السينمائي، وغيرها من القطاعات والوظائف المهنية المهمة المرتبطة بها، والتي تساهم في رفع القيمة المضافة للمجتمع والدولة، فهي تعد من بين مكتسبات الدولة الأخرى، وبالتأكيد فإنها تتعطل وتدهور حالها كباقي مثيلاتها من الوظائف والمهن والمحركات التي سبق ذكرها.

فمن التأثيرات كذلك تكبد شركات الإنتاج السينمائية الكثير من دوران الأموال بين المنتجين ومنفذي الأفلام، وذلك نتيجة توقف الإنتاج؛ إما عن طريق توقف تصوير الأعمال، أو توقف عرض الأفلام، خاصةً في صالات السينما، سواء أكانت مغلقة أم مفتوحة، أم عرضها إلكترونيًا. وإن كان عرضها في مواقع التواصل الاجتماعي أو المنصات الأخرى يراه البعض بديلًا لا مناص منه؛ إلا أنه لا يعود بالأموال التي تغطي تكاليف الإنتاج الباهظة، كان ذلك في أكبر مدن الإنتاج السينمائي مثل: هوليوود التي يقدر الدخل الذي تدره على الدخل القومي للولايات المتحدة الأمريكية بنحو 101 مليار دولار، وهي توفر 2.5 مليون وظيفة في مجال الترفيه المرئي والسمعي، وتوفر أجورًا تقدر بقيمة 181 مليار دولار، لذلك تعد أزمة تفشي فيروس كورونا المستجد

كوفيد19 قاسية على قطاع السينما الأمريكي والعالمية⁽¹⁾. وكذلك الحال بالنسبة لبوليوود، وقس على ذلك معظم شركات الإنتاج الفني في الوطن العربي، التي هي أيضًا ذاقت مرارة الألم كالتوقف أو التأجيل، أو أسوأ الحالات؛ وهي الإلغاء.

وكذلك واقع الحال في سلطنة عمان، فإن جائحة كوفيد19 أدت إلى توقف النشاط التجاري والاجتماعي، مما أدى إلى توقف قطاع النشاط السينمائي، سواء أكان ذلك في جانب الإنتاج أم جانب العروض السينمائية. فيحسب الإحصائيات الأخيرة، فإن القطاعات الإنتاجية التي تعنى بإنتاج الشركات من الأفلام والإعلانات الترويجية؛ تأثرت بشكل ملحوظ، خاصةً المرتبطة بالقطاعات الحكومية، التي تسند تلك الأعمال إلى الشركات المتوسطة والصغيرة في الترويج لمنتجاتها وبرامجها التحفيزية والتوضيحية، وكذلك القطاع الخاص؛ فقد تأثرت برامجه الدعائية، التي هي أيضًا أثرت على قطاع الإنتاج الترويجي وإنتاج الأفلام القصيرة، التي تخدم القطاع بأشكاله كافة؛ الترويجية أو الوثائقية أو التوجيهية.

تعتبر دور العروض السينمائية أهم مصادر الدخل لبعض المستثمرين العمانيين في هذا القطاع، الذي يشكل أحد أهم المنافذ الإعلانية للمنتج المحلي، وكذلك إنتاج الترفيه للمهتم بالقطاع السينمائي، فإن دور العروض تقدر بأنها تسعة عشر دارًا سينمائية في السلطنة؛ وتضم ثمان وستين صالة عرض، وبدخل شهري يقارب أربعين ألف ريال، وهذا يشكل بالنسبة

(1) <https://mostaqbal.ae/coronavirus-future-film-production>.

للمستثمرين في المجال السينمائي مبلغاً ضعيفاً مقارنة بدور السينما في بقية دول العالم، ومع ذلك يشكل هذا الدخل نسبة كبيرة وجيدة للمستثمر، وبذلك فإن انقطاع هذا الدخل الشهري قد شكل عبئاً كبيراً على استمرار دفع المستحقات الشهرية بالنسبة للعاملين عليها، وكذلك استرداد القيمة التشغيلية بالنسبة للأجهزة وصيانتها، وتخليص مبالغها المستثمرة فيها.

يتوقع البعض أنه بعد انقضاء الجائحة ستكون العودة أفضل مما كانت عليه، ولكن واقع الحال يعكس غير ذلك، حيث أصبح البشر في تخوف شبه دائم من هذه الجائحة وشيبتها، فأصبحوا قليلي الخروج من مساكنهم؛ في حالة وجود بوادر أي حميات أو أنفلونزا، فالتخوف يحصل من مجرد العطسة والكحة العابرتين؛ خاصة داخل القاعات العامة.

وبالرغم من أن الإنتاج التلفزيوني في السلطنة هو السائد، والأكثر انتشاراً من الإنتاج السينمائي، ولكن مبادرات الشباب في إنتاج أفلام تتناول الجائحة كانت كبيرة إلى حد ما؛ خاصة الجانب الوثائقي، فقد عملت معظم القنوات التلفزيونية في السلطنة على تصوير العديد من الأفلام الوثائقية والقصيرة من أجل التوعية، أو إظهار مدى تفاعل المجتمع سلباً وإيجاباً، فقد ظهرت عدة وسائل لطرح هذه القضايا، منها: التلفزيون والمنصات الإلكترونية للمؤسسات الخاصة، أو من خلال قنوات اليوتيوب. كما أن المؤسسات الخاصة انتهزت الفرص للقيام بتصوير الكثير من الأفلام الوثائقية والترويجية، مستغلة التحولات التي حدثت مع تطور الأحداث في الجائحة، وبنيت عليها عمليات الإنتاج بما أفرزته اللجنة من عمليات الإحصائيات المتعلقة بالأعداد

المصابة وحالات الشفاء والوفاة، وكذلك حالات منع حركة التنقل بين الأمكنة، والتوصيات التي تقدمها اللجان المختصة في متابعة الجائحة، فكلما أصدرت اللجان قوانين وأنظمة قامت مجموعة من الشركات والأفراد باستغلال تلك التوصيات بإنتاج أفلام قصيرة وتوثيقية تتناول الحدث وتبثها، محاولة بذلك استقطاب أكبر قدر من الجمهور لما تلمسه من تعاطف الناس مع مثل هذه الأعمال.

أما بالنسبة للإبداع، فقد تفاوتت قوة الطرح؛ شكلاً مضموناً، فمنها ما كانت محاولات من قِبَل أشخاص تأثروا بالبُعد التاريخي لهذا الجائحة، فتوجهوا ليشكلوا بذلك تسجيلاً عنها كيفما كانت النتيجة، فلم يكن ذلك بالنسبة لهم بالأهمية المثلى، إنما كان المهم لهم هو دخول التاريخ لتسجيل عمل يذكر فيها تفاعله، وهذه كانت طريقة الهواة من الشباب الذين لم يكن لديهم العلم والخبرة في صناعة الأعمال السينمائية الوثائقية؛ القصيرة أو الطويلة، أو الروائية الطويلة بتوثيق مثل هذه الحالات الحيوية العارضة، وبالتالي لن يكون لها ذلك الأثر الجيد للمتلقي. ومن جهة أخرى، ومن خلال مجموعة بسيطة من الشباب المستقل، برزت العديد من الأعمال متقنة الصنع إلى حد ما، ويعود ذلك إلى كونهم يمتلكون القدرة والخبرة والمعرفة، واستعمال الحدس المستقبلي في معالجة مثل هذه الأحداث، وبطريقة علمية سليمة، وعادة ما تكون تحت إشراف متخصصين أكفاء؛ سواء أكان ذلك في المجال الموضوعي أم المجال الفني، ومرجع هذه الاستمرار في الإنتاج حرصهم الدائم على تجويد العمل وتقاتته.

أما إنتاجية الأفلام المرتبطة بالمؤسسات الخاصة؛ فإنها لم تتأثر إلى حد ما بما أصاب الآخرين من عدم المقدرة على إنتاج الأعمال السينمائية، التي هي أيضاً مدعومة من قِبَل الشركات الحكومية، وكذلك الشركات الحكومية والمؤسسات الحكومية التي يعنىها إنتاج أفلام وثائقية قصيرة عن الجائحة، لإيصال رسالة مهمة للمجتمع بالتوعية والتثقيف من خلال المنصات الإلكترونية؛ سواء أكانت الخاصة بالجهة الناشرة أم التلفزيون أم الشركات منتجة العمل؛ التي تتسم بقوة إنتاجها وإخراجها شكلاً ومضموناً، والتي من المتوقع لها أن يظل عرضها مدة طويلة، وتأخذ حيزاً كبيراً من المشاهدة، وإن قل المشاهدون على وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات، ولكن تأثيرها سوف يكون على المدى البعيد. كما أنها ستكون نموذجاً جيداً للأرشفة، يمكن الاستشهاد به في البحوث العلمية والملاحظات التحليلية في الأعمال السينمائية التي تفاعلت مع هذا الحدث التاريخي المهم.

إن هذه الأفلام لن ترى النور في دور السينما في الوقت الحالي، وذلك بسبب الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، وليست مقتصرة على الأفلام العمانية؛ بل كذلك الأفلام العالمية المنتجة منذ بداية الجائحة حتى عام 2020م، التي تأجل إنتاجها أو توقف، أو تأخر عرضها في دور السينما، كما أن الكثير من الأفلام المحلية والدولية لم تكتمل بسبب الجائحة، وهذا سيؤدي بدوره إلى قلة الإنتاج في الفترة القادمة، وربما ستمتد هذه المعضلة إلى بدايات عام 2021م، التي لن تشهد فيها دور السينما عروضا سينمائية؛ التقليدية منها والعامّة. أما دور السينما التي تتسم بالفرجة الشخصية أو محدودة الإعداد، أو

ما تسمى السينما العائلية وسينما الشارع، فقد تكون أوفر حظاً للتشغيل المبكر، ولعرض بعض الأفلام المنتجة في عامي 2019 و2020م.

سيسيطر البث أو العرض الإلكتروني على العروض السينمائية، وإن كانت لا تفي بالشروط الحقيقية لمشاهدة الشاشة العريضة المعتادة؛ خاصةً للتقليديين الذين اعتادوا على التفاعل السينمائي أمام الشاشة، وبحضور المشاهدين الذين يشكلون اكتمال متعة المشاهدة في صالة السينما، بالإضافة لمكملات المشاهدة؛ وهي توفر الأكلات المصاحبة في دور السينما، ومتعة تناولها مع المشاهدة، لما لها من مذاق ونكهة خاصتين أثناء العرض.

من جانب آخر، فإن النشاط السينمائي في السلطنة يقوم به مجموعة من المؤسسات الحكومية والجمعية العمانية للسينما والمسرح، التي تعدُّ برنامجاً سنوياً لذلك، فمن بين هذه المؤسسات الحكومية وزارة التراث والثقافة⁽¹⁾ في دعمها للثقافة السينمائية بإقامة المسابقات السينمائية، والورش السينمائية المحققة لإنتاج بعض من الأفلام التسجيلية والقصيرة، حيث لم تقتصر تلك المسابقات على إنتاج أفلام الهواة، بل تجاوزتها إلى إنتاج الأفلام الروائية الطويلة، كما أن وزارة شؤون الفنون⁽²⁾ والممثلة في المديرية العامة للفنون المسرحية والسينمائية، هي أيضاً بدورها تعد برامج تحفيزية لتنشيط الحركة

(1) بإعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة في أغسطس 2020م تغيّرت الوزارة، ودخلت في وزارتين؛ إحداهما: وزارة الثقافة والرياضة والشباب، والأخرى: وزارة التراث والسياحة.

[المحرران]

(2) كذلك.. بإعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة ألغيت هذه الوزارة، واستعوض عنها بمديرية عامة للفنون في وزارة الثقافة والرياضة والشباب. [المحرران]

السينمائية، كما أن هناك جهات مساندة في هذا المجال مثل: الهيئة الوطنية للشباب⁽¹⁾، وبلدية مسقط الممثلة في مهرجان مسقط السياحي، الذي يقدم برنامجاً جيداً بالنسبة لصنّاع وهواة السينما في عمان، ووزارة الرياضة والشباب⁽²⁾ في مسابقة (إبداعات شبابية)، التي يشارك فيها العديد من المهتمين من كل أنحاء السلطنة عن طريق الأندية التي تدعم السينما في عمان، وكذلك المناشط التي تقوم بها وزارة التعليم العالي الممثلة في مسابقة الأفلام الروائية والتسجيلية القصيرة لكليات العلوم التطبيقية، ومن المؤسسات المدنية الرائدة في العمل السينمائي الجمعية العمانية للسينما التي تأسست بمقتضى قانون الجمعيات الأهلية الصادر بالمرسوم السلطاني رقم 2000/14، وتم تسجيلها بوزارة التنمية الاجتماعية طبقاً لأحكام قانون الجمعيات الأهلية. والجمعية تعد برنامجاً سنوياً مكثفاً كالورش والندوات التحليلية واللقاءات السينمائية في الجمعية والدورات التدريبية الداخلية والخارجية، والمشاركات المحلية والدولية في المهرجانات المختلفة، كما أنه تم استحداث دائرة لإنتاج السينما، تقوم بوضع خطط الإنتاج السينمائية التي كان من المؤمل إنتاج عدة أفلام تسجيلية وقصيرة وأفلام روائية طويلة من المعول عليها إحداث بعض التغيرات والنقلة المستقبلية لانطلاقة حقبة جديدة من تاريخ الجمعية العمانية للسينما.

تعرضت صناعة السينما خلال أزمة العام 2008م إلى ضربة قوية،

(1) وأيضاً.. بإعادة هيكلية الجهاز الإداري للدولة ألغيت هذه اللجنة. [المحرران]

(2) بإعادة هيكلية الجهاز الإداري للدولة دمجت هذه الوزارة مع الثقافة لتصبح وزارة الثقافة

والرياضة والشباب، كما أشرنا أعلاه. [المحرران]

وانخفضت معدلات التوظيف بنسبة 16٪، وأدى ذلك إلى تسريح ما يقرب من 900 ألف موظف مرتبط بهذا القطاع، وانخفضت أسعار أسهم الشركات التي تمتلك استوديوهات أفلام رئيسة مثل ديزني وفياكوم ووتاييم وارنر إلى النصف تقريباً⁽¹⁾. لقد عانت السينما بعض الفترات في عمان من الركود، فبعد أن كانت تنتشر دور للسينما في بداية سبعينيات القرن المنصرم في الكثير من ولايات السلطنة مثل: نزوى ومسقط وصلالة وقربات وصحار. وكلمة «تنتشر» هنا تعني أن فترة السبعينيات كان المجتمع فيها أكثر انغلاقاً على نفسه مما هو عليه الآن من انفتاح، كما أنه يعتبر من المجتمعات المحافظة والرافضة لفكرة السينما، وبأنها تصوير لذوات الأرواح، كما تدعو للاشتغال عن العبادة وإفساد العادات والتقاليد⁽²⁾. ولعل المتابع لذلك يجد أن مكانة السينما في حسابات المجتمع العماني في تلك الحقبة تمثل بعداً ثقافياً عند البعض، برغم القيود الدينية والاجتماعية الصارمة، مما يدل على أن المجتمع العماني كان قابلاً لتقبل الثقافات، والانصهار والتفاعل مع ما يصل إليه، وتقييمها وفق السياق الاجتماعي حسب مقتضيات زمنه.

لكن التوقف الذي حصل للسينما في لم يطل محافظتي هما مسقط وصلالة

(1) <https://mostaqbal.ae/coronavirus-future-film-production>.

(2) هذا رأي الكاتب وتصوره الذهني عن تلك الفترة. والذي وقفنا عليه وعاصرنا كثيراً منه، أن المجتمع العماني في عقد السبعينيات لم يكن منغلقاً، بل كان مستعداً للانفتاح، وهذا ما ساعد الحكومة آنذاك على تحديث المجتمع بوتيرة سريعة. وانحسار دور السينما وتجارب المسرح بعد ذلك يعود إلى أسباب عدة؛ قد تكون إحداها الرؤية الدينية التي صاحبت ما عرف في الوطن العربي عموماً بالصحو الإسلامية، فأحدثت انغلاقاً في المجتمعات بعد التهيؤ للانفتاح الذي عمّ ستينيات القرن الميلادي الماضي وسبعينياته. [المحرران]

اللتين لم تتوقف العروض فيهما، وذلك بسبب عوامل مختلفة من وجهة نظري؛ أما بالنسبة للعاصمة مسقط، فوجود مرتادين من كل الجنسيات التي لا تتوقف عن حضور العروض السينمائية، وهذا يعطي للمستثمر استمرارية في افتتاح الصالات. أما صلالة بمحافظة ظفار، فإنها تستقبل وفوداً كثيرة من مختلف دول العالم لقضاء الصيف لمدة لا تقل عن أربعة أشهر. وبذلك، فإن المستثمر يجد ذروة في الاستثمار والاستمرار في فتح الصالات.

ومن بعد فترة الإغلاق التي شهدتها معظم ولايات السلطنة؛ شهد إنشاء دور السينما الحديثة طفرة بعد عام 2008م، بل أصبحت هناك شركات تنافس على إنشاء الدور بأشكال مختلفة، فوجدت دور للسينما مغلقة وذات كراسٍ مريحة، مع التكيّف المتقن والتقنيات العالية والحديثة للصوت والصورة.

ومن هذا المنطلق، فإن عالم السينما وإن مرض فإنه يتعافى، لأنه قادر على التأقلم مع أي ظرف يمر عليه. والدافع الأكبر لذلك هو العنصر المستهلك ومنافذ التسويق والعروض المتوفرة بأشكال مختلفة، لا سيما أن العالم يتجه إلى عالم الرقميات الحديثة، التي أصبح المستهلك أقرب إليها من أي وقت مضى، فكما تطورت صناعة السينما من المعامل اليدوية إلى المعامل الإلكترونية، كذلك العروض السينمائية، سوف تلقى لها مخرجاً للتعامل مع الأوضاع مستقبلاً، ويمكن أن يتطور الأمر إلى أن يصبح العمل السينمائي من بعد ثلاثي الأبعاد إلى سباعي الأبعاد، وأن يكون المستهلك من ضمن الحدث السينمائي منطلقاً من بيتك وعائداً إلى بيتك.

المحور المجتمعي

العالم لم يعد كما كان.. ولن يعود كما كان⁽¹⁾

أ. زاهر بن حارث المحروقي

إعلامي وناشط اجتماعي

• النبوءة

لو أنّ عرّافاً أو متنبئاً ظهر على شاشات التلفزيون في ديسمبر عام 2019م - كما هي العادة في بعض القنوات - قال: إنّ هناك حدثاً كونياً ما سيظهر عام 2020م، يصيب العالم بأكمله بالشلل، حيث ستُغلق المطارات، وتُمنع الصلوات في المساجد والكنائس والكنس، بما فيها المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة، وإنّ رمضان سنة 1441هـ سيكون بلا صلاة التراويح المعتادة، وإنّ حجّ هذا العام أيضاً مهدد بالإلغاء، وإنّ الجامعات والمعاهد والكلّيات والمدارس ستُغلق أمام الطلبة، وإنّ الأعياد ستمر على الناس كالمآتم، وإنّ المتاجر والمحلات ستُغلق أبوابها أمام الزبائن. لو أنّ متنبئاً تنبأ بكلّ

(1) المحور الجانب المجتمعي منذ بداية ظهور كوفيد 16 في عُمان أواخر فبراير 2020م، وصولاً إلى 18 يوليو 2020م.

هذا لما كان هناك من يصدّق مثل هذه النبوءة، بل سيراهما من الخزعبلات، وقد يتّهم هؤلاء المتنبيين بالشعوذة والكذب الصريح. لكن هذا ما حدث بالفعل في العالم، وأكثر من ذلك، بسبب جائحة كورونا (كوفيد19)، التي أدخلت الكرة الأرضية في الشلل، وأصابت الأرض بالجمود.

في الواقع، لم تكن بعض تنبؤات العرافين بعيدة عما حدث في العالم، إلا أنّ هذه التنبؤات لم تكن تدخل في التفاصيل، وإن كانت أعطت بعض الإشارات. ومن هذه التنبؤات مثلاً تنبؤ للعرافة اللبنانية ليلي عبداللطيف خلال ظهورها في قناة «LBCI» اللبنانية ليلة رأس السنة، بأنّ العام 2020م سيشهد انتشار فيروس خطير وقاتل، إلا أنّها لم تحدد نوعه. وقد سبق ليلي عبداللطيف أن تنبأت قبل ذلك في قناة «الجرس» اللبنانية، بظهور عدد من الأوبئة تدمر الجهاز التنفسي، وموت ملايين البشر في العالم عامي بين عامي 2020 و2021م. أما الفلكي المصري أحمد شاهين فقد ظلّ يردّد نبوءة انقطاع موسم الحج منذ عام 2017، وإن كانت الأسباب التي ذكرها لم تكن صحيحة، حيث توقّع توقّف الحج (بسبب عمليات إرهابية ضد الحجاج)، ولكنه أكد أكثر من مرة على (توقف موسم الحج لمدة عامين قادمين)، كما جاء في تصريحاته لصحيفة «البشائر» المصرية⁽¹⁾.

عندما قرأت هذه التنبؤات؛ قلت لنفسي: إن هؤلاء يبالغون، فهذا هو

(1) البشائر، الأحد 27 / 8 / 2017م.

موسم الحج في العام الماضي مرّ بسلاسة، وكنتُ أتساءل عن هذا الوباء الذي سيقتل الملايين من البشر؛ فرأيتُ أنّ كلّ تلك التنبؤات ليست إلا مبالغات، ولكن الواقع كان مختلفاً.

وعلى أيّ حال، نحن أمام موضوع جاد وحدث فريد، فلا ينبغي أن نركز على ما قاله العرافون، إذ لا يعلم الغيب إلا الله، وهذه حقيقة لا جدال فيها، إلا أنها لا تنفي أنّ هناك بعض الناس ممن يملكون موهبة رؤية المستقبل والتنبؤ به. وقد أشار سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة إلى شيء من هذا القبيل في برنامج «سؤال أهل الذكر»، حلقة الأول من رمضان 1441هـ عندما سأله الدكتور سيف الهادي عن تنبؤات البعض بمثل هذه الجوائح منذ عشرات السنين، منهم العرب والمسلمون ومنهم الغربيون، فهل هذا من التنجيم أم من توفيق الله؟ فكان جواب سماحته: (أنا لا أستطيع أن أقول إنّ الإنسان يعلم الغيب: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾⁽¹⁾، لكنّ الله سبحانه وتعالى قد يُلقي في روع بعض البشر بعض الأشياء ويتحدّثون عنها كأنهم ينظرون إلى المستقبل من وراء ستر رقيق، قد يكونون يقيسون الأشياء بعضها على بعض ويستنتجون نتائج، فالله يُلهم بعض البشر قوةً على الاستنتاج، وقد شاهدنا كثيراً ممن أوتي حصافة وفكراً وينظرون إلى بعض الأمور كأنهم ينظرون إلى المستقبل عن كثب). وعندما طلب منه سيف الهادي أن يضرب مثلاً قال

(1) النمل: 65.

سماحته: (إنَّ الشيخَ أبا إسحاقَ اطفَيْشَ كتبَ رسائلَ إلى صديقه أبي اليقظان قبل وقوع الحرب العالمية الثانية بخمس سنوات، وصف فيها أحوال الحرب بالدقة كأنه يشاهدها، ووصل الأمر إلى ذكر نقطة انطلاق الحرب، ومشاركة الدول الآسيوية البعيدة فيها مثل اليابان، وهو ما تحقق بحذافيره بعد خمس سنوات). وذكر الشيخ المفتي أنه اطلع بنفسه على هذه الرسائل.

• المؤامرة

لنترك التنبؤات إلى الواقع، ولنبدأ بطرح سؤال عام شغل كثيرًا من المهتمين بقضايا العالم: هل فيروس كوفيد19 عبارة عن حرب بيولوجية، افتعلتها الولايات المتحدة لمحاربة الصين، وخرج عن سيطرتها؟ أم أنَّ الصين هي المسؤولة عن انتشار هذا الفيروس؟ ذلك أننا نتنا نعم الآن أنَّ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب⁽¹⁾ ووزير خارجيته مايك بومبيو اتهما الحكومة الصينية بالتستر فترة طويلة على حجم انتشار العدوى ومدى خطورة الفيروس، وزَعَمَا أنَّ هناك تقارير استخبارية كثيرة تشير إلى أنَّ الفيروس تسرَّب من مختبر الفيروسات في ووهان في الصين.

(1) انتهت الفترة الرئاسية لترامب، وجاء من بعده جو بايدن، بيد أن أمريكا في عهد ترامب اكتسحتها الجائحة كما لم تكتسح دولة أخرى حتى هذا التاريخ؛ نهاية يونيو 2021م، وقد تراجع أعداد الإصابات والوفيات اليومية كثيرًا بأمريكا في ظل الإدارة الحالية، ولا زال الوباء يواصل هجومه الشرس على الكرة الأرضية، على هيئة أمواج؛ تنخفض في منطقة وترتفع في منطقة أخرى. [المحرران]

في الواقع، لا يوجد أيّ دليل علمي حتى الآن يؤكد هذه النظرية أو ينفيها؛ إلا أنّ طرحًا كهذا قد تجدد أكثر من مرة، ومع أكثر من مرض، ابتداءً من الإيدز ومرورًا بإنفلونزا الخنازير، وإنفلونزا الطيور، ومرض جنون الأبقار، وصولًا إلى كوفيد19. وأذكر أنّ حوارات ونقاشات كثيرة جرت في العالم عندما تفشى مرض إنفلونزا الخنازير، كان فيها اتهامات القوية للولايات المتحدة الأمريكية بأنها وراء انتشار تلك الأوبئة. ففي مقال لي تحت عنوان «مبالغت حول إنفلونزا الخنازير»⁽¹⁾؛ تناولتُ ما أشارت إليه التقارير الإخبارية من أنّ مرض إنفلونزا الخنازير ظهر مع أبناء أشارت إلى اختفاء عبوات زجاجية من أحد المختبرات في قاعدة عسكرية أمريكية في ولاية ميريلاند، تحتوي على عينات من فيروس خطير اسمه العلمي «التهاب الدماغ الخيلي الفنزويلي»، الذي يصيب الخيول، ويمكن أن ينتقل إلى البشر. وهذا الخبر أعاد إلى الأذهان ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية عام 2004م عندما نجحت في استعادة فيروس ظهر عام 1918م، وقتل ثلاثين مليون إنسان، عن طريق استخلاصه من الحمض النووي لجثة متوفى به في آلاسكا، بحجة أنها تريد التعرف على هذا الفيروس القاتل الذي تعود إليه خمسة أنواع من فيروسات الإنفلونزا البوابية التي ظهرت بعده. وقد نقلت مجلة «نيو ساينتست» البريطانية عن عدد من العلماء أنّ احتمال تسرب هذا الفيروس من معامل التجريب قد يؤدي إلى نتائج كارثية.

(1) الشبيبة العمانية، جريدة، 6/10/2009م.

لستُ في وضع يؤهلني أن أحكم على موضوع الأوبئة، هل هي من فعل البشر أم لا؟ إلا أن ما كُتِبَ عن ذلك قد يكون كافيًا لتقديم الدليل، ففي مقال نشره موقع «جلوبال ريسيرش» في 14 أغسطس 2008م - وأشرتُ إليه في مقالي السابق - وصف وليام إنجدال في مقاله المعنون «مشروع البنتاجون للفيروسات المعدلة» عملية استدعاء فيروس ظهر عام 1918م بأنها جنون محض، وقال: إن هناك معلومات تشير إلى أن شركات احتكار الأدوية تعمل مع الولايات المتحدة على تطوير مادة فيروس لترويج لقاح ضده، وقد كان ذلك في أوج صعود فيروس إنفلونزا الطيور، وأضاف إنجدال أن: فيروس الإنفلونزا الإسبانية ذاك هو إحدى التجارب الأولى للأسلحة البيولوجية، وأنه وُلِدَ في قواعد عسكرية في كنساس، وجُرِّبَ على عدد من الجنود أثناء الحرب العالمية الأولى، قبل أن يصبح وباء فتاكًا فيما بعد، مؤكدًا أنه في الوقت الذي كان فيه عدد ضحايا إنفلونزا الطيور بضع عشرات من الأشخاص، وجرى تسويق المرض دوليًا على أنه خطر ووباء، فإنّ نحو 460 ألف أمريكي ماتوا عام 1999م بسبب الآثار الجانبية لدواء أمريكي للقلب اسمه «الأسبارتم»، كانت شركة «سيرل» المنتجة له في شيكاغو على وشك فقدان ترخيص إنتاجه، إلى أن تولى رئاستها دونالد رامسفيلد الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للدفاع، واستعمل صلاته في واشنطن لتمرير الدواء.

وقد استمر الجدل حول نظرية المؤامرة، حتى في جائحة كورونا (كوفيد19) الحالية؛ وكان من أبرز المتهمين باستغلال المرض لصالح

تجارته المليادير الأمريكي بيل جيتس، حيث ضجّت وسائل الإعلام الأمريكية ومنصات التواصل الاجتماعي بالوسوم التي تحمّله مسؤولية تفشي هذا الفيروس، ووصل الأمر إلى المطالبة بمحاسبته واعتقاله. ورصدت نشرة الثامنة «نشرتكم» في قناة الجزيرة بتاريخ 20 أبريل 2020م؛ تفاعل النشطاء الواسع على منصات التواصل الاجتماعي مع وسوم تتهّم جيتس بالمسؤولية عن تفشي الوباء، وانتشرت الكثير من الفيديوهات على المنصات الرقمية تروّج لنظرية المؤامرة حول دوره في انتشار الفيروس، ورأى مغرّدون أنّ دور بيل جيتس لم يقتصر فقط على التكهن بالفيروس، بل قال بعض النشطاء: إنه يسعى -عبر لقاحاته- لزرع شريحة لتتبع إعلاميين ونشطاء بارزين، خاصةً أنه توّقع في فيديو له قبل عام بأن يكون (أكبر ما يتعرض له العالم هو تفشي وباء فيروسي).

وسواء أكان كوفيد19 مؤامرة أم غير ذلك؛ فإنّ الحقيقة المؤكدة أنه غير الحياة تغييرًا كبيرًا، وقد يكون جذريًا، وقدّم للعالم دروسًا وعبرًا، وستبقى ذكراه في ذاكرة الأجيال، إذ سيقول الآباء لأبنائهم إننا في «عام كورونا» انتقلنا إلى الجامعات دون أن نقدّم الامتحانات النهائية في الثانوية، وسيتحدّثون عن إغلاق المطارات والمجمّعات التجارية، فيما سيذكر آخرون أنهم دخلوا الحياة الزوجية دون مراسم فرح ولا بذخ، وسيذكر غيرهم أنهم خسروا تجارتهم بسبب إغلاق متاجرهم، وآخرون سيذكرون لأبنائهم وأحفادهم أنهم في هذا العام فقدوا وظائفهم ومصدر دخلهم الوحيد، هذا عدا من سيذكر لأحفاده أنه فقد عزيزًا له في هذا العام

ولم يُقَمَّ له مجلس عزاء، وغير ذلك كثير ممّا لا يتسع المقام لذكره. ويمكن تلخيص كلّ ما حصل بسبب كوفيد19 بعبارة واحدة هي: أنّ العالم اليوم ليس مثلما كان بالأمس، ولن يكون غدًا مثلما هو اليوم. والتساؤل الآن هو: هل كانت الجائحة كلها شرًّا؟ وما هي أهمّ الدروس المستفادة منها؟

• الجائحة والباحثون عن العمل

أظهرت جائحة كوفيد19 أنّ الحكومة في عُمان ليست إلا «جمعية خيرية»، حيث تعطي الموظفين رواتب شهرية أقرب إلى أن تكون صدقة دون جهد أو مقابل. والدليل على ذلك أنّ شهرًا مرّت على الوزارات والهيئات الحكومية وهي تعمل بطاقة أقل من 10٪ دون أن يتعطل العمل، باستثناء بعض الوحدات والجهات التي تعطلت مصالح المواطنين فيها بسبب توقفها عن العمل. ونقول: إنّ وجود هذا الكم الكبير من العاملين مقابل الإنجاز القليل يُحسب للحكومة، إذ إنها هدفت إلى تعيين المواطنين، ولكن لم يكن ذلك هو الحل الأمثل للقضاء على البطالة وإيجاد فرص للباحثين عن عمل؛ لأنّ ذلك ساهم مساهمة كبيرة في ترك الشباب العمل في الأعمال الخاصة والقطاع الخاص لصالح العمالة الوافدة.

أثبتت فترة تقليص عدد الموظفين إلى ما لا يزيد عن 30٪؛ أنه لم يترتب على ذلك أيّ نقص في مجمل الإنتاج العام، ممّا يؤكد تكديس

الموظفين في الحكومة بما يفوق الاحتياجات. وهذا يفتح مجالاً للنقاش لأصحاب القرار، فالمطلوب ليس التعيين بقدر ما هو إيجاد الأعمال للشباب الباحثين عن عمل. والفرق بين الأمرين واضح؛ فالتعيين هو إيجاد وظيفة للإنسان، ينضم فيها إلى قائمة «البطالة المقنّعة»، أما إيجاد الأعمال فيراد به إحلال العماني مكان الوافدي في الكثير من القطاعات.

وجود الأعداد الكبيرة من العاملين في الجهاز الحكومي، قبل إحالة من أكمل ثلاثين عاماً في الخدمة إلى التقاعد، كان يمكن أن يُنظر إليه بنظرة إيجابية لو استُغِلَّ هؤلاء العاملون الاستغلال الأمثل، إذ إنّ هناك بعض الأخطاء التي شابَت التعيينات، خاصةً بعد أحداث عام 2011م، من ذلك مثلاً أنّ هناك تكديساً في بعض الوزارات والأقسام والوحدات على حساب الوزارات والأقسام والوحدات الأخرى، وهناك أخطاء في التعيين بعيداً عن التخصصات، ممّا أدّى إلى «البطالة المقنّعة» وإلى الترهل في الجهاز الإداري للدولة، مع غياب الرغبة في العطاء إذ نظر البعض أنّ حصولهم على الوظيفة هو حقٌّ مكتسب بعد الحراك الشعبي في عُمان، وهو ما أشرتُ إليه في مقال لي بعنوان «ترهل في الجهاز الإداري للدولة»⁽¹⁾، وقلت فيه: (إنّ الحكومة لن تستطيع أن تتحمّل أو تستوعب المزيد من الموظفين)، وقد أشار إلى ذلك جلالة السلطان [قابوس] حفظه الله ورعاه العام الماضي لدى افتتاحه جلسات مجلس عُمان، عندما قال: (هناك كلمة نود توجيهها للشباب العماني، وهي أنّ العمل بقدر ما

(1) الرؤية العمانية، 16/ 4/ 2013م.

هو حقّ فهو واجب، وأنّ على كلّ من أتمّ تعليمه وتأهيله الانخراط في أيّ عمل مفيد يحقّق فيه ذاته، ويسعى من خلاله إلى بلوغ ما يطمح إليه، وعدم الانتظار للحصول على عمل حكومي، فالدولة بأجهزتها المدنية والأمنية والعسكرية ليس بمقدورها أن تظل المصدر الرئيسي للتشغيل، فتلك طاقة لا تملكها، ومهمة لن تقوى على الاستمرار فيها إلى ما لا نهاية).

جاءت جائحة كورونا (كوفيد19) لتصحيح المسار، ففي ظلّ وجود باحثين عن العمل من الشباب العمانيين مع وفرة في الوزارات إلى درجة التضخم، إضافة إلى وجود الآلاف من العمالة الوافدة في السوق المحلي احتلت كلّ الأنشطة الاقتصادية والتجارية وغيرها، بات المطلوب هو البحث عن أسلوب للتخفيف من الآثار السلبية على الإنتاج، من خلال دراسة واقع كلّ وزارة أو هيئة أو مؤسسة، بإحصاء عدد العاملين ومعرفة طبيعة عمل كلّ منهم. فإذا كانت الدولة قد اتجهت إلى إحالة موظفيها ممن أكملوا ثلاثين عامًا في الخدمة إلى التقاعد، أملاً منها أن تساعد هذه الخطوة في التخفيف من التضخم والترهل؛ فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه: ماذا عن الباحثين عن عمل؟ وما هو مصيرهم بعد أن خرج «آباؤهم» من الخدمة؟

وإذا تركنا البطالة المقنعة جانباً وتناولنا وضع هؤلاء الباحثين عن عمل؛ فإننا سنرى عجباً، فالمركز الوطني للإحصاء والمعلومات التابع للمجلس الأعلى للتخطيط ذكر أرقاماً هائلة لرواتب الأجانب وما يحولون من مبالغ كبيرة إلى الخارج، ومن نافلة القول إنّ هذا يضر

بالاقتصاد الوطني ضرراً كبيراً، ويؤكد على وجود خلل كبير يحتاج إلى بحث وعلاج. إذ كيف يوجد شباب عمانيون باحثون عن عمل في ظل وجود عمالة أجنبية كبيرة، منها من يتقاضى رواتب عالية جداً؟ ممّا يستدعي ضرورة الاهتمام بوضع خطط إحلال طويلة الأمد، مع التركيز على التدريب المطلوب، والاهتمام برفع رواتب القطاع الخاص، بدلاً من تحويل هذه المبالغ إلى الخارج.

في خضم أزمة كوفيد19 أثّرت من جديد قضية وجود ملايين من العمالة الآسيوية في منطقة الخليج، بعد أن شهد أكثر من مكان إضراباتٍ عمالية وصلت إلى الشغب والإضرار بممتلكات الشركات والممتلكات العامة، بسبب إنهاء عقود هذه العمالة، وكذلك بسبب عدم دفع مستحقاتها. ولم تكن عُمان بعيدة عمّا حدث في الدول الخليجية الأخرى، فيوم الأحد 12 يوليو 2020م شهد أعمال شغب قام بها عمالُ آسيويون في منطقة غلاء الصناعية، بعد أن سُرح ألف وأربعمائة موظف منهم، وانتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي لقطات تظهر التخريب الذي قام به هؤلاء في مكاتب الشركة والحافلات، فيما قدّمت إحدى القنوات الفضائية الهندية تقريراً مصوراً عمّا وقع، وأرجع سعيد المهري المدير التنفيذي للشركة التي يعمل بها هؤلاء سبب أعمال الشغب هذه؛ إلى تأخر استلام حقوقهم ما بعد الخدمة، وقال المهري في حديث لإذاعة الوصال: (إنّ إجراءات السفر بسبب كورونا أّخرت عودتهم إلى بلادهم، والشركة وفّرت لهم المأوى. ورغم التواصل مع الجهات المختصة لاستلام مستحقاتهم كاملة إلا أنهم أصروا على التخريب).

يبدو أنّ القصة لم تنته هنا، ولكنها من هنا بدأت، وقد دقت ناقوس الخطر وأعدت إلى الأذهان مشكلة العمالة الوافدة ومخاطرها على المجتمع، وهي المشكلة التي تكلم عنها الكثيرون عبر وسائل الإعلام الرسمية والخاصة من إذاعة وتلفزيون وصحافة وعبر شبكات الحوار في النت دون أن تجد حلاً.

إنّ ما قام به هؤلاء العمال هو إشارة إلى أنّ القضية يمكن أن تتطور، ويمكن أن نرى العديد من العمال في شركات أخرى يأخذون النهج نفسه، وقد يكون لهم الحق في مطالبهم، فأنا مع إعطائهم حقوقهم، طالما أنّ هناك اتفاقاً وعقدًا مبرماً بين الجانبين، مع العلم أنّ هناك كثيرًا من الشباب العماني عانى ويعاني من المشكلة ذاتها.

أظهرت أزمة الجائحة أنّ ملف العمالة الوافدة يحتاج الآن -أكثر من أيّ وقت مضى- إلى وضع حلول نهائية له، ولعلنا نتفاءل ببعض الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العمانية، ومنها السعي لاستيعاب المواطنين الباحثين عن عمل، من خلال إحلالهم مكان الأجانب، وذلك وفق دعوة وجهتها وزارة المالية للشركات الحكومية، حيث دعت فيه الشركات الحكومية لبدء العمل على استبدال الموظفين الأجانب بعمانيين في «أسرع وقت ممكن»، وشمل التعميم الوظائف القيادية والإشرافية.

وأعود الآن إلى النقطة التي انطلقت منها في السطور الماضية؛ لأصل إلى القول إنّ من الدروس المهمة والإيجابية للوباء هو ما كشفَ من أنّ الحكومة بإمكانها أن تستمر بطاقتها الحالية المنخفضة من الموظفين، مع

اتجاه تطبيق «الحكومة الإلكترونية». وفي المقابل، فإنّ الأمر أصبح ملحقاً أكثر من أيّ وقت مضى لإحلال الشباب العماني في القطاعات كلها، التي سيطر عليها الوافدون، وهي مجالات كثيرة وحيوية.

• تفعيل الحكومة الإلكترونية

هناك نقطة أخرى تتعلق بالعمل الحكومي، فقد أظهرت جائحة كورونا (كوفيد19) أنّ هناك حاجة ملحة لتفعيل ما يُعرف بالحكومة الإلكترونية؛ والواقع يؤكد أنّ الحكومة العمانية قطعت شوطاً كبيراً في هذا المجال، إلا أنّ فترة توقف العمل وتخفيض عدد العاملين أظهرت الحاجة الماسة إلى تطبيق المعاملات الإلكترونية، توفيراً للجهد والوقت والمال المبذول. فلأول مرة، نرى إنجاز الأعمال من البيوت ممّا قلل عدد الخطوات في الروتين المطلوب لتنفيذ الأعمال، وقلل من استعمال الورق وتنقل المعاملات بين الموظفين.

ومنذ إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام 1981م رأينا للمرة الأولى وزراء الصحة بدول مجلس التعاون يعقدون اجتماعاً عبر «الاتصال المرئي»، لمتابعة المستجدات حول فيروس كوفيد19، وكذلك رأينا مؤتمرات صحفية تُعقد عبر الاتصال المرئي، وهي خطوة حديثة، ويبدو أنّ الاتجاه العام -بعد كوفيد19- سيكون عبر اجتماعات الاتصال المرئي، اختصاراً للجهد والوقت والمال.

وفي رأيي، إنّ تجربة التعاملات الإلكترونية في عُمان خلال الجائحة

نجحت، وشمل النجاح البيع الإلكتروني، والمعاملات البنكية من إيداع وسحب وتحويل. والمؤمل أن يتم التركيز عليها مستقبلاً، لأنّ هذا هو اتجاه المجتمعات الحديثة في العالم.

وحتى على مستوى التجارة اليومية؛ فإنّ نجاح التسوق الإلكتروني يُعتبر من فوائد الجائحة، إذ أصبح البائعون يسوّقون لبضائعهم إلكترونياً، مع خدمة التوصيل المجاني إلى باب البيت، والتي كانت في السابق مقصورة على طلبات الوجبات السريعة.

وإذا كنا قد رأينا كيف تطورت التجارة مع التوصيل في متطلبات الحياة اليومية كافة، فإنّ الحكومة شاركت أيضاً مشاركة فعالة في البيع الإلكتروني، من ذلك مثلاً المزاد الإلكتروني الذي أقامته وزارة الزراعة والثروة السمكية لبيع عدد من الأبقار والأغنام في يوليو 2020م في عدد من محافظات السلطنة، إذ جرى العرض والبيع والشراء والدفع إلكترونياً. كما جرى بيع العسل العماني إلكترونياً، عندما دشنت وزارة الزراعة والثروة السمكية منصة «شهد» ضمن فعاليات سوق العسل العماني الرابع عشر، جرى فيها عرض وبيع منتجات نحل العسل للنحالين المشاركين من مختلف محافظات السلطنة، وجاء تحويل فعالية سوق العسل العماني لهذا العام إلى سوق عبر الاتصال المرئي بسبب الظروف الاستثنائية التي مرت بها السلطنة بسبب تفشي فيروس كوفيد19. ولم يكن ذلك هو كلّ شيء، فقد شهد الهاتف النقال تجربة أخرى جديدة في المجتمع العماني،

هي تجربة طني النخيل⁽¹⁾ عبر مجموعات الواتساب، ولقيت قبولا عند الناس لسهولة الأمر، ولابتعادهم عن التجمعات المحظورة. وما عشناه من هذا التغير في العرض والبيع والشراء نراه شيئا حديثا يلفت الانتباه، إلا أن الأجيال المقبلة ستراه شيئا عاديا.

ولم تكن المطبوعات بعيدة عن التحول الذي حدث في المجتمع؛ فكان لقرار اللجنة العليا المكلفة بمتابعة كوفيد19، بمنع صدور المطبوعات الورقية -بما في ذلك الصحف والمجلات- الأثر الكبير للناس أن يتجهوا إلى القراءة الإلكترونية، وإلى متابعة الصحف اليومية عبر وسائل التواصل الحديثة. وأظهرت هذه الخطوة أن المستقبل الآن سيكون للقراءة الإلكترونية على حساب القراءة الورقية، رغم أي على المستوى الشخصي -ومعي كثيرون- أجد صعوبة في ذلك، إلا أن الجيل الجديد سيفضل هذه القراءة على القراءة التقليدية.

وأستطيع أن أقول إن أبرز تطور في المجال الإعلامي هو تلك الندوات الأدبية والفكرية والعلمية والدينية التي تقام عبر منصات التواصل الاجتماعي مثل: زوم وإنستجرام وفيسبوك وتويتير ويوتيوب، يمكن أن يشارك فيها ضيوف من شتى بقاع الأرض، بدون دفع تذاكر سفر ولا تكاليف إقامة. وبالنسبة لعُمان هناك أدباء فتحوا قنوات يوتيوبية تثقيفية خصيصا بعد ظهور كورونا (كوفيد19)، مثل قناة حمود الشكيلي، وقناة «ضد النسيان» للشنائي هلال البادي وهدى حمد، وقناة «أنس» للشيخ بدر

(1) طني النخيل: بيع ثمرتها لموسم واحد. [المحرران]

العبري. وهناك من ينقل الدروس الدينية مباشرة مثل الدكتور سيف الهادي، والشيخ زاهر آل عبدالسلام، والشيخ بدر بن هلال البوسعيدي. كما أدار الزميل سليمان المعمري أكثر من ندوة أدبية إلكترونية مع كبار الأدباء والروائيين العرب، وقد تكون ندوات وأنشطة كهذه لا تجد ذلك الإقبال الآن - لأنها حديثة - ولكن ستجد إقبالاً شديداً مستقبلاً، وأرى أنها بدأت تسرق الأضواء من الإعلام الرسمي، الذي أصبح يسمى الآن التقليدي.

وأعود الآن إلى النقطة التي انطلقت منها في السطور الماضية، في الحديث عن التعامل الإلكتروني، لأصل إلى القول إنَّ من الدروس المهمة والإيجابية للوباء، ما كُشِفَ عنه من أنَّ الحكومة بإمكانها أن تستمر بطاقتها الحالية المخفضة من الموظفين، مع اتجاه تطبيق «الحكومة الإلكترونية»؛ وفي المقابل، فإنَّ الأمر أصبح ملحاً أكثر من أيِّ وقت مضى، لإحلال الشباب العماني في القطاعات كلها التي يسيطر عليها الوافدون، وهي مجالات كثيرة وحيوية.

• مستقبل العادات الاجتماعية

كان التطور الإيجابي الأبرز اجتماعياً في المجتمع العماني هو الابتعاد عن مظاهر الإسراف والتبذير، التي لم تكن موجودة أصلاً في السابق، إلا أنَّ تغيُّر أنماط المجتمع أدَّى بالناس إلى التخلّي عن البساطة والذهاب إلى التكلّف في كلّ شيء؛ سواء في العزائم العادية، أو في المناسبات

كالأعياد والأفراح و«الملكات»⁽¹⁾. ولطالما رأينا كثيرين يتفخرون بعدد المدعوين، وبما أسرفوا في تلك الحفلات، والأمر من ذلك أن هذا السَّرَف كان يحدث حتى في مجالس العزاء، وما شاهدناه كثيرًا في «الملكات» يندى له الجبين، فغالبًا ما يكون مصير الأكل الزائد والمتبقي إلى صناديق القمامة.

كثيرون أكدوا أنهم أحسّوا بلذة روحانيات رمضان هذا العام 1441هـ، لأنهم ابتعدوا عن التجمعات، والتزموا بيوتهم، واختفت العزائم خلال الشهر، فعاشوا وكأنهم كانوا في اعتكاف طوال الشهر الكريم، وربما أكون أحد الذين عاشوا هذا الشعور الروحاني في هذا الشهر.

بدوره شهد عيد الفطر عام 1441هـ غياب شعائر صلاة العيد، وتخلّى الناس عن عادة الالتقاء بعد الصلاة وتهنئة بعضهم بعضًا. وأدى «التباعد الاجتماعي» بهم إلى إلغاء السلام بالمصافحة، في وقت بدأت فيه عادة السلام تختفي من الناس رويدًا رويدًا مع تغيّر المجتمع، إذ أصبح شيئًا عاديًا أن يمرّ إنسان على آخر ولا يلقي عليه تحية السلام، وهي التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (افشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام)، ولسان الحال يقول: كأنّ المجتمع يستثقل ما بقي فيه من بعض الصفات الحميدة ويتنظر مجرد قشة ليتخلّى عنها، ولست أدري هل إذا انتهت كورونا (كوفيد19) سيصافح الناس بعضهم بعضًا؟ وهل سيختفي مفهوم التباعد الاجتماعي؟ لقد أحدث الوباء تحولًا عميقًا في

(1) الملكة.. عقد القران. [المحرران]

المجتمعات، قد لا تظهر نتائجه عاجلاً، إلا أنها بالتأكيد ستظهر في نهاية المطاف.

بصفة عامة، نستطيع القول: إنّ المجتمع نجح في تطبيق مفهوم جديد عليه، هو «التباعد الاجتماعي»، بعد أن اختفت من قاموسه اليومي مظاهر إقامة العزاء والأفراح التي كانت تكلف الكثير. وما أكدته تجربة كوفيد19 هو أنّ العماني باستطاعته توفير الكثير من الجهد والمال، وأنّ معظم المشاوير التي يتجشّمها وما يرافقها من إنفاق يستطيع الاستغناء عنها ببساطة، لأنّها لا تعدو أن تكون من كماليات الحياة. فقد مرّ على الناس شهر رمضان وعيدان حتى وقت كتابة هذه السطور ولم يبدُ أنّ الناس خسروا أيّ شيء. ويستطيع المرء أن يحسب كم وقر من المال بدل البنزين، ومن اضطرته الظروف للدوام، يستطيع أن يرى الفرق بين زحمة المرور في الشوارع قبل كوفيد19 وبعد ظهورها، وفي هذا المقام لا يمكن أن نغفل أنّ حوادث السيارات قلت كثيراً إلى الدرجة التي نستطيع أن نقول عنها إنها كادت أن تختفي.

والذي يظهر أنّ كثيراً من العادات التي اعتادها الناس قد تختفي بعد كورونا (كوفيد19)، وقد يطبّقون ثقافة أخرى جديدة، بعد الدروس المستفادة من الوباء، ربما كان منها التقليل من الإنفاق في المناسبات الاجتماعية، وتطبيق التباعد الاجتماعي، والتركيز على الأهم بدلاً من المهم.

صحيح أنّ «التباعد الاجتماعي» لم يسجّل ذلك النجاح الكامل، لأنّ

هناك من أحس بالملل، فشارك في بعض الفعاليات البسيطة مثل: التجمعات في الشواطئ، وزيارة المجمّعات التجارية، إلا أنّ ذلك لم يكن بدرجة كبيرة. ومع ذلك فإنّ المجتمع قد تغيّر، وأخذ دروساً وعبراً من الوباء، وقد لا يعود إلى مثل ما كان عليه من قبل. يكفي أنّ هناك من عجل في الزواج حتى يبتعد عن المصاريف ويبتعد عن لوم الناس.

أظهرت الجائحة ألاً فرق بين غني وفقير؛ فكلاهما انتابه الخوف، وكلاهما ابتعد عن الإسراف في الكماليات. وقد مرّ صيف عام 2020م دون أن يصيّف الأغنياء خارج السلطنة، ولم يستدن الفقراء لقضاء إجازاتهم في الخارج، كما كان يحصل من البعض. لقد بدأ المجتمع يتخلى - وإنّ بشكل خجول - عن صفته الاستهلاكية. والمجتمع الاستهلاكي (لا يُقصد به بالطبع شيوع الرغبة في الاستهلاك، إذ متى كان هناك هدف للإنتاج غير الاستهلاك؟ التغيّر الذي حدث ليس أنّ الاستهلاك أصبح هدفاً، ولكن التغيّر حدث في مضمون ما يجري استهلاكه، وفي نظرة الناس إلى الاستهلاك، وما أصبح له من أولوية في اهتماماتهم، وزيادة أهميته كمعيار في تحديد مكانة الفرد في المجتمع)⁽¹⁾، كما أشار إلى ذلك الراحل جلال أمين.

وما قاله الدكتور جلال أمين نرى صورته في مجتمعنا، فاستهلاك الأنواع الجديدة من السلع والخدمات ظاهرة لا تخطئها العين، لأنّها ظاهرة نفسية ومادية في الوقت نفسه، شاعت واستفحلت في البلدان

(1) المجتمع الاستهلاكي.. القضية والحلول، البيان الإماراتية، 27/ 6/ 2016م.

الفقيرة، مثلما شاعت في بلدان المنشأ الغنية، مع فوارق مهمة في مظاهرها وآثارها عندنا وعندهم.

• استراتيجية التحوّل الاقتصادي

نجحت الحكومة في تخطي عقبة نقص المواد التموينية، وذلك عندما اعتمدت الاستيراد المباشر من المصدر، بدلاً من الاعتماد على وسيط، فخلال السنوات الماضية كانت عُمان تعتمد على دول الجوار في استيراد كل ما تحتاجه من المواد الغذائية والتموينية، وإلى كل شيء؛ من مواد البناء والآلات وغيرها من قطع الغيار حتى أصغر الأشياء التي قد لا تخطر على بال أحد، وهذا أدى إلى تعطيل قدرات الموانئ والمطارات العمانية، بل أدى إلى إلغاء صفة «الموقع الاستراتيجي لعُمان»، غير أنّ فترة إغلاق الحدود مع دول الجوار بسبب الجائحة أدت بالعمانيين إلى اكتشاف قدراتهم الاقتصادية المهملة، فلم تنقص المواد التموينية طوال فترة الإغلاق هذه، وكانت كل المتطلبات متوفرة وبكثرة، وهكذا رأينا أنّ الموانئ العمانية ارتبطت مع ستة وثمانين ميناءً تجاريًا في أربعين دولة، بواقع مائتي رحلة أسبوعية مباشرة، بهدف تعزيز التصدير والاستيراد المباشر من مختلف دول العالم للسلع والبضائع، وخاصة الخضراوات والفواكه واللحوم، وتوفير أفضل الخيارات للتجار والمستوردين للاستيراد من بلد المنشأ، والاستفادة من خطوط الشحن الدولية المباشرة إلى السلطنة من مختلف الموانئ الخليجية والإقليمية والعالمية، كما

أشارت إلى ذلك مجموعة «أسياد»، المجموعة اللوجيستية المتكاملة في الشرق الأوسط، في موقعها على شبكة الإنترنت.

جاءت خطوة الاستيراد المباشر من بلد المنشأ بعد مطالبات كثيرة خلال سنوات مضت، ويحسب لكورونا (كوفيد19) أنه عَجَل في تنفيذها، وإذا كانت الخطوة قد نجحت الآن؛ فإنَّ المؤمِّل منها أن تستمر مستقبلاً، وألا تكون ظرفاً طارئاً بسبب الجائحة، فإذا ما انتهت «عادت حليلة لعادتها القديمة». إنها -أي الاستيراد المباشر- خطوة أشاد بها عدد من رجال الأعمال والمستوردين، وأكدوا أنَّ هذا الاستيراد من خلال استعمال الموانئ العمانية، أسهم في اختصار الوقت بنسبة 50٪. وهكذا، فإنَّ الخير يخرج أحياناً من بطن الشر، وربما من أكبر حسنات كوفيد19 هو الاستفادة من موانئنا والاستيراد المباشر من بلد المنشأ إلى عُمان.

وإذا كانت الأسواق ملأى بالخضراوات والفواكه المستوردة؛ فإنَّ ظهور المنتجات الزراعية العمانية في الأسواق المحلية كان إحدى إيجابيات الوباء. إذ كانت متوفرة بكثرة، وهذا بدوره يحفز القائمين على أمر الأمن الغذائي أن يهتموا بالزراعة ومنتجاتها، وبتربية الماشية، والتركيز على الأسماك، وغيرها من الثروات، مع الاهتمام بتحويل «الأمن الغذائي» إلى واقع، فما حصل في جائحة كورونا (كوفيد19) كان أقرب إلى فترة طوارئ، بأي سبب كان؛ سواء الحرب أو الأنواء المناخية أو الوباء. والذي ظهر هو أن العماني أقبل على المنتجات الغذائية العمانية على حساب المنتجات المستوردة، وهذا بدوره يشجع على المزيد من

الإنتاج.

ويمكن أن نتخيل كيف سيكون الوضع لو استُغِلَّت الأراضي الزراعية في محافظة ظفار للزراعة وتربية الثروة الحيوانية وإنتاج الألبان ومشتقاتها، وكذلك توفير اللحوم، والاستفادة من جلود الحيوانات، وإنشاء مصانع لزيوت النارجيل وغيرها؟ وماذا لو طورت الزراعة في الجبل الأخضر عن طريق زراعة العديد من الفواكه وتوسيع رقعة المزرع؟ وماذا لو استغلت الباطنة من جديد للزراعة؟ ماذا لو ركزت الحكومة على تطوير القطاع السمكي؟ وماذا؟ وماذا؟ وماذا؟ فما يؤسف له أن نرى في الأسواق المحلية تمورًا من دول الجوار، تباع على حساب التمور العمانية. ومما يؤسف له كذلك أن تكون أسعار الأسماك العمانية مرتفعة وليست في متناول الكل، فيما نراها تباع في الأسواق الخليجية بأرخص مما تُباع داخل عُمان.

• نجاح خطوط الدفاع الأولى

لا يمكن الحديث عن جائحة كورونا (كوفيد19) دون التطرق إلى النجاح الذي حققه جميع العاملين في خطوط الدفاع الأولى لمواجهة الجائحة، وهم الأطباء والطاقم الطبي بأكمله، الذين تفاعلوا وبذلوا جهودًا جبارة للحفاظ على سلامة وأمان عُمان، ورغم المخاطر التي تعرضوا لها؛ إلا أنهم قاموا بواجبهم الوطني بكل إخلاص وتفان، وقدّموا أفضل الخدمات من خلال التشخيص والعلاج.

وعلى ضوء تعامل الطاقم الطبي العماني مع الوباء -لفترة طالت أكثر ممّا كان متوقعًا- من المتوقع أن تشهد المؤسسات الطبية -بما فيها الطاقم الطبي- تطورًا في مجال التعامل مع الأوبئة، وهذا النجاح سيزيد الثقة في مستشفياتنا وكوادرنا الطبية، إذ كان الوباء فرصة ذهبية لتدريب وصقل مهارات الطواقم الطبية العمانية في التعامل مع الحالات الطارئة. ولم يكن عطاء الأطباء العمانيين مقصورًا على داخل عُمان، بل تعدى الداخل إلى الخارج، عندما قرر عدد من الأطباء العمانيين المبتعثين من المجلس العماني للاختصاصات الطبية إلى المملكة المتحدة البقاء هناك ومواصلة عملهم إثر تطورات فيروس كوفيد19، وهو ما حدث أيضًا من عدد من الأطباء العمانيين الذين شاركوا نظراءهم في أمريكا وفرنسا في علاج مرضى الفيروس، وهي الخطوة التي أشادت بها سفارات أمريكا وبريطانيا وفرنسا.

ميدانيًا، فإنّ جمعية الأطباء العمانيين قامت بالتعاون مع القطاع الخاص بافتتاح مستشفى الجمعية الطبية العمانية المؤقت «آد لايف»، حيث أحيل إليه مرضى الفيروس الذين يحتاجون للتنويم من محافظة مسقط، لتخفيف العبء عن المستشفيات الحكومية التي اكتظت بالمتّومين. وضم المستشفى أربعة وستين سريرًا؛ ومن اللافت للنظر، أنّ كلّ الطواقم في المستشفى هم أطباء متبرعون من الجمعية العمانية للأطباء، ومنتطوعون من فئات أخرى.

ومن التطورات التي فرضتها الجائحة، أن وزارة الصحة دشنت نظام

التقصي الوبائي الذكي، الذي يمكن تشبيهه بالطبيب المحمول، فهو يوفر في يد كل مصاب أو مشتبه بإصابته، إشرافاً طبياً على مدار الساعة. وعن كيفية عمله أوضحت وزارة الصحة أنه يقوم على تقنية الذكاء الاصطناعي من خلال منصة ترصد «بلس»، المدعّم ببرنامج الكاشف الطبي وبرنامج المشرف الطبي، ويعمل بواسطة تحميل التطبيق الإلكتروني من موقع وزارة الصحة أو المتجر الإلكتروني للهواتف الذكية، بالإضافة إلى تطبيق المشرف الطبي المدعّم بالسوار الإلكتروني الذي يطلب تحميله من الشخص الخاضع للعزل بسبب الاشتباه أو الإصابة.

وما ميّز هذا النظام هو كونه معززاً بخاصية التحدث مع فريق الدعم الافتراضي عبر أيقونة الكاشف الطبي، الذي من خلاله تقيّم الحالة الصحية عن طريق تحليل الأعراض المدعّم بتقنية الذكاء الاصطناعي، ممّا يسهل المتابعة المستمرة للأشخاص، وخاصةً المصابين أو المخالطين الخاضعين للعزل الصحي وتوجيههم للمؤسسات الصحية في الوقت المناسب إذا ما دعت الحاجة.

وتقديرًا للجهود التي بُذلت من جميع العاملين في خطوط الدفاع الأولى لمواجهة الجائحة، لا عجب أن تطلق السلطنة طابعاً بريدياً يبرز جهود الأطباء العمانيين لمكافحة كورونا (كوفيد19)، وليجسد تفاني وإخلاص مختلف الفرق التي تقف في الصفوف الأمامية للحفاظ على سلامة وأمان السلطنة.

• التعليم «عن بُعد»

إذا كان العالم لن يصبح كما كان قبل انتشار الوباء؛ فإنّ مسألة التعليم احتلت مكاناً بارزاً في تفكير الحكومات في العالم، وفي فكر التربويين، بعد إعلان منظمة اليونسكو عدم تمكن مليار وستمئة مليون طالب في العالم من الدراسة في المستويات المختلفة من الحضانة حتى الجامعة، بسبب إغلاق مؤسسات التعليم. ولم تكن السلطنة في معزل عمّا حدث في العالم، فقد أغلقت المدارس والجامعات حفاظاً على الطلبة من العدوى، وطرحت الكثير من المقترحات حول كيفية مواصلة الدراسة مستقبلاً، مع تفجّر أسئلة كثيرة حول إمكان عودة التعليم إلى ما كان عليه من قبل.

أصبحنا اليوم نسمع مصطلحات جديدة في عالم التعليم مثل: التعليم «عن بُعد»، وسواء عاد التعليم مثلما كان أو لم يعد؛ فإنّ هناك حاجة ملحّة الآن في عُمان للتركيز على أنواع التعليم، التي تهدف إلى سد حاجات السوق المحليّة من العمالة، سواء في التجارة أو الصناعة أو الزراعة.

تناول خايمي سافيدرا المدير العام لقطاع الممارسات العالمية للتعليم بمجموعة البنك الدولي في مقال له نشره موقع البنك، تناول تهديدات جائحة كوفيد19 على التعليم في العالم، وحدد صدمتين في هذا المجال هما: الإغلاق شبه العالمي للمدارس على مستوى جميع المراحل، والركود الاقتصادي الناجم عن تدابير مكافحة الجائحة. ورأى أنه (ما لم تُبذل جهود كبيرة لمواجهة هذه الآثار، فسوف تتسبب صدمة إغلاق المدارس في خسائر في التعلّم، وزيادة معدلات التسرب، وازدياد عدم

المساواة، وستؤدي الصدمة الاقتصادية إلى تفاقم الأضرار، من خلال خفض جانبي العرض والطلب في مجال التعليم، نظرًا للضرر الذي يلحقه ذلك بالأسر المعيشية. وسيلحق الأمران كلاهما الضرر برأس المال البشري والرفاهة على الأمد الطويل، لكن إذا بادرت البلدان إلى التحرك دعمًا للتعليم المستمر، فمن الممكن الحد من الضرر، بل وخلق فرصة جديدة من رحم مرحلة التعافي).

بعد قرار اللجنة العليا بإيقاف العام الجامعي والدراسي 2019-2020 في السلطنة، برزت أسئلة كثيرة عن مستقبل التعليم، وكانت معظمها يدور عن التعليم، وهل سيظل على ما هو عليه قبل الوباء أم أنه سيتغير؟ حقيقة، إنَّ التريبيين أمام واقع جديد يفرض عليهم مسايرة المستجدات في العالم، والمطلوب منهم أن يبلوروا أفكارًا جديدة، تأخذ في الحسبان تلك المستجدات والمتغيرات، وبما أنَّ الوقت لا يُسعف التريبيين بالانتظار؛ فالوضع يحتم عليهم أن يُسرعوا في اتخاذ قرارات عاجلة لتطوير التعليم، وملائمته مع الواقع.

ويرز في المشهد التعليمي القادم (حضور فاعل للتعليم «عن بُعد»، وتعزيز منصات التعليم الإلكتروني، والتحول إلى الكتاب والمحتوى الإلكتروني، والاهتمام بالمحتوى الإلكتروني وإعادة تنظيمه وترتيبه وصقله وتهيئته للمتعلم، وقدرة الأخير على استشعار أهمية المحتوى وما يقدمه من معلومات وخبرات ومواقف، وكأنه يعيش الموقف بكل تفاصيله، ويتفاعل مع الحدث بكل معطياته، كما لو كان في غرفة صف مغلقة)، حسب رأي الدكتور رجب بن

علي العويسي خبير الدراسات الاجتماعية والتعليمية في مجلس الدولة، في مقال بعنوان «كورونا وهيكلية التعليم القادم»⁽¹⁾. ويرى الدكتور رجب ضرورة التوجه نحو بناء سياسات تعليمية معززة لثقافة التعليم «عن بُعد»، ووضع الطالب في صورة مبكرة للمستقبل القادم ومعطيات التحول التي فرضتها الجائحة، وتهيئته النفسية والفكرية والأدائية في التعامل مع المحتوى الرقمي عبر توفير البرامج الداعمة لهذا التحول، والقادرة على إيجاد التأثير والدافع في سلوك المتعلم وقناعاته في التحول من التعليم داخل غرفة الصف وقاعة الدراسة إلى التعليم عبر التقنيات الذكية.

لقد تابعْتُ ما كُتِبَ عن التعليم في عُمان عبر صحفنا المحلية وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومعظم من كتب في هذا الجانب كان يحمل همَّ مستقبل التعليم في السلطنة، ومن المقالات التي اطلعتُ عليها أيضًا مقال كتبه منير بن محفوظ القاسمي، ذكر فيه أنَّ قطاع التعليم سيشهد اهتمامًا أكبر وتغييرًا أكثر في سياساته وإجراءاته وتوجهاته، ويتفق منير مع رأي الدكتور رجب في أهمية التوجه إلى التعليم الإلكتروني (بلا شك في هذا العصر أنَّ دخول التكنولوجيا في حلِّ الأزمت صار مطلبًا بل توجّهًا، فلقد شاهدنا في ظلِّ تفاقم الوضع وازدياد الحالات لبعض الدول المتقدمة، أنَّ استخدام القوة التكنولوجية كان ذا أثر كبير في مواجهة تفشي وباء فيروس كورونا، فاستغلت الدول المتقدمة الروبوت الآلي في معالجة المرضى، وأخرى استثمرت طائرات «درون» قادرة على مخاطبة الناس لفض التجمعات ومنع انتشار فيروس كورونا، بل تطور

(1) موقع «أثير»، 29/6/2020م.

الأمر لاستخدامها في الكشف عن مرضى كوفيد19⁽¹⁾. ويرى أنه (من المهم أن نذكر أن الاهتمام بتوظيف ثقافة التعامل مع تقنيات التعليم في التعليم لم يكن وليد هذه الجائحة، فقد بدأت المطالب بالتعامل مع أنظمة وبرامج الحاسوب والإنترنت منذ فترة لا بأس بها، والآن تثبت هذه النظرة الاستشرافية للمستقبل قوتها، وبات العمل على اكتمال هذا البناء مطلبًا، وحتى تتكامل هذه الرؤية يجب أن يكون تخصص تكنولوجيا التعليم في محط اهتمام التوجيهات القادمة، وأن يوظف التوظيف الأمثل، وأن تعطى أقسام تقنيات التعليم، بما فيها: المحتوى الإلكتروني وتقنية المعلومات ومراكز مصادر التعلم، أدوارًا جديدةً لخدمة هذا الغرض، واهتمامًا أكثر من قبل المعنيين وأصحاب القرار).
وتساءل في نهاية مقاله: فهل سنشهد ذلك بعد مرور جائحة كوفيد19؟

• ما بعد الجائحة

جوانب كثيرة يمكن تناولها عن جائحة كورونا (كوفيد19) بإيجابياتها وسلبياتها، وكذلك عن مدى النجاح أو الفشل الذي حققته عُمان في احتواء المرض، ولكن ما يهمنا في نهاية هذا التجوال مع الآثار الإيجابية والسلبية للجائحة، هو السؤال الذي يفرض نفسه الآن وبكل قوة: كيف ستكون عُمان بعد الجائحة؟ وماذا استفاد المخططون للسياسات المستقبلية منها؟ وما هي الدروس والعبر التي خرجوا بها؟
ملفات كثيرة تحتاج إلى إعادة النظر فيها، وتكييفها مع الواقع الجديد،

(1) تكنولوجيا التعليم ما بعد كورونا، جريدة الرؤية العمانية، 18 / 4 / 2020م.

منها: الاقتصاد والتعليم والصحة، وأهمية استغلال الموقع الجغرافي المميز لعُمان، وملف التعيين والإحلال، وأهم من كل ذلك ملف العمالة الوافدة. اطلعتُ قبل فترة على تصورات الدكتور سيف الرمضاني لعُمان ما بعد كورونا (كوفيد19)، وذكر أن نسبة عدد العمانيين سيصل إلى 70٪ من مجموع عدد السكان، بعد معالجة ملف التجارة المستترة والعمالة السائبة، وهو توقعُ نرجو أن يتحقق، وأن تصل نسبة العمانيين إلى أكثر من ذلك، فالظرف مُواتٍ تمامًا لوضع حلول نهائية لهذا الملف الذي أخذ حيزًا كبيرًا من النقاشات طوال عقود من الزمن دون حل، وكان ترحيل الملف هو السائد دائمًا، أما بعد الجائحة إذا لم يُحل هذا الملف فستزداد خطورته مستقبلًا.

ومن تصورات الرمضاني أيضًا، أن تقام تجارب لاستخدام طاقة الرياح والطاقة الشمسية لتحلية مياه البحر للزراعة، وإنشاء مصانع للأدوية والمعدات الطبية، مع العمل على تعيين ما نسبته 50٪ من الكوادر الطبية والفنية والإدارية في المستشفيات الخاصة. وفي تصوري الخاص أن مثل هذه الأفكار يجب أن يؤخذ بها وتدرس، فالتجربة الماضية كانت قاسية على موازنة واقتصاد الدولة، وإن لم تكن ظاهرة للمواطن العادي الآن، إلا أنها بالتأكيد ستظهر يومًا ما، وينبغي العمل على تفادي الآثار السلبية الاقتصادية وغيرها قبل وقوعها، لأن العالم دخل مرحلة كساد اقتصادي أسوأ من تلك التي شهدتها العام عام 2009م، كما أعلن صندوق النقد الدولي في موقعه.

وبما أننا جزء من العالم نتأثر بما يتأثر به غيرنا؛ فإن الظروف توجب الآن التركيز والاهتمام بتنمية الاقتصاد العماني، والاستفادة من الدروس التي قدمها

وباء كورونا (كوفيد19) لنا، وأن نستغل طاقات شبابنا، وموقعنا الاستراتيجي المميز، بأن نستمر في الاستيراد المباشر، ونفعل موانئنا ومطاراتنا، وأن تكون عُمان نقطة الالتقاء والاستيراد والتصدير لآسيا وأوروبا وإفريقيا، وأن تهتم الحكومة بالتعليم التقني والمهني، وأن تواصل دعمها للقطاع الصحي الذي برزت أهميته في هذه الجائحة أكثر من أي وقت مضى، مع التركيز على إعطاء الشباب الفرصة وإحلاله مكان العمالة الوافدة.

• الخاتمة

عاشت الكرة الأرضية مهرجاناً عالمياً اسمه كورونا (كوفيد19)، وهو أكبر مهرجان من نوعه على الإطلاق أقيم في العالم بمشاركة الجميع، وشاركت عُمان فيه بأن اتخذت الحكومة قرارات احترازية لمنع انتشار المرض، عبر تشكيل لجنة عليا لمتابعة تطورات المرض، مع ما رافق ذلك من حملة إعلامية مكثفة للحد من انتشاره. وما حدث في عُمان حدث في دول العالم المختلفة، مما يؤكد أن العالم فعلاً قد تغير، ولن يكون مثلما كان قبل انتشار الوباء. وقد ضرب العمانيون -خلال الجائحة- أمثلة رائعة في التفاني والإخلاص، وشمل ذلك الأطباء والممرضين، وكذلك رجال الشرطة والأجهزة العسكرية والأمنية، ووسائل الإعلام المختلفة والإعلاميين. وقد قدم لنا الوباء دروساً مجانية، والذكي من يتعلم الدرس، فالعالم اليوم ليس مثلما كان بالأمس، ولن يكون غداً مثلما هو اليوم.

فهرس المحتويات

5.....مقدمة التحرير

المحور الصحي

9.....الوضع الصحي أثناء جائحة كورونا (كوفيد19) / د. يوسف بن علي المألا البلوشي

محور الصحة النفسية

33.....الصحة النفسية خلال جائحة كورونا (كوفيد19) / د. يحيى بن خالد الكلباني

المحور القانوني

دور القانون في مواجهة جائحة كورونا (كوفيد19).. الواقع وتجلياته، المستقبل وآفاقه /

53.....أسارة بنت سليم العامرية

المحور الاجتماعي

77.....الحياة الاجتماعية وتحولاتها بالمجتمع.. جائحة كورونا (كوفيد19) نموذجًا / أ. وضحاء شامس

المحور الإعلامي

116.....المعالجة الإعلامية لوباء كورونا (كوفيد19) / أ. سمية العقويبة

المحور الاقتصادي

164.....التداعيات الاقتصادية لجائحة كورونا (كوفيد19) / د. سالم بن عبدالله آل الشيخ

المحور التعليمي

216.....التعليم في ظل كورونا (كوفيد19) سيناريوهات الواقع والمستقبل / د. سيف بن ناصر المعمرى

محور البحث العلمي والابتكار

البحث والتطوير والابتكار السلاح الأقوى لمواجهة الأزمات الطارئة.. كورونا (كوفيد19)، محنة أم منحة؟ /
د. شريفة بنت حمود الحارثية..... 241

المحور الديني

تعدد الخطاب الديني أثناء كورونا (كوفيد19).. الواقع واستشراف المستقبل / أ. أحمد بن مبارك النوفلي..... 272

المحور الفلسفي

ما الذي ينتظرنا بعد هذه الجائحة؟ / محمد العجمي..... 297

المحور التاريخي

الأوبئة والأمراض المعدية منذ القرن السادس عشر- الميلادي حتى منتصف القرن العشرين /
د. ناصر بن سيف السعدي..... 316

المحور الشعري

كورونا (كوفيد19) والشعر / د. مبارك الجابري..... 345

المحور السردى

عزاء الأدب / أ. زوينة سالم..... 368

المحور السينمائي

السينما وجائحة كوفيد19 / أ. محمد الكندي..... 398

المحور المجتمعي

العلم لم يعد كما كان.. ولن يعود كما كان / أ. زاهر بن حارث المحروقي..... 408